خزانة الأدب وغاية الأرب

تأليف العالم الأديب

الشيخ تقي الدين أبي بكر علي

المعروف بابن حجة الحموي

رحمه الله

شرح

عصام شعيتو

الجزء الثاني

منشورات

دار ومكتبة الهلال

بيروت - لبنان

الطبعة الاولى
١٩٨٧



بيروت - بئر العبد - شارع مكرزل - بناية برج الضاحية
ملك دار الهلال تلفون ٨٣٦٩٨١ - ٤٦٣٥٥٠
ص.ب ١٥/٥٠٠٣ برقياً مكتبهلال

ذكر النوادر

نوادر المدح في أوصافه نشقت		منها الصبا فأتتنا وهي في شمم

هذا النوع، أعني النوادر، سماه قوم **الإغراب والطرفة**، وهو أن يأتي الشاعر بمعنى يستغرب، لقلة استعماله، لا لأنه لم يسمع بمثله. وهذا مما اختاره قدامة دون غيره، ولكن غالب علماء البديع اختاروا غير رأي قدامة في هذا النوع، فإنهم قالوا: لا يكون المعنى غريباً إلا إذا لم يسمع بمثله.

وأورد زكي الدين ابن أبي الأصبع، في كتابه المسمى «بتحرير التحبير» لنوع النوادر حداً أقرب إليه من اختيار قدامة، وأبلغ وأوقع في النفوس، وهو أن يعمد الشاعر إلى معنى مشهور، ليس بغريب في بابه، فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره، ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريباً، وينفرد به دون كل من نطق به. وبيان ذلك أن تشبيه الحسان بالشمس والبدر مبذول معروف، قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله، وكان سابق المتقدمين وقبلة المتأخرين، القاضي الفاضل، أنفت نفسه من المثابرة على هذا الابتذال، وكثرة تشبيه الحسان بالبدور، فقال:

تراءى ومرآة السماء صقيلة		فأثر فيها وجهه صورة البدر

سبحان المانح حاصل كلامه تشبيه محسوبه بالبدر، ولكن زيادة هذه النادرة اللطيفة لا تخفى إلا على أكمه[1] لا يعرف القمر، وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتي.

---

(١) الأكمه: الأعمى.

ويعجبني، في باب النوادر، قول القائل:

عرض المشيب بعارضيه فأعرضوا وتقوضت خيم الشباب فقوّضوا[1]
ولقد سمعت وما سمعت بمثله بين غراب البين فيه أبيض

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه، عن النبي ﷺ:

كأنما قلب معن ملء فيه فلم يقل لسائله يوماً سوى نعم

هذا البيت، ذكر الشيخ صفي الدين في شرحه أن النادرة فيه، قلب معن بنعم. قلت: قلب معن بنعم لم يعد من نوع النوادر، بل من أنواع الجناس المسمى بالقلب والعكس، وجناس القلب وغيره من أنواع الجناس ليس فيه غير خدمة الألفاظ، فإنه نوع لفظي والذي قرره قدامة وغيره، في هذا النوع، أن الغرابة تكون في المعنى، بحيث يعد ذلك المعنى من النوادر.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته [هو]:

نوادر من جناني كالجنان زهت أم هل بدت واضحات الحسن من إرم

قلت: إن بيت الشيخ صفي الدين الحلي، مع ما فيه من النقد والمؤاخذة، معدود من النوادر بالنسبة إلى هذا البيت. وما أشبهه بالبيت الذي أخبر عنه الحريري في مقاماته، وقال إنه أخرج من التابوت، وأوهن من بيت العنكبوت. وما ذاك إلا أنني كررت النظر في أركان هذا البيت، فلم أجد فيه مَقراً لنادرة من النوادر التي تقدم تقريرها، فلم يسعني غير النظر في شرحه، فوجدته قال: إن جناني ظهر منه محاسن مدهشة، أم بدت محاسن إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، ويحكى أنها جنة بناها عاد. قلت وما أحق اختراع الخراع بهذه العبارة، وهي، بشهادة الله، عبارته بنصها. والذي أعده من النوادر، إبراز الشيخ عز الدين مثل هذا البيت في بديعيته، ورضاه به، وتنزيل مثل هذه العبارة عليه. انتهى.

وبيت بديعيتي أقول فيه، عن النبي ﷺ:

نوادر المدح في أوصافه نشقت منها الصبا فأتتنا وهي في شمم

النادرة في معنى هذا البيت عرْفها ضائع لمن شمه من أهل الأدب، وما ذاك إلا أن

---

(1) قوضّ: خرّب.

النسيم أكثر الشعراء من استعماله في تحمل الرسائل. وغاية ما أغربوا فيه أنه ينشق منه عَرْف الأحبة، إذا هب من نحوهم. والنادرة التي أغربت بها هذا المعنى: أن نسيم الصبا لما نشقت عرف مديح النبي، ﷺ، وتعرفت به تزايد شممها. والشمم للنسيم نادرة، بل نكتة لم أسبق إليها. فإن النسيم أحق باشتراك هذه التورية من غيره، لأن الشمم لائق به. وهذا الذي أشار إليه ابن أبي الأصبع، في أن الشاعر يعمد إلى معنى مبذول معروف ليس بغريب في بابه، فيغربه، بزيادة لم تقع لغيره، ويصير بها ذلك المعنى المعروف غريباً. ومثل ذلك، حتى يزداد نوع النوادر إيضاحاً، قول أبي نواس:

هبت لنا ريح شمالية ... متت إلى القلب بأسباب
أدت رسالات الهوى بيننا ... عرفتها من بين أصحابي

قوله: عرفتها من بين أصحابي، نادرة لم يسبق إليها. وقد جاراه مجير الدين الخياط، في بديع هذا النوع. ونادرة هذا المعنى لولا الحياء لقلت إنه أحرز قصبات السبق عليه، بقوله:

يا نسيم الصبا الولوع بوجدي ... حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابني شذاك فبالله ... متى عهده بأطلال نجد[1]

بين ولقد رابني شذاك، في بيت مجير الدين، وبين عرفتها من بين أصحابي معرك ذوقي، ما يدركه إلا من صفت مرآت ذوقه في علم الأدب. ولعمري إن النادرتين يتجمل بهما هذا النوع ومثله قول القائل، ويعجبني إلى الغاية:

ويد الشمال عشية مذ أرعشت ... دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيماً في صحيفة جدول ... فيد الغمامة صححته بنقطها[2]

النوادر في هذين البيتين، لم يحتج برهانها إلى إقامة دليل، وقد فهمت الزيادات في غرابة المعاني المبتذلة.

ومثله ـ ولم يخرج عما نحن فيه من لطف النسيم ونوادر النوع، قول القائل:

هبت صبا من قاسيون فسكنت ... بهبوبها وصب الفؤاد البالي[3]
خاضت مياه النيرين عشية ... وأتتك وهي بليلة الأذيال[4]

(١) رابني: حيرني، وجعلني أرتاب أي أشك.
(٢) النقط: وضع النقاط على الحروف.
(٣) قاسيون: جبل يشرف على دمشق ـ الوصب: المرض والوجع.
(٤) النيرين: دجلة والفرات، وهما من أسماء الشمس والقمر. والله أعلم.

ويعجبني في هذا الباب قول ناصر الدين بن المشد:

مسكيــة الأنفــاس تملي الصبــا ... عنهــا حــديثــاً قط لم يــمــلل
جننت لمــا أن ســرى عــرفهــا ... ومــا نرى من جن بــالمنــدل (١)

وألطف منه وأكثر نوادر، قول بدر الدين حسن الغزي، الشهير بالزغاري:

سرت من بعيد الدار لي نسمة الصبا ... وقد أصبحت حسرى من السير ضائعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى ... ومن تعب أنفــاسهــا متــتــابعــه

ومن العجائب في هذا النوع:

حــبــذا لــيــلة رأيــت دجــاهــا ... زاهــيــاً عــطفــه بــحــلة فــجــر
بشــرت بــاللقــاء وهي غــراب ... ونفى الفجر حسنها وهي قمري(٢)

ومن النوادر اللطيفة، في هذا الباب، قول علاء الدين الجويني، صاحب الديوان ببغداد، من دو بيت:

مـذ صــار مبيتنــا بضــوء القمــر ... والحب نــديمنــا وصــوت الــوتــر
نــادى بفــراقنــا نسيــم سحــراً ... ما أبرد مــا جاءت نسيم السحر

ومن نادر ما اتفق لي قولي من قصيدة رائية:

ومــذ سرت نسمــات الثغر بــاردة ... بــدا بأعضــاء ذاك الجفن تكسيــر

قد تقدم تقرير حد ابن أبي الأصبع، في نوع النوادر وتكرر، وهو أن يعمد الشاعر إلى معنى مشهور كثير الاستعمال، فيغرب فيه بزيادة نكتة لم تقع لغيره، ليصير المعنى المستعمل بها غريباً. وقد فهم ما أوردته هنا من تلاعب الشعراء بالنسيم، وما أظهروا فيه من النوادر التي تركت رخيصه غالياً. وتكسير الجفن أيضاً ونسبة التكسير إليه أكثر أهل الأدب استعماله في تغزلهم ونسيبهم، ولكن استعارة النسمات الباردة للثغر، وهبوبها على أعضاء ذاك الجفن السقيم، حتى ظهر فيه التكسير، نادرة النوادر في هذا النوع والله أعلم.

---

(١) العَرف: الرائحة الطيبة ـ المندل: العود الطيب الرائحة.
(٢) القمري: نوع من الحمام.

ذكر المبالغة

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى والشهب قد رمدت من عثير الدهم[1]

المبالغة نوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور، واستدلوا على ذلك بقول من قال: أحسن الشعر أكذبه، وبقول النابغة الذبياني: أشعر الناس من استجيد كذبه، وضحك من رديئه. واستدلوا أيضاً برد النابغة المذكور على مثل حسان بن ثابت، في قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[2]

والرد الذي رده النابغة على هذا البيت في ثلاثة مواضع: الأول منها أنه قال له: قلت لنا الجفنات والجفنات تدل على قليل، فلا فخر لك ولا مبالغة إذا كان في ساحتك ثلاث جفان أو أربع. والثاني: أنك قلت: يلمعن، واللمعة بياض قليل ليس فيه كبير شان. والثالث: أنك قلت في السيوف: يقطرن، والقطرة تكون للقليل فلا تدل على فرط نجدة، ولا مبالغة.

وترشيح جانب المبالغة مذهب ابن رشيق، في العمدة، ومنهم من لم يَعُدَّ المبالغة من حسنات الكلام، ومشى في ذلك على مذهب حسان بن ثابت رضي الله عنه، فإنه قال:

وإنما الشعر عقل المرء يعرضه على الأنام فإن كَيسا وإن حمقا[3]

(١) الوغى: الحرب ـ رمدت: صار لونها شبيهاًبلون الرماد ـ العثير: الغبار ـ الدهم: جمع أدهم وهو من الخيل الأسود.

(٢) الجفنات: واحدتها الجفنة وهي القصعة وعاء كبير يطبخ فيه.

(٣) الكَيس: اللباقة والحذاقة.

وإن أشعر بيت أنت قائله   بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وعند أهل هذا المذهب، أن المبالغة لم تسفر عن غير التهويل على السامع، ولم يفر الناظم إلى التخييم عليها إلا لعجزه، وقصور همته عن اختراع المعاني المبتكرة، لأنها في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر، إذا أعياه إيراد المعاني الغريبة، فيشغل الأسماع بما هو محال وتهويل. وقالوا: ربما أنها أحالت المعاني فأخرجتها عن حد الكلام الممكن إلى حد الامتناع. والمبالغة تعاب في بابها إذا خرجت عن حد الإمكان إلى الاستحالة، ويأتي الكلام على حدها في موضعه. والذي أقوله: إن المبالغة من محاسن أنواع البديع، ولم يستطرد في حلبات سبقها إلا فحول هذه الصناعة، ولولا سموّ رتبتها ما وردت في القرآن العظيم والسنة النبوية، ولو سلمنا إلى من يهضم جانبها ولم يعدها من حسنات الكلام، بطلت بلاغة الاستعارة، وانحطت رتبة التشبيه.

وتسمية المبالغة منسوبة إلى قدامة، ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ، وسماه ابن المعتز **الإفراط في الصفة**، وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن أكثر الناس رغبوا في تسمية قدامة لخفتها.

وهذا النوع، أعني المبالغة، شركه قوم مع الإغراق والغلو لعدم معرفة الفرق، وهو مثل الصبح ظاهر.

والمبالغة في الاصطلاح هي إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة.

والإغراق وصف الشيء الممكن البعيد وقوعه عادة.

والغلو، وصفه بما يستحيل وقوعه.

ويأتي الكلام على كل واحد من الثلاثة في موضعه. وقد تقرر أولاً أن المبالغة، نوعها مبني على وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه.

وحد قدامة المبالغة فقال: هي أن يذكر المتكلم حالاً من الأحوال لو وقف عندها لأجزأت، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ من معنى قصده، كقول عمير بن كريم التغلبي:

ونكرم جارنا ما دام فينا   ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقال: إن هذا البيت من أحسن المبالغة عند الحذاق، فإن الشاعر بلغ فيه إلى أقصى ما يمكن من وصف الشيء، وتوصل إلى أكثر ما يقدر عليه، فتعاطاه.

ولخص بعضهم عبارة الحد الذي حده قدامة، وقال: المعنى إذا زاد على التمام سمي مبالغة.

وقال ابن رشيق، في العمدة: المبالغة: بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن في وصف الشيء.

قلت: وعلى هذا التقرير، فجل القصد في المبالغة الإمكان والخروج عن المستحيل. والمذهب الصحيح فيها أنها ضرب من المحاسن، إذا بعدت عن الإغراق والغلو، وإن كان الإغراق والغلو ضربين من المحاسن ونوعين من أنواع البديع، فقد شرط علماؤه أن النوع لا يتجاوز حده بحيث يزول الالتباس. ويعجبني من أمثلة المبالغة في المديح قول القائل:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم　　　دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه[1]

فالمعنى تم للناظم لما انتهى في بيته إلى قوله: دجى الليل. ولكن زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب في قوله: حتى نظم الجزع ثاقبه.

ومثله قول أبي الطيب المتنبي في وصف جواد

وأصرع أي الوحش قفيته به　　　وأنزل عنه مثله حين أركب

قال زكي الدين بن أبي الأصبع، في كتابه المسمى «بتحرير التحبير»: أبلغ شعر سمعته في باب المبالغة، قول شاعر الحماسة، إذ بالغ في مدح ممدوحه بقوله:

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره　　　وما فوق شكري للشكور مزيد
ولو كان مما يستطاع استطعته　　　ولكنَّ ما لا يستطاع شديد

فانظر ما أحلى احتراسه عن ذلك بقوله: وما فوق شكري للشكور مزيد، وانظر كيف أظهر عذره في عجزه مع قدرته، بأن قال في البيت الثاني: ولو كان مما يستطاع استطعته. ثم أخرج بقية البيت للمبالغة، مخرج المثل السائر، حيث قال: ولكنّ ما لا يستطاع شديد. ومن هنا قال أبو نواس:

لا تسدين إليَّ عارفة　　　حتى أقوم بشكر ما سلفا[2]

ومن معجز المبالغة، في القرآن العظيم، قوله تعالى: **﴿سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾**[3]، فجعل كل واحد منهم أشد

---

(١) الجزع: نوع من العقيق ذي الخطوط المتوازية المستديرة.
(٢) العارفة: المعروف.
(٣) الرعد، ١٣/١٠.

مبالغة في معناه وأتم صفة، وجاء من المبالغة، في السنة النبوية، قوله ﷺ مخبراً عن ربه، كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. وقوله في بقية هذا الحديث: والذي نفس محمد بيده لخلوف[1] فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك. ففي الحديث الشريف مبالغتان: إحداهما، كون الحق، سبحانه وتعالى، أضاف الصيام إلى نفسه دون سائر الأعمال، لقصد المبالغة في تعظيمه وشرفه، وأخبر أنه عز وجل يتولى مجازاة الصائم بنفسه، مبالغة في تعظيم الجزاء وشرفه، ونحن نعلم أن الأعمال كلها لله سبحانه وتعالى ولعبده باعتبارين: أما كونها للعبد، فلأنه يثاب عليها، وأما كونها لله، فلأنها عملت لوجهه الكريم، ومن أجله، فتخصيص الصائم، بالإضافة للرب سبحانه، وتخصيص ثوابه بما خصص به إنما كان للمبالغة في تعظيمه. والمبالغة الثانية، إخبار النبي ﷺ، بعد تقديم القسم، لتأكيد الخبر، بأن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك، ففضل تغير فم الصائم، بالإمساك عن الطعام والشراب، على ريح المسك الذي هو أعطر الطيب، على مقتضى ما يفهم من ريح المسك، وأتى بصيغة أفعل للمبالغة، فجمع هذا الكلام بين قسمي المبالغة: المجازي والحقيقي ولذلك ورد أن دم الشهيد كريح المسك، للمبالغة.

وهذا النوع، أعني المبالغة، ممكن الناظم منه في المدائح النبوية والصفات المحمدية، فإن المادح إذا بالغ في وصفه ﷺ، كانت تلك المبالغة ممكنة قريبة من معجزاته وعظمه عند ربه، فمن ذلك، قولي من قصيدة نبوية أقول فيها عن النبي ﷺ:

إذا ما سرى فرداً لفرط جلاله ... يقول الورى قد سار جيش عرمرم

فالمبالغة تمت لما انتهيت إلى قولي: سار جيش، وزدت بعد ذلك بما هو أبلغ منه وأعظم، لقولي: عرمرم.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته، يقول فيه عن النبي ﷺ

كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته ... والشهب أحلك ألواناً من الدهم[2]

المبالغة تمت للشيخ صفي الدين، في الشطر الأول، بقوله: كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته. ولكن زاد بما هو أبلغ منها، حيث قال: والشهب أحلك ألواناً من الدهم.

---

(١) الخلوف: رائحة الفم إذا تغيَّرت وفسدت.

(٢) النقع: الغبار أثناء المعارك ـ الدهم: الخيول السوداء.

وبيت العميان في بديعيتهم:

يمم نبيـاً تبـاري الـريـح أنمله والمزن من كل هامي الودق مرتكم(١)

المجمع عليه أن المبالغة في الأوصاف المحمدية ممكنة عقلاً وعادة، ولكن الأبلغ في مبالغة العميان أن الريح والمزن كان يحب كل منهما أن يتطفل على أنامل النبي ﷺ، في المباراة، لعلو رتبته وعظم مقامه.

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته:

امـدح وجز كـل حد في مبـالغة حقـاً ولا تطر تقبـل غير متهم(٢)

هذا البيت لم ينتظم في سلك ما قبله من أبيات المديح النبوي ، ولا بينه وبين المبالغة أدنى وصلة، ولم يظهر لي في بيته، غفر الله له، إلا وصيته للمادح أنه إذا مدح يتجاوز كل حد، وأنه لا يطري فيقبل، وما أحقه هنا بقول القائل:

تـمنيتـهم بـالـرقمتين ودارهـم بوادي الغضى يا بعـد ما أتمنـاه

وبيت بديعيتي أقول فيه، عن النبي ﷺ:

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى والشهب قد رمدت من عثير الدهم

فالمبالغة تمت في شطر البيت الأول، بقولي: بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى. والزيادة، بما هو أبلغ منها قولي: والشهب قد رمدت من عثير الدهم. وتسمية النوع هنا هي ديباجة المبالغتين على هذه الصيغة، والله أعلم.



(١) يمم: توجه نحو ـ تباري: تسابق ـ الأنمل: جمع أنمله وهي طرف الاصبع ـ المزن: جمع مزنة وهي الغيمة الممطرة ـ هامي: سائل ـ الودق: المطر ـ مرتكم: بعضه فوق بعضه الآخر.

(٢) جُز: تجاوز ـ تطرِ: من الإطراء وهو المبالغة في المدح على غير الحقيقة.

ذكر الإغراق

لو شاء إغراق من ناواه مد له في البر بحراً بموج فيه ملتطم

قد تقرر في نوع المبالغة أنها إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة. وهذا النوع، أعني الإغراق، فوق المبالغة، ولكنه دون الغلو، وهو في الاصطلاح إفراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة. وقل من فرق بينهما. وغالب الناس عندهم المبالغة والإغراق والغلو نوع واحد. وهنا لم يعمل بقول الحريري: سامح أخاك إذا خلط.

وكل من الإغراق والغلو لا يعد من المحاسن إلا إذا اقترن بما يقربه إلى القبول، كقد، للاحتمال، ولولا، للامتناع، وكاد، للمقاربة، وما أشبه ذلك من أنواع التقريب.

وما وقع شيء من الإغراق والغلو، في الكتاب العزيز، ولا في الكلام الفصيح، إلا مقروناً بما يخرجه من باب الاستحالة، ويدخله في باب الإمكان، مثل: كاد ولو وما يجري مجراهما، كقوله تعالى: ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾[1] إذ لا يستحيل في العقل أن البرق يخطف الأبصار، لكنه يمتنع عادة وما زاد وجه الإغراق هنا جمالاً إلا تقريبه بكاد، واقتران هذه الجملة بها هو الذي صرفها إلى الحقيقة، فقلبت من الامتناع إلى الإمكان.

ومن شواهد تقريب نوع الإغراق، بلو، قول زهير:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

---

(١) النور، ٢٤/٤٣.

فاقتران هذه الجملة أيضاً بامتناع قعود القوم فوق الشمس، المستفاد بلو، هو الذي أظهر بهجة شمسها في باب الإغراق.

ومما استشهدوا به على هذا النوع، بغير أداة التقريب، قول امرىء القيس:

تنـورتهـا من أذرعـات وأهلهـا ... بيثرب أدنى دارها نـظر عالي[1]

وبين المكانين بعد تام، فإن أذرعات من الشام، والنار التي تنورها من أذرعات كانت بيثرب مدينة النبي ﷺ. وقد أثبتوا هذا الشاهد في باب الإغراق، لأنهم قالوا: لا يمتنع عقلاً أن ترى النار من بعد هذه المسافة، وأن لا يكون ثم حائل من جبل أو غيره، من عظم جرم النار، ولكن ذلك ممتنع عادة، هذا إن جعلنا تنورتها نظرت إلى نارها حقيقة، وأما إن جعلناه بمعنى توهمت نارها وتخيلتها في فكري، فلا يكون في البيت إغراق.

ومثله قول أبي الطيب المتنبي في صباه:

روح تـردد في مثـل الخـلال إذا ... أطارت الريح عنه الثوب لم يبن[2]
كفى بجسمي نحـولاً أنني رجـل ... لـولا مخـاطبتي إيـاك لم تـرني

وقالوا: هنا لا يمتنع عقلاً أن ينحل الشخص، حتى يصير مثل الخلال، ولا يستدل عليه إلا بالكلام، إذ الشيء الدقيق إذا كان بعيداً لا يرى، بخلاف الصوت. ولكن صيرورة الشخص، في النحول، إلى مثل هذه الحال، ممتنع عادة. ولعمري، إن الشيخ شرف الدين بن الفارض ضم خصر هذا المعنى الرقيق، ورشحه بنفائس العقود، حيث قال:

كـأني هلال الشـك لـولا تـأوُّهي ... خَفيت فلم تُهْـدَ العيون لـرؤيتي

قلت: إذا قابلنا نحول المتنبي بهلال الشك الذي أبرزه ابن الفارض، لم تبعد المقارنة، لكن من قابل قول المتنبي: انني رجل لولا مخاطبتي، بقول الشيخ شرف الدين ابن الفارض، في بيته: كأني هلال الشك لولا تأوهي، لا بد أن يقابله الله على ذلك، وأين لطف: لولا تأوهي، من ثقل: لولا مخاطبتي. فالفرق بين خطاب الرجل وتأوه هلال الشك لا يخفى على حذاق أهل الأدب.

---

(1) تنوّرتها: بصرت بها أو توهمتها ـ أذرعات: إسم مكان في الشام يبعد مسيرة ثلاثة أشهر عن يثرب، مدينة الرسول ﷺ.
(2) الخلال: الشبح.

ومنه قول بعضهم:

قـد سمعتم أنينـه من بعيـد   فاطلبوا الشخص حيث كان الأنين

قلت: ما برح طائر فكري يحوم على ورد هذا المعنى الذي حصلت فيه المواردة، على أن الشخص لا يرى لشدة نحوله إلا بأنين أو تأوّه، وأريد أن أرشحه بنكتة، إلى أن قلت من قصيدتي التي عارضت بها كعب بن زهير، وامتدحت بها النبي ﷺ:

وفوق طرس مشيبي أرَّخـوا تلفي   وذلك الطرس فوق الرأس محمول
وقد تجاوز جسمي حد كل ضنى   وها أنا اليوم في الأوهام تخييـل

وقد تقدم وتقرر، أن أداة المقاربة ما استعملت في الإغراق إلا لتنقله من الامتناع إلى الإمكان، وهذا الذي أوردته بغير أداة المقاربة هنا، إن كان يبعد عادة، لا يبعد عقلاً.

ومما استشهدوا به على نوع الإغراق، بلو، التي يمكن الإغراق بها عقلاً ويمتنع عادة، قول القائل:

ولو أن ما بي من جوى وصبابـة   على جمل لم يبق في النار كافر

يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سمِّ الخياط، وذلك لا يستحيل عقلاً، إذ القدرة قابلة لذلك لكنه ممتنع عادة. وهذا غاية في الإغراق.

وأورد الشيخ شهاب الدين ابن جعفر المغربي الأندلسي، في شرحه الذي كتبه على بديعية صاحبه شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي، على هذا البيت حكاية لطيفة، وهي أن إبليس تعرض لبعض الأولياء فلم ينل منه غرضاً. فقال له الولي: من أشدّ عليك: العابد الجاهل، أو العالم المسرف على نفسه؟ فقال: العالم المسرف، وأما العابد الجاهل فهو في قبضتي أدخل عليه في دينه من حيث شئت. وأنا أريك ذلك. فانطلق به إلى أعبد الجهال في ذلك الزمان، فطرق عليه الباب، فخرج إليهما. فقال له إبليس: جئت أستفتيك: هل الله قادر على أن يدخل الجمل في سم الخياط أو لا. فتوقف وتحير وغلق الباب. فقال إبليس للولي: ها هو قد كفر بالشك في قدرة الله تعالى، ثم انطلق به إلى عالم مسرف على نفسه، وطرق عليه الباب، وكان في القائلة[1]، فقال الرجل العالم: من هذا الشيطان الذي يضرب بابي في القائلة، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) القائلة: الاستراحة وقت الظهر.

قيلوا فإن الشياطين لا تقيل؟ فقال إبليس: ها هو قد عرفني قبل رؤيتي، فلما خرج قال له إبليس: هل في قدرة الله تعالى أن يدخل الجمل في سم الخياط؟ فقال له: أتشك في قدرة الله تعالى على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل، أو يرقق الجمل حتى يصير كالخيط فيدخل في سم الخياط! فانصرفا، وقال إبليس لرفيقه: معرفة هذا بالله تمحو ذنوبه، وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله. انتهى.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته، على نوع الإغراق:

في معـرك لا تثير الخيـل عثيـره   مما تروي المواضي تربـه بدم[1]

بيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع أبرزه بغير أداة التقريب، وهو بيت عامر قريب من العقل بعيد من الوقوع عادة، على شرط الإغراق، لكنه غير صـالح للتجريد وقد تقرر وتكرر: أن بيوت البديعيات شواهد على الأنواع، فلا ينبغي أن يكون البيت متعلقاً بما قبله، ولا بما بعده

وبيت بديعية العميان يقولون فيه، عن النبي ﷺ، وقد أتوا فيه بأداة التقريب حيث قالوا:

لو قابل الشهب ليلاً في مطالعها   خرَّت حياء وأبـدت برّ محترم
لو شاء إغراق وجه الأرض أجمعه   ندى يديـه لأحياهـا ولم يضم[2]

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

لـو شا إغـراق من ناواه مـدّ لـه   في البر بحراً بموج فيه ملتطم[3]

على كل تقدير، مقام النبي ﷺ صالح للمغالاة بالإغراق في مديحه، والله أعلم.



---

(١) المعرك: مكان العراك ـ العثير: الغبار ـ المواضي: جمع ماضي: السيف.
(٢) الندى: الجود والكرم والعطاء ـ يُضَم: يصاب بالضيم وهو الضعف والنقص والسوء.
(٣) ناواه: ناوأه مخففه ومعناها خاصمه وعانده

ذكر الغلو

بلا غلو إلى السبع الطباق سرى　　وعاد والليل لم يجفل بصبحهم[1]

قد تقدم القول على المبالغة، وتقرر أنها في الاصطلاح إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة. وتقرر أن الإغراق فوقها في الرتبة، وهو في الاصطلاح إفراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة.

والغلو، فوقهما فإنه الإفراط في وصف الشيء بالمستحيل وقوعه عقلاً وعادة وهو ينقسم إلى قسمين: مقبول، وغير مقبول. فالمقبول لا بد أن يقربه الناظم إلى القبول بأداة التقريب، اللهم إلا أن يكون الغلو في مديح النبي ﷺ، فلا غلو.

ويجب على ناظم الغلو أن يسبكه في قوالب التخيلات الحسنة، التي يدعو العقل إلى قبولها في أول وهلة، كقوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾[2] فإن إضاءة الزيت من غير مس نار، مستحيلة عقلاً، ولكن لفظة يكاد، قربته فصار مقبولاً. ومنه قول أبي العلاء المعري:

تكاد قسيه من غير رام　　تمكن في قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سل　　تجد إلى رقابهم انسلالا

ويعجبني هنا قول ابن حمديس الصقلي، في وصف فرس:

ويكاد يخرج سرعة من ظله　　لو كان يرغب في فراق رفيق

---

(١) السبع الطباق: السماوات السبع.
(٢) النور، ٢٤/٣٥.

ومنه قول الفرزدق، في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[1]

ومن الغلو المقبول، بغير أداة التقريب، قول أبي الطيب المتنبي في ممدوحه:

عقدت سنابكها عليه عثيراً فلو ابتغى عنقا عليه أمكنا

معنى هذا البيت: أن سنابك الخيل، وهي أطراف الحوافر، عقدت على هذا الممدوح عثيراً، وهو الغبار، حتى لو أراد أنه يمشي عليه عنقاً لأمكن، والعنق هو المشي السريع، وانعقاد الغبار في الهواء حتى يمكن المشي عليه، مستحيل عقلاً وعادة إلا أنه تخيلٌ حسنٌ مقبول.

وقد وقع[2] للقاضي الأرجاني، جمع فيه بين الشيئين الموجبين للقبول والتقريب، وهما ما جرى بهما مجرى كاد، والتخيل الحسن، وذلك قوله:

يخيل لي أن سُمِّر الشهب في الدجا وشدت بأهدابي إليهن أجفاني

فقوله: يخيل لي، هو الجاري مجرى كاد، فإنه جعل الأمر توهماً لا حقيقة، وأما التخيل الحسن، فهو ما ذكر من تسمير الشهب، وشد أجفانه إليها بأهدابه، وجعل الأهداب بمنزلة الحبال، ولا يخفى ما في هذا من التخييل الحسن.

وأما الغلو الذي هو غير مقبول فكقول أبي نواس:

فلما شربناها ودب دبيبها إلى موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة أن يسطو عليَّ شعاعها فيطلع ندماني على سري الخفي

قالوا: إن سطوة شعاع الخمر عليه، بحيث يصير جسمه شفافاً يظهر لنديمه ما في باطنه لا يمكن عقلاً ولا عادة.

ومنه قول بعضهم:

أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غداً إنَّ ذا من العجب

---

(١) الحطيم: بناء خارج الكعبة قبالة ميزاب الرحمة ـ الاستلام: أي استلام الحجر الأسود وهو من شعائر الحج.

(٢) وقع تخييل حسنٌ.

فسكره بالأمس، بسبب عزمه على الشرب غداً، مما لا يمكن عقلاً ولا عادة أيضاً.

ومنه قول أبي نواس:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

وهذا الذي قاله أبو نواس أيضاً، أمر مستحيل، فإن قيام العرض الموجود، وهو الخوف بالمعدوم، وهي النطف التي لم تخلق، لا يمكن عقلاً ولا عادة. ومن ألطف ما يحكى هنا أن العتابي الشاعر لقي أبا نواس، فقال له: أما تستحي من الله بقولك: وأخفت أهل الشرك البيت؟ فقال له أبو نواس: وأنت أيضاً ما استحيت من الله بقولك:

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً ... يضيق عني وسيع الرأي من حيل
فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لي ... حتى اختلست حياتي من يدي أجلي (١)

فقال العتابي: قد علم الله، وعلمت أن هذا ليس مثل قولك، ولكنك أعددت لكل سؤال جواباً.

ومنه قول بعضهم:

قد كان لي فيما مضى خاتم ... واليوم لو شئت تمنطقت به (٢)
وذبت حتى صرت لو زج بي ... في مقلة النائم لم ينتبه (٣)

ومثل هذا أيضاً لا يقبله العقل، ولا عليه رونق القبول.

قلت: ومراتب الغلو تتفاوت إلى أن تؤول بقائلها إلى الكفر. فمن ذلك قول ابن دريد:

مارست من لو هوت الأفلاك من ... جوانب الجو عليه ما شكا

قيل إنه لأجل هذا البيت، والادعاء العظيم الذي ادعى فيه ابتلي بمرض كان فيه يخاف من الذباب أن يقع عليه.

---

(١) معنى قول أبي نواس ظاهره الشرك وباطنه المبالغة فهو يكاد يصل بممدوحه درجة الخالق جلّ وعلا إذ النطف التي لم تخلق لا تخاف إلا خالقها، عقلاً وقول العتابي: يعني: ما زلت أعاني من المصاعب المميتة ولا أستطيع لنفسي حيلة للنجاة. وأنت واضبت، تلطفاً منك وكرماً، تفتش لي عن مخرج مما أنا فيه حتى كان ذلك على يديك فكأنك قد خلصتني من الموت بإذن الله. ولا يخفى الفرق بين المقصودين.

(٢) تمنطق: لبس المنطقه وهي قطعه من جلد أو من قماش تشد على الوسط.

(٣) زجّ: حشر ووضع في مكان يضيق عليه.

ومنه قوله:

ولـو حمى المقـدار عنـه مهجـة ... لـرامهـا أو تستبيـح مـا حمى
تغـدو المنـايـا طـائعـات أمـره ... ترضى الذي يرضى وتأبى ما أبى

ومثله قول أبي الطيب:

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها ... وكأنْ بنى الإسكندر السد من عزمي [1]

هذا أيضاً من الغلو الذي يؤدي إلى سخافة العقل، مع ما فيه من قبح التركيب، وبعده عن البلاغة.

وأقبح من هذا كله قول عضد الدولة:

ليس شرب الراح إلا في المـطر ... وغنـاء من جـوارٍ في السـحـر
غـانـيـات سـالـبـات لـلنـهـى ... نـاغمات من تضاعيف الـوتـر [2]
مبـرزات الكأس من مـطلعهـا ... ساقيات الـراح مَنْ فاق البشـر [3]
عـضـد الـدولـة بـان ركنـهـا ... مـلك الأمـلاك غـلاب القـدر

روي أنه لم يفلح بعد هذا القول، وكان لا ينطق إلا بقوله تعالى: ﴿ما أغنى عني ماليه ۞ هلك عني سلطانيه﴾ [4].

ولولا الإطالة، وهو نظم غير مقبول، لأوردت كثيراً من نظم الذين كانوا يتساهلون في هذا النوع، كأبي نواس، وابن هانىء الأندلسي، والمتنبي، وأبي العلاء المعري، وغيرهم من المتأخرين، كابن نبيه ومن جرى مجراه. وكنت من المبادىء أستقبح قول الشيخ صفي الدين الحلي، وأستقل أدبه بقوله، في موشحه الذي أوله: دارت على الدوح سلاف القطر. وذلك قوله في ممدوحه:

لـو قـابـل الأعمى غدا بصيـرا ... ولـو رأى ميتـاً غـدا منشـورا [5]
ولـو يشـا كـان الـظلام نـورا ... ولـو أتـاه الـليـل مستـجيـرا
آمنه من سطوات الفجر

(١) دحوت الأرض: سطحتها فجعلتها مدحية مسطحه، أو بسطتها ووسعتها.
(٢) النهى: العقول والألباب.
(٣) فاق البشر: أعلى منزلة منهم.
(٤) الحاقة، ٦٩/٢٨و٢٩.
(٥) النشور: الحياة بعد الموت.

وبيته في بديعيته على هذا النوع، أعني الغلو، قوله:

عزيز جار لو الليل استجار به | من الصباح لعاش الناس في الظلم

قلت هذا الغلو هنا مقبول، في مديح النبي ﷺ، غير لائق بممدوحه الذي أشار إليه في موشحه بقوله:

ولو أتاه الليل مستجيراً | آمنه من سطوات الفجر

فقد تقرر أن الناظم إذا قصد الغلو في مديح النبي ﷺ، فلا غلو.

وبيت العميان في بديعيتهم يقولون فيه، عن النبي ﷺ:

تكاد تشهد أن الله أرسله | إلى الورى نطف الأبناء في الرحم

فنسبة الشهادة إلى النطف، وهي في الأرحام، لا تمكن عقلاً، وما استحال عقلاً استحال عادة، وهذا الغلوّ هنا مقبول في مديح النبي ﷺ، وقد زاد الناظم تقريبه بكاد، ولكن ذكر الأرحام والنطف في المدائح النبوية ما يخلو من قلة أدب.

وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته، يقول فيه عن النبي ﷺ:

في مدحه نفحات لا غلوّ بها | يكاد يحيي شذاها باليَ الرمم[1]

نفحات هذا البيت عطرت الوجود بالمديح النبوي، وغلوّها فيه ملحوظ بعين القبول، وتقريبها بكاد أحرز قصبات السبق، ولا أقول كاد، وهذا البيت عندي مقدم على بيت الشيخ صفي الدين. وبيت العميان، لالتزامه بتسمية النوع البديعي مورى به من جنس المديح، مع انسجامه ورقته.

وبيت بديعيتي أقول فيه، عن النبي ﷺ:

بلا غلوّ إلى السبع الطباق سرى | وعاد والليل لم يجفل بصبحهم

هذا الغلوّ يرخص عنده بانتظامه في سلك المدائح النبوية كل غلوّ، فإنه لو كان في غير النبي ﷺ، استحال عقلاً وعادة، ونعوذ بالله من نسبته إلى غيره، فإنها تؤدي إلى الكفر المحض، وحصره في النبي ﷺ متفق عليه عقلاً ونقلاً. وقولي عند نظم هذا النوع بلا غلو، ويعلم طالب هذا العلم طريق سلوك الأدب، وهذا البيت من خلاصات المدائح النبوية، فنرجو الله أن تشملنا بركة ممدوحه ﷺ والله أعلم.

---

(١) الرمم: جمع رمة وهي جثة الإنسان بعد موته.

ذكر ائتلاف المعنى مع المعنى

سهل شديد له بالمعنيين بدا   تألف في العطا والدين للعظم

هذا النوع، وهو ائتلاف المعنى مع المعنى، ضربان: فالأول في الاصطلاح، هو أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران: أحدهما ملائم، والآخر بخلافه، فيقرنه بالملائم. واستشهدوا عليه بقول أبي الطيب المتنبي:

فالعرب منه مع الكدري طائرة   والروم طائرة منه مع الحجل[1]

وقالوا: إن تقوية المعنى الأول، مناسبة القطا الكدري مع العرب، لأنه يلائمهم بنزوله في السهل من الأرض، وينفر من العمران ويستأنس بالمهمه، ولا يقرب العمران إلا إذا زاد به العطش وقل الماء في البر. ومناسبة الحجل مع الروم، أنها تسكن الجبال، وتتنزل في المواضع المعروفة بالشجر.

والضرب الثاني هو أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين له، فيقرن بهما ما لاقترانه مزية. واستشهدوا على هذا الضرب الثاني، بقول أبي الطيب المتنبي أيضاً:

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم[2]
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم[3]

وقالوا: إن عجز كل من البيتين يلائم كلاً من الصدرين، وما اختار ذلك الترتيب إلا

---

(١) الكوريّ: نوع من القطا أغبر اللون، مرقش الظهر، أصفر الحلق.
(٢) الردى: الموت.
(٣) كلمى: مجرّحة.

لأمرين: أحدهما أن قوله: كأنك في جفن الردى وهو نائم، تمثيل السلامة في مقام العطب، ولهذا قرر له الوقوف والبقاء في موضع يقطع على صاحبه فيه بالهلاك، أنسب من جعله مقرراً لثباته في حال هزيمة الأبطال. والثاني، أن في تأخير التتميم بقوله: ووجهك وضاح وثغرك باسم، عن وصف الممدوح بوقوفه ذلك الموقف، وبمرور أبطاله كلمى بين يديه، ما يفوت بالتقديم. ولعمري إن الضرب الثاني من ائتلاف المعنى مع المعنى أبدع من الضرب الأول، وأوقع في القلوب، وأقرب إلى مواقع الذوق، وعليه نظمت بيت بديعيتي ويأتي الكلام عليه في موضعه، ولكن هنا نكتة تزيد بديع الضرب الثاني إيضاحاً، وترشح قصد المتنبي في ترتيبه الذي تقدم عليه الكلام.

حكي أن سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي قال، عند إنشاده إياه هذين البيتين: يا أبا الطيب قد انتقدنا عليك، كما انتقد على امرىء القيس في قوله:

كـأني لم أركب جـواداً لغـارة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال[1]
ولم أسبأ الزق الـروي ولم أقل لخيلي كـرّي كرّة بعـد إجفال[2]

فقال المتنبي: أيها الأمير إن صح أن البزاز أعلم بالثوب من حائكة، فقد صح ما انتقد على امرىء القيس وعلي، فإن امرأ القيس أحب أن يقرن الشجاعة باللذة في بيت واحد، وهو الأول، وقد وقع مثل هذا في الكتاب العزيز، وهو قوله تعالى: **﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى * وأنّك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾**[3] فإنه تعالى لم يراع فيه مناسبة الري بالشبع والاستظلال باللبس، في تحصيل نوع المنفعة، بل راعى مناسبة اللبس للشبع في حاجة الإنسان إليه وعدم استغنائه عنه، ومناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين اللبس والشبع.

قلت وأما جواب المتنبي عن قول امرىء القيس:

كـأني لم أركب جـواداً لغـارة ولم أتبـطن كاعبـاً ذات خلخـال

فهو الافتنان بعينه، وهو نوع من أنواع البديع العالية، وقد تقدم.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي، في بديعيته على هذا النوع، قوله:

من مفـرد بغـرار السيف منتثـر ومـروج بسنان الـرمـح منتـظم[4]

(١) تبطّن: خبر وعرف الباطن ـ الكاعب: الفتاة إذا نهد ثدياها.
(٢) سبأ الزق الروي: اشترى وعاء الخمر المليء ليشربه.
(٣) طه، ١١٨/٢٠ و ١١٩.
(٤) المروج: السريع ـ غرار السيف: حده.

قد كثر تكرار القول، بأن المراد من بيت البديعية أن يكون شاهداً على نوعه، وإن لم يكن صالحاً للتجريد لم يصح الاستشهاد به على ذلك النوع. وبيت الشيخ صفي الدين الحلي، هنا، غير صالح للتجريد، وعدم صلاحه للتجريد هو الذي عقده وحجب إيضاح معناه عن مواقع الذوق.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته، يقول فيه عن النبي ﷺ:

ذو معنيين بصحب والعدا ائتلفا   للخلف ما أشهب البازي كالرخم(1)

قلت: إن هذين المعنيين، لشدة العقادة، أتعبت الفكر فيهما على أن يتضح لي منهما معنى فعجزت عن ذلك، والله أعلم. وبيت بديعيتي، أقول فيه عن النبي ﷺ:

سهل شديد له بالمعنيين بدا   تألف في العطا والدين للعظم

وقد تقدم قولي: إن بيت بديعيتي منظوم في سلك الضرب الثاني، لكونه أبدع وأوقع في الذوق من الضرب الأول، وهو أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين فيقرن بهما ما يلائم ويظهر باقترانه مزية فسهولة النبي ﷺ، قرنتها بالعطاء وناهيك بهذه الملاءمة وشدته ﷺ قرنتها بالدين لعظمه، فأكرم بها ملاءمة وشرف قران. وقد ورد نص الكتاب بذلك في قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشدَّاء على الكفار رحماء بينهم﴾(2) وقولي في القافية: للعظم، بعد ثبوت الشدَّة للدين، في غاية التمكين. والله أعلم.



(1) أشهب: أصاب ـ البازي: طائر من الجوارح يستعمل ليصطاد به ـ الرخمة: طائر غزير الريش.
(2) الفتح، ٢٩/٤٨.

ذكر نفي الشيء بإيجابه

لا ينتفى الخيـر من إيجابـه أبدا　　　ولا يشين العطا بالمن والسـأم[1]

نفي الشيء بإيجابه، هو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه، وينفي ما هو من سببه مجازاً، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته، كقوله تعالى: ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾[2] فإن ظاهر الكلام نفي الذي يطاع من الشفعاء، والمراد نفي الشفيع مطلقاً، وكقوله تعالى: ﴿**لا يسألون الناس إلحافاً**﴾[3] فإن ظاهر الكلام نفي الإلحاف في المسألة، والباطن نفي المسألة بتة، وعليه إجماع المفسرين.

وذكر ابن أبي الأصبع، في كتابه المسمى «بتحرير التحبير» أنه منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا هو الحد الذي قرَّره ابن رشيق، في العمدة، فإنه قال: نفي الشيء بإيجابه إذا تأملته وجدت باطنه نفياً وظاهره إيجاباً واستشهد عليه بقول زهير:

بـأرض خلاء لا يُسدُّ وصيـدهـا　　　عليَّ ومعـروفي بها غيـر منكر[4]

فأثبت لها في الظاهر وصيداً، ومراده في الباطن أن ليس لها وصيد فيسد.

وألطف ما رأيت، من شواهد هذا النوع، أعني نفي الشيء بإيجابه، قول مسلم بن الوليد:

---

(1) يشين: يعيب.

(2) غافر، ٤٠/١٨.

(3) البقرة، ٢/٢٧٣.

(4) الأرض الخلاء: الخالية من الناس ـ والوصيد: هو الباب ومنه قوله تعالى عن أهل الكهف: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ الكهف، ١٨/١٨.

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه　　　ولا يمسح عينيه من الكحل[1]

فإن ظاهر الكلام نفي عبق الطيب ومسح الكحل، والمراد نفي الطيب والكحل مطلقاً.

ومثله قول أبي الطيب المتنبي:

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها　　　مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة　　　أوراكهن صقيلات العراقيب[2]

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئات، والمراد، في باطن الكلام، عدم الحمام مطلقاً، فإنهن عربيات كظباء الفلاة، ولهذا قال ذو الرمة:

بالله يا ظبيات قلن لنا　　　ليلاي منكن أم ليلى من البشر

والقصد أن حسنهن لم يفتقر إلى تصنع ولا إلى تطرية بدخول الحمام.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع، أعني نفي الشيء بإيجابه، يقول فيه عن النبي ﷺ:

لا يهدم المن منه عمر مكرمة　　　ولا يسوء أذاه نفس متهم

فظاهر الكلام، في بيت الشيخ صفي الدين الحلي، أن النبي ﷺ لا يتبع المكرمة بمن وحاشاه من ذلك، ولا يصدر منه لنفس متهم إساءة. والمراد، في الباطن، نفي المن والإساءة مطلقاً، فإن مقام النبي ﷺ، في الكرم والحلم، فوق ذلك.

والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين، غفر الله له، يقول فيه عن النبي ﷺ:

لم ينف ذماً بإيجاب المديح فتى　　　إلا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

هذا البيت ليس له تعلق بهذا النوع، فإن مشايخ البديع تواردوا في حده على عبارة واحدة لم تختلف بحرف، بل الجميع قالوا: نفي الشيء بإيجابه، هو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه، وينفي ما هو من سببه مجازاً، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو

---

(١) عَبِق: لامس ولاصق.

(٢) الأوراك: ملتقى الفخذ مع الجذع، مفردها: ورك ـ العراقيب: أوتار غليظه فوق الأعقاب، مفردها عرقوب.

الذي أثبته. وأوردوا على ذلك ما تقدم من شواهد القرآن العظيم، والشواهد الشعرية التي زادت النوع إيضاحاً. ولم يتضح لي في بيت الشيخ عز الدين غفر الله له، لمعة استضيء بها في ظلمة هذه العقادة إلى تقرير هذا النوع في البيت المذكور، فلم يسعني غير النظر في شرحه، فوجدته قد قال: ما نفي الذم بإيجاب المديح كريم، إلا وكان النبي ﷺ قد عاقد الدهر بالسلم على ذلك المعنى قبل الذي فعل هذا الفعل المحمود، فإنه هو الأصل في الأسباب الخيرية جميعها، فما علمت ما مراده في النظم، ولا في الشرح، ولا أين استقرَّ نفي الشيء بإيجابه، والله أعلم.

وبيت بديعيتي، أقول فيه عن النبي ﷺ:

لا ينتفي الخيـر من إيجابـه أبدا ولا يشين العـطا بـالمن والسـأم

الذي أقوله: إن محاسن هذا البيت، ببركة ممدوحه ﷺ، تغني عن التطويل في شرحه، وسهولة مأخذ النوع منه لم تفتقر إلى زيادة إيضاح، وما أحقه هنا بقول القائل:

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمـه لا يعرف القمـرا



ذكر الإيغال

للجود في السير إيغال إليه وكم حبا الأنام بود غير منصرم

هذا النوع، مأخوذ من إيغال السير. فإنه يقال: أوغل في المسير، إذا بلغ غاية قصده بسرعة. ولهذا قلت: للجود في السير إيغال إليه، ومعنى ذلك: أن المتكلم، أو الشاعر، إذا انتهى إلى آخر القرينة، أو البيت، استخرج سجعة أو قافية يريد معنى زائداً أو كلاً منهما، فكأن المتكلم، أو الشاعر، قد تجاوز حد المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ مراده فيه إلى زيادة عن الحد.

وهذا النوع مما فرعه قدامة، وفسره بأن قال: هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه، قبل أن يأتي بقافيته، فإذا أراد الإتيان بها ليكون الكلام شعراً، أفاد بها معنى زائداً على معنى البيت، كقول ذي الرمة:

قف العيس في آثار مية واسأل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل[1]

فتم كلامه قبل القافية، فلما احتاج إليها أفاد بها معنى زائداً، وكذلك صنع في البيت الذي بعده، حيث قال:

أظن التي يجدي عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمان المفصل[2]

فإنه تم كلامه بقوله: كتبديد الجمان، واحتاج إلى القافية فأتى بما يفيد معنى زائداً، ولو لم يأت بها لم يحصل. انتهى.

---

(١) العيس: الإبل مفردها أعيس ـ ومية: هي حبيبة ذي الرمة ـ الرسوم: الآثار ـ أخلاق الرداء المسلسل: الرداء المقطع البالي.

(٢) تبديد: تفريق ـ الجمان: اللؤلؤ ـ المفصل: المنضود والمرتب.

والفرق بين الإيغال والتتميم، أن التتميم يأتي إلى المحتاج فيتممه، كقول الشاعر وقد تقدم:

أنـــاس إذا لم يقبـل الحق منهم ويعطوه غاروا بالسيوف القواضب

فإن المعنى بدون قوله: ويعطوه ناقص، والإيغال لا يرد إلا على المعنى التام، فيزيده كمالاً ويفيد فيه معنى زائداً، غير أن بين الإيغال والتكميل تجاذباً يكاد أن ينتظم كل منهما في سلك الآخر. ولكن رأيت الناس قد سلموا إلى قدامة ما اختاره وفرعه هنا، فمشيت مع الناس. واستشهدوا على الإيغال بقوله تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[1] فإن الكلام تم بقوله تعالى: ﴿ومن أحسن من الله حكماً﴾ ثم احتاج الكلام إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنى زائداً. قلت: ولعمري لو طلب التكميل حقه من هذا الشاهد، لم يمنعه الذوق السليم. ومثله قوله تعالى: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾[2] فإن المعنى تم بقوله تعالى: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾ ثم أراد، وهو أعلم، إتمام الكلام بالفاصلة، فقال: ﴿إذا ولوا مدبرين﴾.

وقد حُكي عن الأصمعي أنه سئل من أشعر الناس؟ فقال: الذي يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كثيراً، وينقضي كلامه قبل القافية، فإن احتاج إليها أفاد معنى زائداً. فقيل له: نحو من؟ فقال: نحو الفاتح لأبواب المعاني، وهو امرؤ القيس، حيث قال:

كـأن عيون الـوحش حول خبـائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب[3]

ومثله قول زهير:

كـأن فتات العِهن في كـل منزل نزلن به حب الفنـا لم يحطم[4]

فكلام امرىء القيس انتهى إلى قوله الجزع، وزيادة المعنى في قوله: الذي لم يثقب، ولا يخفى على حذاق الأدب ما فيها من المحاسن. ومعنى قول زهير انتهى في

---

(١) المائدة، ٥/٥٠.

(٢) النمل، ٢٧/٨٠ والروم، ٣٠/٥٢.

(٣) الجزع: العقيق.

(٤) العِهن: الصوف المصبوغ ألواناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كـالعِهن المنفوش﴾ القـارعة، ١٠١/٥ ـ الفنا: شجر ثمره حب أحمر فيه نقط سود (عنب الثعلب).

كلامه إلى قوله: حب الفنا، وزيادة المعنى في قوله: لم يحطم، فيها نكتة بديعية غريبة، وأنا أذكرها هنا تنبيهاً على ما قرره الأصمعي، وما ذاك إلا أن زهيراً شبه ما تفتت من العِهن بحب الفنا، والفنا شجر ثمره حب أحمر وفيه نقط سود، وقال الفراء: هو عنب الثعلب. فلما قال زهير، بعد تمام معنى بيته: لم يحطم، أراد أن يكون حب الفنا صحيحاً، لأنه إذا كسر ظهر له لون غير الحمرة.

وقال ابن أبي الأصبع: في كتابه المسمى «بتحرير التحبير»: ولقد أحسن ابن المعتز في إيغاله، بقوله لابن طباطبا العلوي:

فأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

فإنه تحيل على المساواة، بأن قال: ونحن بنو عمه المسلم، والكلام تم قبل الإتيان بالقافية، فلما أتى بها أفادت معنى، إذ لا طريق له إلى التفضيل بزيادة في حسن الجد.

والذي وقع اتفاق البديعيين عليه: أن أعظم ما وقع في هذا الباب وأبلغ، قول الخنساء أخت صخر:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار(1)

فإن معنى جملة البيت كامل دون القافية، فوجودها زيادة لم تكن له قبلها. وهذه المرأة لم ترض لأخيها أن يأتم به جهال الناس، حتى جعلته يأتم به أئمة الناس، وهذا تتميم. ولم ترض تشبيهه بالعلم، وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية، حتى جعلت في رأسه ناراً.

ويعجبني، من أمثلة هذا النوع في شعر المتأخرين، قول الباخرزي من قصيدة:

أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه ترني فقلت لها وأين فؤادي

ومثله قول الآخر:

تعجبت من ضنى جسمي فقلت لها على هواك فقالت عندي الخبر

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته، يقول فيه عن النبي ﷺ:

كأن مرآه بدر غير مستتر وطيب رياه مسك غير مكتتم

---

(1) تأتم: تجعله إماماً وتقتدي به ـ الهداة: الأئمة ـ العلم: الجبل.

الإيغال مع الشيخ صفي الدين في غير مستتر وغير مكتتم. والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم،

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي، في بديعيته يقول فيه عن النبي ﷺ:

أضحت أعاديه في الأقطار طائرة وأوغلت في الهوى خوفاً مع العصم[1]

قال الشيخ عز الدين غفر الله له في شرحه: إن الإيغال الذي أفاد في بيته معنى زائداً بعد تمامه، قوله: خوفاً مع العصم. وذكر أن العصم هي الجوارح من الطيور التي تفرخ في العوالي، والله أعلم.

وبيت بديعيتي أشير فيه إلى النبي ﷺ بقولي:

للجود في السير إيغال إليه وكم حبا الأنام بود غير منصرم

فمعنى بيتي انتهى إلى قولي عنه ﷺ: حبا الأنام بود. ولما قلت بعد ذلك: غير منصرم إشارة إلى ود النبي ﷺ، ظهر لي من زيادة المعنى ما أقام قواعد بيتي، وملأ الدنيا بهجة بمحاسن الصفات النبوية، والله أعلم.



(١) العصم: من الوحوش: التي في قوائمها بياض وسائر لونها أسود أو أحمر.

ذكر التهذيب والتأديب

تهـذيب تـأديبـه قـد زاده عـظمـا   في مهده وهو طفـل غير منفـطم

نوع التهذيب والتأديب ما قرروا له شاهداً يخصه، لأنه وصف يعم كل كلام منقح محرر، وهو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله، والشروع في تهذيبه وتنقيحه، نظماً كان أو نثراً، وتغيير ما يجب تغييره، وحذف ما ينبغي حذفه وإصلاح ما يتعين إصلاحه، وكشف ما يشكل من غريبه وإعرابه وتحرير ما يدق من معانيه، واطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه، لتشرق شموس التهذيب في سماء بلاغته، وترشف الأسماع على الطرب رقيق سلافته، فإن الكلام إذا كان موصوفاً بالمهذب، منعوتاً بالمنقح، علت رتبته وإن كانت معانيه غير مبتكرة. وكل كلام قيل فيه: لو كان موضع هذه الكلمة غيرها، أولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم، أو لو تمم هذا النقص بكذا، أو لو تكمل هذا الوصف بكذا، أو لو حذفت هذه اللفظة، أو لو اتضح هذا المقصد، وسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن، والمعنى أبين، كان ذلك الكلام غير منتظم في سلك نوع التهذيب والتأديب.

وكان زهير بن أبي سلمى معروفاً بالتنقيح والتهذيب، وله قصائد تعرف بالحوليات، قيل إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها وينقحها في أربعة أشهر، ويعرضها على علماء قبيلته في أربعة أشهر. ويروى، أنه كان يعمل القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في أحد عشر شهراً. ولا جرم أنه قلما يسقط منه شيء، ولهذا كان الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع جلالته في العلم، وتقدمه في النقد، يقدمه على سائر الفحول من طبقته، وما أحسن ما أشار أبو تمام إلى التهذيب بقوله:

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى والليل أسود رقعة الجلباب[1]

فإنه خص تهذيب الفكر بالدجى، لكون الليل تهدأ فيه الأصوات وتسكن الحركات، فيكون الفكر فيه مجتمعاً ومرآة التهذيب فيه صقيلة، لخلو الخاطر وصفاء القريحة، لا سيما وسط الليل والنفس قد أخذت حظها من الراحة، بعد نيل قسطها مس النوم، وخف عليها ثقل الغذاء، وصح ذهنها وصار صدرها منشرحاً، وقلبها بالتأليف منبسطاً، وما قدموا وسط الليل في التأليف على السحر، مع ما فيه من رقة الهواء وخفة الغذاء وأخذ النفس سهمها من الراحة، إلا لما يكون فيه من انتباه أكثر الحيوان الناطق وارتفاع معظم الأصوات، وجرس الحركات، وتقشع الظلماء بطلائع الأضواء، ويبدون ذلك ينقسم الفكر، ويشتغل القلب، ووسط الليل خال مما ذكرناه. ولهذا خص أبو تمام تهذيب الفكر بالدجى عادلاً عن الطرفين، لما فيهما من الشواغل المذكورة.

وحكت الثقات عن أبي عبادة البحتري الشاعر قال: كنت في حداثتي أروم الشعر، وكنت أرجع فيه إلى طبع سليم، ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت إليه واتكلت في تعريفه عليه، فكان أول ما قال لي: يا أبا عبادة تخير الأوقات، وأنت قليل الهموم صفر من الغموم، واعلم أن العادة في الأوقات، إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر، وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم، وخف عنها ثقل الغذاء، وصفا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسم الهواء، وسكنت الغماغم[2]، ورقت النسائم، وتغنت الحمائم.

وإذا شرعت في التأليف تغن بالشعر، فإن الغناء مضماره الذي يجري فيه، واجتهد في إيضاح معانيه، فإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً، والمعنى رشيقاً، وأكثر فيه من بيان الصبابة، وتوجع الكآبة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق، والتعلل باستنشاق النسائم، وغناء الحمائم، والبروق اللامعة، والنجوم الطالعة، والتبرم من العذال، والوقوف على الأطلال.

وإذا أخذت في مدح سيد فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأرهب من عزائمه ورغب في مكارمه. واحذر المجهول من المعاني، وإياك أن تشين شعرك بالعبارة الردية والألفاظ الوحشية، وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكن كأنك خياط تقدر الثياب على مقادير الأجسام، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك، ولا تعمل إلا وأنت فارغ

(١) الجلباب: الثوب الواسع الفضفاض.
(٢) الغماغم: الأصوات.

القلب، ولا تنظم إلا بشهوة فإن الشهوة نعم المعين على حسن النظم، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من أشعار الماضين، فما استحسن العلماء فاقصده، وما استقبحوه فاجتنبه. انتهت وصية أبي تمام.

وأورد العلامة زكي الدين بن أبي الأصبع، في كتابه المسمى «بتحرير التحبير» وصية لنفسه أوردها أيضاً على نوع التهذيب والتأديب، فاخترت منها ما هو اللائق بالحال، وأولها: ينبغي لك أيها الراغب في العمل، السائل عن أوضح السبل، أن تحصّل المعنى قبل الشروع في النظم، والقوافي قبل الأبيات. قلت: وهذا مذهبنا. ثم قال ابن أبي الأصبع: ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروي مقصود، وتوخ الكلام الجزل دون الرذل، والسهل دون الصعب، والعذب دون المستكره، والمستحسن دون المستهجن. ولا تعمل نظماً ولا نثراً عند الملل، فإن الكثير معه قليل، والنفيس معه خسيس، والخواطر ينابيع، إذا رُفق بها جمت[1]، وإذا كثر استعمالها نزحت[2]. واكتب كل معنى يسنح، وقيد كل فائدة تعرض، فإن نتائج الأفكار كلمعة البرق ولمحة الطرف، إن لم تقيدها شردت وندت[3]، وإن لم تستعطف بالتكرار عليها صدت. والترنم بالشعر مما يعين عليه، فقد قال الشاعر:

تغن بـالشعـر إمـا كنت قـائله ... إن الغناء لقول الشعر مضمار[4]

وقد يكل خاطر الشاعر ويعصى عليه الشعر زماناً، كما روي عن الفرزدق أنه قال: لقد يمر عليَّ زمان وقلع ضرس من أضراسي أهون عليَّ من أن أقول بيتاً واحداً. وإذا كان كذلك، فاتركه حتى يأتيك عفواً، وينقاد إليك طوعاً، وإياك وتعقيد المعـاني وتقصير الألفاظ، وتوخ حسن النسق عند التهذيب، ليكون كلامك بعضه آخذ بأعناق بعض، وكرر التنقيح، وعاود التهذيب، ولا يخرج عنك ما نظمته إلا بعد تدقيق النقد وإمعان النظر. انتهى.

قلت وهذا لعمري هو المراد من النوع الذي نحن في شرحه، أعني نوع التهذيب والتأديب، لا كقول الفرزدق:

ومـا مثله في النـاس إلا مملكـا ... أبـو أمـه حي أبـوه يقـاربـه

(١) جمّت. الينابيع: كثر ماؤها.
(٢) نزحت الينابيع: قل ماؤها أو جفت.
(٣) ندّت: الفكرة، نفرت وغابت.
(٤) المضمار: في الأصل مكان تضمرّ فيه الخيل. وللشعر: مجال.

فإن الممدوح إبراهيم بن هشام المخزومي، خال هشام بن عبد الملك وأما التقديم والتأخير ففي قوله وما مثله، البيت، فإن تقديره: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه. وسلوك طريق التعقيد في قوله أبو أمه أبوه، وكان يجزيه قوله جده. وهذا لعمري هو التعقيد الذي بينه وبين التهذيب والتأديب الذي قررناه، بعد المشرقين. وقد تقدم قولي: إن البديعيين أجمعوا على أن هذا النوع ليس له شاهد يخصه، لأنه وصف يعم كل كلام منقح فاختصرت الشواهد، ليظهر للمتأمل من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات في هذا النوع، أعني التهذيب والتأديب.

ولكن رأيت العلامة زكي الدين بن أبي الأصبع قد استحسن من الشواهد اللائقة بهذا النوع قول القاضي السعيد بن سنا الملك:

تغنى عليها حليها طرباً بها ... وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

قال: وقوله صحيح، لو لم تقدم في صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء، حصل بها في البيت من الرونق ما لا يحسن بدونها، وكان البيت خالياً من التهذيب، فإن بوجودها حصل في بيته تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب، وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية، وبذلك تقدم التهذيب فإنه لو قال:

زهت بأزاهير الجمال وحسنها ... وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع، يقول فيه عن النبي ﷺ:

هو النبي الذي آياته ظهرت ... من قبل مظهره للناس في القدم

قد تكرر قولي أنني لم أكثر من شواهد هذا النوع، إلا ليظهر فيه من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات.

والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي ﷺ:

والله هذبه طفلاً وأدبه ... فلم يحل هديه الزاكي ولم يرم[1]

وبيت بديعيتي، أقول فيه عن النبي ﷺ:

تهذيب تأديبه قد زاده عظما ... في مهده وهو طفل غير منفطم

(١) لم يحل: لم يتغير.

هذا البيت يشتمل، ببركة من أدبه ربه فأحسن تأديبه، وهو الممدوح ﷺ، على عشرة أنواع من البديع: أولها النوع الذي هو شاهد عليه وهو التهذيب والتأديب، والانسجام والسهولة، والتورية بتسمية النوع، والتتميم، والتكميل، والتمكين، والإيغال، والائتلاف، والمبالغة. ولولا الخوف من الإطالة لذكرت كل نوع في موضعه، ولكن في نظر أصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن ما يغني عن ذلك. والله أعلم.



ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس

بحـــر وذو أدب بــدا وذو رحب لم يستحل بانعكاس ثابت القدم

هذا النوع سماه قوم المقلوب والمستوي، وسماه السكاكي مقلوب الكل، وعرفه الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن يكون عكس البيت، أو عكس شطره، كطرده.

وهذا النوع، أعني ما لا يستحيل بالانعكاس، غايته أن يكون رقيق الألفاظ سهل التركيب منسجماً، في حالتي النثر والنظم. وجاء منه في الكتاب العزيز: ﴿كـل في فلك﴾[1] و﴿وربك فكبر﴾[2] ومن الكـلام الذي رق لفـظه: «أرض خضرا». وأورد الحريري في مقاماته: «ساكب كاس» وزاد في العدَّة: «كبر رجاء أجر ربك» وزاد في العدَّة أيضاً فقال: «لذ بكل مؤمل إذا لم وملك بذل». قلت هذا الكـلام الذي زاد الحريري في عدَّة كلماته صحيح التركيب، في طرده وعكسه، ولكن لم يخف على الحذاق وأصحاب السجايا الرقيقة أن التكلف طوق جيده بطوق العقادة.

وذكروا أن العلامة القاضي فتح الدين بن الشهيد، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، تغمده الله برحمته ورضوانه، وصل في تركيب هذا النوع إلى أكثر من هذه العدة، ولكن ما وقفت له على شيء من ذلك، وإنما مولانا، المقر الأشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك المحروسة الإسلامية. عظم الله تعالى شأنه، أخبر المملوك أنه وقف على ما نثره القاضي

---

(١) الأنبياء، ٢١/٣٣.

(٢) المدّثر، ٧٤/٣.

فتح الدين المشار إليه في هذا النوع، قبل تيمورلنك، وذكر أنه في غاية العقادة، وقد تقدم القول وتقرر: أن المراد من تركيب هذا النوع نثراً كان أو نظماً غير كثرة العدد، والمبرز فيه هو الذي يأتي به رقيق الألفاظ سهل التركيب، رافلاً في حلل الانسجام. وممن استوعب هذه الشروط في كلام منثور، مولانا قاضي القضاة شرف الدين شيخ الإسلام ابن البارزي الجهني الشافعي نور الله ضريحه بقوله: «سور حماه بربها محروس» ومن الغايات أيضاً، في هذا النوع، قول العماد الكاتب، وقد مرَّ عليه القاضي الفاضل راكباً: «سر فلا كبابك الفرس». فأجابه الفاضل على الفور، وقد علم القصد: «دام علا العماد». وقال الحريري في المقامات:

إن أحـبـبـت أن تـنـظم ... فـقـل لـلذي تـعـظم
آس أرمـلا إذا عــرا ... وارع إذا الـمـرء أسـا[1]

قلت: وهذا النظم أيضاً، لا يخفى أنه يتجافى عن الرقة بغليظ لفظه. ومن الشواهد المقبولة على هذا النوع في النظم، قول الشاعر:

عــج تنم قـربـك دعـد آمنـاً ... إنمـا دعـد كبـرق منتجـع[2]

ومنها:

أراهــنَّ نـادَمْنَـه لـيـلَ لهـوٍ ... وهـل لـيلهـن مـدانٌ نهـارا

والذي وقع عليه الإجماع، أن أبلغ الشواهد على هذا النوع، الذي استوعب ناظمه فيه الشروط التي تقدم ذكرها، قول القاضي الأرجاني:

مـودتـه تـدوم لـكـل هـول ... وهـل كـل مـودتـه تـدوم

ومثال شطر البيت الذي نسجت أبيات البديعيات على منواله: «أرانا الإله هلالاً أنارا».

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع:

هــل من ينم بحب من ينم لـه ... بما رموه كمن لم يدر كيف رمى

قلت الشيخ صفي الدين الحلي، غفر الله له، غير مشكور في نظم هذا البيت فإن الطرد والعكس لم يأت به إلا في الشطر الأول، وهو غير ملتزم تسمية النوع، فإن تسمية

---

(١) آس: من المواساة وهي التعزية: الأرمل: الذي ماتت زوجته ـ عرا: ألم. أسا: أساء. والله أعلم.
(٢) عج: عاج بالمكان مرّ به ومال إليه ـ المنتجع: المقصود لفائدته.

هذا النوع بما لا يستحيل بالانعكاس، تستوعب جزءاً كبيراً من البيت، ومع عدم التزامه بشيء من ذلك، جاء بيته في غاية العقادة، ولظلمة عقادته لم يلح لي فيه لمعة اهتدى بها إلى فهم معناه. وأعجب من ذلك أن البيت مبني على مديح النبي ﷺ، والبيت الذي قبله:

مـن مثله وذراع الشـاة كـلمـه عن سمه بلسـان صـادق الـرنم

والبيت الذي بعده:

هـو النبي الـذي آيـاتـه ظهـرت من قبل مظهره للناس في القدم

فبيت ما لا يستحيل بالانعكاس بينهما أجنبي، ونسبه بعيد من شرف هذين البيتين المنتسبين إلى النبي ﷺ.

والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته، يقول فيه عن النبي ﷺ.

لم يستحل بانعكـاس في سجيته مدنٍ أخا طعم معط أخـا ندم[1]

قلت الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى، يعذر هنا إذا احتجبت عنه مسالك الرقة، لالتزامه بتسمية النوع الذي استوعب جزءاً كبيراً من بيته.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

بحـر وذو أدب بـدا وذو رحب لم يستحل بانعكاس ثابت إلقدم

وقد حبست عنان القلم هنا، عن الإطناب في انسجام هذا البيت ورقة ألفاظه وتمكين قافيته، علماً أن في إنصاف أصحاب الذوق السليم من أهل الأدب ما يغني عن ذلك، والله أعلم.



---

(١) مدنٍ: من أدنى، مقرب.

ذكر التورية

أوصافه الغر قد حلت بتورية جيدي وعقد لساني بعد ذا وفمي

التورية، يقال لها: الإيهام والتوجيه والتخيير. والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى، لأنها مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر. وهي في الاصطلاح، أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجازاً، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة؛ أنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاماً، ومثل ذلك قول أبي العلاء المعري:

وحرف كنون تحت راء ولم يكن بدالٍ يؤم الرسم غيَّره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم أنه يريد براء ودال حرفي الهجاء، لأنه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط، وهذا هنا هو المعنى القريب المتبادر أولاً إلى ذهن السامع، والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب، لأن مراده بالحرف الناقة، وبحرف النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها، وبراء اسم الفاعل من رأى إذا ضرب الرئة، وبدالٍ اسم الفاعل من دلا يدلو إذا رفق في السير، وبالرسم أثر الدار، وبالنقط المطر. ومعنى هذا البيت أن هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتيها ولم يرفق بها في السير فهو غير دالٍ، وقد تقدم أن الدالي هو الرفيق ويؤم بها داراً غير المطر رسمها. واجتماع هذه الأوصاف دليل على ضعف الناقة لأنها لو كانت قوية لما احتاجت إلى ضرب رئتيها، وإلى الرفق بها مع شدة شوقه إلى ديار أحبابه، وذلك باعث على شدة السير.

قال حذاق الأدب تراكيب التورية، في هذا البيت بالنسبة إلى ديباجة المتأخرين وطلاوة ألفاظهم، وزخارف بيوتهم تستحق قول القائل:

ومـا مثله إلا كـفـارغ حـمص خليٌّ من المعنى ولكن يفـرقـع

لأن هذا النوع، أعني التورية، ما تنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب، ولعمري إنهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا إليه من باب، فإن التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة، وسحرها ينفث في القلوب، ويفتح بها أبواب عطف ومحبة، وما أبرز شمسها من غيوم النقد إلا كل ضامر مهزول، ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول، ومما يؤيد قولي هذا، قول الشيخ صلاح الدين الصفدي، رحمه الله تعالى في ديباجة كتابه المسمى «بفض الختام عن التورية والاستخدام». ومن البديع ما هو نادر الوقوع، ملحق بالمستحيل الممنوع، وهو نوع التورية والاستخدام، فإنه نوع تقف الأفهام حسرى دون غايته عن مرامي المرام.

نـوع يشق على الغبي وجـوده من أي بـاب جـاء يغـدو مقفـلا

لا يفرَع هضبته فارع[1]، ولا يقرع بابه قارع، إلا من تنحو البلاغة نحوه في الخطاب، وتجري ريحها بأمره رخاء حيث أصاب.

وقال الزمخشري، وهو حجة في هذا العلم: ولا نرى باباً في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله، وكلام نبيه ﷺ، وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[2] لأن الاستواء على معنيين، أحدهما، الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب المورى به، الذي هو غير مقصود، لأن الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك، والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي وُرِّي عنه بالقريب المذكور. انتهى. ومنه قول النبي ﷺ، حين سئل في مجيئه عند خروجه إلى بدر فقيل لهم: ممن أنتم؟ فلم يرد أن يعلم السائل فقال: من ماء. أراد أنا مخلوقون من ماء، فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء. ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: لا يزال المنام طائراً حتى يقص فإذا قص وقع. ففي الكلام توريتان: لفظة طائر، ولفظة يقص، ويحتمل أيضاً أن يكون في لفظة وقع تورية ثالثة. ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه، في الهجرة، وقد

---

(١) فَرَع: الهضبة علاها.

(٢) طه، ٢٠/٥.

سئل عن النبي ﷺ، من هذا؟ فقال: هادٍ يهديني. أراد أبو بكر رضي الله عنه هادياً يهديني إلى الإسلام، فورى عنه بهادي الطريق، وهو الدليل في السفر.

وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل، وأفكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل، لكنها ربما وقعت لهم عفواً من غير قصد، لأنهم على كل حال ولاة هذا الشان، وأدلة هذا الركب. وقيل إن أول من كشف غطاءها، وجلا ظلمة إشكالها، أبو الطيب المتنبي بقوله:

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات مصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه ... رفيقك قيسي وأنت يماني

يريد أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان، لأن شبيباً كان قيسياً والسيف يقال له يماني، فورى به عن الرجل المنسوب إلى يمن، ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر. قلت: وكأن من قال: إن أبا الطيب أول من كشف غطاء التورية، ما لمح قول عمرو بن كلثوم في معلقته عن الخمرة:

مشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا[١]

الشاهد هنا في سخينا، فإن العرب كانوا يسخنون الماء في الشتاء لشدة برده، ثم يمزجونها به فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى: فأضحى شراباً سخينا، وهذا هو المعنى القريب المورى به. ويحتمل السخاء الذي هو عبارة عن الكرم، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه. ومراد الناظم ومما يؤيد قولي أنه المراد، قول الجوهري في الصحاح: قول من قال سخينا من السخونة، نصب على الحال ليس بشيء فإن المراد لما خالطها الماء ومزجت به طبنا وسخينا بأموالنا: كقول عنترة:

وإذا سكرت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافر لم يكلم[٢]

والحص هو الزعفران على أحد الأقوال، وهو الذي شبه صفرتها به، فإن قيل: سخا

---

(١) الحص: الزعفران وهو ذو لون أصفر شبيه بلون بعض أنواع الخمرة، وسخيناً: صيغة مبالغة من السخونه، وهي منصوبة على الحال وليس كما أورد الكاتب عن الجوهري إذ ليس ما يوجب التأويل الذي لجأ إليه الكاتب بقوله: فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف، والمعنى: فأضحى شراباً سخيناً. والذي نراه أن البيت يحتمل تأويلين: الأول وهو: تراها مشعشعة لونها بلون الزعفران إذا مزجت بالماء سخيناً، أي مسخناً. والثاني: إذا شربناها مشعشعة لونها بلون الزعفران ممزوجه بالماء صرنا كراماً.

(٢) لم يكلم: لم يتعرض لأذى والكلم هو الجرح.

مضارعه يسخو، ويسخو من ذوات الواو فلا يجوز أن يكون سخيناً فعلاً على هذا التقدير، فالإجماع عند أهل اللغة أنه يقال سخا يسخا وسخا يسخو، وهذا مذهب الجوهري في الصحاح، وعلى هذا التقدير، فاشتراك التورية في سخينا صحيح ممكن من الوجهين. انتهى.

وكشف أيضاً عن قناع التورية في شعره النابغة الذبياني بقوله:

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما(١)

أراد بالصيام ههنا القيام، وورى بقوله: تعلك اللجما، عن الصيام.

وأورد السكاكي، في المفتاح، للعرب من هذا الباب:

حملناهم طراً على الدهم بعدما ... خلعنا عليهم بالطعان ملابسا(٢)

أراد بالحمل على الدهم، تقييدهم، وأوهم بالركوب على دهم الخيل.

قلت: وقبل المتنبي أيضاً بزمن طويل قال أبو نواس:

فتنت قلبي محببة ... وجهها بالحسن منتقب(٣)

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي، في كتابه المسمى «بفض الختام عن التورية والاستخدام» امتحنت، ببيت أبي نواس، جماعة ممن حاضرتهم وذاكرتهم وعاطيتهم كؤوس الأدب وعاشرتهم، فبعضهم استخرج منه النكتة، وبعضهم لم أجد له إليها لفتة.

وقال البحتري:

ووراء تسدية الوشاح ملية ... بالحسن تملح في القلوب وتعذب(٤)

الشاهد في قوله: تملح، فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة، وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد المورى عنه، وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين قوله: ملية بالحسن.

---

(١) العجاج: الغبار ـ اللجم: جمع لجام وهي حديدة توضع في فم الحصان أو الفرس حتى تسهل السيطرة عليه.

(٢) الدُّهم: جمع أدهم: القيود، والمصائب، والخيول السوداء اللون ـ الطعان: القتال.

(٣) منتقبة: لابسة نقاباً وهو الحجاب.

(٤) ملية بالحسن: كثيرة الحسن.

وأما أبو العلاء، فإنه أتى في التورية بلمعة خفية الإيماء شديدة العقادة والتكلف، وذلك في قوله:

حروف السرى جاءت لمعنى أردته — برتني أسماء لهن وأفعال
إذا صدق الجدّ افترى العم للفتى — مكارم لا تخفى وإن كذب الخال

الجد هنا مشترك بين أبي الأب والسعد، ومراده السعد. والعم مشترك بين أخي الأب والجماعة من الناس، ومراده الجماعة. والخال مشترك بين أخي الأم والظن، ومراده الظن. قلت زحوف[1] هذا البيت أيضاً لا تخفى إنه مكسوف بدخان العقادة، أين هذا من قول الشيخ تقي الدين السروجي:

في الجانب الأيمن من خدها — نقطة مسك اشتهي شمها
حسبته لما بدا خالها — وجدته من حسنه عمها[2]

ومثله في اللطف والظرافة قول الشيخ عز الدين الموصلي:

لحظت من وجنتها شامة — فابتسمت تعجب من حالي
قالت قفوا واستمعوا ما جرى — قد هام عمي الشيخ من خالي[3]

قلت: ولهذا وقع الإجماع على أن المتأخرين هم الذين سموا إلى أفق التورية وأطلعوا شموسها، ومازجوا بها أهل الذوق السليم لما أداروا كؤوسها، وقيل إن الفاضل هو الذي عصر سلافة التورية لأهل عصره، وتقدم على المتقدمين بما أودع منها في نظمه ونثره، فإنه رحمه الله تعالى كشف بعد طول التحجب ستر حجابها، وأنزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها. وممن شرب من سلافة عصره، وأخذ عنه وانتظم في سلكه بفرائد دره، القاضي السعيد ابن سنا الملك، ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كأسها، ومتمسكين بطيب أنفاسها، إلى أن جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها، والواسطة في عقد جمانها، كالسراج الوراق وأبي الحسين الجزار، والنصير الحمامي وناصر الدين حسن بن النقيب، والحكيم شمس الدين بن دانيال، والقاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي، في كتابه المسمى «بفض الختام عن التورية

---

(١) زحوف: زحافات مصطلح عروضي يفيد تغييراً يلحق ثاني السبب في التفعيلة العروضية.
(٢) الخال: نقطة سوداء تكون في الجلد(الشامة) ـ عمّها: أي ملأ جسمها كله.
(٣) عمي: تقال لكل رجل كبير في السن. وخالي: شامتي.

والاستخدام». وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم، وتأزر نصرهم، ولأن في هذا النوع هصرهم[١] ويعد حصرهم، كل ناظم تود الشعرى[٢]، لو كانت له شعراً، ويتمنى الصبح لو كان له طرساً والغسق مداداً والنثرة[٣] نثراً، ما حلا من بنات فكره خودا[٤] إلا شاب لحسنها الوليد، وسيرها في الآفاق وبين يديها من النجوم جوار[٥] ومن الشعراء عبيد، كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري شيخ شيوخ حماة، والأمير مجير الدين ابن تميم، وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي، ومحيي الدين بن قرناص الحموي، وشمس الدين محمد بن العفيف، وسيف الدين بن المشد. وقال الشيخ صلاح الدين في أواخر ديباجة كتابه المذكور. ومع هؤلاء جماعة يحضرني ذكرهم عند شعرهم، ويعز عليّ إذ لم أرهم على تكاثرهم لفوات عصرهم. وتلطف بقوله بعد ذلك: ولا تقل أيها الواقف على هذا التأليف، لقد أفرطت في التعصب لأهل مصر والشام، على من دونهم من الأنام، وهذا باطل ودعوى عدوان، وحمية لأوطانك ومن جاورها من البلدان. فالجواب أن الكلام في التورية لا غير، ومن هنا تنقطع المادة في السير، ومن ادعى أنه يأتي بدليل وبرهان. فالمقياس بيننا والشقراء[٦] والميدان. انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدي.

قلت: قد تقدم وتقرر أن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الإنسان[٧] من العين، وسموها في البلاغة سموّ الذهب على العين[٨]، وقد ثبت أن خواطر المتقدمين كانت بها شحيحة، وأفكارهم لا تقصد مظانها[٩] وإن كانت سليمة صحيحة، لكنها ربما وقعت لهم عفواً من غير مرام[١٠]، فنقول إنها رمية من غير رام. وقد علم أن المتأخرين من الفاضل إلى من فضل بعدهم نور مشكاتها[١١]، والمتفكهين في أدواح الأدب بثمراتها، فإذا جليت عرائس أفكارهم على اختلاف أنواع التورية لا يمل المتأمل، اللهم إلا أن يكون سيف

---

(١) هصرهم: غمزهم.
(٢) الشعرى: كوكب نيّر يطلع في الجوزاء في شدة الحر.
(٣) النثرة: مجموعة من النجوم في صورة السرطان تشكل المنزلة الثامنه من منازل القمر.
(٤) الخود: الفتاة الحسناء.
(٥) جوار: جمع جارية: وهي الخادمة.
(٦) الشقراء: الفرس.
(٧) الإنسان: إنسان العين، بؤبؤها.
(٨) العين: ما ضرب نقداً من الدنانير.
(٩) مظانها: أماكنها التي يصعب الوصول إليها.
(١٠) مرام: مطلب.
(١١) المشكاة: مكان وضع المصباح أو القنديل.

ذهنه كليلاً[1] فيقول إنه من هذا الفن متنصل[2]، فإن هذه العرائس لم تبرز لمتأمل إلا من خدور هذا الكتاب، وإذا طلبها من غيره توارت عنه بالحجاب، فإذا سرح المتأمل طرفه وأمسى في كل واد من محاسنها يهيم، وتنوعت حلاوات أنواعها لذوقه السليم، جردت سيف العزم وأقمت لكل نوع حدّاً، ونظمت له من أنواع التورية وأقسامها في سلك هذا النوع عقداً، فإن الشيخ صفي الدين الحلي لم يذكر في شرح بديعيته نوعاً من أنواع التورية، ولا قسماً من أقسامها، بل ذكر حد التورية الذي أجمع الناس عليه وقال: هي أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد، فيذكر لفظاً يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده البعيد.

قلت: ومن أين يعرف الطالب من هذا الحد التورية المجردة، والتورية المرشحة وقسميها، والمبنية وقسميها، والمهيأة وأقسامها.

وكذلك العلامة زكي الدين ابن أبي الأصبع، لم يذكر في كتابه المسمى «بتحرير التحبير»، نوعاً من أنواعها ولا قسماً من أقسامها، مع أن كتابه ما وضع في هذا الفن له نظير، بل قال: التورية، وتسمى التوجيه، وهي أن يكون الكلام يحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليه ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله.

وأما صاحب التلخيص فإنه قال، مشيراً إلى البديع: ومنه التورية، وتسمى الإيهام أيضاً، وهي أن يطلق لفظ له معنيان، قريب وبعيد، وهي ضربان: مجردة ومرشحة. ولم يزد على هذا القدر شيئاً.

وإذا أردت ما وعدت بإيراده من طلاوة المتأخرين في التورية، شرعت في الكلام على أنواعها وأقسامها، ليسير ركب الأدب في طرقها المتشعبة بدليل، ويصير لديباجة هذا النوع تفصيل، وقد قدمت ذكر الفاضل ومن فضل بعده، في باب الاستخدام، ولكن لم يمكن اختصارهم في باب التورية، فإنهم فرسان حلباتها، وأجل من سكن غريب نظمه بأبياتها، وكل ما أوردته لهم ولغيرهم من التورية في غير بابه، تعين نظم شمله هنا، ليجتمع كل غريب بأقاربه وأنسابه. فمن مخترعات القاضي الفاضل في التورية قوله من مديح قصيدة طائية، وهي نكتة لم تختل في صدر غيره، وهو:

أما الثريا فنعل تحت أخمصه ... وكل قافية قالت لذلك طا[3]

---

(١) كليلاً: غير قاطع.

(٢) تنصل: تخلص، نفى إسهامه.

(٣) طا: أي طأ. أمر من وطأ.

ومثله قوله:

في خده فخ لعطفة صدغه والخال حبته وقلبي الطائر

ومثله قوله:

وكنت وكنا والزمان مساعد فصرت وصرنا وهو غير مساعد
وزاحمني في ورد ريقك شارب ونفسي تأبى شركها في الموارد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي، وقال:

لقد كنت لي وحدي ووجهك حضرتي وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض وزاحمني في ورد ثغرك شارب

ومن نظم الفاضل أيضاً، في بوّاب يلقب بالبحري:

وهب أن هذا الباب للرزق قبلة فها أنا قد وليته دونكم ظهري[1]
وهب أنه البحر الذي يخرج الغنى فكل خرافي الشط في لحية البحر (ي)[2]

ومثله قوله:

عاتبته فتضرجت وجناته والقلب صخر لا يلين لقاصد[3]
فنظرت من ذا في حرير ناعم وضربت من ذا في حديد بارد

ومن اختراعاته التي لم تجل في فكر غيره، قوله من مديح قصيدة عادلية:

وهذا الترب أم خد لثمنا فآثار الشفاه عليه شامه
وهذا الدر منثور ولكن أروني غير أقلامي نظامه
وهذي روضة تندى وسطري بها غصن وقافيتي حمامه

ومنه قوله أيضاً:

بالله قل للنيل عني إنني لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فإنه لي شاهد إن كان طرفي بالبكاء بخيلا

---

(١) قبلة: مقصداً، وجهة والقبلة: الجهة التي يتوجه إليها المسلمون أثناء صلاتهم وتكون فيها الكعبة الشريفة.

(٢) الخرا: روث الإنسان ـ وإضافة الياء إلى البحر تجعله إسماً للبواب المقصود.

(٣) تضرج: أشرب حمرة. أو تلون بلون الدم.

يـا قلب كم خلفت ثـم بثينـة   وأظن صبرا أن يكون جميـلا [1]

ومنه قوله وأجاد إلى الغاية:

وقـائـل وثب الأعـداء قلت لـه   كمـا الفـراش على نيـرانـه يثب
فـإن ثـوب الـذي عـاداكم كفن   كما بيوت الذي عاصاكم ترب [2]
بلغتمـوهم منـاهم في تـرفعهم   والقوم ما ارتفعوا إلا وقد صلبـوا
هل السيوف عيون في الجفون لكم   فـإنهـا لقـراب البغي تـرتقب [3]

ومن نثره، في هذا الباب، قوله في يوم شديد المطر والبرد: والخادم في رأس جبل يتلقى الرحمة غضة قبل أن يبتذلها الناس، ويصافح الرياح عاصفة قبل أن تقتسمهـا الأنفـاس، ويتلقى الـرعـد بـالـرعـدة [4]، وإذا السمـاء انشقت استصحـاهـا المملوك بالسجدة [5].

وقد تقدم القول إن ممن أخذ عنه ونهل من موارده العذبة، القاضي السعيد ابن سنا' الملك فمن نظمه في هذا الباب قوله:

أمـا والله لـولا خـوف سخـطك   لهـان عليَّ ما ألقى بـرهـطك [6]
ملكت الخـافقين فتهت عجبـاً   وليس هماً سوى قلبي وقرطك [7]

ومنه قوله أيضاً:

وفي الحي من صيرتها نصب خاطري   فما آذنت في نازل الشوق بـالرفع
تتيـه بفـرع منـه أصـل بليتي   ولم أر أصلاً قط يسعى إلى فرع

ومنه قوله:

ليس إلا دمعي الذي من رأى جفـــــــني رآه كـأن دمـعي هـدبـي
أنجم الـدمـع لا تغيب شـروقـاً   مـع أنـي رأيتـهـا في الـغـرب

---

(1) بثينة: حبيبة جميل بن معمر الشاعر العذري، ويقصد بها مجرد الحبيبة ـ جميلاً: جميل بن معمر ـ والصبر الجميل.
(2) تُرب: خرِبة، فاسدة.
(3) عيون: حراس ـ الجفون: جمع جفن وهو غمد السيف ـ قِراب: غمد ـ البغي: الظلم.
(4) الرعدة: الإرتجاف.
(5) استصحاها: طلب صحوها ـ بالسجدة: أي بسورة السجدة من القرآن الكريم.
(6) رهط الرجل: قومه وعشيرته.
(7) تاه: افتخر ـ القرط: ما تتحلى به المرأة في أذنيها.

ومنه قوله:

صفاتك في كل الوجـوه صحيحة فلحظك نصبي وهو إن صحفوا يصبي[1]
حرست الحشا من ناظريك بصارم فكسرة ذاك الجفن من ذلك الضرب

ومما سبق إليه الناس، في هذا الباب، قوله:

وفي القلب تصديع وفي الوصل جبره وفي الخد دينار وفي الجفن كسره

وأخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال:

فـي خـده وجـفـونـه لـلحـسـن ديـنـار وكـسـر

وتلاعب الناس، بعد ابن سنا الملك، بهذا المعنى كثيراً حتى وصل إلى المعمار فقال:

كـم حـوى جـفـني مـعـنـى قـلـت ألـفـاً وكـسـورا

ولم يزل ابن سنا الملك يتلاعب في التورية باختراعاته، ويسكنها في عامر أبياته، إلى أن ظهر بعده السراج فجلا غياهبها بنور مشكاته، وتعاصر هو وأبو الحسين الجزار والنصير الحمامي، وتطارحوا كثيراً وساعدتهم صنائعهم وألقابهم في نظم التورية، حتى إنه قيل للسراج الوراق لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك، فمن ذلك قوله:

شعـريتي مذ رمـدت قـد حبست طـرفي عنكم فصرت محبـوسا[2]
الـحـمـد لله زادنـي شـرفـاً كنت سـراجاً فصرت فـانـوسا

وقال من أبيات، فيمن تلقب بالضياء، وأجاد:

أمـولانـا ضيـاء الـدين دُم لي وعش فـبقـاء مـولانـا بقـائي
فـلولا أنت مـا أغـنيـت شيئـاً ومـا يغني السـراج بـلا ضيـاءِ[3]

ومثله قوله فيه:

ومـا أنـا سـائـر في ليـل خـطـب تساوى الصبـح فيـه والمسـاء[4]
فـلا أنـا مثـل مـا أدعى سـراج ولا هـو مثـل مـا يـدعى ضيـاء

---

(١) نصبي: متعبي، من النصب ـ أو غايتي إذا كان بمعنى نصب عيني ـ التصحيف: هو تغيير الكلمة عن طريق زيادة نقط حروفها أو نقصها ـ يصبي: يعيد الصبا.
(٢) رمدت: هاجت وورمت، أو ذاعت واشتهرت.
(٣) المثل السائر أو السراج: لقب الشاعر ـ الضياء: لقب الممدوح.
(٤) الخطب: المصيبة إذا ألمت.

ومنه قوله:

وكنت حبيباً إلى الغانيات ... فألبسني الشيب هجر الشبيب[1]
وكنت سراجاً بليل الشباب ... فأطفأ نوري نهار المشيب

وكتب إلى بعض الرؤساء:

بكتبك راح لي أملي وقصدي ... وفي يدك النجاح لكل راج
ولولا أنت لم ترفع مناري ... ولا عرف الورى قدر السراج[2]

ومنه قوله، يتقاضى من بعض الرؤساء شمعاً:

ما علينا ضوء وقد أبطأ السمـ ... ـع فقوض به خيام الدياجي
وتدارك بيتاً عليه ظلام ... لم يكد ينجلي بنور السراج

وقال، وقد اجتمع شمس الدين بيلبك وبدر الدين آق سنقر:

لما رأيت الشمس والبدر معاً ... قد انجلت دونهما الدياجي
حقرت نفسي ومضيت هارباً ... وقلت ما ذا موضع السراج

وظريف قوله في هذا الباب:

بُنيٌّ اقتدى بالكتاب العزيز ... وراح لبري سعياً ولاجا[3]
فما قال لي أف مذ كان لي ... لكوني أباً ولكوني سراجا

ومنه قوله:

أقول في يوم شتاء له ... من سحبه ما خلف النيلا
خرجت من بيتي سراجاً وقد ... عدت بحمد الله قنديلا

وكتب إلى أبي حسين الجزار في عيد الأضحى:

أجبت بعيد النحر من كان سائلي ... عن الحال في عيدي وقد مرَّ ذكره[4]
إذا بطل الجزار والعيد عيده ... فلا تسأل الوراق فالعذر عذره

---

(١) الشبيب: الشبيبة: الشبان والشابات.

(٢) الورى: الناس - السراج: أداة الضوء، ولقب الشاعر.

(٣) الكتاب العزيز: القرآن الكريم - ولاج: داخل، من وَلَج: دخل.

(٤) عيد النحر: من أسماء عيد الأضحى، سمي به لأن الحجاج ينحرون الأضاحي فيه قربة إلى الله تعالى.

ومنه قوله:

إلهي لقد جاوزت سبعين حجة ... فشكراً لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الإسلام فازددت بهجة ... ونوراً لذا قالوا السراج المعمر(١)
وعمم نور الشيب رأسي فسرني ... وما ساءني أن السراج منوَّر

ومن أظرف ما وقع له في هذا الباب قوله:

كم قطع الجود من لسان ... قلّد في نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج ... فاقطع لساني أزدك نورا

ومثله قوله:

أثنى عليَّ الأنام أني ... لم أهج خلقاً ولا هجاني
فقلت لا خير في سراج ... إن لم يكن دافىء اللسان(٢)

ومثله قوله:

إذا بحت بالشكوى عنيت معاشراً ... بلا راحة في مدحهم أتعبوا ذهني
يريدونني رطب اللسان ومن رأى ... سراجاً غدا رطب اللسان بلا دُهن

وكتب إليه الأمير نصير الدين الحمامي، وهو مقيم بالروضة:

كم قد ترددت للباب الكريم لكي ... أبل شوقي وأحيي ميت أشعاري
وأنثني خائباً مما أؤمله ... وأنت في روضة والقلب في نار

فكتب إليه السراج:

الآن نزهتني في روضة عبقت ... أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتني بشذاها فانثنيت بها ... وكل بيت أراه بيت خمار
فلا تغالط فمن فينا السراج ومن ... أولى بأن قال إن القلب في نار

وقال النصير يوماً للسراج الوراق: قد عملت قصيدة في الصاحب تاج الدين، وأشتهي أن تثني عليها بحضرته، وسيرها إلى الصاحب. فلما أنشدت بحضرة السراج، قال السراج بعدما فرغ منها:

---

(١) السراج المعمّر: المضاء. - والسراج: لقب الشاعر - المعمّر: الذي عاش كثيراً وكبر في السن.
(٢) دافىء اللسان: لا يتكلم بالفاحش من القول.

شاقني للنصير شعر بديع ... ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه ... قلت نعم المولى ونعم النصير

ومنه قوله:

طوت الزيارة إذ رأت ... عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى ... بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهي تسأل جارة من بعد جاره
وتقول يا ستي استرحنا لا سراج ولا مناره[1]

ومما ورى به عن صناعة الوراقة قوله:

نصب الحشا غرضاً فقرطس إذ رمى ... وهي القلوب سهامها الأحداق[2]
وسألته وصلاً فقال يحجني ... يا ليت شعري من هو الوراق

ومثله قوله:

يا خجلتي وصحائفي سود غدت ... وصحائف الأبرار في إشراق
وموبخ لي في القيامة قال لي ... أكذا تكون صحائف الوراق[3]

ومن لطائفه، في غير لقبه وصناعته، قوله:

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي ... لهموم نفس ليت لا حملتها
قد كان عندك يا فلان صريمة ... فأجبتهم بعت الحمار وبعتها[4]

ومنه قوله:

رفضوا الشعر جهدهم ورموه ... بينهم بالهوان والازدراء
فلو أن الكتاب كان بأيديهم محوا منه آية الشعراء[5]

وله في المعنى وأجاد:

يا بني الآمال قد خاب الرجا ... وقد اشتدت وقد عز العزاء
سفن الآمال في بحر المنى ... وحلت منا فأين الرؤساء

---

(١) الست: السيدة.
(٢) قرطس: أصاب القرطاس، وأَهْلَكَ ـ الأحداق: سواد العيون.
(٣) القيامة: يوم المعاد والحساب.
(٤) الصريمة: العزيمة.
(٥) الكتاب: القرآن ـ آية الشعراء: سورة الشعراء.

وقال في المعنى:

أصون أديم وجهي عن أناس / لقاء الموت عندهم الأديب
ورب الشعر عندهم بغيض / ولو وافى به لهم حبيب[1]

ومن لطائفه قوله:

وقائل لي لما أن رأى قلقي / من انتظاري لآمال تعنينا[2]
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم / محمودة قلت أخشى أن تخرينا

ومن لطائفه بعد تخرينا قوله:

أتيت أرجيه في حاجة / فلم تنبعث نفسه الجامده
وفتل في ذقنه والنفوس / تعاف المفتلة البارده[3]

ومنه قوله:

دع الهوينا وانتصب واكتسب / واكدح فنفسُ المرء كداحه
وكن عن الراحة في عزلة / فالصفع موجود مع الراحه

وأنشده الجزار وهو يسرح ذقنه مماجناً:

لا تعجبت من لباسي / فكل أمري لبس[4]
والله ما ثمّ مآل / وإنما ثمّ نفس

فأجابه على الفور:

صدقت ما ثمّ مال / وإنما ثمّ نحس
وثمّ أخرى وأخرى / فيها وعندك حدس

ومنه قوله:

ومغمومات روس باكرتنا / بطيب شذا ولا طيب العروس
فقمت بما يلين لها فقالت / يحق لك القيام على الرؤوس

---

(١) حبيب: هو أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر.
(٢) عناه: الأمر، أتعبه.
(٣) المفتلة الباردة: كناية عن البراز وهو روث الإنسان.
(٤) لبس: اشتباه واختلاط.

ومنه قوله:

وأحـمـق أضـافـنـا بـبـقـلـه ... لـنـسـبـة بـيـنـهـمـا ووصـلـه
فـمـن أقـل أدبـاً مـن سـفـلـه ... قـد مد في وجـه الضيوف رجله

ومنه قوله:

وسـائـل يـسـأل مـنـي وقـد ... إنشـدت شعـراً دونـه الشعـرى
يقـول لي إذ كنت في معشـر ... قـد عبـدوا البيضـاء والصفـرا
هـل حـصـلت دائـرة بينـهـم ... قـلت بـلى بـطـيـخـة خـضـرا

ومنه قوله:

مـدحـتـه جـهـدي فـمـا اهـتـز من ... قـولي ونـادى النـاس كم تتعب
فـقلت أرجـو زبـدة قـيـل لي ... فـاتـك أيـن اللبـن الـطـيـب

ومن لطائفه أيضاً قوله:

كـان أيـراً صـار سـيـراً ... يـلـطـم الأكـسـاس سـخـره
كـيـف لا يـنـفـرن عـنـي ... ومـعـي شـيـب ودره

ومنه قوله:

فـسـر لـي عـابـرِ مـنـامـا ... فـصـل في قـولـه وأجـمـل
وقـال لا بـد مـن طـلـوع ... فـكـان ذاك الـطـلوع دمـل

ومنه قوله وقد طلب شراباً فما وصل إليه:

لا تـطـمعنّ بـراحـة من معشـر ... سـادوا بغيـر مـآثـر السـادات
قطعت عن المعروف أيديهم وقد ... سرقوا العلا فخلت من الراحـات

ومن نكته البديعة في مدائحه قوله:

رأيت قـطوف عفـوك دانيـات ... فنحن على المدى نجني ونجني
وكم بـات المسيء قـريـر عين ... وسيفك إن حلمت قرير جفن(١)

---

(١) إذا عفوت فإن سيفك يبقى لا يتحرك، قريراً في غمده(جفن).

وكتب إلى فتح الدين بن عبد الظاهر:

أنا تحت وعدك واعد أملي بما ... يرجوه من ظفر ومن نجح
إذ قال أين الجود قلت أجيبه ... مع أين مبني على الفتح

ومنه قوله:

ومبخل بالمال قلت لعله ... يندى وظني فيه ظن مخلف[1]
جمع الدراهم ليس جمع سلامة ... فأجابني لكنه لا يصرف

وكتبت في هذا المعنى، إلى الخواجا شهاب الدين بن لؤلؤ الذهبي، بدمشق المحروسة، وقد مطلني في صرف دنانير أخلت بها عليه:

قد منعتم صرف الدنانير عني ... ولكم في الورى هبات كثيره
وأنا شاعر وفي شرع نظمي ... صرفها واجب لأجل الضروره

وكتب السراج إلى بعض أصحابه يطلب كتاباً:

لك في المكارم سنة مألوفة ... معروفة الأنساب والأسباب
فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل ... تقواك تشفع سنة بكتاب[2]

ومن لطائفه في شخصٍ اسمه عرفات:

أطنبوا في عرفات وغدوا ... يتعاطون له حسن الصفات
ثم قالوا لي هل وافقتنا ... قلت عندي وقفة في عرفات[3]

ومن أغزاله قوله:

وفاتك يجرح سيف لحظه ... مجرداً عن جفنه ومغمدا
خاف على خديه من لحاظه ... فبات في عذاره مزردا[4]

ومنه قوله، وهو في غاية الحسن:

ومهفهف عني يميل ولم يمل ... يوماً إليَّ فقلت من ألم الجوى
لم لا تميل إليَّ يا غصن النقا ... فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

---

(١) يندى: يكرم، يجود ـ مخلف: لا يصدق.

(٢) شفع الأمر بالأمر: أتبعه به ـ السنة: ما ترك النبي ﷺ من قول وفعل وأثر ـ الكتاب: القرآن.

(٣) وقفة: وقوف، واعتراض ـ عرفات: الجبل المعروف وإسم الشخص.

(٤) العذار: الشعر ما بين العين والأذن ـ مزرد: مقيد بالزرد الذي شبه به العذار.

ومثله قوله:

قلت للأهيف الذي فضح الغصـــن كلام الوشاة ما ينبغي لك[1]
قال قول الوشاة عندي ريح قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

ومنه قوله:

عذبت طرفي بالسهاد فليله قد مات عنه تعيش أنت صباحه
وألح سائل أدمعي فحرمتني ولكم أضر بسائل إلحاحه

وقال في مليح قلندري:

عشقت من ريقته قرقفاً وما لها إذ ذاك من شارب[2]
قلندريا حلقوا حاجباً منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله فاختار أن يبقى بلا حاجب

ومنه قوله:

ولنا ساقٍ جواد كفه وكَفَتْ بالراح سحباً بعد سحب[3]
قال قوم فاق كعباً في الندى قمت لا غرو لساق فوق كعب[4]

ومنه قوله:

يا ساكناً قلبي على أنه بوجده في قلق دائب
قلبي من خوف النوى واجب وأنت لم تخرج عن الواجب[5]

نكتة الواجب أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة، ولكن سبكها في غير هذا القالب، في قوله في رامي بندق:

إسعد بها يا قمري برزة سعيدة الطالع والغارب[6]
صرعت طيراً وسكنت الحشا فما تعديت عن الواجب

---

(١) الوشاة: جمع واشي وهو المفسد بين المتحابين.
(٢) القرقف: الخمر.
(٣) وكف: صبّ. انهل.
(٤) الندى الكرم والعطاء ـ لاغرو: ليس غريباً.
(٥) وَجب: خفق، واضطرب.
(٦) البرزة: المرأة التي تجالس الرجال.

ويعجبني من تغزلات السراج الوراق قوله:

أقول لهم شبهت بالغصن قدها فقالوا رأينا قدها منه أرشقا
فقلت وبالرمان شبهت نهدها فقالوا إذن شبهت شيئاً محققا

ومنه قوله:

وقفت بأطلال الأحبة سائلاً ودمعي يسقى ثم عهداً ومعهدا
ومن عجب أني أروي ديارهم وحظي منها حين أسألها الصدا(١)

ومنه قوله:

وبي من البدو كحلاء الجفون بدت في قومها كمهاة بين آساد
بنت عليها المعالي من ذوائبها بيتاً من الشعر لم يمدد بأوتاد
وأوقدت وجنتاها النار لا لقرى لكن لأفئدة منا وأكباد(٢)
فلو بدت لحسان الخصر.قُمْنَ لها على الرؤوس وقلن الفضل للبادي

قلت ديوان الشيخ سراج الدين الوراق سبعة مجلدات من القطع الكامل، ولكن الذي جنيته وفكهت المتأمل به هنا هو ثمرات تلك الأوراق، وجمع الشيخ صلاح الدين الصفدي من ديوانه كتاباً لطيفاً وسماه «لمع السراج» ولكن رأيت نور السراج فيه قليلاً.

ومن مقاطيف الجزار في سمين التورية، قوله مورياً في صناعته:

ألا قل للذي يسأ ل عن قومي وعن أهلي
لقد تسأل عن قوم كرام الفرع والأصل
ترجيهم بنو كلب وتخشاهم بنو عجل(٣)

ومثله قوله:

إني لمن معشر سفك الدماء لهم دأب وسل عنهم إن رمت تصديقي
تضيء بالدم إشراقاً عراصهم فكل أيامهم أيام تشريق(٤)

---

(١) الصدا: العطش.

(٢) القِرى: إطعام الضيوف.

(٣) الكلب، يرجو الجزار لما يرميه له، والعجل يخشاه لما يفعله به.

(٤) العراص: ساحات الدور ـ أيام التشريق: أيام ثلاثة تلي أيام الحج مباشرة وعيد الأضحى على الخصوص، تشرق فيها لحوم الأضاحي أي تقدد.

ومثله قوله:

أصبحت لحاماً وفي البيت لا ... أعرف ما رائحة اللحم
واعتضت من فقري ومن فاقتي ... عن التذاذ الطعم بالهم
جهلته فقراً فكنت الذي ... أضله الله على علم

ومثله قوله:

أعمل في اللحم للعشاء ولا ... أنال منه العشا فما ذنبي
خلا فؤادي وفي فمي وسخ ... كأنني في جزراتي كلبي[1]

وظريف قوله:

كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ ... ـت حفاظاً وأرفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجيـ ... ـني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وقلبه أيضاً وقال:

لا تعبني بصنعة القصاب ... فهي أذكى من عنبر الآداب[2]
كان فضلي على الكلاب فمذ صر ... ت أديباً رجوت فضل الكلاب

ومثله قوله:

معشر ما جاءهم مسترفد ... راح إلا وهو منهم معسر
أنا جزار وهم من بقر ... ما رأوني قط إلا نفروا[3]

وقال متهكماً على المتنبي:

تعاظم قدري على ابن الحسين ... فذهني كالعارض الصيب[4]
وكم مرة قد تحكمت فيه ... لأن الخروف أبو الطيب[5]

---

(١) الجزارة: دكان الجزار، وهو هنا بيته.

(٢) القصاب: الجزار.

(٣) نفر: خاف وهرب، نفز.

(٤) ابن الحسين: هو المتنبي واسمه: أحمد بن الحسين الجعفي ـ العارض: المطر في غير أوانه ـ الصيب: الغزير.

(٥) أبو الطيب: كنية المتنبي.

وكتب إليه الشيخ نصير الدين الحمامي، مورياً عن صناعته:

ومذ لزمت الحمام صرت بها ... خلا يداري من لا يداريه
أعرف حر الأشياء وباردها ... وآخذ الماء من مجاريه

فأجابه أبو الحسين الجزار بقوله:

حسن التأني مما يعين على ... رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ صار في جزارته ... يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن لطائفه البديعة، ما كتب به إلى بعض الرؤساء، وقد منع من الدخول إلى بيته في يوم فرح:

أمولاي ما من طباعي الخروج ... ولكن تعلمته من خمول
أتيت لبابك أرجو الغنى ... فأخرجني الضرب عند الدخول

وكتب إلى بعض الرؤساء يستهدي منه قطراً:

أيا علم الدين الذي جود كفه ... براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة إنني ... لأرجو لها من سحب راحتة القطرا[1]

هذا القطر تحلى به الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله:

لجود قاضي القضاة أشكو ... عجزي عن الحلو في صيامي
والقطر أرجو ولا عجيب ... للقطر يرجى من الغمام

تلاعب الناس به بعده كثيراً.

ويعجبني من تغزلات أبي الحسين الجزار قوله:

تكلف بدر السما إذ حكى ... محياك لو لم يشنه الكلف[2]
وقام بعذري فيك العذار ... فأجرى دموعي لما وقف.

---

(١) الكنافة: نوع من الحلوى. القطر: هو السكر مذاباً بالماء ومغلياً مع إضافة قليل من الحامض إليه - والعطاء.

(٢) الكلف: حبوب سمراء تعتري وجه الحامل (النمش).

ومنها قوله:

حمت خدها والثغر عن حائم شج — لـه أمـل في مـورد ومـورد[1]
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها — فأعرب عن تفصيل نحو المبرد[2]

ومن لطائف مجونه في التورية قوله:

تـزوج الـشـيـخ أبي شـيـخـة — لـيس لـهـا عـقـل ولا ذهـن
لـو بـرزت صـورتهـا في الـدجـا — مـا جسـرت تبـصـرهـا الجن
كـأنـهـا فـي فـرشـهـا رمـة — وشعـرهـا من حـولهـا قـطن[3]
وقـائـل قـال مـا سـنـهـا — فـقـلت مـا في فـمـهـا سن

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: رأيت أبا الحسين بالقاهرة عند الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني، فقال لي الشيخ قطب الدين: هذا هو الأديب أبو الحسين الجزار، فأنشدني لنفسه، وكتبت عنه:

مـن مـنـصـفـي من مـعـبـر — كـثـروا عـليَّ وأكـثـروا
صـادقـتـهـم وأرى الـخـرو — ج مـن الـصـداقـة يـعـسـر
كـالخط يـسـهـل في الـطرو — س ومـحـوه يـتـعـذر
وإذا أردت كـشـطـه — لـكـن ذاك يـؤثـر[4]

ومما شرح الصدور والقلب من قول الحمامي:

وكـدرت حمـامي بغيبتـك التي — تكدر فيها العيش من كل مشرب
فما كان صدر الحوض منشرحاً بها — ولا كـان قلب الماء فيهـا بطيب

ومنه قوله:

لـي مـنـزل مـعـروفـه — يـنـهـل غـيـثـاً كالـسـحـب
أقـبـل ذا الـعـذر بـه — وأكـرم الـجـار الـجـنـب[5]

---

(۱) الحائم: الذي يحوم حول الشيء ولا يستطيع الوصول وهو بأمس الحاجة إليه ـ المورد: مكان الوُرُود أي الشرب. ويقصد هنا الفم لما فيه من الرضاب ـ المورَّد: الخد.

(۲) الرضاب: الريق ـ أعرب: انكشف. عن أسنان كأنها البرد المنضود.

(۳) الرِّمَة: بقية الجثة بعد الموت.

(٤) كشط: أزال.

(٥) الجنب: القريب الذي بيته إلى جانب بيتك.

ومن لطائفه، ما كتب به إلى السراج الوراق، على يد مليح ولسانه:

عبـدك يـا مـولاي وافى بـهـا		وفى بهـا معنى لمـن يعقـل
وهـو عـلى البـاب ومقصـوده		وفـيـك فـهـم أنـه يـدخـل

ومن نكته اللطيفة قوله:

أصبحت من أغنى الـورى		وطـائـراً بـالـفـرح
الـخـمـر عـنـدي ذهـب		أكـتـالـه بـالـقـدح

وقوله:

أقـول لـلكـاس إذ تـبـدى		بـكـف أحـوى أغـن أحـور[1]
أخـربـت بيتي وبيـت غيـري		وأصـل ذا كـعـبـك الـمـدور

ومن لطائفه في تغزلاته قوله:

مـا زال يسقيني زلال رضـابـه		لمـا خفيت ضنى وذبت تـوقـدا
ويـظنني حيـاً رويت بـريقـه		فـإذا دعا قلبي يجلو بـه الصدى

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وتقوى عليه بالسيف، فقال:

أدعـو السيوف صقيلة من لحـظه		وإذا دعوت لماه جاوبني الصدى[2]

ومن لطائفه في مداعباته قوله:

رأيـت شخـصـاً آكـلاً كـرشـة		وهـو أخـو ذوق وفـيـه فـطن
وقـال مـا زلت مـحبـاً لـهـا		قلت من الإيمـان حب الـوطن

وممن انتظم في سلك الجماعة وانتصر للتورية وحسن مواقعها، ناصر الدين حسن بن النقيب:

وجردت مع فقري وشيخوختي التي		بها اليوم نومي عن جفوني مشرد
فـلا يدعي غيـري مقـامي فـإنني		أنـا ذلك الشيـخ الفقيـر المجـرد

---

(١) الأحوى: الأسود لشدة نضارته ـ الأغن: في صوته غنّه ـ الأحور: الشديد بياض، بياض العين وسواد سوادها.

(٢) اللما: الرفقة ـ الصدى: رجع الصوت.

ومن نكته الغريبة في التورية قوله:

أقول وقد شنوا إلى الحرب غارة ... دعوني فإني آكل الخبز بالجبن

ومثل ذلك قوله:

أقول لنوبة الحمى أتركيني ... ولا يكُ مِنكِ لي ما عشت أوبه[1]
فقالت كيف يمكن ترك هذا ... وهل يبقى الأمير بغير نوبه[2]

ومن لطائفه قوله:

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا ... والعلق لا شيء لديه ولا معه[3]
فأجبتهم إنفاقه من جحره ... قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

ومن لطائف ما وقع في تورية السعة، قول أبي الحسين الجزار وقد وقف على باب ابن الزبير ومنع من الدخول دون غيره، فكتب رقعة وأرسلها إلى ابن الزبير، فإذا فيها:

الناس قد دخلوا كالأير أجمعهم ... والعبد مثل الخصي ملقى على الباب

فلما وقف ابن الزبير على هذا البيت، أمر بعض الخدم أن يقف على الباب وينادي: أدخل يا خصي فدخل وهو يقول: هذا دليل على السعة، ومنه قوله:

ومكرش أضحى يحلق سفله ... لعساه لا يشكى إليه ويشكر
ويقص لحيته فإن ناديته ... لباك وهو محلق ومقصر

ويعجبني من لطائفه قوله في داره:

ودار خراب بها قد نزلت ... ولكن نزلت إلى السابعة[4]
طريق من الطرق مسلوكة ... محجتها للورى شاسعه
فلا فرق ما بين أني أكون ... بها أو أكون على القارعه
تساررها هفوات النسيم ... فتصغي بلا أذن سامعه

---

(١) الأوبة: واحدة الإياب وهو الرجوع.
(٢) النوبة: الأولى بمعنى: دورة الوجع والثانيه بمعنى الحاشية والحرس.
(٣) العِلق: النفيس من كل شيء.
(٤) السابعة: أي الأرض السابعة.

وأخشى بهـا أن أقيم الصـلاة		فتسجـد حيـطانـهـا الـراكعـه
إذا مـا قـرأت إذا زلـزلـت		خشيت بـأن تقـرأ الـواقعـه[1]

ومنه قوله:

جـودوا لـتسـجـع بـالـمـديـــــح عـلى عـلاكـم سـرمـدا
فـالـطيـر أحسن مـا يغـرد عنــــــد مـا يـقـع الـنـدى

ومن بدائع أغزاله قوله:

وما بي سوى عين نظرت لحسنها		وذاك لجهلي بـالعيون وغـرتي[2]
وقـالوا بـه في الحب عين ونظرة		لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

ومن لطائف مجونه قوله:

نفقت لي رأس من الخيل كانت		تسبق البرق والريـاح الزعـازع[3]
وابتلى الله في المشـاعـر أخـرى		بشقـاق لهـا عن المشي مـانـع
وإذا قيـل كم بـقي لـك رأس		قلت رأس لكن بغيـر كـوارع[4]

ومن لطائفه أيضاً في تورية المطوق قوله:

أنت طـوقتني صـنيعـاً وأسمعــــــتك شكراً كـلاهما ما يضيع[5]
فـإذا مـا شجـاك سجعي فـإني		أنـا ذاك المـطوق المسمـوع[6]

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة سجع المطوق، ووصل به عدة مقاطيع، ومن غاية تغزلاته قوله:

رميت بمهجتي جمـرات شـوق		ولم تـأخـذك بـالمشتاق رأفـه
فهـرول دمـع عيني فـوق خـدي		ومـا حصلت لـه مـع ذاك وقفـه

(١) «إذا زلزلت» «والواقعة» من سور القرآن الكريم.
(٢) الغِرة: الإغترار وعدم التجريب.
(٣) نفق: الحيوان، مات ـ الزعازع: الهوجاء.
(٤) الكوارع: القوائم.
(٥) الصنيع: عمل المعروف.
(٦) المطوق، والمطوقة: الحمامة.

ومن لطائف مجونه قوله:

قال لي الواسع صف لي | مثل ما أعرف وصفك
أين باب الخرق قل لي | قلت باب الخرق خلفك

ومن غرائب النكت قوله:

أبيات شعرك كالقصو | ر ولا قصور بها يعيق
ومن العجائب لفظها | حر ومعناها رقيق[1]

ومن بديع اختراعاته قوله:

قالوا قد احترقت بالنار راحته | وهي الغمام ومنها الوابل الغدق[2]
وقال قوم وما ضلوا وما وهموا | بأنها النيل قلت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله:

بخالد الأشواق يحيى الدجا | يعرف هذا العاشق الوامق[3]
فخذ حديث الوجد عن جعفر | من دمع عيني إنه الصادق

ومن بديع تغزله قوله:

يا مالكي ولديك ذلي شافعي | ما لي سألت فما أجبت سؤالي
فوخدك النعمان إن بليتي | وشكايتي من جفنك الغزال[4]

ومن بديع غزله قوله:

أقول لمن جفنه سيفه | ولكنه ليس يخشى نبوّه[5]
تكلف جفنك حمل الفتور | وأخرج فيه من الضعف قوّه

ومن نكته الغريبة قوله:

قلت لسقم الجسم مني وقد | أفرط بي فرط ضنى واكتئاب
فعلت بي يا سقم ما لم يكن | تلبس والله عليه الثياب

---

(١) الرقيق: العبد ـ أو من الرقة.
(٢) الوابل الغدق: المطر الغزير.
(٣) الوامق: المحب.
(٤) النعمان: شقائق النعمان والنعمان بن المنذر الملك ـ الغزالِ: والغزالي الفيلسوف.
(٥) نبوّه: من نبا السيف إذا أخطأ والسهم، طاش ولم يصب.

ومن حصل الجلاء لعيون التورية بملاطفته، الحكيم شمس الدين بن دانيال، من لطائفه قوله:

يا سائلي عن حرفتي في الورى | وا ضيعتي فيهم وإفلاسي
ما حال من درهم إنفاقه | يأخذه من أعين الناس

ومنه قوله:

كم قيل لي إذ دعيت شمساً | لا بدَّ للشمس من طلوع
فكأن ذاك الطلوع داء | يرقى إلى السطح من طلوعي

ومن لطائفه أيضاً قوله:

ما عاينت عيناي في عطلتي | أقل من حظي ومن بختي[1]
قد بعت عبدي وحماري معاً | وصرت لا فوقي ولا تحتي[2]

ومن لطائفه أيضاً في جارية تضرب بالدف، وأجاد، قوله:

ذات القوام الذي يهتز غصْن نقا | لو مرَّ يوماً عليه طائر صدحا
تبدي على الدف كالجمار معصمها | لنقره ببنان يشبه البلحا
غناؤها برقيق الغنج تمزجه | فما ينقط إلا كل من رشحا[3]

ومن اختراعاته البديعة قوله:

أيا سائلي عن قد محبوبي الذي | فتنت به وجداً وهمت غراما
أبي قصر الأغصان ثم رأى القنا | طوالاً فأضحى بين ذاك قواما

وممن أحيا رسوم التورية وأظهر خفيها، القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، ومن نظمه فيها:

لقد قال كعب في النبي قصيدة | وقلنا عسى في فضلها نتشارك
فإن شملتنا بالجوائز رحمة | كرحمة كعب فهو كعب مبارك

---

(١) البخت: الحظ والنصيب.

(٢) وصرت لا فوقي ولا تحتي: مثل يقال للذي يكون عنده شيء فيبيعه فيصير معدماً ويحتاج إلى المعونه.

(٣) رشح: سال ببطء، نزّ.

ومن لطائفه قوله:

لا ينقـــل الــروض أحــاديثـه   عن عين نمـام غـدت حـافيـه[1]
فــإنــه يــنــقــل أخــبــاره   إلـى أعـيــن عـنـده صـافـيــه

ومثله قوله:

يــا قــاتــلي بــلـحــاظ   قــتـيــلـهــا لـيس يــقـبــر
إن صـبــروا عنــك قـلبي   فـهـو القـتيـل المـصبـر

وقال:

إن لـــوزي جـــلـق   واهـن الحبـل والـقوى
لـــم يــكــلفــك كــســره   فــالـق الحــب والـنـوى

ومن نظمي في هذا المعنى، في المشمش السلطاني بحماه:

قــال سـلطاني حــمــاة عـنـدمــا   أجلسـوه مذ أتـاهـم في الصـدور
مـشمش الـشــام يـقــوي قـلبـه   يوم نقع فهو قد أضحى وزيري[2]

ومن لطائف القاضي محيي الدين قوله:

شـكــراً لـنـســمــة أرضـكــم   كـم بـلغــت عـنـي تـحـيـه
لا غــرو أن حــفـظـت أحــا   ديـث الـهـوى فـهـي الـذكـيـه

وهذه النكتة أخذها الشيخ صلاح الدين الصفدي، وقال:

يا طيب نشر هبَّ لي من نحوكم   فـأثـار كــامن لـوعتي وتهتكي[3]
أهــدي تحيتكم وأشبـه لــطفكم   وروى شـذاكم إن ذا نشـر ذكي

وأشار إلى هذه السرقة الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة، بقوله، ولم يخرج عما نحن فيه من التورية:

إن ابن أيـبـك لم تـزل سـرقـاتـه   تــأتـي بكـل قـبيـحــة وقبـيـح
نسب المعـاني في النسيم لنفسه   جهـلاً فـراح كـلامـه في الـريـح

---

(١) النمام: الذي يسعى بين الناس بهدف الإيقاع بينهم - حافية: ضعيفة لكثرة استعمالها.
(٢) النقع: بل الشيء بالماء.
(٣) التهتك: إهمال النفس.

ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

لا تسلني عن أوَّل العشق إني ... أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك أرخت ... غراماً بمستهل وغره[1]

وتطفل الشيخ عز الدين الموصلي على هذا المعنى، ولكن سبكه في قالب حسن، بقوله من قصيدة:

فيا هاجري عاماً لقد ضل عاذلي ... وليس له وجه وتاريخه سلخ

ومن لطائفه قوله بمنزلة القطيفة بالقرب من دمشق:

هذي القطيفة التي ... لا تشتهي عقلاً ونقلا
حشيت ببرد يابس ... فلأجل ذاك الحشو تقلى[2]

ومن لطائفه قوله:

ضفر الشعر وألقى ... خلفه كالقطن وفره
قلت ماذا قال شيب ... قلت والله ودره

ومن لطائفه قوله في معشوقه المعنى المسمى بالنسيم:

إن كانت العشاق من أشواقهم ... جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله قوله فيه:

يا من غدا لي من عوا ... صف هجره الريح العقيم[3]
أترى يطيب لي الهوى ... ويقال لي رق النسيم

ومن لطائفه قوله:

سلّ سيفاً من جفنه ثم أرخى ... وفرة وفرت عليه الحميلة[4]
إن شكا الخصر طولها غير بدع ... لنحيل يشكو الليالي الطويلة

---

(١) المستهل: الدمع ـ الغرة: أول الشعر من مقدم الرأس.
(٢) تقلى: تكره وتهجر.
(٣) الريح العقيم: التي لا تفيد، والعقيم في الأصل من لا ينجب.
(٤) الحميلة: حميلة السيف، مكان في الرحل يوضع فيه السيف.

وألم به ابن العفيف، فقال:

حلَّ ثلاثاً يوم حمامه ... ذوائباً تعبق منها الغوال[1]
فقلت والقصد ذؤاباته ... يا سهري في ذي الليالي الطوال

وهذا المعنى تلاعب به جماعة من المتأخرين، ولولا الخيفة من طول الشرح لذكرت ذلك، ولكن لا بدَّ أن يرد على المتأمل في مواضعه، ويعجبني قوله:

وبروحي هويته عجميا ... لي لذت ألفاظه الغتمية[2]
كم حلا عجمه فقلت لخلي ... خلني والحلاوة العجمية

ومن لطائف مجونه قوله:

وأعور العين ظل يكشفها ... بلا حياء منه ولا خيفه
وكيف يُلفى الحياء عند فتى ... عورته لا تزال مكشوفه[3]

ومنه قوله:

قال لي العلق وقد جئته ... أريه أيراً فاق في حسنه
أيرك هذا مات قلت انحنى ... كرامة الميت في دفنه

ويعجبني من خمرياته قوله:

خمرة للشقيق أمست شقيقه ... بنت كرم بالمكرمات خليقه[4]
قال قوم من لطفها هي في الكا ... س مجاز والكاس فيها حقيقه
أنتجت فرحة وجاءت بكأس ... صبغت حمرة فنعم الشقيقه

ومن بديع اقتباسه بالتورية قوله:

بأبي فتاة من كمال صفاتها ... وجمال بهجتها تحار الأعين
كم قد دفعت عواذلي عن وجهها ... لما تبدت بالتي هي أحسن

---

(١) الغوال: جمع غالية وهي أخلاط من الطيب، كالمسك والعنبر وغيرهما.
(٢) الغتيمة: غير الفصيحة لعجمة قائلها. من غتم: إذا لم يفصح لعجمة في منطقه.
(٣) يُلفى: يوجد ـ العورة: ما حرم الله كشفه من جسم الإنسان. وهو القبل والدبر. ومن المرأة معظم جسمها لقولهﷺ: «المرأة عورة كلها».
(٤) خليقه: حقيقه وجديرة.

هذا الاقتباس بالتورية أخذه الشيخ جمال الدين بقافيته، ولكن زاده إيضاحاً بقوله:

يا عاذلي شمس النهار جميلة ... وجمال فاتنتي ألذ وأزين
فانظر إلى حسنيهما متأملاً ... وادفع ملامك بالتي هي أحسن

وألم به الشيخ عز الدين الموصلي وما خرج عن إيضاحه أيضاً بقوله:

قد سلونا عن المليح بخود ... ذات وجه به الجمال تفنن[1]
ورجعنا عن التهتك فيه ... ودفعناه بالتي هي أحسن

ومن لطائفه قوله:

ذات طوق وذات زيق تغنى ... فتنبي بالوجد من ليس يدري[2]
زيفت ثم كاشفتنا فقلنا ... لك زيق الغنى ولي زيّق فقري
ما تراها قد حدثت خاطر النهـ ... ـر بما قد جرى وما منه يجري

ومن لطيف كلامه قوله:

وبطحاء في واد يروقك روضها ... ولا سيما إن جاد غيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بأدمع ... يرقرقها منه هنالك محجر
إذا فاخرتها الريح وهي عليلة ... بأذيال كثبان الربا تتعثر
بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا ... بها الروض يحيى وهو لا شك جعفر[3]

وقال في مليحة اسمها وردة:

بأبي وردة مولدة الحسـ ... ـن دعوها بوردة البستان
في التصاوير مثلها ليس يُلفى ... فيقولون وردة كالدهان[4]

ومن تواريه الغريبة في المواليا في مليح مشطوب:

لك طرف أحور حمى من حسنك السرحه ... كم قد أغار على العشاق في صبحه
لما علمت بانو سابق اللمحة ... عليه خفت فشطبتو على صحه

---

(١) الخود: الفتاة الحسناء.

(٢) الزيق: ما يخاط بالقميص لتقويته به. وزيّقت: جعلت لقميصها زيقاً.

(٣) الفضل والربيع ويحيى وجعفر: بالإضافة إلى أنها أسماء أشخاص فإنها مستعملة هنا بمعانيها الأُخَر، وهي: الفضل: الشيء الفاضل والخير، والربيع: الفصل المعروف ـ يحيى من الحياة ـ جعفر: نهر.

(٤) يُلفى: يوجد ـ الدهان: الصباغ الأحمر يدهن به.

ومن نكته الغريبة في أغزاله قوله:

ذبـاب السيـف من لـحظ إليـه | لأخضر صدغـه حسن انتسابي[1]
ولا عجب إذا مـا قيـل هـذا | لـه صـدغ زمـرده ذبـابـي[2]

ومن اختراعاته الغريبة قوله:

كتبت لكم من أعين القصب التي | لها من معانيكم ومن نفسها طرب
فإن أطرب التشبيب فيها بذكركم | فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

ومن هنا أخذ المعمار، فقال:

هـويـتـه مـشـبـبـا | جـمـالـه بـرَّح بـي
تـيـم قـلـبي بـالـحجـا | ز من عـيـون الـقـصـب

ومن مخترعات القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله:

مـلأت الليالي من عـلا وختمتها | فقـد أصبحت محشوَّة بمكـارمك
ختمت عليهـا بـالثريـا فقـل لنـا | أهذا الذي في كفها من خواتمك

ومنه قوله:

يا سيدي إن جرى من مدمعي ودمي | للعين والقلب مسفـوح ومسفـوك
لا تخش من قود يقتص منك به | فـالعين جارية والقلب مملوك[3]

ومنه قوله:

ذو قـوام يجـور منـه اعتـدال | كـم طعـين بـه مـن الـعـشـاق
سلب القضب لينهـا فهي غيـظى | واقـفـات تـشـكـوه بـالأوراق

ومنه قوله:

يا رب كأس صرت من شربهـا | من بعـد رشفي ريق معشـوقي
مـلتـهـب الأحشـاء نـاراً لأن | شـربـتهـا منـه عـلى الـريـق

(١) ذباب السيف: حده ـ الصدغ: الشعر ما بين العين والأذن.
(٢) ذُبابي: أي حاد كذباب السيف. أو لونه شبيه بلون الذبابة وهي الحشره المعروفه.
(٣) القود: الديَّة: اقتص: أخذ منه قصاصاً ـ جارية: بالدمع وعبدة. ومملوك: عبد.

ويعجبني منه قوله:

أنت من وجه ولحظ لك دينار وكسر[1]

هذا الدينار والكسر، اغتصبه الشيخ جمال الدين بن نباتة ولم يسبكه في غير قالبه، فقال:

أفدي حبيباً لي إلى مرآه طول الدهر فقر
في خده وجفونه للحسن دينار وكسر

وهذه زاوية اخترتها من ديوان الشيخ الإمام العلامة شيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصاري الحموي، سقى الله ثراه، أما بعد حمداً لله الذي أطلعنا من زوايا الأدب على خبايا، وأرشدنا بمشايخ شيوخه إلى سلوك ما فيه من المزايا، والصلاة والسلام على نبيه الذي اختاره فكان نعم المختار، وعلى آله وصحبه المنتظمين في سلك هذا الاختيار. فقد انتهى ما أوردته منوعاً في التورية من الحلاوات القاهرية، وقد تعين أن أفكِّهَ المتأمل بعد ذلك بالفواكه الشامية، وأقتطف له من فروع شيخ الشيوخ ما يظهر به مزية الثمرات الحموية، وقدرة السلطنة في الأدب وناهيك بالسلطنة الشيخية. فاخترت من أبيات قصائده ومواصيل مقاطيعه ما يحلو بها التشبيب، وسميته زاوية شيخ الشيوخ علماً بأنها زاوية يتأهل بها الغريب، والله تعالى يجعلنا ممن تخير العمل الصالح فأحسن، وسمع القول فاتَّبع منه الأحسن. فمن ذلك قوله من قصيدة:

ويلاه من نومي المشرد وآه من شملي المبدد
يا كامل الحسن ليس يطفي ناري سوى ريقك المبرد

منها ووصل إلى المخلص، وهو في غاية الحسن قوله:

غصن نقا حل عقد صبري بلين خصر يكاد يعقد[2].
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومنه قوله من قصيدة:

لنا من ربة الخالين جاره تواصل تارة وتصد تاره
تعاملني بما يحلي سلوي ولكن ليس في حلو مراره

---

(١) الكسر: من الدينار ما يقل عنه من العملة.

(٢) غصن النقا: الغصن الطري الذي جرى فيه الماء.

ومنه قوله وهو مطلع قصيدة:

حروف غرامي كلها حرف إغراء		على أن سقمي بعض أفعال أسماء

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين وقال:

أودت فعالك يا أسما بأحشائي		واحيرتي بين أفعال وأسماء

ومن بديع نكته قوله:

وبدر دجى لم ينتقل كسميه		ولكنه ما زال في القلب والطرف
يلوح لعيني ماشقاً نون صدغه		فأعبد خلّاقي على ذلك الحرف

هذه النكة أخذها ابن الوردي بقافيتها وغالب ألفاظها ومعناها، فقال:

يا بدر تم نوره باهر		منزله في القلب والطرف
صدغك حرف النون في مشقه		من يعبد الله على حرف[1]

ولعمري إنها سرقة فاحشة، ومنه قوله:

أقام لخده الناري عذاراً		ومذ أقصى عذاري وهو ثلجي
حمى مرج العذار بمقلتيه		فأمشى التاس في هرج ومرج[2]

ومنه قوله في التورية، مع بديع الاقتباس:

يا نظرة ما جلت لي حسن طلعته		حتى انقضت وأدامتني على وجل
عاتبت إنسان عيني في تسرعه		فقال لي خلق الإنسان من عجل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة، وجعله مطلعاً لقصيدة، فقال:

إنسان عيني بتعجيل السهاد ملى		عمري لقد خلق الإنسان من عجل

ومنه قول الشيخ عز الدين شيخ الشيوخ، وتلطف ما شاء مع قصر الوزن:

وغمام معربد		ببروق وزمجره
غادر الروض ناضراً.		بعيون مخضره

---

(١) الذي يعبد الله على حرف: السريع الإنقلاب إلى الكفر عندما تواجهه أبسط المصاعب في سبيل الله سبحانه وتعالى.

(٢) الهرج والمرج: ثورة الفوضى.

ومنه قوله:

قلت وقد عقرب صدغاً له ... عن مشقة الحاجب لم يحجب
قد سدت يا رب الجمال الذي ... ألف بين النون والعقرب(١)

وقال، وتلطف ما شاء، وأظنه أول من ورى بهذه النكتة:

أفدي حبيباً رزقت منه ... عطف محب على حبيب
بوجنة ما أتم ربحي ... وقد غدا وردها نصيبي

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره، وقول الشيخ جمال الدين بن نباتة:

فديتك غصناً ليس يبرح مثمرا ... من الحسن في الدنيا بكل غريب
تفتح في وجناته الورد أحمرا ... فيا ليت ذاك الورد كان نصيبي

ومنه قوله:

لا تنس وجدي بك يا شادناً ... بحبه أنسيت أحبابي(٢)
ما لي على هجرك من طاقة ... فهل إلى وصلك من باب(٣)

ومنه قوله:

مرضت ولي جيرة كلهم ... عن الرشد في صحبتي حائد
فأصبحت في النقص مثل الذي ... ولا صلة لي ولا عائد(٤)

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي، وقال:

أهل دمشق قد مرضت عندهم ... وما قصدت نحوهم بمسألة
مع علمهم بأنني أنا الذي ... ولا أتاني عائد ولا صلة

ومنه قوله:

قالوا أما في جلق نزهة ... تنسيك من أنت به مغرى
يا عاذلي دونك من لحظه ... سهماً ومن عارضه سطرا

---

(١) النون: الحاجب في وسطه العين والعقرب: الشعر ما بين الأذن والعين مجعداً على التشبيه.

(٢) الشادن: الغزال.

(٣) الطاقة: القدرة والشبّاك.

(٤) الصلة والعائد: في الأصل الأقرباء والزوار أو العطاء والهبة ـ وفي المصطلح النحوي الصلة ما يصل بين جملتين ـ والعائد. ضمير يعود على متأخر في الكلام.

السهم وسطرى من منتزهات دمشق المشهورة، ومن هنا أخذ الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا وقال:

سألتكما إن جئتما الشام بكرة — وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ مني كتاباً كتبته — بدمعي لكم مقراً ولا تنسيا سطرا

ومقرا أيضاً من منتزهات دمشق، وحسن بعدها ذكر سطراً، ومنه قوله، وأجاد:

سبحان مورثه من حسن يوسف ما — لم يبق في الحجر لي والصبر من حصص
أقام للشعراء العذر عارضه — فكم لهم من دبيب النمل من قصص[1]

ومنه قوله:

ولقد عجبت لعاذلي في حبه — لما دجا ليل العذار المظلم
أو ما درى من سنتي وطريقتي — أني أميل مع السواد الأعظم[2]

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره، فأما ابن نباتة فإنه أخذه وزناً، وقافية، وقال:

أهواه معسول الرضاب منعماً — ولقد يعذبني الهوى بمنعم[3]
يا قلب هذا شعره وجفونه — صبراً على هذا السواد الأعظم

ومن لطائفه قوله:

أكملت ستاً وأربعين بها — أخلت همومي من راحتي ربعي[4]
وجزت في السبع خائفاً وجلاً — لأنني جائز على سبع[5]

ومن نكته اللطيفة قوله:

هزم الهم عن ندامای راح — حظيت من سماعهم بلحون
لم تكد في الكؤوس تظهر لطفا — فبدت من خدودهم في الصحون

---

(١) الدبيب: مشي كل ذات أربع.
(٢) السواد الأعظم: المجموع الأكبر من الناس ـ أو معظمهم.
(٣) معسول الرضاب: كأن ريقه العسل، حلو الريق.
(٤) الربع: الدار.
(٥) جاز: : قطع ودخل وتجاوز ما قبله ـ السبع: العدد والحيوان.

ومن لطائف مجونه قوله:

سألته من ريقه شربة ... أطفي بها من كبدي حره
فقال أخشى يا شديد الظما ... أن تتبع الشربة بالجره[1]

ومن هنا أخذ المتأخرون. ومن نكته اللطيفة ما كتبه على جرن حمام السلطان بحماة:

كملت لطفاً ووقاراً على ... ما حزت من أوصافي الحلوه
من أجل هذا صرت أهلاً لأن ... أجالس السلطان في الخلوه

وممن أجار رقيق التورية من غلظ العقادة، الأمير مجير الدين بن تميم. فمن ذلك قوله:

لما لبست لبعده ثوب الضنى ... وغدوت من ثوب اصطباري عاريا[2]
أجريت واقف أدمعي من بعده ... وجعلته وقفاً عليه جاريا[3]

ومن لطائف نكته قوله في كتاب:

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها ... بها لما قد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت أجزاؤها فحكت ... لطف النسيم وحاشاها من السقم

ومنه قوله:

بتنا جميعاً وبات لثمي ... له حمى ثغره مباح
فمات مني الظلام غيظاً ... وانشق من غيظه الصباح

ومنه قوله:

وساقية تدور على الندامى ... وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضى ... بساقية تقابلنا بنهر

وهذه النكتة تلاعب الناس بها كثيراً. ومن نكته الغريبة قوله في سجادة:

أيا حسنها سجادة سندسية ... يرى للتقى والزهد فيها توسم[4]

---

(١) الجّره: وعاء من الفخار أسطواني الشكل يستعمل للماء.
(٢) وردت في الأصل«لبثت» بدل «لبست»وما أثبتناه أصح ونظنه من خلط الذين يلفظون الثاء سيناً والذال والظاء والضاد زاياً في هذه الأيام لكثرة ما صقلتهم«المدنية»و «الحزارة الحديسة».
(٣) وقفته عليه: قصرته عليه.
(٤) سندسية: نسبة إلى السندس وهو من رقيق الديباج ـ التوسم: الأمل.

اذا ما رآها الناسكون ذوو الحجا أمامهم صلوا عليها وسلموا[1]

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال:

إن سجادتي الحقيرة قدرا لم يفتها في بابك التعظيم
شرفت إذ سعت إليك فأمست وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها الشيخ زين الدين بن الوردي أيضاً، فقال:

سجادة أذكرتني منك الذي كنت تعلم
أهديتها لمحب صلى عليها وسلم

ومن قوله وهو من ألطف أغزاله:

يا حسن أهيف حظه من حبنا طيب النعيم وحظنا منه الشقا[2]
قدم العذار إلى نقا وجناته يا مرحباً بقدوم جيران النقا[3]

ومن نكته الغريبة، قوله في مليح جرح جبينه:

بكوا لجراحة شقت جبين الـ حبيب فقال ما ضر الجراح
أليس جبينه صبحاً منيراً ولا عجب إذا انشق الصباح

ومن لطائفه قوله:

وعيرني بالشيب قوم أحبهم فقلت وشأن العاشقين التحمل
بعثتم إلى رأسي المشيب بهجركم ومهما أتى منكم على الرأس يحمل

وهذه النكتة أيضاً، تلاعب بها المتأخرون بعد ابن تميم كثيراً. ومن لطائف نكته أيضاً قوله:

ونهر خالف الأهواء حتى غدا طوعاً لها في كل أمر
إذا سرقت حلى الأزهار ألقت إليه بها فيأخذها ويجري

---

(١) الناسكون: جمع ناسك وهو الذي يقتصر على عبادة الله سبحانه وتعالى ـ ذوو الحجا: الثقاة. ذوو الاستمساك بالعقيدة.

(٢) الأهيف: الدقيق الخصر الضامر البطن ـ الشقا: الشقاء.

(٣) نقا: نقاء. النقا: الكثيب من الرمل.

ومثله قوله:

سرق النسيم حلى الغصون بسحره | لما أتاها وهي في اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها | في صدره من خوفه وجرى بها

ومن بدائع نكته:

وليلة بت أسقى في غياهبها | راحاً تسل شبابي من يد الهرم
ما زلت أشربها حتى نظرت إلى | غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم[1]

ومن لطائف نكته في أغزاله قوله:

خليلي قد صاد الفؤاد بحسنه | غزال به عذر المحبين واضح
ولا غرو أن صاد الفؤاد بلحظه | ألم تعلما أن العيون جوارح

ومن لطائف نكته في أغزاله أيضاً قوله:

وقالوا بدا خط العذار بخده | فأضحى سعيد الخد وهو معذر
فقلت خيال الشعر ما قد رأيتم | فإن صح ذاك الخط فهو مزور

من هنا أخذ الشيخ صلاح الدين، ولكن زاده نكتة أخرى، بقوله:

عيناه قد شهدت بأني مخطىء | وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتَّئِدْ في قتلتي | فالخط زور والشهود سكارى[2]

ومن نكته الغريبة قوله:

أيا ذا الذي قد كف كفيه عامداً | عن الجود خوف الفقر ماذاك سائغ
أتخشى سهام الفقر ما دمت منفقاً | نصيبك والنعما عليك سوابغ[3]

ومن نكته الغريبة قوله:

ونهر بحب الروض أصبح مغرماً | يروح ويغدو هائماً بوصالها
إذا بعدت عنه شكا بخريره | جفاها وأمسى قانعاً بخيالها

---

(١) غزالة الصبح: الشمس.

(٢) اتَّئد: تؤدة تمهّل.

(٣) سوابغ: جمع سابغة: النعمة: فائضة وزائدة عن الحاجة.

ومن لطائف مجونه:

وقــواد يـعيــد الـهـجــر وصــلاً | وطـول البعـد قـربـاً واتفـاقـا[1]
يـكـاد لحكمـة فيـه ولـطف | يـقـود بـلا أزمتـهـا الـنـيـاقـا

ومن نكته البديعة الغريبة في باب التورية قوله:

لما جسستك بـالمديح ولم أكن | أدري بـأنـك خـامـل في الـنـاس
ناديت لما أن جسستـك بالهجا | أكليب خذها من يدي جساس[2]

ومنه قوله:

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـ | ـمـزور قـال وقـولـه لا يـدفـع
فتـح عيـونـك في سـواي فـإنني | عنـدي قبـالـة كـل عين أصبـع

ومن لطائفه في هذا الباب قوله:

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها | فنادت عليه في الرياض طيور[3]
ودولابهـا كـادت تعـد ضلوعـه | لكثـرة مـا يبكي لهـا ويـدور[4]

النكتة في يدور وفي ضاع دارت بين ابن تميم وبين الجماعة، وتسلسل دورها منهم بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي بقوله:

وروضــة دولابــهــا | إلى الغصــون قــد شكــا
من حين ضــاع نشــرهــا | دار عــلـيـهــا وبـكــى

ومنهم الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله:

ونــاعــورة قــسـمــت حـسـنـهــا | عــلى واصـف وعــلى ســامــع
وقـد ضاع نشـر الربـا فـاغتـدت | تــدور وتـبـكـي على الـضـائـع

ومنهم الشيخ صلاح الدين الصفدي ونقل المعنى إلى الغزل بقوله:

أضـحـى يـقـول عـذاره | هــل فـيـكـم لـي عــاذر
الــورد ضــاع بـخـده | وأنــا عــلـيـه دائــر

---

(١) القوّاد: القائد إلى الفجور.

(٢) جس: جرّب ـ الخامل: المغمور غير المعروف ـ وجساس: المجرب وقاتل كليب أخي المهلهل الشاعر.

(٣) ضاع: يضوع، انتشر ـ والنشر: الرائحة الطيبة.

(٤) الدولاب: ما يوضع في الروضة ليسقى به، وتديره الدابة(ألناعورة).

وبعضهم نقصه وقنع بالدور بقوله:

أبدى لنا الدولاب قولاً معجباً ... لما رآنا قادمين إليه
إني من العجب العجيب كما ترى ... قلبي معي وأنا أدور عليه

وزاد الشيخ جمال الدين بن نباتة الدور نكتة أخرى فقال:

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها ... وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لأني فقدته ... وأما دموعي فهي تجري على جسمي

وهذا المعنى سبق إليه ابن تميم أيضاً، بقوله:

قامت لنا بالعذر ناعورة ... أدمعها في غاية السكب
تقول لما ضاع قلبي وقد ... ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمي كله أعيناً ... يدور في الماء على قلبي

ومثله قوله:

ناعورة مذ ضاع منها قلبها ... ناحت عليه بأنة وبكاء
وتعللت بلقائه فلأجل ذا ... جعلت تدير عيونها في الماء

وقنع الشيخ زين الدين بن الوردي بالدور، فقال:

ناعورة مذعورة ... ولهانة وحائرة[1]
الماء فوق كتفها ... وهي عليه دائرة

وعلى ذكر تورية الدور يعجبني قول المقر المرحومي الفخري ابن مكانس، وقد كتب بدر الدين البشتكي يداعبه، وقد دار الشيخ بدر الدين المذكور في ساقية الهمائل[2].

دورة البدر في سواقي الهمائل ... تركت أدمع العيون هوامل[3]
آه من للرياض نور أديب ... مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعياً على بني عجل في الجو ... د وأغنى عن الوليّ الهاطل
زاد علماً على أبي ثور لكن ... قال بالدور تارة والسلاسل

---

(١) ولهانة: شديدة الحزن.

(٢) الهمائل: إسم للساقية:

(٣) الهوامل: التي تفيض بالدمع.

ومنها ولم يخرج عن تورية الدور:

يا سعيداً أثرى من النظم والنثـ ـر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو ر فها غصنها من السكر مائل

ومن نظمي في تورية الدور أيضاً قولي من قصيدة:

ومذ مد ذاك النهر ساقاً مدملجاً وراح بنقش البيت يمشي على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت وأبدت لنا دوراً على ساقه السبط[1]

وعلى ذكر تورية الدور وتسلسلها هنا نكتة لطيفة، وهي أنه اتفق أن الشيخ نجم الدين الفجفيري سأل جماعة من الطلبة المستعلين عليه من قول الشاعر:

يا أيها الحبر الذي علم العروض به امتزج[2]
أينْ لنا دائرة فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال: هذا في الدولاب، لأنه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوته حال دورانه. فقال له الشيخ: صدقت، إلا أنك درت في الدولاب زماناً حتى ظهرت لك التورية. وهذا الكلام في غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى.

رجع إلى ما كنا فيه من لطائف ابن تميم، فمن ذلك قوله:

لم لا أميل إلى الرياض وحسنها وأعيش منها تحت ظل ضافي
والزهر يلقاني بثغر باسم والماء يلقاني بقلب صافي

وهذان البيتان عزاهما الصلاح الكتبي، في كتابه فوات الوفيات، للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي، ونسبا أيضاً لمحيي الدين بن قرناص، في مواضع كثيرة، والله أعلم. ومن نكته اللطيفة في التورية قوله:

روحي الفداء لمن أدار بلحظه صهباء في عقلي لها تأثير[3]
فاعجب له أني يصون بلحظه مشمولة وإناؤها مكسور[4]

---

(١) السبط: الطويل.

(٢) الحبر: رجل العلم الذي يعد مرجعاً في علمه.

(٣) الصهباء: الخمرة.

(٤) المشموله: التي هبت عليها ريح الشمال وهي أبرد وأطيب.

ومنه قوله:

إني لأشهد للحمى بفضيلة | من أجلها أصبحت من عشاقه
ما زاره أيام نرجسه فتى | إلا وأجلسه على أحداقه

وتلاعب المتأخرون بهذه النكتة كثيراً.

ومنه قوله:

ألا رب يوم قد تقضى ببركة | أقمت بها فيما جرى متفكرا
بعيني رأيت الماء فيها وقد هوى | على رأسه من شاهق فتكسرا[1]

ومثله قوله:

يا حسنه من جدول متدفق | يلهي برونق حسنه مَن أبصرا
ما زلت أنظره عيوناً حوله | خوفاً عليه أن يصاب فيعثرا
فأبى وزاد تمادياً في جريه | حتى هوى من شاهق فتكسرا

وتورية تكسر تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيراً. ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى | في موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدي | تجري دماً من تحت ظل القسطل[2]

ومن لطائف نكتة قوله:

قالوا رأيناك كل وقت | تهيم بالشرب والغناء
إني فتى قنوع | أعيش بالماء والهواء

ومنه قوله:

حاذر أصابع من ظلمت فإنه | يدعو بقلب في الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في جمر الغضى | إلا الدعا بأصابع المنثور[3]

ومن لطائف نكته وقد تقدم معناها، ولكن حلا مكررها هنا بقوله:

تأمل إلى الدولاب والنهر إذ جرى | ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما | فأصبح ذا يجري وذاك يدور

---

(١) «بعيني» في الأصل «بعني» ونظنه من خطأ النساخ.
(٢) الأنابيب: جمع انبوب وهو جسم الرمح ـ والقناة: الرماح ـ القسطل: الغبار الكثيف.
(٣) جمر الغضى: يضرب به المثل في شدة الحرارة وهو جمر شجر يدوم طويلاً.

وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان أنشدني أبو الخير الأزدي، لمجير الدين بن صميم:

نـزلنـا إلى الغـــور فيَ جحفـل ... نقـاتـل قـومـاً من المسلمينـا
قـطعنـا الشـريعـة في حـربهم ... وخضنـا إليهم مع الخـائضينـا[1].

ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

إني لأعجب في الوغى من فارس ... حـارت دقـائق فكـرتي في كنهـه
أدى الشهادة لي بأني فـارس الـ ... ـهيجاء حين جرحتـه في وجهـه

ومن لطائف مجونه قوله:

هـويـت نـطاعـاً إذا جئتـه ... بـادرني بـاللحظ والـصفـع[2]
أروم أن أحـظى بـوصـل وقـد ... قـابلني بـالـسيـف والـنـطع

ويعجبني من نكته في الخمريات قوله:

ومـدامـة كـاسـاتـهـا ... تـعـطي الأمـان من الـزمـان
قـد أحـكـمـت عـلم الـنجـو ... م وأتـقـنـت سـحـر الـبيـان
فـإذا حـسـاهـا الـشـاربـو ... ن وأوقـعـتـهـم فـي الأمـاني
بـدأت بـإخـراج الـضـمـيـ ... ـر وبـعـده عـقـد الـلسـان

ومن لطائف مجونه قوله:

غطت محاسن وجهها عن ناظري ... هيفـاء لم أر في البريـة شبههـا
وغـدت تمـانعني فقمت مبـادراً ... وكشفت من بعـد التمنع وجههـا

ومن نكته الغريبة قوله:

سـأهجـو أنـاسـاً يبتغـون نقيصتي ... وقد رسخوا في بحر جهلهم رسخا
وأسلخهـم لا في أوان مـغيبهـم ... ولكن أريهم في وجوههم السلخا

ومن لطائفه قوله:

بعث النسيم رسـالـة بقـدومـه ... للروض فهـو بقـربـه فـرحـان

---

(١) الشريعة: مورد الماء الذي يستقى منه - والقانون السماوي - الخائضين: الذين يتحدثون في ما لا يعلمون. أو السابحين.

(٢) النطاع: الأنيق المتأنق.

ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه مضمونها مالت له الأغصان[1]

ومن لطائفه التي سبقه السراج إليها واستعملها ابن تميم أحسن منه:

أراق دمي بسيف اللحظ ظلما وها أثر الدماء بوجنتيه
فلما خاف من طلبي لثأري أدار عذاره زرداً عليه

وقال في غلام وقاد:

لاموا على الوقاد في حبه وحبه باللوم يزداد
لو لم يكن في حسنه كوكباً ما كان أمسى وهو وقاد

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر، فسح الله في أجله، هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم، فقال في وقاد أيضاً:

أحبب بوقاد كنجم طالع أنزلته برضا الغرام فؤادي
وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلي إن ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

بنده الأزرق لما شدَّه من قد سباني
جدول فوق كثيب دار يسقي غصن بان

ومن نكته الغريبة قوله في وكيل بدار القاضي بدمشق المحروسة:

لا تقرب الشرع إذا لم تكن تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العز الذي وجهه على نجاح الأمر أقوى دليل[2]
ولا تمل عنه إلى غيره وحسبنا الله ونعم الوكيل

وعلى ذكر الوكيل رأيت:

لاقى فلان اليوم ما ساءه وأفرغ الصك عليه وكيل[3]
وذاق من كف الوكيل العمى وحسبنا الله ونعم الوكيل

---

(١) الهزار: البلبل.

(٢) العز: العزيز الكريم القوي.

(٣) الصك: الوثيقة التي تثبت ملكية منقولة أو غير منقولة.

ومن لطائفه قوله يصف روضة:

أرض كساها القطر حلة سندس ... رقمت لها طرز من الغدران[1]
وفد النسيم أضاع نشر رياضها ... فالورق تنشده بكل مكان[2]

وكتب إلى كمال الدين بن النجار، وكيل بيت المال بدمشق المحروسة، وهي من نكته المخترعة:

كمال الدين يا مولاي يا من ... يغير لبحر في بذل النوالي
أتيت لحاجة فاغنم ثنائي ... عليك بها وشكري وابتهالي
ولا تجعل سواك لها فإني ... عليك بنجحها وقع اتكالي
أيجمل أن يقول الناس أني ... أتيت لحاجة لم تقضها لي
وأصبح بينهم مثلاً لأني ... أتاني النقص من جهة الكمال

ومن لطائف نكته قوله:

لم أنس قول الورق وهي حبيسة ... والعيش منها قد أقام مقفصا
قد كنت ألبس من غصوني أخضرا ... فلبست منها بعد ذاك مقفصا[3]

وقال فيمن تاب عن شرب الخمر:

تركت شرب الحميا غير مفتكر ... فيها وفي شربها اللذات والطرب
فارجع فقد أسبل الراووق أدمعه ... شوقاً إليك وقلب الكاس يلتهب[4]

فأنشده بعد ذلك وقد وافقه:

إن كان قد أسبل الراووق أدمعه ... شوقاً إليك وقلب الكاس يضطرم
فاليوم أعينه من فرط فرحته ... تفيض دمعاً وثغر الكاس يبتسم

ومن نكته الغريبة قوله فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته:

كم قلت لما فاض غيظاً وقد ... أزيح عن منصبه المعجب
لا تعجبوا إن فار من غيظه ... فالقلب مطبوخ على المنصب[5]

---

(١) رقم الثوب: إذا وشيَ.

(٢) الورق: الحمام.

(٣) مقفصاً: الأولى بمعنى موضوعاً في القفص (سجينا)، والثانية بمعنى: المجمع..

(٤) الراووق: من أوعية الخمر(الباطية).

(٥) فار: استشاط غضباً.

وهذا المعنى ألم به شرف الدين النصيبي واستعمله أرق وأسجم، بقوله:

ولوك إذ علموا بجهلك منصباً | علموا بأنك عن قليل تبرخ[1]
طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا | وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقال يعتذر عن مخدومه في كثرة تجريده له:

لقد لام قوم صاحبي حيث لم يزل | يجردني دون الرفاق تعمدا
رآني حساماً ماضياً فأقامني | مدى الدهر في وجه الأعادي مجردا

ومنه قوله:

مذ قلت للمنثور إن الورد قد | وافى على الأزهار وهو أمير
بسمت ثغور الأقحوان مسرة | بقدومه وتلوّن المنثور

وأحسن منه قوله:

ومذ قلت للمنثور إني مفضِّل | على حسنك الورد المنزه في الشبه
تلوّن من قولي وزاد اصفراره | وفتح كفيه وأوما إلى وجهي

ومثله قوله:

كيف السبيل للشم من أحببته | في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وناضر نرجس | مع أقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا | ترنو إليَّ وثغر هذا يضحك

ومثله قوله:

كيف السبيل لأن أقبل خدّ من | أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومي نحونا | حسداً وتغمزها عيون النرجس

ومنه قوله:

روض الحمى يهوى لقاك وإنه | من فرط شوق لا يزال قرينه
لم يهد نرجسه إليك وإنما | لغرامه أهدى إليك عيونه

---

(١) تبرخ: تبرح.

ومن لطائفه في أغزاله قوله:

قالوا بـدا نبت خديه فخذ بـدلا عنـه فقلت لهم حـاشـاه حـاشـاه
إن لاح في خده نبت فلا عجب الله أنـبتـه والـعـيـن تـرعـاه[1]

وتورية النبت والرعي تلاعب بهـا جماعـة من المتأخـرين بعد ابن تميم، ومن مخترعاته في هذا الباب قوله:

لو كنت حين علوت كور مطيتي لم تعتلقهـا للمـطي عيـون[2]
وتـوسطت بحر السراب حسبتني من فـوقهـا ألفـاً وتحتي نـون

ومن نكته المخترعة قوله:

دعيت فكـان أكلي فخـذ طيـر ولم أشـرب من الصهبـاء نقـطه
ومـا يـومـي كـأمس وذاك أني أكـلـت أوزة وشـربـت بـطه[3]

أخذ الشيخ صلاح الدين الكل مع القافية فقال:

شـوى الأوز فـأضـحـت فـي حـمـرة الـخـد بـسـطه
فـقـلـت تـشـوي أوزاً أم كـنـت تـشـرب بـطه

ومن اختراعاته التي لعب الناس بها بعده:

قـد هـجـرت الـراح حـتـى لـيس لي فـيهـا نـصـيـب
وعـلى الـراووق مـنـي طـول مـا عشـت صـليـب[4]

ومن نكته المخترعة الغريبة قوله يرثي الأمير قطب الدين رحمه الله تعالى:

نأيتم فلا قلبي عن الحزن مقصر عليكم ولا جفني يجف له غرب[5]
وأفـلاك لـذاتي تعـطل سيـرهـا وهل فلك يسري إذا عدم القطب[6]

---

(١) أنبته: صيره رجلًا.
(٢) الكور: للمطية هو الرحل.
(٣) البطة: الباطية ـ والطائر المعروف.
(٤) الراووق: الباطية ـ وعاء للخمرة.
(٥) النأي: البعد والسفر ـ غرْب الجفن: دمعه.
(٦) الأفلاك: السفن ـ عدم القطب: لم يعرف الجهة.

ومن غريب نكته في أغزاله قوله:

شبهت خدك يا حبيبي عندما ... أبدى الجمال به عذاراً أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها ... خطاً دقيقاً بالنضار مشعرا

ومثله في الغرابة قوله:

ولما احتمت عنا الغزالة بالسما ... وعز على قناصها أن ينالها(١)
نصبنا شباك الماء في الأرض حيلة ... عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

ومن لطائف غرامياته:

لا تبعثوا غير الصبا بتحية ... من أرضكم فلها عليّ جميل(٢)
خاضت دموع العاشقين وعرجت ... عنهم إليّ وثوبها مبلول

وهذا المعنى وقفت عليه لغيره، والله أعلم من السابق. ولعمري إن الآخر أجاد بقوله:

وصبا صبت من قاسيون فسكنت ... بهبوبها وصب الفؤاد البالي (٣)
خاضت مياه النيرين عشية ... وأتتك وهي بليلة الأذيال(٤)

ومن لطائفه قوله:

لو لم أعانق من أحب بروضةٍ ... أحداق نرجسها إلينا تنظر
ما شق جيب شقيقها حسداً ولا ... بات النسيم بذيله يتعثر

وتلاعب الناس بعد ابن تميم بهذا المعنى كثيراً. وقال في إهداء مهرة حمراء، وهي من مخترعاته:

أهديت لي يا مالكي مهرة ... جميلة الخلق بوجه جميل
مؤخرها والعنق قد أوقع ... قلب الأعادي في العريض الطويل
قد لبست من شفق حلة ... تخبرنا أن أباها أصيل

---

(١) غزالة السماء: الشمس.
(٢) الصبا: الريح المشرقيه تهب عند استواء الليل.
(٣) قاسيون: جبل يطل على دمشق ـ الوصب: المرض والتعب الشديد.
(٤) النيرين: دجلة والفرات وكوكبين قطبيين والله أعلم.

ومنه قوله، وهو من الاختراعات اللطيفة:

حبيبي وعدت الكاس منك بقبلة		وأعقب ذاك الوعد منك نفار[1]
وما كان هذا لونها غير أنها		علاها لطول الانتظار صفار

ومن هنا أخذ الشيخ بدر الدين بن الصاحب فقال:

يا حابس الكأس لا تزدها		من بعد حبس الدنان حسره[2]
واغنم مزاجاً لها لطيفاً		أورثه الانتظار صفره

ومن نكته الغريبة البديعة قوله:

مما رأت عيني مناطقك التي		أضحت بشعرك دائماً تتعلق
لا تستقر وقد علتها صفرة		ونحول جسم بالصبابة ينطق
أيقنت أن الخصر ضاع نحافة		فلذا تدور جوى عليه وتقلق

ومن هنا أخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

وشاح من أحبته قال لي		وهو الذي في قوله قد صدق
قد ضاع مني الخصر لما انثنى		أما تراني دائراً في قلق

وقال في شخص اسمه عثمان يهدده بالهجو:

توعدت يا عثمان بالهجو شاعراً		سيوليك هجواً عاره ليس ينجلي
فخذها قصيداً قد أتت من محمد		كجلمود صخر حطه السيل من عل

وممن أبدر في أفق التورية ونظم عقود لآلئها بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي، فمن لآلىء عقوده قوله:

صدوا وقد دب العذار بخده		ما ضرهم لو أنهم خبروه
هل ذاك غير نبات خد قد حلا		لكنهم لما حلا هجروه

ومنه قوله:

عرج على الزهر يا نديمي		ومل إلى ظله الظليل
فالروض يلقاك بابتسام		والريح تلقاك بالقبول

---

(1) نفار: هجر.

(2) الدنان: جمع دن وهو وعاء الخمر.

ومنه قوله وأجاد:

وريـاض وقـفـت أشـجـارهـا   وتمشت نسمـة الصبـح إليـهـا
طـالعت أوراقهـا شمس الضحى   بعـد أن وقعت الـورق عليهـا[1]

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي، في كتابه المسمى «بفض الختام عن التورية والاستخدام»[1]، لما وقف على هذين البيتين نكتة التوقيع، هنا، أليق بابن عبد الظاهر، لكن طلع واطلّع عليه البدر، وحفظ سره لما أضاعه ذلك الصدر، ومنه قوله:

وحـديقة مـطلولـة بـاكـرتهـا   والشمس ترشف ريق أزهار الربا[2]
يتكسر الماء الزلال على الحصى   فـإذا جرى بين الـريـاض تشعبـا

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطي فقال من قصيدة:

وكـأن ذاك النهـر فيـه معـصم   بيـد النسيـم منقش ومكتب[3]
فـإذا تكسـر مـاؤه أبـصـرتـه   في الحـال بين ريـاضـه يتشعب

ويعجبني قوله من قصيدة كلها غرر، ولولا خشية الإطالة لأوردتها بكمالها:

وتنبهت ذات الجنـاح بسحـرة   بـالـواديين فنبهـت أشـواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن   يعقـوب والألـحـان عن إسحق
قـامت تـطارحني الغـرام جهـالـة   من دون صحبي بالحمى ورفاقي
أنّى تبـاريني جـوىً وصبـابـةً   وكـآبـةً وأسىً وفيضَ مـآقي[4]
وأنا الذي أملى الجوى من خاطري   وهـي التـي تـملـى مـن الأوراق

ومنه قوله:

هـلم يـا صـاح إلـى روضـة   يجلو بهـا العـاني صـدا همـه
نـسيـمهـا يـعـثـر فـي ذيله   وزهـرهـا يـضحـك في كمـه

ومنه قوله:

أدرْ كـؤوس الـراح في روضـة   قـد نمقت أزهـارهـا السحب

---

(١) الوُرق: جمع ورقاء وهي الحمامة.
(٢) مطلولة: أصابها الطلُّ وهو الندى.
(٣) مُكَتَّب: مجمع أو مخطط.
(٤) مآقي: جمع مؤق وهو مكان خروج الدمع من العين.

الطير فيها شيق مغرم ... وجدول الماء بها صب[1]

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة، وقال في نواعير حماة من طرديته:

ذات النواعير سقات الترب ... وأمهات عصفه والأب
تعلمت نوح الحمام الهتف ... أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب ... وكيف لا والماء فيها صبّ

وقال ابن نباتة في مطلع قصيدة:

دمعي عليك مجانس قلبي ... فارثِ على الحالين للصب

ونكتة الصب تطفل عليها أيضاً الشيخ صلاح الدين الصفدي، ولكن ركبها تركيباً قلقاً فقال:

وحقكم ما حلت عن سنن الوفا ... ولم ينقلب مني إلى سلوة قلب
وما أنا غر بالصبابة والهوى ... فأنكر دمعي إن جرى وأنا صب[2]

ويعجبني قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ من قصيدة:

باكر إلى الروضة تستجلها ... فثغرها في الصبح بسام
والنرجس الغض اعتراه الحيا ... فغض طرفاً فيه أسقام
وبلبل الدوح فصيح على الأيكة والشحرور تمتام[3]
ونسمة الريح على ضعفها ... لها بنا مر وإلمام[4]
فعاطني الصهباء مشمولة ... عذراء فالواشون نوَّام[5]
واكتم أحاديث الهوى بيننا ... ففي خلال الروض نمام

ومن هنا أخذ الجميع، حتى الشيخ صفي الدين الحلي، مع أن التورية غير مذهبه فقال:

---

(١) الشيق: صيغة مبالغة من الشوق، المشتاق ـ صب: كثير الانصباب ـ ومغرم.
(٢) الغر: الجديد الذي لا تجربة لهُ.
(٣) الأيكة: واحدة الأيك وهو الشجر الكثير الملتف ـ تمتام: مغرد.
(٤) الإلمام: المعرفة.
(٥) عاطني: أعطني ـ الصهباء: الخمرة ـ مشمولة: باردة لأنها أصابتها ريح الشمال ـ عذراء: مختومة في دنها لم تفضض ـ الواشون: النمامون السعاة بالشر.

أقول وطرف النرجس الغض شاخص إليَّ وللنمام حولي إلمام[1]
أيا رب حتى في الحدائق أعين عليَّ وحتى في الرياحين نمام[2]

ولكن ما أخل بها الشيخ جمال الدين بن نباتة لئلا يخرج عن مذهبه فقال:

وأهيف ينهب أرواحنا ووجهه كالروض بسام
تنم خداه بقتل الورى فخده ورد وثمام[3]

وأخذها ابن الوردي أيضاً، ولكن زادها نكتة أخرى بقوله:

إن قال صف لي عذارى وصف مبتكر ووجنتي قلت خذ يا صنعة الباري
هذا عذارك نمام ومسكنه نار بخديك والنمام في النار

ومنه قوله:

الروض أحسن ما رأيت إذا تكاثرت الهموم
تحنو عليَّ غصونه ويرق لي فيه النسيم

ومنه قوله:

البرد قد ولَّى فما لك راقدا يا أيها المدَّثر المزمل[4]
أو ما ترى وجه الربيع وحسنه والروض يضحك والحيا يتهلل[5]

ومن لطائف تغزلاته قوله:

حلا نبات الشعر يا عاذلي لما بدا في خده الأحمر
فشاقني ذاك العذار الذي نباته أحلى من السكر

ومثله في اللطف قوله:

شوقي إليك على البعاد تقاصرت عنه خطاي وقصرت أقلامي
واعتلت النسمات فيما بيننا مما أحملها إليك سلامي

---

(١) شاخص: ناظر.
(٢) الأعين: الرقباء.
(٣) الثمام: عشب من الفصيلة النجيلية..
(٤) المدّثر: لابس الدثار وهو الغطاء. المزّمل: الملفف.
(٥) الحيا: المطر سمي به لأنه يبعث الحياة في الأرض ومن بعدها الإنسان والحيوان ـ تهلل المطر: سقط.

ومنه قوله:

تعشقته لدن القوام مهفهفاً | شهي اللمى أحوى المراشف أشنبا[1]
وقالوا بدا حب الشباب بوجهه | فيا حسنه وجهاً إليَّ محببا[2]

وقد تقدم القول أن أبا تمام أوَّل من اخترع هذه النكتة. ومن نكته الغريبة اللطيفة البديعة قوله:

وذي قوام أهيف | بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة | فهل رأيت الظبي قط[3]

وتطفل الناس بعده على هذه النكتة. ومنه قوله:

ويمهجتي المتحملون عشية | والركب بين تلازم وعناق[4]
وحداتهم أخذت حجازاً بعدما | غنت وراء الركب في عشاق

ومن هنا أخذ الناس بعد الشيخ بدر الدين، كقول بعضهم:

قلت مذ غنى حجازا | ليتنا في أصبهان

ومنه قول الشيخ بدر الدين بن لؤلؤ:

لك مبسم عذب اللمى يفتر عن | برد وسلسال الرضاب مرادي[5]
وفم يحاكي الميم إلا أنه | كم حوله عين تحوم كصاد[6]

وهذا المعنى أيضاً تطفل عليه المتأخرون بعد الشيخ بدر الدين، منهم الشيخ جمال الدين بن نباتة، حيث قال:

يا عين آمالي إذا استجمعت | إني إلى مورد لقياك صاد

---

(١) لدن القوام: رشيق القد ـ مهفهفاً: نحيف الخصر ضامر البطن ـ اللمى: سمرة في الشفاه ـ أحوى المراشف: ألمى الشفاه ـ الأشنب: رقيق الأسنان أبيضها.
(٢) حب الشباب: بثور تخرج في وجه الشاب في سن معينه وتكون دليلاً على بلوغه مبلغ الرجال.
(٣) يقط: يسوي.
(٤) المتحملون: المسافرون ـ تلازم: تلاصق.
(٥) السلسال: العذب ـ الرضاب: الريق.
(٦) كصادِ: الحرف الهجائي المعروف والعطشان.

ويعجبني قوله من قصيدة ورّى في بيتها الأوّل باسمه فقال:

قد أنحلتني الغوادي غير راحمة ومحقتني الليالي بعد إبدار[1]
فكم أواري غراماً من جوى وأسى زناده تحت أثناء الحشا واري
جيراننا كنتم بالرقمتين فمذ بعدتم صار دمعي بعدكم جاري

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال:

بروحي جيرة أبقوا دموعي وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كأنا للمجاورة اقتسمنا فقلبي جارهم والدمع جاري

وما أحلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة، في الخمرة، ولم يخرج عما نحن فيه من التورية، فقال:

سارت لتقتص من قوم فما ربحت في حث كأس على الأوتار دوّار[2]
فالقوم من بعد قتلاها وما ظلمت وإنما أخذت منهم بأوتار

ومن هنا أخذ القاضي أمين الدين الحمصي وكان كاتب السرّ الشريف بالشام المحروس، فقال:

وقوس حاجبه يصمي[3] كأنّ له مطالبات على قلبي بأوتار

ويطربني قوله من قصيدة:

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فأتبعته قلباً مطيعاً على الغضى وخليت لي جفناً على السفح أطوعا[4]

ومن لطائفه الغريبة:

رفقاً بصب مغرم أبليته صداً وهجراً
وافاك سائل دمعه فرددته في الحال نهرا[5]

هذا النهر ورد منه المتأخرون قاطبة، ولولا طول الشرح لذكرت ذلك، ومن لطائفه قوله:

---

(١) الغوادي: جمع غادة وهي الحسناء ـ محقتني: جعلتني في المحاق، بلا ضوء.
(٢) اقتص: قاصص ثأراً وثأرَ ـ الأوتار: في الإنسان العروق والشرايين.
(٣) يصمي: يصيب ويردي.
(٤) الغضى: الرغم وشجر.
(٥) وافى المكان: وصل إليه.

يـا عــاذلــي فـيـه قـل لـي إذا بـدا كـيـف أسـلو
يـمـرّ بـي كـل وقـت وكـلـمـا مـر يـحـلو

ومن لطائف اتفاقه ونكته الغريبة قوله في نجم الدين بن إسرائيل، وقد هويَ مليحاً يلقب بالجارح:

قـلـبـك الـيـوم طـائـر عـنـك أم فـي الـجـوانـح
كـيف تـرجّـي خـلاصـه وهـو فـي كـف جـارح

وكتب إليه وقد بلغه أنه سلا عن معشوقه المذكور:

خلصت طائر قلبك العاني ترى من جارح يغدو به ويروح[1]
ولقد يسر خلاصه إن كنت قد خلصته منه وفيه روح

ومن مخترعاته الغريبة قوله في الخمرة:

أبدى الحباب لها خطاً فأحسن ما قد كان حرر من ميم ومن هاء[2]
قديمة ذاتها في روض جنتها كانت وكان لها عرش على الماء

ومن هنا أخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس فقال من قصيدة السرحة:

فاستمهدت دوحها المخضل وافترشت نجم الربا ورقت عرشاً على الماء[3]

ولكن لم يساعده في لفظة العرش اشتراك تورية بالنسبة إلى الشيخ بدر الدين فإن نسبة العروش إلى الكرم معروفة. ومنه قوله في مليح نجار:

بروحي نجار حكى الغصن قدّه رشيق التثني أحور الطرف وسنان[4]
يميل على الأعواد قطعاً بما جنت وما سرقت من قدّه وهي أغصان

ومن هنا أخذ جميع الناس وقال من قال:

قد لمت ذا الأهيف النجار وهو على الأشجار يقطع في أغصان خلاف[5]
فقال لي عندها ثار تُحدُّ به لأنها سرقت من لين أعطافي[6]

(١) العاني: الخاضع الذليل الأسير.
(٢) الحباب: الفقاقيع التي تعلو وجه السائل عند صبه.
(٣) استمهدت: اتخذت منه مهداً.
(٤) حكى: شابَهَ ـ رشيق التثني: خفيف الحركات ـ وسنان: ذابل الطرف كأنه نعسان.
(٥) الخلاف: شجر الصفصاف.
(٦) تُحدّ: تعاقب: والحدود قصاصات معلومة فرضها الله تعالى مثل: حد السرقه وحد الزنى..

ومن أحيا ما درس من رسوم التورية القاضي محيي الدين بن قرناص الحموي، تغمده الله برحمته. فمن نكته اللطيفة قوله:

سقيا له روضاً قدود غصونه ... تختال في الأبراد من أوراقها[1]
جنت به ورق الحمام صبابة ... أو ما ترى الأغلال في أعناقها

ومن لطائف قوله:

مال القضيب بروضة من سكره ... لما سقاه عقاره أدرار[2]
حتى إذا سرق النسيم دراهما ... من كمه صاحت به الأطيار

ومثله قوله:

مذ أتينا نبغي زيارة دوح ... قد حبانا بالجود والإكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثماراً ... أخرجتها لنا من الأكمام

ومثله قوله، وتلطف ما شاء في جمعه بين الاستعارة البديعة والتورية:

قد أتينا الرياض حين تجلت ... وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما ... سقطت من أنامل الأغصان

ومنه قوله:

ورب نهر له عيون ... تحار في وصفه العيون
لما غدا الريق منه عذباً ... مالت إلى رشفه الغصون

ومنه قوله:

أيا حسنها روضة قد غدا ... جنوني فنوناً بأفنانها[3]
أتى الماء فيها على رأسه ... لتقبيل أقدام أغصانها

ومنه قوله:

تثنى الغصن إعراضاً وعجباً ... على نهر يذوب أسى عليه
فرق له النسيم وجاء يسعى ... ملاطفة وميّله إليه

(١) الأبراد: جمع برد وهو الثوب الموشى.
(٢) العقار: الخمرة سميت به من المعاقرة.
(٣) الأفنان: جمع فنن وهو الغصن.

ومنه قوله وتلطف ما شاء:

ويـوم قـد قـطعـنـاه بـروض ... يضـاحـك زهـره شمس النهـار
فكـأن نهـارنـا طـلق المحيـا ... صبيـح الـوجـه مخضـر العـذاب

ومنه قوله:

أنعم فـإن الـدوح يـا مـالكي ... حمـل من أجلك ما لا يـطيق
يـرقبـك الـطيـر عـلى وكـره ... وأعين الأزهـار نحـو الـطريق[١]

وهذا المعنى أخذه الصاحب فخر الدين بن مكانس وزناً وقافية فقال:

والنـرجس الغض غـدا شـاخصـاً ... فـلا يخـلي عـيـنـه لـلطريـق

ومنه قوله، وتلطف ما شاء:

لـو كنت إذ نـادمت من أحبتـه ... فـي روضـة أطيـارهـا تـتـرنم
لـرأيت نـرجسهـا يغض جفـونـه ... عـنـا وثغـر أقـاحـهـا يتبسم

ومنه قوله في معذر:

ووجنة قد غدت كالـورد حمرتها ... وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كـأن مـوسى كليم الله أقبسهـا ... نـاراً وجرَّ عليها ذيله الخضـر[٢]

وهذا المعنى استعمله بعضهم في شجرة نارنج[٣] فقال ولكن لم أعلم المخترع من هو:

نـارنجة بـرزت في منـظر عجب ... زبـرجد ونضـار صاغـه المـطر[٤]
كـأن مـوسى كليم الله أقبسهـا ... نـاراً وجـرَّ عليهـا ذيلة الخضـر

ومنه قوله:

وروض قـد أتـت فيـه معـان ... يـطيب بـه الـنـدامـى والمـدام
يـسـامـره النسيـم إذا تـغـنـت ... حمـائمـه ويسقيـه الـغـمـام

---

(١) الوكر: للطير كالبيت للإنسان.
(٢) أقبس النار: أضرمها بقبس.
(٣) النارنج: شجر مثمر يصنع من زهره ماء الزهر. ومن قشرة الثمرة دواء أو مربيات.
(٤) الزبرجد: أحجار كريمه منوعة، أشهرها الأخضر.

ومنه قوله:

روضـة من قـرقف أنهـارهـا ... وغناء الـورق فيهـا بـارتفـاع[1]
لا تـلم أغصـانـهـا إن رقصت ... فهي مـا بين شـراب وسمـاع

ومن لطائفه في أغزاله قوله:

هـويت فـي مـكـتـب غـلامـاً ... قـلبي بـهـجـرانـه جـريـح
أهـيـف أضـحـى قـبـيـح خط ... وإنـمـا شـكـلـه مـلـيـح

ومنه قوله في مليح مؤذن:

ومؤذنٍ أضحى كـريمـاً وجهـه ... لكنـه بـالـوصـل أي شحيـح
أبـداً أمـوت بـهجـره لـكنـني ... من بعـد ذاك أعيش بـالتسبيـح

ومنه قوله:

قـبـلت خط عـذاره لـمـا بـدا ... وهصـرت لين قـوامه الميـاس[2]
وطلبت لي من خده المحمرّ مـا ... يشفي قواي فجاءني بالآس (ي)

وهذه النكتة توارد هو وشمس الدين محمد بن العفيف عليها فقال:

من يعطف نحوي قلب هذا القاسي ... كم أذكره وهو لعهـدي نـاسي
أشكـو سقمي لعارضيـه وكـذا ... يشكو دنف سقامه للآسي (س)[3]

وتطفل عليها بعدهما الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال:

كـم جـرح القـلب منـه جـفـن ... كـالسيف في صحـة القيـاس
وطـب آس الـعـذار جـرحـي ... فـصـح أن الـطيـب آسـي

وابتذل المتأخرون بعدهم حجابها، ونظمتها أنا ولكن زدتها نكتة أخرى من جنسها فترشحت وازدادت حسناً، وهي قولي:

مـذ جفـاني ممـرض القلب ولم ... ألق للضعف وللكسـر انجبـارا
قـلت لـلعـارض يـا آسـي إذا ... درت داري مرض القلب فداري

---

(١) القرقف: الخمرة ـ الورق: الحمائم.
(٢) هصر: حذب وعطف به نحوه ـ المياس: المتمايل.
(٣) دنف السقام: شدتها حتى يبدو السقيم وكأنه سكران.

ومن لطائفه في أغزاله قوله:

إن الذين ترحلوا نزلوا بعين ناظره
أنزلتهم في مقلتي فإذا هم بالساهره

وهذه النكتة أيضاً ابنذل المتأخرون حجابها كثيراً. ومن ظرافات شمس الدين محمد ابن العفيف المشهور بالشاب الظريف قوله:

إذا حاولت حل البند قالت معاطفه حمانا لا يحل
وإن جليت بوجنته مدام يرى لعذاره دور ونزل[1]

وسبك أيضاً، تورية الدور في قالب آخر، وجاء في غاية اللطف والغرابة بقوله:

لحاظك أسياف ذكور فما لها كما زعموا مثل الأرامل تغزل
وما بال برهان العذار مسلماً ويلزمه دور وفيه تسلسل

ومنه قوله فيما يكتب على كاس وأجاد:

أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل أجود بنفسي للندامى وأنفاسي
وأكسو أكف الشرب ثوباً مذهباً فمن أجل هذا لقبوني بالكاس (ي)

ومن هنا أخذ الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة وقال مضمناً:

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي وحظيت بعد الهجر بالإيناس
وكسا العذار الخد حسناً فاسقني واجعل حديثك كله في الكاس (ي)

ويعجبني قوله وقد أهدى مجموعاً:

يا أيها الصدر الذي وجه العلا منه يزان بمنظر مطبوع
لا تعتقد قلبي يحبك وحده ها قد بعثت لسيدي مجموعي

ونكتة المجموع استعملها الشيخ جمال الدين وغيره. ومن نكته البديعة التي لم يسبق إليها قوله:

كان ما كان وزالا فاطرح قيلاً وقالا
أيها المعرض عنا حسبك الله تعالى

---

(١) نزلٌ: مساكن، ونزول نحو الأسفل ـ ودور ـ دوائر، ومنازل.

وهذه أخذها صاحبنا المرحوم مجد الدين بن مكانس بنصها، فقال من قصيدة:

يا غصناً في الرياض مالا ... حملتني في هواك مالا
يا رائحاً بعد ما سباني ... حسبك رب السما تعالى

ومن لطائفه في مليح رسام قوله:

قلت لرسامكم ... بك الفؤاد مغرم
قال متى أذيبه ... فقلت حين ترسم

ومن لطائفه واختراعاته قوله:

قامت حروب الزهر ما ... بين الرياض السندسية
وأتت بأجمعها لتغزو ... روضة الورد الجنية[1]
لكنها انكسرت لأن الور ... د شوكته قويه

ومن لطائفه أيضاً قوله:

يا ساكناً قلبي المعنى ... وليس فيه سواك ثاني
لأي معنى كسرت قلبي ... وما التقى فيه ساكنان[2]

ومن لطائفه أيضاً قوله:

إني لأشكو في الهوى ... ما راح يفعل خده
ما كان يدري ما الجفا ... لكن تفتح ورده

ومن هنا أخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي، فقال، ولكن زاده نكتة:

أقول له ما كان خدك هكذا ... ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجا
فمن أين هذا الحسن والظرف قال ... لي تفتح وردي والعذار تخرجا[3]

ومن نكته البديعة قوله:

قد تعشقت خلافي ... ولي فيه معاني
كلما جادلني العا ... ذل فيه ولحاني
جئته من عارضيه ... بدليل الدوران

(١) الجنية: الناضجة.

(٢) ساكنان: المقيمان ـ وفي اللغة حرفان مسكنان بسكون.

(٣) تخرجا: صار كالخرج وهو نوع من الوشي يوضع في طرف الثوب. ويقصد أنه تخلله الشيب.

ومن اختراعاته اللطيفة قوله في مليح خيالي:

خيـالـيّ أخـاف الـهجـر منـه ... ولست أراه يـرغب في وصـالي
وكنت عهـدتني قـدمـاً شجاعـاً ... فمـا لي صرت أفـزع من خيالي

وقال في زهر اللوز:

تبسم ثغـر اللوز عن طيب نشره ... وأقبل في حسن يجل عن الوصف
هلمـوا إليـه بين قـصف ولـذة ... فإن غصون الزهر تصلح للقصف(1)

ومثله قوله:

تمشي بصحن الجامع الشادن الذي ... على قده أغصان بـان النقا تثني
فقلت وقـد لاحت عليـه حـلاوة ... ألا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن(2)

وقال:

يـا ذا الـذي نـام عن غـرامي ... ونبـه الـوجـد والـجـوى لي
جـفـنـي جـرى طيـه دمـوع ... شـوقـاً إلى وجهـك الـهـلالي

ومن اختراعاته الغريبة قوله:

عبتم على المحبوب حمرة شعره ... وأظنكم بـدليله لم تـشعـروا
لا تنكـروا مـا احمر منه فإنـه ... بـدمـاء أربـاب القلوب مضفر(3)

وقال في مليح زجاج:

قـولـوا لـزجـاجكم ذا الـذي ... لـه محيـا بـالـسنـا يسفـر
إن كنت في الصنعـة ذا خبـرة ... وكـان معـروفـك لا ينـكـر
فـمـا لأحـداقـك أقـداحهـا ... في صحـة من حسنهـا تكسـر

وقال أيضاً:

كلف الفؤاد بـظبيـة عـجـانـة ... مـا كنت يومـاً آمناً من هجـرهـا
عجنت فؤادي بـالغـرام فمـاؤهـا ... من أدمعي ودقيقهـا من خصرهـا

---

(1) القصف: اللهو واللعب والافتتان في الطعام والشراب.
(2) صحن الدار: ساحتها.
(3) مضفر: صبغت ضفائر شعره.

وهذا المعنى تلاعب به الجماعة بعد ابن العفيف، ولكن ما برح دقيقة خاصاً. وقال في ذم الحشيش وأجاد:

ما للحشيشة فضل عند آكلها ... لكنه غير مصروف إلى رشده
صفراء في وجهه خضراء في فمه ... حمراء في عينه سوداء في جسده

وقال في مليح أصيبت عينه:

كان بعينين فلما طغى ... بسحره ردَّ إلى عين
وذاك من لطف بعشاقه ... ما يضرب الله بسيفين

وتورية السيف تناولها الجماعة بعد ابن العفيف، ولولا خشية الإطالة لذكرت غالبها، وقال في مليح بدوي:

بدوي كم جدلت مقلتاه ... عاشقاً في مقاتل الفرسان[1]
ذو محيا يصيح يا لهلال ... ولحاظ تقول يا لسنان[2]

وقال في مليح جرح بسكين:

لم تجرح السكين كف معذبي ... إلا لمعنى في الغرام يحقق
هي مثل ما قد قيل جارحة له ... ولكلِّ جارحة إليه تشوّق[3]

وقال في مليح مؤذن بالجامع الأموي:

فديت مؤذناً تصبو إليه ... بجامع جلق منا النفوس
يطير النسر من شوق إليه ... وتهوى أن تعانقه العروس

هذان البيتان توارد على نكتتهما شمس الدين بن العفيف والشيخ جمال الدين بن نباتة، ورأيتهما في ديوانه، والبيت الأول بنصه والبيت الثاني فيه بعض تغيير وهو:

لقد زف الزمان لنا مليحاً ... تكاد بأن تعانقه العروس

وقال في مليح منير:

منير وجدي به ... أكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتي ... وقد غدا ينير

(١) جغوجندل: الفارس رماه أرضاً وقتله.
(٢) هلال وسنان: بالإضافة إلى معنييهما المتداولين فهما إسما قبيلتين.
(٣) الجارحة: العضو العامل من أعضاء الجسد.

وقال أيضاً يصف بساطاً:

بساط يملأ الأحداق حسناً ... ويهدي للقلوب به سرورا
ويشرح حين يبسط كل صدر ... وخير البسط ما يرضي الصدورا

وقال [من] دو بيت:

الصب بحبكم عراه الوله ... في طوع هواكم عصى عذله[1]
إيضاح غرامه غدا تكملة ... إذ كان مفصل الهوى مجمله[2]

وقال أيضاً:

أفدي عرباً بوادي الجزع ... يا وحشة ناظري لهم في الربع
لما بحثوا عندي في فرقتنا ... أنشأت لهم مسائلاً من دمعي

ومنه قوله:

يقول وقد رنا عن لحظ ظبي ... وهز الغصن في ورق الغلائل
أأقتلكم بطرفي أم بعطفي ... فقلت بما تشا فالكل ذابل[3]

وهذه النكتة أخذها الشيخ جمال الدين بقافيتها وقال:

له معطف لدن القوام ومرشف ... رقيق على التقبيل فالكل ذابل

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي، في كتابه الذي جمعه من إملاء الشيخ أثير الدين أبي حيان، وسماه «مجاني الهصر من أدب أهل العصر»: أنشدني الشيخ أثير الدين، قال: أنشدني شمس الدين محمد بن العفيف في مليح طباخ:

رب طباخ مليح ... فاتر الطرف غرير[4]
مالكي أصبح لكن ... شغلوه بالقدور[5]

قال الشيخ صلاح الدين: وأنشدني الشيخ أثير الدين، قال: أنشدني شمس الدين محمد ابن العفيف لنفسه:

---

(١) الوَلَهُ: ذهاب العقل لشدة الحزن.

(٢) المفصل والمجمل: من آيات القرآن الكريم واضحه وغامضه.

(٣) العِطف: الجانب.

(٤) الغرير: المغرور والذي لا تجربة له.

(٥) مالكي نسبة إلى الإمام مالك ـ القدور: الجبر، نظرية بعض الفرق الإسلامية التي لا تؤمن بالاختيار.

لـيس خـلـيـلاً لـي ولـكـنـه		يضرم في الأحشاء نار الخليل[1]
يـا ردفـه جـرت على خصـره		رفقـاً بـه مـا أنتم إلا ثقيـل[2]

وهذه النكتة تلاعب بها غالب المتأخرين بعد ابن العفيف. ومن لطائفه قوله وقد احتجب بعض أصحابه عنه:

ولقد أتيت إلى جنابك قاضياً		بـاللثم للعتبات بعض الـواجب
وأتيت أقصـد زورة أحيـا بـهـا		فرددت يا عيني هناك بحاجب[3].

هذه النكتة أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة غفر الله له بقافيتها فقال:

حجبتني فـازددت عنـدي عـلا		بـرغـم من أقبـل كـالعـاتـب
وقـلت لا أعـدم مـن سـيـدي		من كـان عيني فغـدا حـاجبي

وألم الشيخ زين الدين بن الوردي بهذه النكتة، ولكن سبكها في غير هذا القالب بقوله:

زرتـكـم صـحـبـة وودا		ألـفـيـتـكـم مـغـلـقـيـن بـابـا
سـعـيـي إلـى بـابـكـم جـنـون		عـلـيـه أسـتـأهـل الـحـجـابـا

ومن لطائفه في أغزاله قوله:

وكم يدَّعي صوناً وهذي جفونه		بفتـرتهـا للعـاشـقيـن يـواعـد
وكم يتجـافى خصره وهـو ناحـل		وكم يتحـالى ريقـه وهـو بـارد

ومن هنا أخذ الشيخ صفي الدين الحلي وليته ما قال:

وما فيه شيء ناقص غير خصـره		ومـا فيـه شيء بـارد غيـر ريقـه

ومنه قوله:

أيسعـدني يا طلعـة البدر طـالـع		ومن شقـوتي خط بخـدك نـازل
ولـو أن قسا واصف منـك وجنة		لأعجـزه نبت بها وهـو بـاقـل[4]

---

(١) الخليل: الصديق الملازم وابراهيم خليل الرحمٰن ﷺ.

(٢) الردف: العجز والمؤخرة.

(٣) الزورة: الزيارة ـ الحاجب: ما يعلو العين من الشعر والخادم الذي يحجب الحاكم عن الناس.

(٤) باقل: مثمر قرونا تشبه الباقلاء، وباقل الذي يضرب المثل به في العي وقس: هو ابن ساعدة الإيادي، خطيب مفوه.

الذي يظهر لي أن النكتة في باقل من اختراعات ابن العفيف، فإني لم أجد أحداً ممن تقدَّمه ألمَّ بها، ولكن ما صبر الشيخ جمال الدين عنها لحسنها فقال من قصيدة ضمناً:

تطاولت الأغصان تحكي قوامه | وعند التناهي يقصر المتطاول
وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره | وعير قسا بالفهاهة باقل[1]

وكذلك الشيخ زين الدين بن الوردي، ما صبر عنها حتى قال:

وبي أغيد من حسنه البدر خائف | على نفسه والنجم في الغرب مائل
فلو رام قس وصف باقل خدّه | لعير قساً بالفهاهة باقل

ومن لطائف قوله:

يا خاله خضرة بعارضه | حرستها عن متيم مغرى
كف عن العاشقين مقتصراً | هل أنت إلا حويرس الخضرا[2]

ومن نكته اللطيفة قوله:

زار وجيب الظلام منسدل | فانشق ثوب الدجى عن الفجر
وبت من صدغه ومبسمه | أجمع بين الحشيش والخمر

هذه النكتة أخذها الشيخ زين الدين بمعناها وقال:

ومليح قال جهراً | يا نفوس الناس عيشي
من رضابي وعذاري | بين خمر وحشيش

ومن لطائف نكت ابن العفيف قوله:

وأتى بوجه كالهلال مركب | من قامة غصنية هيفاء
وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت | وكذا الجنون يكون عن سوداء[3]

---

(١) الفهاهة: العيّ.

(٢) حويرس: تصغير حارس، للتحقير.

(٣) رنا: نظر بعطف ـ السوداء: مرض عصبي يصيب الإنسان نتيجة خلل في إفراز أحد الأخلاط الأربعة التي بها قيام الجسم وهي: الصفراء، الدم، البلغم والسوداء.

ومن لطائف اختراعاته قوله:

بدا وجهه من فوق أسمر قده | وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى | وقد طلعت شمس النهار على رمح

ومنه قوله والنكتة غريبة وبديعة:

أسكرني باللفظ والمقلة الـ | ـكحلاء والوجنة والكاس
ساقٍ يريني قلبه قسوة | وكل ساق قلبه قاس (ي)

ومن لطائفه أيضاً قوله:

يا باعثاً شعره انتشارا | بقامة ما لها نظير
الموت من ناظريك لكن | من شعرك البعث والنشور[1]

ومن لطائفه قوله في مليح اسمه مالك:

مالك قد أحل قتلي برمح الـ | ـقد منه وراح قلبي طعينه
ليس يفتي سواه في قتل صب | كيف يفتى ومالك بالمدينه[2]

ومنه قوله مع حسن التضمين:

جلا ثغراً وأطلع لي ثنايا | يسوق بها المحب إلى المنايا
وأنشد ثغره يبغي افتخاراً | أنا ابن جلا وطلاع الثنايا[3]

ومن لطائفه قوله:

بأبي شادن غدا الوجه منه | يخجل النيرين في الإشراق[4]
سلب القضب لينها فهي غيظى | واقفات تشكوه بالأوراق

---

(١) البعث: إعادة الإحياء ـ النشور: القيام من الموت.

(٢) كيف . يفتى ومالك في المدينة: أي لا يفتى ومالك في المدينة ومالك هو الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي.

(٣) أنا ابن جلا: واضح النسب، وطلّاع؛ صيغة مبالغة من طلع والثنايا: الطرق الجبلية، وطلّاع الثنايا: الذي يتحمل الصعاب. وهذا القول هو للحجاج بن يوسف الثقفي من خطبة في أهل العراق يوم تولى أمره.

(٤) النيرين: الشمس والقمر.

البيت الثاني بلفظه، ومعناه تقدم لابن عبد الظاهر، والله أعلم أيهما السابق. وابتذل حجاب هذه النكتة بعد ذلك المتأخرون، منهم الشيخ زين الدين بن الوردي بقوله:

قـدّه جـار اعـتـدالا ... فـله فـتـك ونـسـك
سلب الأغصان لينـاً ... فهي بالأوراق تشكو

ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

ومستتر من سنا وجهه ... بشمس لها ذلك الصدغ في
كوى القلب مني بلام العذار ... فعرفني أنها لام كي[٥]

ومن لطائفه قوله:

كأنني واللواحي في محبته ... في يوم صفين قد قمنا بصفين
وكيف يطلب صلحاً أو موافقة ... ولحظه بيننا يسعى بسيفين

ومن نكته التي تطفل الناس بعده عليها قوله:

بأبي أفدي حبيباً ... تيم القلب غراما
عذر العاذل فيه ... مذ رأى العارض لاما

وقال:

لو لم تكن ابنة العنقود في فمه ... ما كان في خدّه القاني أبو لهب[٦]
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته ... حمالة الورد لا حمالة الحطب[٧]

أخذه ابن نباتة وقال:

حمالة الحلى والديباج قامته ... تبت غصون النقا حمالة الحطب

قلت ورد ابن العفيف أغلى من ديباج ابن نباتة، من حيث المناسبة الأدبية، والله أعلم. وهذه النكتة أيضاً أغار عليها المعمار بقوله:

تعرض البدر يحكي حسن صورته ... فراح منكسفاً وانشق بالغضب
وبانة الجزع ماست مثل قامته ... تبت وقد أصبحت حمالة الحطب

---

(١) لام العذار: أطال سالفه وجعله بشكل حرف اللام، ولام كي في النحو هي التي تنصب الفعل المضارع.

(٢) ابنة العنقود: الخمرة ـ أبو لهب هو عم النبي محمد الذي خالف دعوته وحاربه.

(٣) تبّ: انقطع وخسر ـ وحمالة الحطب: زوجة أبي لهب.

ومن أحسن المباشرة في نظم التورية سيف الدين بن المشد. فمن نكته البديعة الغريبة قوله:

مسكيـة الأنفـاس تملي الصَّبـا ... عنهـا حـديثـاً قط لم يمـلل
جننت لمـا أن سـرى عـرفهـا ... ومـا نـرى من جن بـالمندل[1]

ومن لطائفه قوله:

ومجلس راق مـر واش يكـدره ... ومـن رقيـب لـه بـاللوم إيـلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس به ... على الندامى سوى الريحان نمام

هذه النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبي، وذكرت من أغار عليها من الجماعة، ولكن الأمير سيف الدين زادها نكتة أخرى بديعة، واستعملها أحسن من الجماعة، ومن لطائفه قوله:

وشـادن أورد فـي هـجـره ... لهيـب حـر الشـوق والـفـرقـه
أصـبحـت حـران إلـى ريـقـه ... فـليت لـي مـن قـلبـه رقـه[2]

هذه النكتة نظمتها في مبادي العمر، ولم أقف على قول ابن المشد، إلا بالديار المصرية في الأيام المؤيدية فقلت:

أرشـفـنـي ريقـه وعـانـقـنـي ... وخـصـره يلتـوي مـن الـدقـة
فـبت مـن خـصـره وريـقـتـه ... أهـيـم بـيـن الـفـرات والـرقـه

ومن لطائفه قوله:

في يـوم غيم من لـذاذة جـوِّه ... غنى الحمـام وطـابـت الأنـداء
والـروض بين تكبـر وتـواضـع ... شمـخ القضيب بـه وخـر المـاء

ومن لطائفه أيضاً قوله:

أذن الـقـمـري فـيـهـا ... عنـد تهـويم النجـوم[3]
فـانثنى الغصن يـصلي ... بـتـحـيـات الـنـسـيـم

---

(١) العرف: الرائحة الطيبة، الشذا.
(٢) حران: ظمآن.
(٣) القمري: حمام مطوق حسن الصوت ـ التهويم: النوم الخفيف، وتهويم النجوم إختفاؤها.

ومن لطائفه قوله:

لئن صرفت وحاشا ... ك فالدنانير تصرف
وما اعتقلت كريماً ... إلا وأنت مثقف

ومن لطائفه قوله:

الحمد لله في حلي ومرتحلي ... على الذي نلت من علمي ومن عملي
بالأمس كنت إلى الديوان منتسباً ... واليوم أصبحت والديوان ينسب لي

ومن لطائفه قوله:

لعبت بالشطرنج مع شادن ... رشاقة الأغصان من قدّه[1]
أحل عقد البند من خصره ... وألثم الشامات من خدّه

تورية الشامات رخصها المتأخرون بعد سيف الدين بن المشد. وممن أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال:

أفديه لاعب شطرنج قد اجتمعت ... في شكله من معاني الحسن أشتات[2]
عيناه منصوبة للقلب غالبة ... والخد فيه لقتل النفس شامات

انتهى ما تخيرته ووعدت بإيراده في باب التورية. من كلام هذه العصابة، التي مشت تحت العصائب الفاضلية، وصار لها من بعده في نظم التورية أعظم روية، وقدمت إمامهم الذي صلت الجماعة خلفه، وهو القاضي الفاضل وبعده القاضي السعيد ابن سنا الملك، والشيخ سراج الدين الوراق، وأبو الحسين الجزار، ونصير الدين الحمامي، وناصر الدين حسن بن النقيب، والحكيم شمس الدين بن دانيال، والقاضي محيي الدين ابن‌عبد الظاهر، وهذه [هي] الفرقة التي تقدمت بعد الفاضل بالديار المصرية. وأما الفرقة الشامية فإمام جماعتها الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري، شيخ شيوخ حماة، وبعده مجير الدين بن تميم، وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي، ومحيي الدين بن قرناص الحموي، وشمس الدين بن العفيف، وسيف الدين بن المشد.

ولكن عجبت من الشيخ صلاح الدين الصفدي كيف أخل في كتابه المسمى «بفض الختام عن التورية والاستخدام» بذكر الشيخ علاء الدين علي بن المظفر الكندي الشهير بالوداعي، وهو أشهر من قفا نبك، في نظم التورية، بل هو امرؤ قيسها وكنديها، وإذا

---

(١) الشادن: الغزال.

(٢) أشتات: متفرقات.

ذكر شرف نسبها فإنه علويّها، وانتقل من حلب إلى دمشق المحروسة، وعاصر الجماعة المذكورين، ومولده سنة أربعين وستمائة، ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة، فكانت مدة حياته ستاً وسبعين سنة. ومولد السراج الوراق سنة خمس عشرة وستمائة، ووفاته سنة خمس وتسعين وستمائة، فكانت مدة حياته ثمانين سنة. ومولد أبي الحسين الجزار سنة إحدى وستمائة، ووفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة، فمدة حياته إحدى وسبعون سنة. ووفاة نصير الدين الحمامي لسنة اثنتي عشرة وسبعمائة. ووفاة ناصر الدين بن النقيب سنة سبع وثمانين وستمائة. ووفاة الحكيم بن دانيال سنة عشرة وسبعمائة. ومولد محيي الدين ابن عبد الظاهر سنة عشرين وستمائة، ووفاته سنة اثنتين وتسعين وستمائة، فمدة حياته اثنتان وسبعون سنة. ومولد شيخ الشيوخ الأنصاري سنة ست وثمانين وخمسمائة، ووفاته سنة إحدى وستين وستمائة، فمدة حياته خمس وسبعون سنة. ووفاة مجير الدين بن تميم سنة إحدى وثمانين وستمائة. ووفاة بدر الدين يوسف الذهبي سنة ثمانين وستمائة. ومولد شمس الدين بن العفيف سنة اثنتين وستين وستمائة، ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة، فمدة حياته خمس وعشرون سنة. ومولد سيف الدين بن المشد سنة اثنتين وستمائة، ووفاته سنة خمس وخمسين وستمائة. فمدة حياته ثلاث وخمسون سنة. وجل القصد من ذلك، تحقيق الواقف على هذا الشرح، إن علاء الدين الوداعي عاصر الجماعة أو غالبهم، وقد تقدم قولي في باب التوجيه، إن الشيخ علاء الدين الوداعي سبك التورية في قوالب لم يسبقه أحد من هذه الجماعة إليها، ولا سقط فكره عليها.

ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة، وهو الذي مشت ملوك الأدب قاطبة، بعد الفاضل، تحت أعلامه، تطفل على موائد نكت الوداعي ومعانيه، وعلى الأنواع الغريبة من تواريه. وأوردت هناك من هذا القدر نبذة، ولكن تعين إيرادها هنا كاملة لأنها حق من حقوق التورية، وصل في تقدمه إلى غير مستحقه بحيث أن الطالب، إذا أراد أن يفرد هذا النوع، أعني التورية، كان بإفراده فريداً، وعقداً نضيداً. وكلما أوردته من أنواع التورية في غير بابه، عزمت على نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب بأقاربه وأنسابه، وقد عنَّ لي أنني إذا فرغت من هذا الشرح أن أفرد باباً للتورية والاستخدام، وأجعلهما مصنفاً مفرداً، وأسميه: كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، فإن الشيخ صلاح الدين الصفدي، في كتابه، لم يشف القلوب بترتيبه، ولا تفقه في بديعه وغريبه.

فمن موائد الوداعي التي تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة عليها قوله من قصيدة:

أثخنت عينها الجراح ولا إثـ ... ـم عليها لأنها نعساء
زاد في عشقها جنوني فقالوا ... ما بهذا فقلت بي سوداء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة، فقال من مطلع قصيدة:

قام يرنو بمقلة كحلاء   علمتني الجنون بالسوداء

والشيخ جمال الدين بن نباتة أدرك الوداعي وهو في عنفوان شبابه، ولمعان سيوف آدابه، وقد تقدم مولد الوداعي ووفاته، ومولد الشيخ جمال الدين سنة ست وثمانين وستمائة، وتوفي سنة ثمان وستين وسبعمائة، فمدَّة حياته اثنتان وثمانون سنة. وعلى هذا كان سن الشيخ جمال الدين ابن نباتة عند وفاة الوداعي ثلاثين سنة والله أعلم. ومما نعطف به على ما تقدم قول الوداعي:

إذا رأيت عارضاً مسلسلاً   في وجنة كجنة يا عاذلي[1]
فاعلم يقيناً أنني من أمّة   تقاد للجنة بالسلاسل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة، وزناً وقافية، وقال:

أفدي الذي ساق إليها مهجتي   فرع طويل تحت حسن طائل
قلبي بصدغيها إلى طلعتها   يقاد للجنة بالسلاسل

ومن ذلك قول الشيخ علاء الدين الوداعي:

لقد سمح الزمان لنا بيوم   غدا فيه السمي مع السميّ[2]
تجمعنا كأنا ضرب خيط   عليّ في عليّ في عليّ

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة، أيضاً وزناً وقافية، وقال:

علوت اسماً ومقداراً ومعنى   فيا لله من حسن جليّ
كأنكم الثلاثة ضرب خيط   عليّ في عليّ في عليّ

قال الشيخ علاء الدين الوداعي:

من آخذ من خدّه   بدم الشهيد المغرم
فالريح ريح المسك منه   ولونه لون الدم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال:

لا ينكر الكاسر من جفنه   دم الشهيد الصابر المغرم
فالريح ريح المسك من خدّه   كما ترى واللون لون الدم

---

(١) العارض: المطر في غير أوانه ـ المسلسل: الدائم الهطول.
(٢) السمي: الذي يسمى بالإسم نفسه.

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة:

يفتن بالفاتر من طرفه ... وريقه البارد يا حار

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيدة:

لو ذقت برد رضاب من مقبله ... يا حار ما لمت أعضائي التي ثملت(١)

مع أن الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر.

وقال الشيخ علاء الدين الوداعي:

قيل إن شئت أن تكون غنياً ... فتزوَّج وكن من المحصنينا(٢)
قلت ما يقطع الإله بحُرٍ ... لم يضع بين أظهر المسلمينا

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية، وقال:

قال لي خِلي تزوَّج تستريح ... من أذى الفقر وتستغني يقينا
قلت دع نصحك واعلم أنني ... لم أضع بين ظهور المسلمينا

قلت إن قافية محصنين أصدق من يقين ابن نباتة في مقطوعه.

قال الشيخ علاء الدين الوداعي مضمناً:

يا عاذلي في النكاريش اطّرح عذلي ... واعذر فعذري فيهم واضح حسن (٣)
فالمرد إن حاولوا حربي بهجرهم ... إذاً لقام بنصري معشر خشن (٤)

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال:

لو آذنتني عذالي بحربهم ... إذ في النكاريش قد أصبحت هيمانا
إذاً لقام بنصري معشر خشن ... عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا(٥)

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة:

عذب مقبله وحلو لحظه ... أو ما تراه بالنعاس معسلا(٦)

---

(١) المقبل: مكان التقبيل(الشفاه) ـ ثمل: سكر.

(٢) المحصنين: المتزوجين.

(٣) النكاريش: جمع نكريش وهو اللواطي، وقد سبق وأشرنا إلى هذه اللفظة (ص ١٣٧).

(٤) المرد: جمع أمرد وهو الذي لا لحية له من الشبان.

(٥) الحفيظة: الغضب أو الحمية ـ اللوثة: الجنون.

(٦) المعسّل: من التعسيل وهو النوم الخفيف، أن ينام وتبقى عيناه مفتوحتين قليلاً.

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيدة:

معســـل بنعــاس في لــواحــظه أما تراهـا إلى كلّ القلوب حلت

قال الشيخ علاء الدين الوداعي، من القصيدة المذكورة:

ألحـاظـه وهي السيـوف كـليلة ويكـون تعذيب الكليلة أطـولا[1]

أخذه الشيخ جمال الدين مع القافية وقال من قصيدة:

بليت بـه ساجي اللحـاظ كليلها ومازال تعذيب الكليلة أطـولا[2]

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة:

والنهـر كـالمبـرد يجلو الصدا بـبـرده عـن قـلب ظـمـآنـه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيدة:

والـنـهـر فـيـه كـمـبـرد فـلأجـل ذا يـجـلو الـصـدا

لكن، نقص نهره وكَلَّ مبرده، عن نكتة ببرده في بيت الوداعي، فإن الشيخ جمال الدين حط مكانها في بيته: فلأجل ذا. وشتان.

قال الشيخ علاء الدين الوداعي في مطلع قصيدة:

مـا كـنت أول مـغـرم محـروم من بـاخل بـادي النفار كـريم[3].

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيدة:

مـبـخـل يـشـبـه ريـم الـفـلا يا طول شجوي من بخيل كـريم

قال الشيخ علاء الدين الوداعي في مليح أعمى:

بروحي غزال راح في الحسن جنة تعشقته أعمى فهمت من الوجـد
إذا مـا تـردّى قـائـداً بيمينـه تيقنت حـقـاً أنـه جنـة الـخلد

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية، وقال:

أفـديـه أعمى مغمـداً لـحـظه لـيـرتـعـي فـي خـدّه الـوردي
تـمكـنـت عـيـنـاي مـن وجـهـه فـقـلـت هـذي جـنـة الـخـلد

(١) الكليلة: من السيوف غير القاطعة.

(٢) ساجي اللحاظ: ساكنه ولينه.

(٣) النفار: الهجر وعدم الوصال ـ كريم الحسب والأصل.

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة:

بخلت عليَّ بدُرِّ مبسمها ... فغدت مطوقة بما بخلت[1]

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيدة:

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم ... فغدت مطوقة بما بخلت به

هذا المعنى استحقيته على الشيخ علاء الدين الوداعي، والشيخ جمال الدين بن نباتة، فإني زدت الاقتباس من الحديث تورية بقولي:

ناحت مطوقة الرياض وقد جرى ... دمعي الملوَّن بعد فرقة حبه
لكن بتلوين الدموع تباخلت ... فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة يصف مليحاً من المغل:

وما يبري هوى المشتا ... ق إلا ذلك المغلي[2]

قال الشيخ جمال الدين من قصيدة:

من المغل أشكو نحوه ألم الجوى ... وطب الهوى عندي كما قيل بالمغلي

قال الشيخ علاء الدين الوداعي:

يا نديمي والذي عاهدني ... أنه عن شربها لن يقصرا
اسقني صرفاً ودع عذالنا ... يضربون الماء حتى يخصرا[3]

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال:

اسقني صرفاً من الرا ... ح تحت الهم حتا[4]
ودع العذال فيها ... يضربون الما حتى

قال الشيخ علاء الدين الوداعي، من مطلع قصيدة:

باللِّوى صعدة عليها لواء ... كل طعنات نصلها نجلاء[5]

---

(١) المطوقة الحمامة، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سيطوقون ما بخلو يوم القيامة﴾.

(٢) المغلي: نسبة إلى المغل وهم جيل من الناس(المغول). ونوع من الحلوى.

(٣) يخصرا: أي يختصر ويقل.

(٤) حتّ: أزال.

(٥) اللوى: مكان ـ الصعدة: الطويلة المستقيمة كالرمح ـ نجلاء: الطعنة الواسعة.

وقال بعد المطلع:

لا تخل عندها سماعاً لشكوى فلهذا قالوا لها صماء[1]

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة في مطلع قصيدة:

وعدت بطيف خيالها أسماء إن كان يمكن مقلتي إغفاء

وقال بعد المطلع:

يا من يطيل من الجوى لقوامها شكواه وهي الصعدة الصماء

قال الشيخ علاء الدين الوداعي:

يا ربوة أطربتني وحسنت لي هتكي
إذ لست أبرح فيها ما بين دف وجنك[2]

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال:

بالجنك من مغنى دمشق حمائم في دف أشجار تشوق بلطفها
فإذا أشار لها الشجيُّ بكأسه غنت عليه بجنكها وبدفها

وتطفل أيضاً الشيخ صلاح الدين الصفدي على الوداعي، في جنكه ودفه، فقال:

انهض إلى الربوة مستمتعاً تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الجنك والدف[3]

وتطفل على الوداعي أيضاً، الشيخ زين الدين بن الوردي، وتزاحم هو والصفدي على العود:

دمشق قل ما شئت في وصفها واحكِ عن الربوة ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الدف والجنك

قال الشيخ علاء الدين الوداعي، من قصيدة يصف نار شوقه لمحبوبه مع كتمان سره:

في حشاه للشوق نار تلظَّى وبفيه حفظاً لسرك ماء[4]

---

(١) تخل: نهي من خالَ: ظن ـ الصماء: التي لا تسمع، والقوية.

(٢) الجنك: من آلات الطرب، الطنبور.

(٣) العود: الغصن، وآلة موسيقية.

(٤) بفيه ماء: أي بفمه الماء، فلا يستطيع الكلام.

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة، بالقافية، وقال من قصيدة ولكن زاده حسناً:

فيا عجباً مني لإنسان مقلتي يحدث أخباري وفي فمه ماء

ومن لطائف الوداعي ونكته، في العود الذي أخذه منه الشيخ صلاح الدين الصفدي، والشيخ زين الدين بن الوردي واستعملاه بلا أوتار، قوله:

والروض يهدي مع نسيم الصبا نشر خزاماه وريحانه
وراسل القمري ورقاءه شدواً على أوتار عيدانه(1)

ويعجبني من هذه القصيدة قوله، مشيراً إلى رأس العين ببعلبك:

يا حادي الأظعان إن شارفت من بعلبك سفح لبنانه(2)
فاقرأ تحياتي على نازل في محجر العين كإنسانه

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة:

يا جيرة بالغوير قد نزلوا الله من جيرة ونزال
ما عطل الطرف بعد فرقتكم من دمعه واكشفوا عن الحال

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال:

حلوا بعقد الحسن أجيادهم وحاولوا صبري حتى استحال
فآه من عاطل صبر مضى والحمد لله على كل حال

قال الشيخ علاء الدين الوداعي، وأجاد إلى الغاية:

قالت الورق إذ شدا فشجاها وشوّقا
ما رأينا مقرطقاً قبل هذا مطوّقا(3)

ومثله في تورية المطوّق:

يا جنة كوثرها رضا به المروق
وفوق غصن قده عذاره مطوّق

---

(1) القمري: نوع من الحمام، وكذلك الورقاء. وكما يبدو هو ذكر الورقاء.

(2) الحادي: الذي يسوق الإبل بواسطة الحداء وهو نوع من الغناء الشجي تحث بواسطته الإبل على السير ـ الأظعان: المسافرون جمع ظعن ويعني به الإبل.

(3) المقرطق: لابس القرطق وهو نوع من الثياب الإيرانية المزركشة.

ومثله قوله:

فديت من مبسمه زهراً لغصن قده
وصدغه مطوَّق في روضة من خده

النكتة في المطوق من اختراعات الوداعي، وتطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة، حتى في تسمية كتابه، ومن نظمه فيها قوله:

طوّق جود الوزير جيدي فلست عن مدحه أعوّق
أسجع بالمدح في علاه لا غرو أن يسجع المطوّق

قال الشيخ علاء الدين الوداعي:

لي من الطرف كاتب يكتب الشو ق إليه إذا الفؤاد أمله
سلسل الدمع في صحيفة خدي هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

هذا المعنى قلبه ابن نباتة، بعد الوداعي، كثيراً وسبكه في قوالب كثيرة، وأظنه أخذه وزناً وقافية بقوله:

قلت للكاتب الذي ما أراه قط إلا ونقط الدمع شكله
إن تخط الدموع في الخدّ خطاً ما يسمى فقال خط ابن مقله

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة:

قلبي مطيع في هواك وأنت لي من بين دوح الحسن غصن خِلاف[1]

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة، وقال في مطلع قصيدة:

قاسي الجوانح لين الأعطاف أهواه في الحالين غصن خلاف

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة:

كيف أقوى لحمل سخط وبعد بعدما كان من رضا وتداني
فتكرم بعطفة والتفات مثل ما في الأغصان والغزلان

أخذه الشيخ جمال الدين، فقال من قصيدة:

غزال رمل ولكن غير ملتفت وغصن بان ولكن غير منعطف

---

(١) الخلاف: شجر الصفصاف.

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي ونكته الغريبة قوله:

قـال لي العـاذل المفنـد فيهـا يـوم وافت فسلمت مختالـه[1]
قم بنا نـدَّعي النبـوَّة في العشـــــق فقد سلمت علينا الغـزالـه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال:

يا غزالاً أهدى السلام إلى المغـــــرم لا تـنـكـرن حـالاً لـديـه
كيف لا يـدَّعي النبـوَّة في العشـــــق وقـد سلم الغـزال عـليـه

وأخذه الشيخ صفي الدين الحلبي، فقال في ثلاثة أبيات تركيبها ضعيف:

تـنبـأ فيـك قلبي واستـرابت قلوب صـدهم عنـه ضـلال[2]
وردهم الهـوى أن يؤمنـوا بي وقـالـوا إن معـجـزه مـحـال
فمـذ سلمت سلمت البـرايـا إليَّ وقيـل كـلمـه الـغـزال

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي أيضاً ونكته الغريبة، قوله على لسان صديق اسمه عمرو قد هام بمليح في إحدى أذنيه لؤلؤة:

كم قلت لـمـا مرّ بي مـقـرطق يـحكي القـمـر
هـذا أبـو لـؤلـؤة منـه خـذوا ثـأر عمـر[3]

ومن لطائفه أيضاً في مليح اسمه سعد:

إذا مـا كـان قتلي يـا حيـاتي مـرادك مـن يـردّك أو يـصـدُّ
ففـوق سهم طـرفـك نحو قلبي فـداك أبـي وأمي وارمِ سـعـدُ

ومن لطائفه أيضاً في مليح بدوي:

أقـبـل مـن حـيـه وحـيـا فـأشـرقت سـائـر الـنـواحي
فـقلت يـا وجـه مِـن بنـي مَن فـقـال لي مِـن بـنـي صبـاح

---

(١) العاذل: اللائم ـ المفنَّد: الضعيف الرأي ـ مختالة: متبخترة في مشيها، متكبرة.
(٢) استراب: شك.
(٣) أبو لؤلؤة: غلام فارسي طعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فكانت الطعنه سبباً لوفاته

ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

تعجبوا لما غدت أدمعي   بيضا وراحت كالدم القاني
لا تعجبوا طرفي ربُّ الهوى   فكل يوم هو في شان(1)

ومن نكته البديعة الغريبة أيضاً قوله:

وليلة خلت مجلسنا سماء   وصحبي كالثريا في اجتماع
فبات الطرف يرعى البدر منهم   إلى أن حل منزلة الذراع(2)

ومن نكته البديعة الغريبة أيضاً قوله من دو بيت:

يا غصن نقا أينع بالأزهار   يا ألطف من نُسَيمة الأسحارِ
ريحان عذارك الذي تيمني   من ولده من قلم الأشعار

ومن لطائفه قوله من دو بيت أيضاً:

لما حجب الكرى عن الآماق   وانقاد مع العدى على العشاق(3)
ناديت وقد تزايدت أشواقي   يا غصن رضيت منك بالأوراق

ومن لطائفه الغريبة قوله فيمن يبيع السكر بالدين:

أرى من الواجب أن يصرف العطار بالصد وبالزجر(4)
فأي تصريف وذوق لمن   يدين السكر بالصبر(5)

ومن نكته الغريبة أيضاً من قصيدة:

يا طالباً للكيمياء ولم   يحصل على عين ولا أثر(6)
زر لاثماً عتبات ساحته   تظفر إذاً بمكرم الحجر

وهذا المعنى تطفل عليه الشيخ جمال الدين بن نباتة، وكثير من الناس، بعد الوداعي.

---

(1) هذا تضمين لقوله تعالى: ﴿يسئله مَن في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ الرحمن، ٥٥/٢٩.

(2) منزلة الذراع: من منازل القمر، وهو نجم على شكل الذراع.

(3) الآماق: جمع مؤق وهو مكان خروج الدمع من العين.

(4) العطار: في الأصل بائع العطر وتطلق على البائع إطلاقاً.

(5) الصبر: يقصد أنه مرّ المذاق.

(6) العين: معظم الجسم - الأثر: ما يدل على وجود جسم.

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي ونكته الغريبة قوله:

قال لي العاذل المفند فيها يوم وافت فسلمت مختاله[1]
قم بنا ندَّعي النبوَّة في العشـ ـق فقد سلمت علينا الغزاله

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال:

يا غزالاً أهدى السلام إلى المغـ ـرم لا تنكرن حالاً لديه
كيف لا يدَّعي النبوَّة في العشـ ـق وقد سلم الغزال عليه

وأخذه الشيخ صفي الدين الحلبي، فقال في ثلاثة أبيات تركيبها ضعيف:

تنبأ فيك قلبي واسترابت قلوب صدهم عنه ضلال[2]
وردهم الهوى أن يؤمنوا بي وقالوا إن معجزه محال
فمذ سلمت سلمت البرايا إليَّ وقيل كلمه الغزال

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي أيضاً ونكته الغريبة، قوله على لسان صديق اسمه عمرو قد هام بمليح في إحدى أذنيه لؤلؤة:

كم قلت لما مرّ بي مقرطق يحكي القمر
هذا أبو لؤلؤة منه خذوا ثأر عمر[3]

ومن لطائفه أيضاً في مليح اسمه سعد:

إذا ما كان قتلي يا حياتي مرادك من يردّك أو يصدُّ
ففوق سهم طرفك نحو قلبي فداك أبي وأمي وارمِ سعدُ

ومن لطائفه أيضاً في مليح بدوي:

أقبل من حيه وحيا فأشرقت سائر النواحي
فقلت يا وجه مِن بني مَن فقال لي مِن بني صباح

---

(١) العاذل: اللائم ـ المفنَّد: الضعيف الرأي ـ مختالة: متبخترة في مشيها، متكبرة.
(٢) استراب: شك.
(٣) أبو لؤلؤة: غلام فارسي طعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فكانت الطعنه سبباً لوفاته

قـالـت خـلاخـله أيـمـكـنـنـي   نـطق ومـاء الـسـاقِ مـلء فمي[1]

ومن نكته البديعة الغريبة قوله من قصيدة:

وكـأن ريـق الـنـحـل ريـقـتـهـا   فيهـا الشفـاء لمهجـة نحلت [2]

ومن لطائفه قوله:

ويـوم لنـا بـالنيـرين رقيقـة   حواشيه خال من رقيب يشينه [3]
وقفنـا وسلمنا على الدوح بكـرة   فـردت علينا بـالرؤوس غصـونـه

ومن لطائفه أيضاً قوله:

وذي دلال أهـيـف أحـور   أصبـح في عقـد الهـوى شرطي
طـاف على القـوم بكـاسـاتـه   وقـال سـاقي قلت في وسـطي

ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

روٍّ بـمـصـر وبـسـكـانـهـا   شـوقي وجدد عهـدي الخالي [4]
وارو لنـا يـا سعـد عن نيلهـا   حـديـث صفـوان بـن عـسـال

ومن اختراعاته البديعة الغريبة قوله:

سـقـيـاً لـكـرم مـدامـة   أنشت لـنـا النشـوات ليـلا[5]
خـلعـت عـلـيـنـا سـكـرة   بـدويـة كـمـا وذيـلا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

رمـتـنـي سـود عـيـنـيـه   فـأصـمـتـنـي ولـم تـبـطي[6]
ومـا فـي ذاك مـن بـدع   سـهـام الـلـيـل لا تـخـطي

(١) الخلاخل: الخلاخيل، جمع خلخال وهو من الحلي ما تلبسه الفتاة أو المرأه في ساقها ـ الساق: الساقي، خففها لإقامة الوزن ولإيهام التورية. بين الساقي والساق.
(٢) ريق النحل: العسل ـ نحلت: ضعفت.
(٣) النيرين: الشمس والقمر ـ ودجلة والفرات ـ يشينه: يعيبه أو يعكره.
(٤) الخالي: الماضي، البائد.
(٥) النشوة: قمة الفرح والسرور، والسكر.
(٦) أصمى: أصاب وأمات.

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال:

وأغيد كل شيء فيه يعجبني ... كأنما هو مخلوق على شرطي[1]
أجفانه الود ما تخطي إذا رشقت ... سهامها وسهام الليل لا تخطي

ويعجبني من نكته الغريبة قوله من قصيدة:

أهل نجد هل تنجدون محباً ... صاده بالغوير ظبي ملول[2]
كم دماء مطلولة في هواه ... وبها روض خدّه مطلول[3]
وحديث عن السقام صحيح ... قد رواه عن طرفه مكحول[4]

وقال وقد عينه الوزير، لرحبة مالك بن طوق:

حاشاك أن تختار لي رحبة ... لست إليها الدهر بالسالك
لأنها نار تلظى أما ... ترونها تعزى إلى مالك

ومن نكته التي ما حام فكر غيره عليها قوله:

وفي أسانيد الأراك حافظ ... للعهد يروي صبره عن علقمه
وكلما ناحت به حمامة ... روى حديث دمعه عن عكرمه

التورية في علقمة وفي عكرمة أيضاً فإنه اسم للحمامة.

ومثله في الغرابة أيضاً قوله وقد توجه من دمشق إلى البلقاء، لزيارة صاحب له يلقب بالشمس، فلما وصل إلى البلقاء وجده قد توجه إلى حسبان، فكتب إليه:

أتيت إلى البلقاء أبغي لقاءكم ... فلم أركم فازداد شوقي وأشجاني
فقالت لي الأقوام من أنت قاصد ... لرؤياه قلت الشمس قالوا بحسبان[5]

انتهى ما أوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعي. ومن غرائب نكته البديعة في باب التورية، وأبدت سموّ رتبته بتطفل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على موائد

---

(١) الأغيد: الناعم المتثني.
(٢) الملول: الذي لا يثبت على حب شيء.
(٣) المطلول: المهدور الدم دون الأخذ بثأره، والذي أصابه الطل وهو الندى.
(٤) مكحول: أحد رواة الحديث النبوي الشريف، والذي وضع الكحل في عينيه.
(٥) حسبان إسم بلد، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾.

بدائعه وغرائبه. ولكن أقول إن الجزاء من جنس العمل. فكما أغار الشيخ جمال الدين على الوداعي ودخل إلى بيوته وابتذل حجاب بنات فكره، قيض الله له الشيخ صلاح الدين الصفدي. فإن الشيخ جمال الدين رحمه الله كان يخترع المعنى الذي لم يسبق إليه، ويسكنه بيتاً من أبياته العامرة بالمحاسن، فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي، بلفظه ولم يغير فيه غير البحر، وربما عام به في بحر طويل يفتقر فيه إلى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم، فلم يصبر الشيخ جمال الدين على ذلك، وصنف كتاباً ألفه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدي، وسماه «خبز الشعير» يعني أنه مأكول مذموم، واستهل خطبته بقوله تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾(١)، ورتب كتابه المذكور على قوله: «قلت أنا فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال». وكنت أوردت من خبز الشعير نبذة في أوائل هذا الكتاب، ولكن لم يرض باب التورية إلا بإيراده هنا كاملاً، لأنه حق من حقوقها، فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة، قلت:

ومولع بفخاخ يمدّها وشباك
قالت لي العين ماذا يصيد قلت كراكِ (ي)(٢)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال:

أغار على سرح الكرى عندما رمى الـ ـكراكي غزال للبدور يحاكي
فقلت ارجعي يا عين عن ورد حسنه ألم تنظريه كيف صاد كراك (ي)

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة: قلت:

أسعد بها يا قمري برزة سعيدة الطالع والغارب(٣)
صرعت طيراً وسكنت الحشا فما تعديت عن الواجب

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال:

قلت له والطير من فوقه يصرعه بالبندق الصائب(٤)
سكنت قلبي فحركته فقال لم أخرج عن الواجب

---

(١) نوح، ٧١/٢٨.

(٢) كراكِ(ي): الأولى: بمعنى النعاس. والثانية بمعنى طيور.

(٣) البرزة: المرأة الحسناء التي تجالس الرجال ـ الطالع: الحظ والطلعة ـ الغارب: الكاهل والذهاب، أي سعيدة الإقبال والصدود.

(٤) البندق: حبيبات تضرب بواسطة البندقية وهي نوع من السلاح.

وقال الشيخ جمال الدين: قلت:

ويمهجتي رشـأ يميس قـوامـه فكـأنـه نشـوان من شفـتيـه(١)
شغف العـذار بخـدّه ورآه قـد نعست لـواحـظه فـدب عليـه(٢)

أخذه الشيخ الصلاح الصفدي وقال:

وأهيف كالغصن الرطيب إذا انثنى تميـل حـمـامـات الأراك إليـه
له عارض لما رأى الطرف ناعساً أتـى خـده سـراً فـدب عليـه

قال الشيخ جمال الدين: قلت:

يـا غادراً بي ولم أغـدر بصحبته وكـان مني مكان السمـع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي أخال جفا فجاء ما خلته نقشاً على حجر(٣)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال:

ما زلت أشكو حين وفر في الضنى قسمي وأسلمني إلى البلوى وفر(٤)
حتى تـأثـر من شكـايـة لـوعتي لي قلبـه فرأيت نقشاً في حجـر

وأحسن ما وقع في هذا الباب، للشيخ جمال الدين بن نباتة أنه قال:

بـروحي عـاطـر الأنفـاس ألمى مليء الحسن حـالي الـوجنتين(٥)
لـه خـالان فـي دينـار خـدّ تبـاع لـه القـلوب بحبتيـن(٦)

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

بروحي خـدّه المحمـر أضحت عليـه شـامـة شـرط المـحبـه
كـأن الحسن يعشقـه قـديمـاً فنـقـطه بـديـنـار وحبـه(٧)

---

(١) يميس: يتمايل في مشيته، والرشأ: الغزال ـ النشوان: السكران.
(٢) العذار: خط من النخل والشجر والرمل، والمقصود ورد ذلك المكان أو طيوره، والله أعلم.
(٣) أخال: أظن ـ والجفاء: القسوة والهجر.
(٤) الضنى: الحزن والمرض.
(٥) الألمى: الأسمر الشفاه ـ حالي الوجنتين: من الحلا أي أنهما حلوتين أو أنهما حُليّتا فليس عليهما شعر.
(٦) الخال: الشامة ـ الحبتين: هما حبتا القلب أو مكان الفرح والحزن والحب والنغض منه، أو هما الصماماان والله أعلم.
(٧) نقّطه: جعل عليه نُقطاً، أو قدم له هدية في يوم عرسه وهذه تسمى «نقطة».

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين، قال: لا إله إلا الله سرق الشيخ صلاح الدين، كما يقال، من الحبتين حبه.

قال الشيخ جمال الدين قلت:

يا عاذلي شمس النهار جميلة   وجمال فاتنتي ألذ وأزين[1]
فانظر إلى حسنيهما متأملاً   وادفع ملامك بالتي هي أحسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين، مع البحر، بل أخذ الكل مع القافية، وقال:

بأبي فتاة من كمال صفاتها   وجمال بهجتها تحار الأعين
كم قد دفعت عواذلي من وجهها   لما تبدى بالتي هي أحسن[2]

وهذان البيتان تقدم القول أنهما بنصهما للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، ولكن رأيت العز الموصلي نسبهما، في تذكرته، للصلاح الصفدي من جملة «خبز الشعير» والله أعلم.

قال الشيخ جمال الدين قلت:

فديتك أيها الرامي بقوس   وطرف يا ضنى جسدي عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب   وشبه الشيء منجذب إليه

فأخذه الشيخ صلاح الدين، وقال:

تشرط من أحب فذبت وجداً   فقال وقد رأى جزعي عليه[3]
عقيق دمي جرى فأصاب خدي   وشبه الشيء منجذب إليه[4]

قلت: أظن أن الشيخ صلاح الدين لما سمع قول الشيخ جمال الدين، ونظم هذين البيتين، ما كان في حيز الاعتدال، وأين انجذاب القوس إلى الحاجب من انجذاب الدم إلى الخد؟ وليته ما تلفظ بالانجذاب، بل قال: عقيق دمي جرى فأصاب خدي.

قال الشيخ جمال الدين: قلت أنا:

يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجاً   ودارِ وقتك من حين إلى حين
ولا تعاند إذا أصبحت في كدر   فإنما أنت من ماء ومن طين

(١) العاذل: اللائم.

(٢) تبدى: ظهر وبان واضحاً.

(٣) الوجد: شدة الشوق ـ الجزع: شدة الفزع، الهلع.

(٤) العقيق: حجر كريم لونه لون الدم تقريباً.

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي، وقال:

دع الأخوان إن لم تلق منهم صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من ماء وطين وأي صفاً لهاتيك الجبلّه[1]

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة، قلت:

أحاول صبراً عن هوى قد كتمته فلا أجد الصبر المحاول يعذب
وألقى به ثوب المشيب مطبعاً فأغسله بالدمع والطبع أغلب[2]

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

يقول الفكر لي دنست ثوب الشـــــــباب وفي غداة الشيب تتعب
وتغسله بدمعك كل وقت وما ينقى لأن الطبع أغلب

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى رحمة واسعة، قلت:

أسفت لشاشي الذي قد مضى وفاز به سارق حاشه[3]
ووالله ما بي مما جرى سوى قولهم صفعوا شاشه[4]

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

قد سرق الشاش بليل وما قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذي لم يكن شاشي على رأسي لما صفع

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة: قلت أنا:

أشكو إلى الله ما أكابد من دمامل مسني بها الضر[5]
فالليل عندي من حالها سنة فما لليلي ولا لها فجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال:

أشكو إلى الله من أمور تُمِرُّ عيشي لما تَمُرُّ[6]

---

(١) صفاً: صفاءً ـ الجبلّة: الخليط، والخلقة والطبيعة.
(٢) مطبعاً: مبقعاً ببقعٍ تشبه طبعة الختم ـ الطبع أغلب: مثل يضرب في من لا يستطيع ترك ما تعود عليه.
(٣) الشاش: نسيج رقيق يستعمل للجروح ولفافة العمامة ـ حاشه: سَرَقه.
(٤) صفعوا: سرقوا، والصفع في الأصل، الضرب بالكف المبسوطة.
(٥) كابد: عانى ـ الدمامل: جمع دمل وهو التهاب بسيط في الجلد والنسج الذي تحته مصحوب بتقيح.
(٦) تمر: تجعله مُراً.

ودمل مع دوام ليل ما لهما ما حييت فجر

ونظم الشيخ جمال الدين هذا المعنى أيضاً، في أبيات معناها الوعظ يعجبني إلى الغاية، وهي:

لا تخش من هم كغيم عارض فلسوف يسفر عن إضاءة بدره[1]
إن تمس عن عباس حالك راويا فكأنني بك راوياً عن بشره[2]
ولقد تمر الحادثات على الفتى وتزول حتى ما تمر بفكره
ولرب ليل في الهموم كدمل صابرته حتى ظفرت بفجره[3]

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة: قلت أنا:

بروحي فاتر الأجفان ساجٍ كأنَّ الحسن لفظ وهو معنى
تفرد وهو فتان التثني فيا لله من فرد تثنى[4]

فأخذه الشيخ صلاح الدين، وقال:

وأهيف حاز قداً قد حارَ فيه المعنى
تراه في الحسن فرداً لكنه يتثنى

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة: قلت أنا:

بروحي جيرة أبقوا دموعي وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كأنا للمجاورة اقتسمنا فقلبي جارهم والدمع جاري[5]

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي، وقال:

أسكنت شخصك طرفي حتى أُواري أواري[6]
فحين جاورت دمعي جعلت جارك جاري

---

(١) الغيم العارض: الذي يعترض في الأفق فيسده ـ أسفر: إنكشف.

(٢) عباس: ابن عباس وبشر هما من رواة الحديث النبوي الشريف ومن الصحابة.

(٣) فَجرِه: انفجاره وخروج ما فيه من الصديد وهو القيح.

(٤) تثنى: تمايل وأصبح مثنى أي اثنين.

(٥) جاري: سائل والقريب من منزلي.

(٦) أواري: الأولى من المواراة وهي الإخفاء. وأواري: الثانية من أوار النار وهو لهيبها.

وقد تقدم أن ابن بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي أول من سبق إلى هذه النكتة.

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة: قلت:

سألت النقا والغصن يحكي لناظري ... روادف أو أعطاف من زاد صدّها(١)
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها ... وقال قضيب البان ما أنا قدّها (٢)

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

يقول ردف حبيبي ... وعطفه المتثني
ما أنت يا غصن قدي ... ولا كثيبك وزني

قال الشيخ جمال الدين قلت: أنا:

لك يا أزرق اللواحظ مرأى ... قمري أضحى على الخلق ينهى
يا لها من سوالف وخدود ... ليس تحت الزرقاء أحسن منها (٣)

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

ألبسوه عمامة للنصارى ... قد روى اللازورد في الحسن عنها (٤)
وجلا طلعة كبدر تمام ... ليس تحت الزرقاء أحسن منها(٥)

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة: قلت أنا:

يا مجرياً دمعي وموقف لوعتي ... من جسمي المضنى على الأطلال(٦)
يا من إذا سألوه عن بدر الدجى ... والمسك قال أخي الشقيق وخالي (٧)

---

(١) النقا: الرمل ـ الروادف: مفردها الردف وهو الكفل. أو المؤخرة ـ الأعطاف: جمع عطف وهو الجنب. الصد: الإعراض.

(٢) كثيب الرمل: المرتفع الصغير من الرمل ـ قدّها: أساويها، وقوامها.

(٣) السوالف: جمع سالف وهو ما تدلى من الشعر على جانب الرأس بين العين والأذن وللرجل: الصدغ.

(٤) اللازورد: من الأحجار الكريمة لونها بلون السماء.

(٥) الزرقاء: السماء.

(٦) اللوعة: الحزن ـ المضنى: المريض ـ الأطلال: البقايا والآثار.

(٧) الشقيق: نوع من الأزهار الحمراء(شقائق النعمان).

أخذه الشيخ صلاح الدين وقال:

فديت حبيباً ضرج الحسن خده ... فصب على خديه ذوب عقيق [١]

إذا عاين الروض المدبّج خده ... يقول لنا هذا أخي وشقيقي [٢]

قلت: الشيخ صلاح الدين ما شم لمسك الخال رائحة، والله أعلم.

وقال الشيخ جمال الدين: قلت أنا:

هيهات بين ذوي الأسى لا يستوي ... دمعي ودمعك أيها المتواجد [٣]

فحديث دمعي عن تلهب أضلعي ... ذاكي اللظى وحديث دمعك بارد [٤]

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال:

شكوت حتى لان بعد قسوة ... ورحت أبكي وهو لي يساعد

وقال ها نحن سواء في البكا ... لا يا حبيبي ما بكانا واحد

لا يستوي دمع حكى جمر الغضى ... إذا جرى ودمع عين بارد [٥]

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة، قلت أنا:

هنئتم آل الشهيد بنجمكم ... وبوجه مولود لكم ما أزهره

من قبل ما عملت لديه عقيقة ... عملت له المدح الجواري جوهره [٦]

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال:

أيا أندى الورى كفا ووجهاً ... وأقومهم إلى العليا طريقه [٧]

لقد جاءتك جوهرة المعاني ... فلا تبخل عليها بالعقيقه

---

(١) ضرج: لوّن، خضب ـ ذوب عقيق: عقيقٌ مذاب. والعقيق نوع من الأحجار الكريمة لونها يشبه لون الدم.

(٢) عاين: نظر بعينيه.

(٣) المتواجد: الذي يدعي الوجد. وهو شدة الشوق.

(٤) ذاكي اللظى: مستعر اللهب.

(٥) جمر الغضى: من أشد الجمر حرارة والغضى شجر جمره يدوم طويلاً.

(٦) العقيقة: الطعام الذي يعمل عند حلق شعر المولود لأول مره ويكون ذبيحة على الأكثر.

(٧) أندى الورى: أجود الناس.

قال الشيخ جمال الدين: قلت أنا:

عـذول لست أسمـع منـه عـذلاً على هيفـاء مثـل البـدر تمـا
لـه طرف ضـريـر عن سنـاهـا ولي أذن عن الفحشـاء صما [1]

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي، وغير صيغة المثل بالحشو، فقال:

تعشقتـه مثـل القضيب إذا انثنى بوجه حكى البدر المنير إذا تمـا
وإن كان عذالي عموا عن جماله فلي أذن عن كل ما نقلوا صمـا

قال الشيخ جمال الدين: قلت أنا:

حـربي من مهفهف القـدّ رام أسهم اللحظ ما أسدّ وأرشق [2]
كلمـا قلت يفتح الله بـالـوصـــل رماني من سحر عينيه يغلق

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

سـهـام طـرفـك أصـمـت قـلـبـي ولـم تـتـرفـق [3]
مـا يـفـتـح الـجـفـن إلا ورهـن قـلـبـي يـغـلـق

قال الشيخ جمال الدين: قلت أنا:

تـأملت في الحمام تحت مـآزر روادف بيض ما سناهـا بغائب [4]
كـأني من هذي وهـاتيك نـاظر بياض العطايا في سواد المطالب [5]

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي، وقال:

تبـدى حبيبي في السواد فـراقني ومـا راعني لمـا أتى بـالعجـائب
وشبهت ذاك الجيد في طوق برده بياض العطايا في سواد المطالب

قال الشيخ جمال الدين: قلت أنا:

لقد كنت في لذات ثغرك هائمـاً ليـالي لم يمنع على عـاشق ثغر
فـأمـا وستـر دونهـا من شـوارب فلا خير في اللذات من دونها ستر

---

(١) السناء: النور والبهاء - صما: ترخيم صماء. وهي التي لا تسمع.

(٢) ما أسد: ما أحسن تسديده، والتسديد هو التصويب نحو الشيء.

(٣) أصمى: أصاب مقتلاً.

(٤) المآزر: جمع مئزر، وهو ما تلتف به المرأة - الروادف: جمع ردف وهو العجز.

(٥) العطايا: جمع عطية وهي الهبة.

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

ألا فاسقني من خمرة لذ طعمها بفيك ولا تبخل وقل لي هي الخمر[٣]
وحط لثاماً حجب اللثم عن فمي فلا خير في اللذات من دونها ستر

قلت: قد أوردت هنا ما جناه الشيخ صلاح الدين الصفدي، من حدائق الروض النباتي، ومقابلة الشيخ جمال الدين له على ما جناه. فإن نسبني أحد إلى تحامل، راجعته إلى النقل، وإن وافق وتعقل الرتبتين فقد اكتفى بشاهد العقل، وإلا فالأقسماء آلصفدية بالنسبة إلى القطر النباتي تمجها الأذواق، وها أنا قد أبرزت ثمرات الدوحتين بين هذه الأوراق، والشيخ صلاح الدين رحمه الله تصاغر لذلك وما كابر، ووقف على باب الشيخ وقوف فقير يسأل بر الإجازة، وطال وقوفه على ذلك الباب العالي إلى أن حصل له الفتوح وأجازه[٤]. وها أنا أذكر سؤال هذا السائل الذي ودَّ قبل العطاء أن يدفع بالتي هي أحسن، وأشرح كرم المسؤول الذي نثر على سائله الدر جزافاً علماً بأن عطاء الكريم لا يوزن. فسؤال الإجازة من الشيخ صلاح الدين، قوله يخاطب الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمهما الله تعالى: الحمد لله على نعمائه. المسؤول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة، رحلة أهل الأدب. قبلة ذوي التحصين في التحصيل والدأب، الذي تبيت شوارد المعاني صرعى تخوّله للطافة تخيله، وتمسي الألفاظ العذبـة طوع تحـوله في التركيب وتحيله، فأمسى وله النسيب الذي يضحك من العباس[٥] في رقته. ويقيم صريع الغواني[٦] إلى مقته بعد مقته، والغزل الذي يشيب له فؤد الوليد، ويسترق الحرّ من كلام عبيد، والتشبيه الذي لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال فخاً لصيد النجوم، ولو تعاطاه حفيد جريج لقيل له ألم تسمع ﴿ألم غلبت الروم﴾،والمديح الذي لو بلغ زهيراً لقال ما أنا من هذه الحدائق، أو اتصل نبؤه بالمتنبي لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق[٧]، والرثاء الذي نقص عنده أبو تمام بعد أن رفع له لواء الشرف والفخر. وقال هذه عذوبة الزلال لا ما تفجر من الخنساء على صخر، والترسل الذي سقى الفاضل كأس الحتوف، لما شبه الغمود بالكمائم والسيوف بالأزهار، وأذهله حتى صحت له القسمة في الخيل والخيال، بين المراقب والمرافد، فأخطأت معه في المرابع والمساجد بين الأنواء والأنوار، والكتابة

---

(١) ومعنى هذين البيتين صاغه أبو نؤاس في بيت واحد، هو قوله:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

(٢) أجازه: سمح له بالشيء.

(٣) العباس: هو ابن الأحنف الشاعر.

(٤) صريع الغواني: هو مسلم بن الوليد الشاعر.

(٥) العذيب وبارق: مكانان صحراويان.

التي تغدو الطروس بها وكأنها رياض محبرة، أو سماء بالنجوم زاهره، إن لم ترض أن تكون في الأرض رياضاً مزهره:

أدب على الحصري يعلو تاجه ولـه ابـن بسـام بكى ألـوانـا
وتـرسـل سبحـان من قـد زاده منه وأعطى الفاضل النقصانا
وكتـابـة لعلوّهـا في وضعهـا ليس ابن مقلة عنـدهـا إنسـانـا
فلكم أخي فضـل رأت عينـاه في الأوراق لابن نبـاتة بستـانـا

جمال الدين أبي عبد الله، محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة، جمع الله به شتات أهل الأدب في درجة هذه الدولة، ولمَّ به شعث أبنائه الذين لا صون لهم ولا صولة، وأقام به عماد أبيات الشعر التي لولاها لما عرفت دارمية من أطلال خولة[1]، إجازة كاتب هذه الأحرف فسح الله له في مدته برواية المصنفات في الأحاديث النبوية، والتأليفات الأدبية، على اختلاف أوضاعهما وتباين أجناسهما وأنواعهما، بحسب ما يؤدي ذلك إليه واتصل به من سماع أو إجازة، أو وصية أو وجازة، من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم وإجازة ماله أحسن الله إليه من مقول، نظماً أو نثراً أو تأليفاً أو وضعاً، إجازة خاصة، وإثبات ما له من التصانيف إلى هذا التاريخ بخطه الكريم، وإجازة ما لعله يقع بعد ذلك إجازة عامة على أحد القولين في المسألة، فإن الرياض لا ينقطع زهرها، والبحار لا ينفد درها، وإثبات ما يحسن إيراده في هذه الإجازة من المقاطيع الرائقة، والأبيات اللائقة، وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلاً، في ذلك، وكتب كتبه خليل بن أيبك عبد الله الأيبكي بالقاهرة المحروسة، في مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة الجواب مجيباً لسؤال الشيخ صلاح الدين الصفدي، رحمهما الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، حمداً لله الذي إذا توجه إليه ذو السؤال فاز، وإذا استدعى كرمه ذو الطلب أجاب وأجاز، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، كعبة القصد التي ليس بينها وبين النجح حجاز، وعلى آله وصحبه حقائق الفضل والفضل من بعدهم مجاز.

فلو لزم في كل الأحوال تناسب المخاطبة، وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة، لما رضي سجع الحمائم لمطارحته نوعاً من الأطيار، ولا قبل فصحاء الأول مراجعة الصدى من الديار، ولا قنع غمز حواجب الأحبة برد القلوب الهائمة في

---

(١) خولة: حبيبة لبيد ابن أبي ربيعة التي ذكرها في معلقته بقوله:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

أودية الأفكار، ولكن نقول: الأكابر والأولياء تبذل من الأجوبة جهدها وتنفق ما عندها، وتجرد الأماثل سيوف المنطق ولا تتعدى الاتباع من الطاعة حدّها، ولما كنت أيها الراقم[1] برود هذا الاستدعاء ببنانه، والمنشىء روض هذا السؤال بأثار السحب من بيانه، والسائل الذي بهرت الأفكار فضائله، وسحرت أرباب العقول عقائله[2]، وأقام المسؤول مقاماً ليس من أهله فليتق الله سائله، فريد فن الأدب الذي لا يبارى، وبحره الذي لا يهدي غائص قلمه الدرّ إلا كبارا، وذا اليد البيضاء فيه الذي طال ما آنس من جانب الذهن نارا، وخليله الذي اطلع على أسراره الدقيقة، ورئيسه الذي لو طارح ابن المعتز وتمت ولايته لكان أمير المؤمنين على الحقيقة، وناظمه الذي يسري الطائيان[3] تحت علمه المنشور، وكاتبه الذي تتبجح[4] العيدان بالدخول تحت رقه المأثور، طالما شافه[5] منه القلم وجهاً جميلاً وقدراً جليلاً، ولا في من لا يندم على صحبته فيقول ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، فهو الغرس الذي يقصر عن أمالي وصفه الشجري، ويفخر الدين والعلم بشخصه ولفظه، فهذا يقول غرسي وهذا يقول ثمري، كم أغنى بمفرد شخصه عن فضلاء جيل، وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بثينة ومن وجهه جميل، وكم تنزهت الأفكار من لفظه بين آس وورد لا بين إذخر[6] وجليل، وكم دام عهده ودّه حتى كاد يبطل قول الأول دليلاً على أن لا يدوم خليل. تودّ الشهب لو كانت حصباء غدير طرسه، وتغار الأفق إذا طرز يراع درجه[7] بالظلماء أردية شمسه، ويتحاسد النظم والنثر على ما تنتج مقدمات منطقه من النتائج، وينشد كل منهما إذا حاول القول: «خليل الصفا هل أنت بالدار عائج». إن كتب أغضى ابن مقلة من الحسد على قذاه[8]، وحمل ابن البواب لحجبه عصا القلم قائلاً ما ظلم من أشبه أباه، وإن نحا النحو لباه عشراً، ولانت أعطاف الحروف قسرا. وتشاجرت على لفظه الأمثلة فلا غرو أن ضرب زيد عمراً، يترجل كلام الفارسي بين يديه. ويطير لفظ ابن عصفور حذراً من البازي المطل عليه. وإن شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد، ونصبت بيوت نظمه على بقاع الشرف كما نصبت بيوت الأجواد،

---

(١) الراقم: الموشي المزخرف.

(٢) العقائل: الكرائم جمع عقيلة وهي المصونة.

(٣) الطائيان: حاتم وحبيب(أبو تمام).

(٤) تبجّح: افتخر بما فعل وإن كان قليلاً.

(٥) شافه: حكى مشافهة، وطالع.

(٦) الإذخر: الثمين المدّخر.

(٧) الدّرج: جارور المكتب، أو ما توضع فيه أدوات الكتابة.

(٨) القذى: الضرر والأذى.

طالما بلّد لبيدا، وولى منه شعر ابن مقبل شريداً، وقالت الآداب لبحتري لفظه ألم نربِّك فينا وليداً، وإن نثر فما الدر اليتيم إلا تحت حجره، ولا الزهر النضير إلا ما ارتضع من أخلاف قطره، ولا المترسلون إلا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره. وإن تكلم على فنون الأدب روى الظما، وجلا معاني الألفاظ كالدمى، وقالت الأعاريض لابن أحمد، وله: «خليلي هبا بارك الله فيكما».

هذا وكم أثنى قديم علم الأوائل على فكره الحكيم، وشهدت رواية الحديث النبوي بفضله، وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم.

بدأتني أعزك الله، من الوصف بما قل عن مكاني، وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني. وحملت كاهلي من المنن ما لم يستطع، وضربت لذكري في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع، وسألتني، مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها، وثمر من غرسها، أن أجيبك وأجيزك وأوازن بمثقال كلمي الحديد إبريزك[٣]، وأقابل لسانك المطلق بلساني المحصور، وأثبت استدعاءك على بيت مال نطقي المكسور، فتحيرت بين أمرين أمرّين، ووقع ذهني السقيم بين داءين مضرين: إن فعلت ما أمرت به فما أنا من أرباب هذا القدر العالي، والصدر الحالي، ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز، وكيف أطالب مع إقتار علمي بأن أمدح وأجيز. وإني لمقيد خطوي هذه الوثبات، وأنى يماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات.

وإن منعت فقد أسأت الأدب والمطلوب حسن الأدب مني، وأهملت الطاعة التي أقرع بعدها برمح القلم سني، وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الأفق وقال قطني[٤]. ثم ترجح عندي أن أجيب السؤال، وأقابل بالامتثال، صابراً على تهكم سائلي، معظماً قدري كما قيل بتعاقلي[٥]، منقاداً إلى جنة استدعائك من السطور بسلاسلي، وأجزت لك أن تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور، ومنظوم ومنثور، وإجازة ومناولة ونقل وتصنيف، وتنضيد وتفويف[٦]، وماض ومتردد، وآت على رأي بعض الرواة ومتجدد، وجميع ما تضمنه استدعاؤك فاجمع ما يكون من لفظه المتبدد، كاتباً لك بذلك خطي، مشترطاً عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربي البيان جواب شرطي، ذاكراً من لمع خبري ما أبطأت بذكره وأرجو أن أبطىء ولا أخطي.

---

(١) الإبريز: الذهب.

(٢) قطني: حسبي.

(٣) التعاقل: اصطناع التعقّل.

(٤) تنضيد: ترتيب ـ تفويف: تزيين، وهو من المحسنات البديعية.

فأما مولدي فبمصر المحروسة، في ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائة، بمنزلنا بزقاق القناديل، وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعاً وحضوراً، فمن أقدمهم الشيخ شهاب الدين أبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب المعروف بالرادف، والشيخ عز الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبي الفرج الحصري البغدادي، والشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي محمد إسحق الأبرقوهي. وأما ذوو الإجازة في مصر وغيرها من الأمصار فكثير، وأما الفضلاء والأدباء الذين رويت عنهم ورأيت منهم، فمنهم القاضي الفاضل، محيي الدين أبو محمد عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصري، والشيخ الإمام بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي النحوي، والأمير الفاضل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين بن إسماعيل بن المتنبي اقترح عليَّ أن أنظم له في زيادة النيل، فقلت:

زادت أصابع نيلنا ... وطمت فأكمدت الأعادي[1]
وأتت بكل جميلة ... ما ذي أصابع ذي أيادي

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان المصري من أهل منية ابن خصيب، قرأت عليه كثيراً من الكتب الأدبية، وكان كثيراً ما يستنشدني إلى أن أنشدته قولي:

يا غائبين تعللنا لغيبتهم ... بطيب عيش ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي لياليكم ... فالكأس في راحة والقلب في تعب[2]

فقال: أتعب والله جزعك القدح.

والشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المفسر أنشدني لنفسه:

لا أرى لي في حياتي راحة ... ذهبت لذة عيشي بالكبر
بقي الموت لمثلي سترة ... يا إلهي أنت أولى من ستر

فأنشدته لي:

بقلت وجنة المليح وقد ولى ... زمان الصبا الذي كنت أملك[3]
يا عذار الحبيب دعني فإني ... لست في ذا الزمان من خل بقلك

---

(١) طمى: النهر فاض وزاد ماؤه حتى حمل الطمي وهو عبارة عن الأتربة والأحجار وأغصان الشجر.
أكمد: أحزن.

(٢) الراحة: باطن الكف، والإرتياح.

(٣) بقلت وجنته: نبت شعرها، والبقل نبات عشبي يغتذي به الإنسان.

والشيخ الأديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصري، سمعته ينشد لنفسه:

واخجلتي وصحائفي مسوّدة وصحائف الأبرار في إشراق
وتوقفي لموبخ لي قائل أكذا تكون صحائف الوراق

والأديب الفاضل نصير الدين المناوي الحمّامي أنشدني لنفسه:

أحب من الدنيا إليّ وما حوت غزال تبدى لي بكأس رحيق[1]
وقد شهدت لي سنّة اللهو أنني أحب من الصهباء كل عتيق[2]

فأنشدته لي:

إني إذا آنست هماً طارقاً عجّلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ المليح وكأسه فنعمت بين حديثه وعتيقه[3]

وجماعة يطول ذكرهم، ويعز عليَّ أن لا يحضرني الآن شعرهم.

وأما مصنفاتي التي هي كالياسمين لا تساوي جمعها، ولولا الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية تجبرها، ما استخرت نصبها ورفعها، فهي: كتاب مجمع الفرائد، القطر النباتي، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، منتخب الهدية من المدائح المؤيدية، الفاضل من إنشاء الفاضل، زهر المنثور، أبرار الأخيار، شعائر البيت، التقوى لم تكمل إلى الآن، الأرجوزة المسماة فرائد السلوك في مصائد الملوك.

أجزت لك أعزك الله روايتها عني، ورواية ما أدوّنه وأجمعه بعد ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك ونمقه، ونسخه وحققه، وتضمنه سؤالك الذي تصدقت به، فمنك السؤال ومنك الصدقة، والله تعالى يشكر عهدك الجميل، وكلماتك الجزلة وكرمك الجزيل، ويمتع بك فنون الفضائل الملتجئة إلى ظل قلمك الظليل، ولا يعدم الأحباب والآداب من اسمك وسميك خير صاحب وخليل.

قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب بن يحيى بن عبد الرحيم بن نباتة الفارقي الحذاقي ثم المصري، عفا الله عنه.

انتهى ما أوردته من استدعاء الشيخ صلاح الدين وسؤاله، وجواب الشيخ جمال

(١) الرحيق: ما تفرزه الأزهار لجذب الحشرات، ومنه يكون العسل.
(٢) الصهباء: الخمرة ـ وعتيق: معتق وهو أجود الخمرة.
(٣) حديثه: تحديثه، كلامه، وجديده.

الدين وإجازته، بعد أن علمت دقائق الدرجتين في النظم والنثر، واتضح الفرق بينهما وثبت أن الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله نباته ورعاه، ومتع أهل الذوق السليم بحلاوة ذلك النبات وجناه، فإنه وإن تأخر في السبق عن فحول المتقدمين عصراً، فقد تقدم عليهم ببديعه وغريبه بياناً وسحراً، وتفقه في الطريق الفاضلية لمذاهب ما سلكها المتقدمون وها نحن نستجدي من حواصلها نظماً ونثراً، وكم سأله عالم في سلوك هذه الطريقة فقال له إنك لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً.

وإن قيل إن الفاضل أجلُّ من تمذهب بهذا المذهب فمذهبي، وأنا أستغفر الله، أنه وصل فيه إلى درجة الاجتهاد، وهذا القول يقول به من رفع الخلاف وتأدَّب، فإن هذه الطريقة ما أمَّها[1] ناظم ولا ناثر في الأيام الأمويه، ولا ابتسمت لهم ثغورها في الخلافة العباسية، ولما انتهت الغاية إلى الفاضل أتى بهذه الفضيلة الغريبة وأظهر منها الزيادة المستفادة، واعتادت بلغاء المتأخرين بها بعد ما شهدوا بسبقه فأكرم بها عادة وشهاده، ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين بن نباتة أهّل غربتها، وشرَّف بأصل شجرته النباتية نسبتها، وأسكن في أبياته من بديع النظم كل قرينة صالحة، وأمست سواجع إنشائها على فروعه النباتية صادحه. وقد عنَّ لي أن أورد نبذة من مفرداته التي حصل الإجماع في الغرابة عليها، وأشار المصنف بقوله إليها:

أصــغ لــمــا قــال أخــو وقتــه ... وخــلِّ عنــك اليــوم مــا قيــلا
واسمــع مقــاطيعــاً لــه أطــربت ... ولا تــقــل إلا مــواصــيــلا

فمن ذلك قوله:

حملت خـاتم فيـه فصـاً أزرقـا ... من كثرة اللثم الذي لم أحصه[2]
لـولاه مـا علم الـرقيب فيـا لـه ... من خـاتم نقـل الحـديث بفصـه

ومنه قوله:

لله خـال على خـد الحبيب لـه ... في العاشقين كما شاء الهوى عبث[3]
ورَّثتــه حبـة القلب القتيـل بـه ... وكـان عهدي أن الخـال لا يرث

---

(١) أمَّها: قصدها.

(٢) هذا البيت هكذا ورد: برفع أوجر خاتم ونصب فصاً أزرقاً، وهذا مما لم نعرف أو نتبين له وجهاً اعرابياً. وكان حقه النصب في خاتم والرفع في فص أزرق فيكون: حملت خاتماً فيه فصٌ أزرقُ ـ والفص: قطعه صغيرة من حجر كريم توضع في وسط الخاتم.

(٣) الخال: شامه سوداء تعلو الجلد ـ حبة القلب: مركز العواطف منه.

ومنه قوله:

وأغيد جارت في القلوب لحاظه — وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى [1]
أجلْ نظراً في حاجبيه وطرفه — ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وقوله:

بروحي مشروط على الخد أسمر — دناو وفي بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد — فقبلته ألفاً على ذلك الشرط

وقوله:

وا حربا من هوى رشيق — معتدل كالقضيب مائل
عذاره لا يجيب دمعي — وسائل لا يجيب سائل [2]

ومن نكته البديعة في هذا الباب قوله:

وضعت سلاح الصبر عنه فما له — يقاتل بالألحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خديه جائر — على مهجتي فليتق الله سائله

ومن السرقات الفاحشة قول ابن الوردي، غفر الله له:

تعجبت من نهديه لو أن لامسا — أراد انقباضاً لم تطعه أنامله [3]
وسال عذار لو نحا نفس صبه — لجاد بها فليتق الله سائله [4]

ومنه قوله:

لا تخف عيلة ولا تخش فقراً — يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا — تلك غزالة وذي قتاله

ومنه قوله:

قبلته عند النوى فتمرَّرت — تلك الحلاوة بالتفرق والجوى
ولثمته عند القدوم فحبذا — رطب الشفاه السكري بلا نوى [5]

(١) الأغيد: الناعم المتمايل في مشيه ـ جارت: ظلمت ـ الوسنى: الذابلة الناعسة.
(٢) سائل: الأولى بمعنى: الريق ـ والثانية بمعنى: الذي يسأل أو يطلب.
(٣) النهد: الثدي ـ الانقباض: التجمع عكس الانبساط ـ الأنامل: أطراف الأصابع.
(٤) نحا: ينحو اتجه ناحية ـ الصب: المغرم به.
(٥) الرطب: ثمر البلح إذا حلي وصار رُطَباً ـ النوى: البذرة.

وقوله:

أفـديه لـدن القـوام منعـطفـاً ... يسـل من مـقلتيـه سيـفين[1]
وهبت قـلبي لـه فـقـال عسى ... نـومـك أيضـاً فقلت من عيني

ومنه قوله:

يـا رُبَّ لص نـاهـب سـالـب ... وهـو من الحسن مليء غني[2]
يـرنـو إلى سـرب الـظبى لحظة ... فـيسـرق الـكحـل مـن الأعيـن

ومنه قوله:

مـبـقـل الـخـد أدار الـطلا ... فقـال لي في حبهـا عـاتبي[3]
عن أحمـر المشـروب مـا تنتهي ... قلت ولا عن أخضـر الشـارب[4]

ومنه قوله:

كم قلت بـالـلثم ويـرد اللمى ... إيـه بـرغم العـاذل الحـاسـد[5]
روِّ صـدى قـلبي ودع عـاذلي ... في الحب يغتـاظ على الـبـارد

ومنه قوله:

بـروحي معسـول اللمى متحجب ... إذا لم يزر لم يهن عيش ولا إذا
وإن ذقت منـا من حـلاوة ريقـه ... أتـانـا رقيب يتبـع المن بـالأذى

ومنه قوله:

يا كعبة الحسن الممنـع لا تطل ... بيني وبينـك للجفاء حجـاز[6]
حـاشى لهـا من قـامـة ألفيـة ... يثني لقـاهـا كـاشـح همـاز[7]

---

(١) اللدن: الطري.
(٢) اللص والناهب والسالب: السارق.
(٣) مبقل الخد: الذي نبت شعر خده ـ الطلا: الخمره ـ عاتبي: لائمي.
(٤) أحمر المشروب: النبيذ ـ أخضر الشارب: الشاب الأمرد الذي لم ينبت شارباه.
(٥) اللمى: سمرة أو سوادٌ في باطن الشفة السفلى يعد من عناصر الجمال في المرأه ـ إيه: اسم فعل أمر بمعنى الزجر.
(٦) الجفاء: الهجر والابتعاد ـ حجاز: حاجز.
(٧) الكاشح: المبغض ـ الهمّاز: المغتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلافٍ مهين* همّاز مشّاءٍ بنميم﴾.

ومنه قوله:

يا واصف الخيل بالكميت وبالنهد أرحني من طول وسواسي [1]
لا نهد إلا من صدر غانية ولا كميت إلا من الكاس

ومن هنا أخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس، وقال:

وإن ذكرت الخيل في الميدان فاشرب كميتاً واعل فوق نهد

ومنه قوله:

قلت ولي في هوى حبيبي قلب رقيق عليه يدهش
بالجفن والصدغ يا عنائي هذا سقيم وذا مشوّش [2]

ومنه قوله:

نقطة خال في وجنة جعلا في اللهو لي بعد نوبتي غبطه [3]
فيا لها وجنة معشقة صرت عليها أقول بالنقطه

ومنه قوله:

إذا سألوني عن هوى قد كتمته سكت أراعي واشياً ورقيبا [4]
وجاوب عني سائل من مدامعي فللّه دمعي سائلاً ومجيبا

ومن اختراعاته الغريبة مع بديع التضمين قوله:

لما رأيت نهودها قد أقبلت ورأت لقلبي عشقه يتجدد
قالت وقد رأت اصفراري من به وتنهدت فأجبتها المتنهد

ومنه قوله:

وتاجر قلت له إذ رنا رفقاً بقلب صبره خاسر
ومقلة تنهب طيب الكرى منها على عينك يا تاجر [5]

---

(١) الكميت: ذات اللون الأحمر المائل إلى السواد ـ النهد: المستعدة دائماً.
(٢)) مشوّش: غير مرتب.
(٣) ، النوبة: دورة من الجنون تصيب الإنسان وتسمى ب النقطة أيضاً ـ الغبطة: الفرح والانبساط.
(٤) الواشي: النمام الذي ينقل الكلام بين المحبين بقصد إفساد ما بينهما.
(٥) على عينك يا تاجر: هذا مثل يضرب في الإنسان الفاجر الوقح.

وهذه النكتة زاحمه فيها الشيخ زين الدين بن الوردي، وزناً وقافية ومعنى، وقال:

وتاجر شاهدت عشاقه والحرب فيما بينهم دائر
قال علام اقتتلوا هكذا قلت على عينك يا تاجر

واتصَلَتْ بالشيخ شمس الدين الرئيس الدمشقي العصري الشهير بالمزين، فاستعملها أحسن من الشيخ زين الدين بن الوردي، وزاد المثل قوّة وإيضاحاً بقوله:

وتاجر أسكرني طرفه والكاس فيما بيننا دائر
وقال لي سرك قلت اسقني جهراً على عينك يا تاجر

ومنه قوله:

أفنى جفاكم كثير دمعي لكن بقي في القليل نشطه[1]
وكنت أروي عن ابن بحر فصرت أروي عن ابن نقطه

ومنه قوله وتلطف كثيراً:

خف خصر الحبيب ثم ابتلاني بعذول يزيدني تعنيفا
ليت لو كان في الملامة مثلي في هوى الخصر يؤثر التخفيفا

ومنه قوله:

وكنت أظن العشق يترك مهجتي إذا زاحم الشيب الشباب بمفرقي
فلما بدا مع أسود الشعر أبيض أتى العشق يغزوني على ألف أبلق[2]

ومنه قوله:

يا حبذا خد الحبيـ ـب وقد أضاء شريقه[3]
إن لم يكن في الحسن نفـ ـس الروض فهو شقيقه

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي، وقال:

فديت حبيباً ضرج الحسن وجهه وصب على خديه ذوب عقيق
إذا أبصر الروض المديح خده يقول لنا هذا أخي وشقيقي

---

(١) النشطة: واحدة النشاط، وفي الأصل: العضة أو اللدغة.
(٢) الأبلق: الحصان، وهو ذو اللونين الأبيض والأسود.
(٣) الشريق: الإشراق.

ومنه قوله:

يـا حبـذا يـومي بـوادي جلق وفـرحتي مـع الغـزال الحـالي
مـن أول الجبهـة قـد قبلتـه مـرتـشفـاً لآخـر الـخلخـال[١]

ومنه قوله:

آهـاً لـحـاذق ذهـن يقول في الحب من لي[٢]
قـال الـعـذار لـحـذقـي مـا أنت من خـل بقلي[٣]

ومنه قوله مع التضمين للمثل:

في الناس من يشتاق للمـرد ولا يـزال في هجر وشـوق يبطنـه[٤]
وآخـر شـاخـوا ومـا يتـركهـم ذا يشتهي التيـن وذا يقـطنـه[٥]

ومنه قوله:

يا من يقول البدر أو شمس الضحى كـمعـدني لا كيـد لـلقمـريـن
أبـوجـه ذاك ووجـه تلك تقيسـه قسمـاً لقـد أخـطأت من وجهين

ومنه قوله:

تسبـوه حسنـاً للهـلال وعينـه للظبي تنسب لا رميت ببينـه[٦]
فـإذا بـدا فـإلى هـلالٍ أصله وإذا رنـا فهـو الغـزال بعينـه

ومثله ومن خطه نقلت:

يـرنـوا ويـشـرق حـسـنـه فـي نـاظـري ولـهـانـه[٧]
فـهـو الـغـزالـة والـغـزا ل بـعـيـنـه وعـيـانـه[٨]

---

(١) ارتشف: شرب بملء فمه، وعلى مهل ـ الخلخال: ما تضعه المرأة من زينة في ساقها.
(٢) الذِّهن: الذكي.
(٣) الخل: عصير العنب المخلل ـ البقل: نبات معروف.
(٤) المرد: جمع أمرد وهو من الشباب الذي لم ينبت شارباه بعد ولا شعر لحيته ـ أبطن: ستر.
(٥) يقطن التين: يجعله كالقطن مكبوساً وملفوفاً.
(٦) البين: الفراق والهجر.
(٧) اللهان واللهنة: ما يهدى للمسافر عند عودته أو ما يهديه هو عند عودته.
(٨) العيان: الأثر المادي للجسم.

وضاقت عين الشيخ صلاح الدين الصفدي عن هذه النكتة، فأخذها بعينها وقال:

بسهم أجفانه رماني   وذبت من صده وبينه[1]
إن مت ما لي سواه خصم   لأنه قاتلي بعينه

. ومنه قوله:

دعوني في حلي من العيش مائساً   ومرتقباً بعده عفو راحم[2]
أمد إلى ذات الأساور مقلتي   واسأل للأعمال حسن الخواتم

ومنه قوله:

لما تبدي في الحنيـ   ـن تحاربت كبدي وعيني
فاعجب لها من وقعة   جاءت ببدر في حنين[3]

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطي، فقال:

بدت روادف حبي   تحت الحنين بعين
فقلت يا بدر هذي   حقاً جبال حنين

ومن لطائف الشيخ جمال الدين قوله:

دعوا شبيه الغزال يرمي   في مهجتي بالنفار جمرا[4]
تالله لا فاتني لقاه   وعين كيسي عليه حمرا

ومنه قوله:

بأبي نائم على الطرق راحت   في هواه وليس يعلم روحي
فاتح في الكرى فما سكريا   يا له من مسكر مفتوح

ومنه قوله:

ملأت إنسان عيني عسجداً   من خدود قد ملاها الحسن صبغا

---

(١) الصد: الإعراض.
(٢) المائس: المتبختر أو الماجن.
(٣) بدر وحنين: من حروب المسلمين الشهيرة.
(٤) النفار: أيام معينه من وقت الحج وبالتحديد اليومين الثاني والثالث من أيام التشريق، ورمي الجمار: من مناسك الحج.

قـلت والـردف أريـني فـانثـنت ثم قالت هكذا الإنسان يطغى [1]

ومنه قوله:

ومن الشقـا أن الجفا وتشـوقي لا ينتهي هـذا وذاك إلى طـرف
ما مال غصن قـوامه عن فكـرتي يـومـاً ولا دينـار وجنتـه انصـرف

ومنه قوله:

سلت مهجة قد كان صدَّعها الأسى فلا آخذ الله الأسى بصـدوعها[2]
وعين على حـالي بعـاد وجفـوة عفا الله عما قد جرى من دموعها

ومن لطائفه قوله:

من التـرك أنني سلوتي مع أنهـا صواب وأفتي فيه وهو من الخطا
أما والهوى لا حلت عن عطف أغيد ولا بت في رمان صدر مفرطا[3]

ومن نكته البديعة في المدائح قوله:

لنـا ملك قـد قـاسمتنـا هبـاتـه فنثر العطا منه ونظم الثنـا منا[4]
يـذكـرنـا أخبـار معن بجـوده فننشي له لفظاً وينشي لنا معنى[5]

وقال في صدر مطالعه:

خـذ من عبيـدك مقتضى نيـاتهـا في الحمد واعذر مقتضى أقوالها
قسماً لو اسطاعت إليك جسومهم بعثت دروج الحمد من أوصالها[6]

وقوله:

لا عـد منـا لابن الأثيـر يـراعـاً جـاريـاً لـلعـفـاة بـالأرزاق [7]
كلما ماس في المهـارق كالغصـــــن رأيت الندى على الأوراق.[8]

---

(١) يطغى: يجاوز الحدود التي وضعها الله في كل الأمور.
(٢) صدّع: شقق، وأضعف ـ الأسى: الحزن.
(٣) مفرط: مكثر، متجاوز الحد.
(٤) العطا: العطاء ـ الثنا: الثناء وهو المدح.
(٥) معن: هو معن بن زائدة، من الأجواد.
(٦) دروج: صناديق ـ الأوصال: المفاصل.
(٧) اليراع: القلم ـ العفاة: طالبو المعروف.
(٨) ماس: مال وتحرك ـ المهارق: الصحائف التي يكتب عليها.

وقوله في كمال الدين بن الزملكاني:

يفديه قوم تشبهوا حسداً	به وليسوا له بأشباه
إن نطقوا بالجميل أو فعلوا	فللريا والكمال لله [1]

ومنه قوله:

لعمري لقد أفحمت بالفضل منطقي	وقد كنت ذا نطق وفضل بيان [2]
وحركت ميزاني فأثنى لسانه	فلا زلت مشكوراً بكل لسان

وقال، وقد كتب إليه الملك المؤيد صاحب حماة:

فديتك من ملك يكاتب عبده	بأحرفه اللاتي حكتها الكواكب [3]
ملكت بها رقي وانحلني الأسى	فها أنا ذا عبد رقيق مكاتب[4]

وقال يهنىء القاضي جمال الدين، وقد عاد من غزوة سيس:

بقيت مدى الدنيا جمالاً لدولة	لها منك شهم في اللقا ورئيس
يسوق لها عند الفتوح جنائبا	وأوّل هاتيك الجنائب سيس[5]

ومنه قوله في جواد:

وأدهم اللون حندسي	في جريه للورى عجائب[6].
يقصر سعي الرياح عنه	فكلها خلفه جنائب

ومنه قوله وقد كتب بها إلى الصاحب شرف الدين يعقوب:

قالت العليا لمن حاولها	سبق الصاحب واحتل ذراها
فدعوا كسب المعالي إنها	حاجة في نفس يعقوب قضاها

---

(١) الريا: الرياء وهو الكذب والنفاق والخداع.
(٢) أفحم: أسكت بالحجة، ومنعه النشاط...
(٣) المكاتبة: هي أن يكتب عهد بين العبد والسيد أنه يصير العبد حراً مقابل مبلغ معين من المال.
الرق: العبودية - أنحل: أضعف - الأسى: الحزن.
(٤) الخِلع: جمع خِلعة وهي الهدية من الثياب.
(٥) الجنائب: النواحي والجهات.
(٦) الأدهم: من الخيل الأسود اللون - الحندسي: لونه لون الحندس وهو الظلام.

ومنه قوله:

قصدت معاليك أرجو الندى ... وأزجي من العسر داء دفينا[1]
فما كان بيني وبين اليسار ... سوى أن مددت إليك اليمينا[2]

وقوله يهنىء محتسباً:

تهنأ بها حسبة أدركت ... بأيام فضلك ما ترتقب
فإنك من أسرة تصطفي ... وترزق من حيث لا تحتسب[3]

ومنه قوله يهنىء بعيد النحر:

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعاً ... بأمثاله سامي العلا نافذ الأمر[4]
تقلدنا فيه قلائد أنعم ... وأحسن ما تبدو القلائد في النحر

وقوله:

كذا أبدا يا أرفع الناس همة ... غوادي الندى من راحتيك غزار
أقدم أطراساً وتمنح أنعماً ... فمني أوراق ومنك ثمار

ومنه قوله، وكتب بها إلى القاضي بهاء الدين بن أبي البقاء على يد طالب شفاعة:

أرسلته لك واثقاً بمكارم ... أورثتها عن سادة أنجاب
لا غرو أن أعربت عن أحسابهم ... فأبو البقاء أحق بالإعراب

ومنه قوله، وكتب بها إلى القاضي شمس الدين البهنسي:

يا رب أمدد بالغنى يد سيد ... في يومه يهب الجزيل وفي غده
فالبحر يسعى خادماً في بابه ... والسحب جارية تصب على يده

ومنه قوله، وكتب بها إليه:

عليَّ ديون من ثنا لم أقم بها ... فيا عجباً في ازديادي من الفضل
وأعجب من ذا أنك الشمس أشرقت ... وها أنا منها حيثما كنت في ظل

---

(١) الندى: العطاء ـ العسر: الفقر والضيق.
(٢) اليسار: الغنى والثراء.
(٣) تصطفى: تختار.
(٤) عيد النحر: هو عيد الأضحى سمي بذلك لأن الحجيج ينحرون فيه الأضاحي تقرباً إلى الله تعالى
سامي: عالي ـ نافذ الأمر: مطاع.

ومنه قوله، وقد أرسل إليه شرف الدين خالد القيسراني هدية جليلة في وقتها:

لك الله ما أزكى وأشرف همة ... وأحمد صنعاً حيث تبلى المحامد[1]
فأنت الذي قرت برؤيته العلا ... وهنئت الدنيا بأنك خالد

قال وقد وصلت إليه هدية على يد الكمال:

قبضت من الكمال نداه عفواً ... بريئاً من سؤال أو مطال[2]
فيا لله من عادات بر ... أتتني بالتمام وبالكمال

وكتب إلى الصاحب تقي الدين بن هلال:

هنئت ما أوتيته من رتبته ... حملتك في العينين من إجلالها
في مقلة الإنسان نمت فقل لنا ... أنت ابن مقلتها أم ابن هلالّها

وقوله:

فديناك يا ابن المحسنين مجوّدا ... بأقلامه أو جائداً بمكارمه[3]
فحاتم عند الجود في بطن كفه ... وياقوت عند الخط في فص خاتمه

وقوله يهنىء بالعيد:

تهن بعَوْده عيداً سعيداً ... وعش ما شئت يا كهف البرايا
نحرت به جميع عداك فانحر ... قروناً آخرين من الضحايا[4]

ومنه قوله:

قف بباب العلا وقل يا كتابي ... عن لساني قول الخويدم حقا
أنا عبد مكاتب غير أني ... لست أبغي من مالك الرق عتقا[5]

---

(١) تبلى: تجرّب وتختبر ـ المحامد: الأعمال التي يحمد عليها فاعلها.
(٢) الندا: العطاء والهدية ـ المطال: إخلاف الوعد والتسويف.
(٣) مجوّداً: بالقلم: متأنقاً ـ جائداً: متكرماً، معطياً.
(٤) قرون: أجيال.
(٥) المكاتب: العبد يتفق مع سيده على أن يكون حراً مقابل مبلغ معين من المال ـ العتق: التحرر.

وقال وقد أنعم عليه بنصيفة:

سور الذكر سهلت لي نصيفة علت[1]
فبياسين عوذت وبحاميم فصلت[2]

وتلطف بكتابته إلى من أنعم عليه بالنصيفة، بقوله:

يا سيدي نصيفتي قد فصلت وعجزت لما غبت عن تبطينها
ما حلت فيها عن ندى نعما يديـــك ولا اتخذت بطانة من دونها[3]

وكتب إلى القاضي شمس الدين البهنسي:

شكر الله أياديك التي أنعشت حالي بشمس الهبات
أنت بالمعروف قد أحييته وكذا الشمس حياة للنبات

وقال يهنىء قادماً من الحجاز:

قالوا سررت زائداً بقادم حج شهاباً ثم عاد بدرا
تقصد منه ماله أو جاهه قلت نعم كلاهما وتمرا

وكتب إلى من أهدى إليه تمراً رديئاً غالبه نوى:

أرسلت تمراً بل نوى فقبلته بيد الوداد فما عليك عتاب
وإذا تباعدت الجسوم فودّنا باق ونحن على النوى أحباب[4]

ومنه قوله:

قال فتح الدين إذ حدَّثنا يتلافى قصة تفضي لمنحى[5]
كيف أثمار حديثي عندكم قلت فصي أولا فهو فتحي

وقال يهنىء ولد الأمير ناصر الدين بن فضل الله العمري بإمرة عشرة:

---

(١) الذكر: القرآن الكريم ـ النصيفة: العمامة. أو أي غطاء للرأس.
(٢) ياسين: سورة يس ـ عوّذت: حميت ـ حاميم: سورة حم السجدة من القرآن الكريم.
(٣) البطانة: قطعه من القماش الناعم تخيط على داخل الثوب، والحاشية من الأتباع والأعوان.
(٤) النوى: السفر والبعد، والبذور من الثمار.
(٥) تلافى: تحاشى وابتعد ـ أفضى: إلى الأمر أو إلى المكان: أوصل إليه.

هنئتها إمرة مجدَّدة يا ابن السراة الأكابر البرره،[1]
أقسم من ذا وذا بأنكم وجدتم من أكابر العشره

ومن لطائفه في هذا الباب قوله:

والله ما عجبي لقدرك إنه قدر على باغي مداه بعيد[2]
إلا لكونك لست تشكو وحشة في هذه الدنيا وأنت وحيد

وكتب على شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الأصفهاني:

أخا العلم إن الشمس باد ضياؤها فسر بسناها حيثما أنت سائر
وخل فتى شيراز عنك فإنما هو القطب قد دارت عليه الدوائر

ومن لطائفه قوله:

وصلت إلى باب المعز وظله وفارقت ذلي إذ وصلت إلى العز
وأصبحت من جند المحامد والثنا ولا بدَّ للجندي من طلب الخبز

وقوله في الجامع الأموي بدمشق:

أرى الحسن مجموعاً بجامع جلق وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فإن يتغالى بالجوامع معشر فقل لهم باب الزيادة مفتوح[3]

ومن مداعباته ومجونه وإعراضه ونكته اللطيفة، في باب التورية، قوله:

يا أير لا تركن لعِلقٍ ولا تثق به واتركه مع نفسه
ولا ترج الود ممن يرى إنك محتاج إلى فلسه

ومن مداعباته اللطيفة مع الشيخ بدر الدين حسن الزغاري، مضمناً قوله:

يا غائباً عن مجلس قد شاتمت ندماه واشتعلت عليه الأكؤس
نبئت أن النار بعدك أوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس[4]

---

(١) السراة: الأشراف والسادة.
(٢) الباغي: المريد والطالب.
(٣) يتغالى: يتباهى.
(٤) استب: تشاتم ـ كليب: هو كليب وائل الذي قتله جساس بن مرة لأجل ناقة البسوس، وتصغير كلب، للتحقير.

ومنه قوله في مليح اسمه إلياس:

أفدي مليحاً في البرايا لم أزل طول الزمان عليه في وسواس
قالوا أتقطعه كثيراً قلت من راحات قلب المرء قطعُ إلياس

وقوله:

لهفي على فرسي الذي أضحى قريح المقلتين[1]
يكبو وأملك رقه فمعثر في الحالتين[2]

ومنه قوله:

سافرت للساحل مستبعضاً قصداً وحمداً حسن الجملة[3]
فيا له من متجر رابح ما نفقت فيه سوى بغلتي[4]

وقوله:

ميزاني العاطل المحلى قال له الفقر قف مكانك
لا تذكر المال عند هذا ولا تحرك به لسانك

ومنه قوله يداعب صديقاً له يروم ولاية القضاء:

رب إن ابن عامر هائم الفكـــــــر معنى في صبحه والمساء[5]
يتمنى القضا فلا تعطينه واجعل الموت سابقاً للقضاء

ومثله قوله:

لقد أصبحت في حال يرق لمثلها الحجر
مشيب وافتقار يد فلا عين ولا أثر[6]

---

(١) قريح: مجروح ـ المقلة: معظم العين.
(٢) كبا الجواد: تعثر ـ والمعثر: الذي يتعثر ويكبو أو الذي لاحظ له.
(٣) هكذا في الأصل: مستبعضاً، ونعتقد أنها: مستبضعـاً: أي طالباً للبضاعة لمناسبة المعنى.
(٤) نفقت الدابة: ماتت، أو بيعت.
(٥) المعنى: الكثير الإهتمام والاعتناء لدرجة الوسواس.
(٦) يرق: يصبح رقيقاً ويشفق ويعطف ـ لا عين ولا أثر: لاملك مادي ولا ملك معنوي، وهذا مثل يقال للفقير المعدم.

ومنه قوله يداعب بعض أصحابه:

بفلان في الديوان صورة حاضر ... وكأنه من جملة الغياب
لم يدر ما محزومه وجريده ... سبحان رازقه بغير حساب [1]

ومن لطائفه قوله يهنىء شارب دواء:

أمط بالدواء ثياب الأذى ... وطب بالرواح به والغدوّ [2]
وكرر أحاديث بيت الخلا ... ولكن على رغم أنف العدوّ

وكتب إلى صفي الدين الحلي مداعباً له:

أوقعني ودّي مع هاجر ... يبخل بالدَّرْج وبالوصل [3]
والله لا غررت من بعدها ... ولا جعلت الودّ في حل [4]

ومنه قوله:

وقالوا أحاطت ذقنه بخدوده ... ووجدك لا ينفك يذكر حسنه
فقلت نعم ضيفي بقلبي نازل ... أعظم مثواه وأكرم ذقنه

وقوله:

رب مليح حسن صوته ... قالوا وقد أصبح ذا ذقن
لحيته قد قطعت حلقه ... قلت من الأذن إلى الأذن

وكتب، وقد أهدى إليه بعض أصحابه ديوكاً:

وصلتنا ديوك برك تزهو ... بوجوه جميلة مستجاده [5]
كل عرف يروق حسنا وإني ... أرتجي أن تكون عرفاً وعاده [6]

---

(١) الجريدة: دفتر أرزاق الجيش في الديوان.
(٢) أماط: أزاح وخلع.
(٣) الدَّرْج: الطاعة.
(٤) في حل: أي بغير عهد.
(٥) برِّك: جودك.
(٦) العرف: القطعة القرمزية التي تعلو رأس الديك، وما تعارف عليه الناس ـ راق: أعجب.

وكتب إليه في المعنى:

قل للرئيس جمال الدين لا برحت ... هباته ذات تأسيس وإيناس[1]
واصل رجاي بعرف الديك مقتبلاً ... لن يذهب العرف بين الله والناس

ومن لطائفه في هذا الباب قوله:

لقد عُدناكم لما ضعفتم ... فلا والله ما وافيتمونا[2]
أقيموا في ضناكم أو أفيقوا ... فإن عدنا فإنا ظالمونا

ومنه قوله. وقد صرف عن مباشرته:

أيا ابن نباتة جار الزمان ... وزلت وزالت قوى همتك
وقد كنت ذا خدم وانقضت ... فلا أوحش الله من خدمتك

ومن نكته اللطيفة قوله في هذا الباب:

أحمد الله كم أجوّد في الخلـ ... ـق مقالاً وما يفيد المقال
كلمي في الأنام سحر ولكن ... أنا والسحر باطل بطال

وقوله:

لقد أصبحت ذا عمر عجيب ... أقضي فيه بالإنكاد وقتي
من الأولاد خمس حول أم ... فوا حرباه من خمس وستِ[3]

ومن لطائفه قوله:

قد لقبوا الراح بالعجوز وما ... تخرج ألقابهم عن العادة
ألانت الغادة التي امتنعت ... فصح أن العجوز قواده[4]

وقال يداعب كبير الأنف:

أقبل عند القوم يسألني ... من أي أرضيك نلت إيشارا
قلت من النيك ما رأى بصري ... خيراً ولكن رأيت منقارا

---

(١) التأسيس والإيناس: من المصطلحات العروضية.

(٢) عاد الضعيف: زار المريض ـ وافى: زار أو جاء.

(٣) ست: العدد والسيدة.

(٤) الغادة: الحسناء الناعمة ـ القوادة: التي تقود إلى الفجور والفحش. ـ

ومن لطائف مجونه:

أرى أيـري تكبـر في جلوسي ... وفي عمر وأعطى اللؤم قومه
فـأمسى لا يـقـوم لـزائـريـه ... وإن زار العزيز فنصف قومه[1]

وقال في صديق باع مملوكاً وتزوّج امرأة جميلة:

لي صاحب ترك المليح وعاد في ... حب المليحة من ذوي الأقدار
قد كان عبد الأشهب المنسوب في ... حسن فأضحى وهو عبد الدار

ومن لطائفه قوله في هذا الباب:

لقد أضحت سعاد تعاف أيري ... وتحوجها الضرورة أن تجامل
فتمعكه بلا قلب لديها ... وتأخذه بأطراف الأنامل[2]

ومنه قوله مع التضمين المخترع، وهو:

دنوت إليها وهو كالفرخ راقد ... فيا خجلتي لما دنوت وإدلالي
وقلت امعكيه بالأنامل فالتقى ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومنه قوله:

محبوبتي دنيا جفت بعدما ... جادت وكانت نزهة الهائم
كانت مع الأير زمان الصبا ... وهكذا الدنيا مع القائم

ومن لطائفه قوله:

باع صديقي لجام بغلته ... ليشتري الخبز منه والأدما[3]
واها عليه راحت جرايته ... فهو على ذلك يعلك اللجما[4]

ومن لطائف مجونه قوله:

يا ملاذي الغوث من عائلة ... ليس من تكليفهم لي مهرب
طلبوا في أرجلي شيئاً وقد ... نقبوا رأسي بما قد طلبوا

---

(١) العزيز: عزيز مصر والمحبوب.
(٢) تمعكه: تدلكه وتفركه.
(٣) الأدم: ما يؤكل مع الخبز من الطعام.
(٤) الجراية: الصِّبا. علك: مضغ ـ اللجم: جمع لجام وهو حديدة توضع في فم الحصان للسيطرة على سرعته.

ومنه قوله:

جنينة التين وجيرانها قد طيبت لذاتها وقتي
وكثرت عندي ما أشتهي فالتين من فوقي ومن تحتي

وقال يداعب صديقاً له طلق زوجة تسمى دنيا:

قل لابن بغلان الذي أصبحت كرته بين الورى خاسره
ظلمت دنياك وفارقتها ورحت لا دنيا ولا آخره

وقوله:

تبسم الشيب بذقن الفتى يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصبا ذلة أن يضحك الشيب على ذقنه

ومن أغراضه اللطيفة في إهداء كتاب قوله:

أرسلته نعم الجليس إذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا أبداً ويقنع بالنظر

وقوله:

لله تصنيف له رونق كرونق الحبات في عقدها
كادت تصانيف الورى عنده تموت للهيبة في جلدها

وقال وقد عتب عليه القاضي بدر الدين، لأمر:

أهلتني للعتب حتى لقد لذ لسمعي وهو صعب شديد
هذا ولو قطعتني لذلي وسرني أني ببدر شهيد

وقال يداعب جندياً من أصحابه عرض ولم يقبل:

ظننا طوله يجدي .ليوم العرض أو يرضي
فلا والله ما أجدى وراح الطول في العرض

ومن لطائف مجونه قوله:

صفا لون شيبي ثم كدَّر عيشتي فيا عجباً للشيب من كدر صافي
وصار على الأكتاف يضحك من يرى فآهاً له شيباً يقطع أكتافي

ومن أغراضه اللطيفة قوله:

كانت للفظي رقة ... ضن الزمان بما استحقت
فصرفتها عن قدرتي ... وقطعتها من حيث رقت

ومن لطائف مجونه قوله:

قالت أريد من طبيخ قدرة ... وكثرت حاجاتها وأوغلت[1]
فقلت هذي قدرة يا ستنا ... من قبل أن تمسها النار غلت[2]

ومن لطائف مجونه قوله:

دعاني صديق لحاجاته ... فأوقعني في العذاب الأليم
كلام يزيد وماء يقل ... فبئس الصديق وبئس الحميم

ومنه قوله:

ما زلت أقلع شيبة نسخت بها ... فسواد عقد شبابها مفسوخ
حتى غدت صفحات وجهي آية ... لا ناسخ فيها ولا منسوخ[3]

ومن مراثيه البديعة قوله يرثي الملك المؤيد صاحب حماة:

ألا في سبيل الله ملك مؤبد ... كنصل غدا في باطن الأرض مغمدا
على الرغم منا إن أتى منه لامع ... وجاوبنا من حول تربته الصدى

قوله وقد توفي له ولد ولم يبلغ حولاً:

يا راحلاً من بعد ما أقبلت ... مخايل للخير مرجوّه
لم تكتمل حولاً وأورثتني ... ضعفاً فلا حول ولا قوّة

ومثله قوله في ولده عبد الرحيم:

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا ... شوقي إليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحِمام لقد ... أحرقت بالنار يا كانون أحشائي[4]

---

(١) قدرة: قدر صغير يطبخ فيه ـ أوغل في الشيء: زاد فيه.

(٢) الست: السيدة.

(٣) الناسخ والمنسوخ: من آيات القرآن: الناسخ التي تبطل حكم المنسوخ وهو الآيات التي بطل حكمها.

(٤) الحِمام: الموت.

ومنه قوله فيه:

آهاً لشمل قد وهى سلكه | وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتني لاقيت عنه الردى | وعاش ذاك الدردرا يتيم

وقال يرثي جارية له:

يقولون قد أخلقت جفنك بالبكى | نعم إن جفني بالبكاء حقيق[1]
دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخياً | فإني عدمت الدمع وهو شقيق

وقال يهنىء بالعشر بعد تعزية بميت:

أتيتك يا أزكى البرية جامعاً | لأمرين في يوم من الدهر وافد
هنا وعزا لا عيب فيه لأنني | أهني بعشر إذ أعزي بواحد

وقال يرثي الملك الأفضل صاحب حماة:

مضى الأفضل المرجو للبأس والندى | وصحت على رغم العداة وفاته
وما مات إذ ماتت بحزن نساؤه | وماتت بأحزان البلاد حماته

وقال في رثاء طفل:

بدا وفي حاله تواري | فيا لها طلعة شريقه
جوهرة ما عملت إلا | دموع عيني لها عقيقه[2]

وقال في رثاء ولده أيضاً:

قالوا فلان قد جفت أفكاره | نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما | سكن التراب وليده وحبيبه

انتهى ما وقع عليه الاختيار ووعدت بإيراده من غرائب الشيخ جمال الدين بن نباتة، وبدائعه في باب التورية على اختلاف أنواعها، وقد تقدم قولي إن الراية الفاضلية هو عرابة مجدها، وواسطة عقدها، وقائد زمامها، ومسكة ختامها. وقدمت أيضاً من مشى تحت الراية الفاضلية، من ابن سنا الملك إلى الوداعي، ولما رفع العلم النباتي كانت هذه الفرقة التي مشت تحت هذا العلم أكثر عدداً وأشهر ذكراً، وأعلى رتبة نظماً ونثراً.

---

(١) أخلق: أبلى ـ حقيق: جدير.

(٢) العقيقة: ما يعمل من الطعام عند ولادة المولود.

وقد عنَّ لي أن أذكر هنا لكل من عاصره ومشى تحت علمه النباتي، وتحلى بنكته الأدبية، نبذة من مختار مقاطيعه التي حلاوتها في الأصل نباتية، ليظهر صدق قولي في تفضيل الصحابة المحمدية، وأشرع بعد ذلك في إيراد نبذة من نظم التابعين لهم بإحسان، وأدير هذا الكاس بحيث يتسلسل دوره إلى أهل هذا العصر والأوان، والعصابة التي مشت تحت العلم النباتي، وتحلت بقطر نباته هم: الشيخ صلاح الدين الصفدي، والشيخ زين الدين بن لوردي، والشيخ برهان الدين القيراطي. ومذهبي أنه أقرب الناس إلى الشيخ جمال الدين، نظماً ونثراً، والشيخ شمس الدين بن الصائغ، والشيخ بدر الدين ابن الصاحب، والشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة، والشيخ إبراهيم المعمار، والشيخ بدر الدين حسن الزغاري، والشيخ يحي الخباز الحموي، والشيخ شهاب الدين الحاجبي.

وممن أدركهم وعاصرهم المصنف، وكتبوا إليه وكتب إليهم، وأنشدوه وأنشدهم من أهل مصر والشام: الشيخ زين الدين بن العجمي عين كتاب الإنشاء الشريف بالديار المصرية، والقاضي فتح الدين بن الشهيد صاحب دواوين الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة، وناظم السيرة النبوية نور الله ضريحه، والشيخ عز الدين الموصلي والشيخ علاء الدين بن ايبك الدمشقي والشيخ جلال الدين ابن خطيب دارياً، والشيخ شمس الدين الرئيس الشهير بابن المزين، والصاحب فخر الدين بن مكانس وولده الجناب المخدومي المجدي، وسيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء قدس الله روحه، ولكن ما رأيته، والشيخ شرف الدين عيسى الشهير بعويس، والشيخ شهاب الدين بن العطار، ولكن ما حضرته، والشيخ جمال الدين، ولكن ما رأيته، وصاحبنا الشيخ شمس الدين المتنبي المصري، والفرقة التي أطال الله بقاءها وأمست قواعد الأدب بها قائمة، وختمت بهم هذه الطريقة البديعة وأخلصوا في العمل ففازوا في الحالتين بحسن الخاتمة، وهم: القاضي بدر الدين ابن الدماميني المالكي المخزومي، فسح الله في أجله، والشيخ الإمام الحافظ العلامة شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي، رحمه الله تعالى، والشيخ بدر الدين البشتكي رحمه الله تعالى.

ونبدأ بمن تقدم ذكره أولاً فأولاً. فمن محاسن الشيخ صلاح الدين الصفدي في باب التورية، رحمه الله قوله:

أفديه ساجي العيون حين رنا ... أصاب مني الحشا بسهمين(١)
أعدمني الرشد في هواه ولا ... أفلح شيء يصاب بالعين

---

(١) ساجي العيون: ساكنها ـ رنا: نظر.

ومثله قوله:

لقد شب جمر القلب من فيض عبرتي كما أن رأسي شاب من موقف البين[1]
فإن كُنت ترضى لي مشيبي والبكى تلقيت ما ترضاه بالرأس والعين

ومثله في تورية العين قوله:

سألتم عن منام عيني وقد براه جفا وبين
واليوم قد غاب حين غبتم ولم يقع لي عليه عين

ومثله قوله:

إن عيني مذ غاب شخصك عنها يأمر السعد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي لا تسل ما جرى على الخد منها[2]

ومنه قوله:

وفقيه قلت صلني فالبكى قرَّح عيني
قال لا تفخر بشيء هو دون القلتين[3]

ومن لطائفه قوله:

قلت وقد أعرض عني ولم يصغ إلى الشكوى ولم يقبل
لا تطمعي يا نفس في وصله ويا دموع العين لا تسألي

ومن لطائفه قوله:

إن لم تصدقني تصدق بالكرى ليزورني فيه الخيال الزائل
وانظر إلى فقري لوصلك واغتنم أجري وقل للدمع قف يا سائل

وقوله أيضاً:

يقول الناس كيف يميل عنه الحبيب ويدعي صوناً وعفه
أليس لقده في كل يوم يمر مع النواسم ألف عطفه

---

(١) العبرة: الدمعة ـ البين: الفراق.
(٢) الغوادي: من السحاب التي تنشأ غدوة وهي أكثره مطراً.
(٣) القلتين: من القليل.

وقوله أيضاً:

وأحور أحوى فاتر الطرف قد غدا   به قلب صب بالجوى يتضرم[١]
كستني ضنى جسمي سهام جفونه   فبرد سقامي في هواه مسهم[٢]

وقوله مع حسن التضمين:

مقلته السوداء أجفانها   ترشق في وسط فؤادي نبال
ويقطع الطرق على سلوتي   حتى حسبنا في السويدا رجال[٣]

وألم الشيخ زين الدين بهذه النكتة، ولكن سبكها في غير هذا القالب بقوله:

من قال بالمرد فإني امرؤ   ميلي إلى النسوة ،ذات الجمال[٤]
ما في سويدا القلب غير النسا   ما حيلتي ما في السويدا رجال[٥]

ومنه قوله:

بجفنه سيف فرى حده   قلوب قوم في الهوى أسرى[٦]
ومن عجيب نصر ألحاظه   وجفنها المكسور قد فرّا

ومنه قوله:

وظبي معانيه بيان بديعها   له حار فكري إذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريريّ كلها   بعارضه مشروحة للمطرزي

وتزاحم الشيخ صلاح الدين والشيخ زين الدين بن الوردي، في هذا المعنى والنكتة، بقوله:

شبهت خد حبيبي   تشبيه فكر مبرز
مقامة للحريري   وشرحها للمطرز

---

(١) الأحور: شديد بياض بياض العينين وسواد سوادهما ـ الأحوى: الأسمر أو الأحمر الذي يميل إلى السواد ـ الصب: المغرم ـ يتضرم: يشتعل ويحترق.
(٢) الضنى: الضعف ـ المسّهم: الذي فيه صور السهام.
(٣) حسبك في السويدا رجال: مثل يضرب في الفرارين الجبناء.
(٤) المرد: جمع أمرد وهو الغلام لم تنبت لحيته وشارباه بعد.
(٥) سويداء القلب: مركز العواطف منه.
(٦) فرى: كلّ وعاد لا يقطع.

والذي يشهد به الذوق أن تركيب الصفدي أحسن وأقعد، ومنه قوله:

كـن كـيـف شئـت فـإن قـد رك قـد عـلا عـنـدي وعـزا
مـات الـسـلو تـعـيش أنـــت أمـا رأيت الصبـر عـزا[1]

ومن لطائفه في هذا الباب قوله:

قالوا حكى بدر الدجا وجه الذي تهـوى فقلت لهم قفوا وتـربصـوا
أنـا مـا أصـدّق مـا عليـه كلفـة فـإذا حكى شيئاً يـزيـد وينقص

ومنه قوله:

من شـافعي يـومـاً إلى مـالـك في أمـر روحي القبض والبسـطا
صـوب رأي النـاس في حبـه وشعـره في الأرض قـد خـطا

ومنه قوله:

يـقـول إذ أنـكـرتـه قـبـلة غـصـبـتـهـا فـي زورة الـطيـف
هـذا عـذاري وجـفـوني فـقـم واحلف على المصحف والسيف[2]

ومنه قوله:

يقـولون حـاكاه الهـلال فلا تـزغ عن الحق واعرف ذاك إن كنت تنصف[3]
فقلت إذا مـا صار بـدراً مكمـلاً حكـاه ومع هـذا عليـه تكلف[4]

وقوله:

إذا قلت قد أسرفت في التيه قال لي تقل في جمالي في الورى غير ما جرى[5]
وابيض طـرفي واقف عنـد حـده واسود شعري قد تواضع للثرى.

وقوله:

مـحـيـاه لـه حـسـن بـديـع غـدا روض الخـدود بـه مـزهـر
وعـارضـه رأى تلك الحـواشي مـذهـبـة فـزمكـهـا وشعـر[6]

(١) عز الصبر: ندر وقلّ.
(٢) العذار: الشعر في مؤخر الرأس ما بين الأذنين.
(٣) زاغ: مال وحاد.
(٤) حكاه: شابهه ـ التكلف: الكلف وهو ما يعتري وجه الحامل من النمش.
(٥) التيه: التكبر.
(٦) زمكها: ملأها.

وقوله:

أقول وحر الرمل قد زاد وقده وما لي إلى شمّ النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قد مات وانقضى فعهدي به في الشام وهو عليل

النسيم العليل تلاعبوا به كثيراً، ولكن قول الصفدي: فعهدي به في الشام وهو عليل، في غاية اللطف.

ومنه قوله:

كؤوس المدام تحب الصفا فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها فأحسن ما ذهبت بالطلا

وقوله:

قلت لما شوى أوزاً حبيبي واكتسى باللهيب ثوب ثناء
لو يعيش الجزار مات غراماً في معاني محاسن الشواء

وقوله:

كلفي ببدر صائغ كالبدر في جو السماء
سكر المحب بريقه وغدا يموِّه بالطلاء

ومنه قوله:

شوى الأوز فأضحت في حمرة الخد بسطه
فقلت تشوى إوزاً أم كنت تشرب بطه[٢]

ومنه قوله:

قل للعذول يسترح من عذلي ما أصبح المعشوق عندي مشتهى
وارتدَّ قلبي عن سيوف لحظه وكل شيء بلغ الحد انتهى

ومن نكته البديعة قوله:

أقول له ما كان خدك هكذا ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجا[٣]

---

(١) الطلا: الخمر والدهان.

(٣) البطة: الباطية وهي وعاء من أوعية الخمر.

(٤) الصدغ: الشعر بين العين وشحمة الأذن ـ الدجا: الظلام.

فمن أين هذا الحسن والظرف قال لي   تفتح وردي والعذار تخرجا[1]

وقوله:

أصبحت نابغة الغرام لصبوة   في غادة بجمالها متفرده
كم قد جلت من خدها وسيوف مقـلتها إلى النعمان والمتجرده

وقوله أيضاً:

أنفقت كنز مدائحي في ثغره   وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة   فأبى وراح تغزلي في البارد

وقوله:

قالت وقد مادت كغصن النقا   أسرفت في العشق بلا فائده [2]
فقلت منهوم الهوى لم يكن   يشبع إن مدت له المائده [3]

وقوله:

سكن البدو من أحب فقالوا   زاد أهل الغرام في البعد بعدا
قلت بالله هل سمعتم ببدر   غاب عن عاشقيه لما تبدى

ومن نكته الغريبة قوله:

سال العذار فسل سيف جفونه   حتى غدت مهج الورى أفلاذا[4]
يا صدغه والله كنا في غنى   عن أن نراك السائل الشحاذا [5]

وقوله:

أقول لقاض سهم مقلته غدا   يصيب الحشا لا تبغ قتلي ولا توذي
وإن كان قلبي عنده غير تائب   فدعه ولا تحكم عليه بتنفيذ

---

(١) تخرجا: صار له خرجاً وهو من التخريج وهذا نوع من التطريز في طرف الثوب.
(٢) ماد: مال.
(٣) منهوم: من النهم وهو شدة الجوع والعطش.
(٤) العذار: الشعر بين الأذنين من مؤخر الرأس ـ أفلاذ: جمع فلذه وهي القطعة.
(٥) الصدغ: الشعر بين العين والأذن ـ الشحاذ: المستعطي.

وقوله: أملت أن تتعـطفوا بـوصـالكم فرأيت من هجرانكم مـا لا يرى
وعلمت أن بعـادكم لا بـدّ أن يجري له دمعي دماً وكذا جـرى

وقوله: لئن سمح الدهر البخيل بقـربكم وسكن مني أنـفسـاً وخـواطـرا
جعلت ابتذال الروح شكران وصلكم وقلت لدمع العين يعمل ما جرى

وقوله: بـدا في الخد عـارضه فـأضحى عليـه معنـفي بـاللوم يغـري
وحـاول أن يـرى مـنـي سـلوّا وقـال لقـد تعـذر قلت صبـري

وقوله: تقول له الأغصـان إذ ماس قـدّه أتزعم أن اللين عندك قد ثوى[1]
فقم نحتكم في الروض عند نسيمه ليقضي على من مال منا مع الهوى

وقوله: تنـائى الذي أهـوى فمت صبابـة فقال عجيب كل أمرك في الهوى
صبرت لطرفي إذ رمتـك سهامـه ولم تتصبر إذ رمتك يد النوى[2]

وقوله: أتاني وقد أودى السهـاد بناظـري يمـزق جنـح الليـل بـارق فيـه
فنـاديتـه يـا طيب الأصل هكـذا أخـذت الكـرى مني وعيني فيـه

وقوله: بـأسيـاف الجفـون قتلت نفسـاً مـبـرأة عـن الـشـكـوى زكـيـه
فما أقوى جفـونك وهي مرضى وأقـدرهـا على قتـل البـريـه

وقوله: جـاء بقـدّ قـد ثنتـه الصبـا ورنحت أعـطافـه الـساميـه[3]
ومـذ غـدا في لينـه واحـداً كـانت لـه ريـح الصبا ثـانيـه

وقوله: وفي القلب من هـاجري لـوعـة بغيـر تـلافيـه مـا تـنـدمـل[4]
فيـا شعـره بعض هـذا الجفـا ويـا ردفـه أنت مـا تـتـحـمـل

وقوله: يـا قلب صبراً على الفراق ولـو روعـت ممـن تـحـب بـالـبـين
وأنت يـا دمـع إن أبحت بمـا تخفيـه وجـداً سقـطت من عيني

---

(١) ماس: مال واهتز ـ ثوى: أقام وسكن.
(٢) النوى: السفر والهجران.
(٣) الصبا: ريح ناعمه صحراويه ـ رنَّح: أسكر وأنشا ـ السامي: العالي. الأعطاف: الأطراف والجناب.
(٤) تلافي: احتراز واجتناب ـ اندمل الجرح: طاب وشفي.

وقوله: لولا شفاعة شعره في صبه ... ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تطاول في الشفاعة عنده ... وغدا على أقدامه يترامى

وهذه النكتة تزاحم هو والشيخ زين الدين بن الورديّ عليها، والله أعلم من المخترع، فإنهما كانا متعاصرين فقال:

كيف أنسى لشعر حبي يوماً ... وهو كان الشفيع فيّ لديه
شعر الشعر أنه رام قتلي ... فرمى روحه على قدميه

وقوله: إن قلت زرني قال لا ... بحاجب ما أظلمه
فما يرى جوابه ... إلا بنون العظمه[1]

والشيخ صلاح الدين تزاحم هو والشيخ برهان الدين القيراطي على هذه النكتة، وزناً وقافية والله أعلم من المخترع منهما، بقوله:

وتائه حدثته ... فلم يفه بكلمه
أجابني بحاجب ... لكن بنون العظمه

ويعجبني قوله:

أضحى نسيم دمشق حياها الحيا ... يمشي الهوينا في ظلال رباها
فكأنه من مائها وهضابها ... ما داس إلا أعيناً وجباها

ومثله قوله:

تقول دمشق إذ تفاخر غيرها ... بمعبدها الزاهي الرفيع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل معبد ... وما قصبات السبق إلا لمعبد[2] (ي)

وقوله:

لما زها زهر الربيع بروضه ... وغدا له فضل ينير لديه
قام الحمام له خطيباً بالهنا ... وجرى الغدير فخر بين يديه

---

(١) نون العظمة: النون التي تصاحب كل كلمة من كلمات المتكلم المفرد ـ وتدل على تعظيمه نفسه.

(٢) معبد الأولى: مكان العبادة، ومعبد الثانية؛ إسم المغني المشهور، ومع إضافة الياء إليها وهي ياء المتكلم، تصير بمعنى مكان العبادة، وإذا كانت الياء ياء النسبة تصير بمعنى: ذلك الذي ينتسب إلى معبد المغني أو الذي يسير على خطه أو غنائه.

وقوله: قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طمى[1]
فقلت هذا عجيب في بلادكم ... أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومن أغراضه قوله: رب طباخ به نضجت ... مهجات غير مرحومه
سلوتي عنه مزوّرة ... أبداً والنفس مغمومه

وقوله: أحببت باباً حسنه بارع ... سبى من النساك ألبابا
أغلق في وجهي باب الرضى ... فهل تراني أفتح البابا

وقوله: إن اللطافة لم تزل ... بين الأكابر فاشيه
أرأيت عمرك في الورى ... طرفاً رقيق الحاشيه

وكتب على لسان صاحب له طلب من صاحب سرجاً فلم يجهزه له، قوله:

عجباً كيف لم تجد لي بسرج ... وحده واللجام دأب النفوس
وإذا لم تبعثه في أول الأمـــر اختياراً فابعثه بالدبوس[2]

وكتب إلى من أهدى له صحن قطائف قوله:

أتاني صحن من قطائفك التي ... غدت وهي روض قد تنبت بالقطر
فلا غرو إن صدّقت حلو حديثها ... وسكرها يرويه لي عن أبي ذر

الجماعة تجاروا في هذه الحلبة وأجادوا، منهم الشيخ زين الدين بن الوردي، بقوله:

بعثت قطائفاً حلت ... جناها قطرها الغامر
فسكرها أبو ذر ... ومرسل صحنها جابر

* وأجاد الشيخ جمال الدين بن نباتة هنا، وجمع بين التورية وحسن التضمين وبديع الاكتفاء، والحلاوة، بقوله:

أقول وقد جاء الغلام بصحنه ... عقيب طعام الفطر يا غاية المنى
بعيشك قل لي جاء صحن قطائف ... وبح باسم من تهوى ودعني من الكنا[3]

---

(١) طمى النهر: إذا فاض.

(٢) الدبوس: المقمعة وهي عصا من حديد أو من خشب في رأسها كرة من حديد. والمعنى: ابعثه بالقوة بعد أن لم تبعثه اختياراً.

(٣) الكنافة: نوع من الحلوى.

وقوله مع بديع التضمين:

رعى الله نعماك التي من أقلها ... قطائف من قطر النبات لها قطر
أمدّ لها كفي فأهتز فرحة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

ويعجبني هنا قول الشيخ برهان الدين القيراطي، مع بديع التضمين:

لقد قطفت زهر النبات قطائف ... تخيرتها فاخترت للنفس ما يحلو
تقول اسمعوا مني مدائح مرسلي ... فكلّي إن حدثتكم ألسن تتلو

وأما تورية القطر فالقطر النباتي معروف، فمن ذلك قوله:

شكراً لبرّك يا غيث العفاة ولا ... زالت مدائحك العلياء تنتخب[1]
قد جدت بالقطر حتى زدت في طمع ... وأول الغيث قطر ثم ينسكب

وقوله:

لجود قاضي القضاة أشكو ... عجزي عن الحلو في صيامي
والقطر أرجو ولا عجيب ... القطر يرجى من الغمام

ويعجبني هنا قول أبي الحسين الجزار:

أيا علم الدين الذي جود كفه ... براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة إنني ... لأرجو لها من سحب راحتك القطرا[2]

قلت الشيء بالشيء يذكر ذكرت هنا لغزاً في لوزينج كتب به مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الأدمي، رحمه الله، إلى علّامة العصر القاضي بدر الدين بن الدماميني رحمهما الله:

يا من له في عروض الشعر أي يد ... فاق الخليل بها فضلاً وتمكينا
ما اسم دوائره في لفظه ائتلفت ... والثلم في صدرها مستعمل حينا
أجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت ... وقد تقطع مطوياً ومخبونا[3]
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه ... يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجاً ... لا زال سعدك بالإقبال مقرونا

---

(١) العفاة: طالبوا المعروف.

(٢) الكنافة: نوع من الحلوى. السحب: واحدتها سحابة وهي الغيمة.

(٣) الزحاف والحشو والمطوي والمخبون: مصطلحات عروضية.

فأجابه المشار إليه بقوله:

يا مرسلاً من شهي النظم لي كلما ... منه ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدراً من حلاوته ... وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك إذ أبهمته فلذا ... يا فاتني رحت بالإعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا في دوائره ... للكف قبضاً يزيد العقل تمكينا
وليس إضماره مستحسناً فأدم ... بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هادياً صوب الصواب ودم ... فينا أمينا رشيد الرأي مأمونا

وقد آن الرجوع إلى ما كنا فيه، مما اختاره من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدي في باب التورية، فمن لطائف مجونه قوله فيمن سرق شيئاً من بعض شعره:

إن كان يا مولاي لا بد أن ... تأخذ شعري جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها ... وقم خذ الكل بلا قافيه

وقوله: أدير بلحيتي البيضاء كاسي ... بكَيْسٍ زائد مني وفطنه[1]
ألم ترني وعفو الله راج ... ومن شرهي أصفيها بقطنه[2]

وقوله: وجرّة قدّموها ... والراح فيها كمينه[3]
شممت طينة فيها ... فرحت سكران طينه

وقوله: قلت له إذ هز لي ذقنه ... ولام فيمن همت في عشقها
تذكر إذ غنت فنادى نعم ... فقلت واشوقاً إلى حلقها

وقوله: وعاذل بارد المقالة لا ... يعي صواباً وزاد في نكدي
وقال ذقن الحبيب باردة ... فقلت يا بردها على كبدي

وقوله: ملكت كتاباً أخلق[4] الدهر جلده ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد[5]

---

(١) الكَيِّس: اللباقه وحسن التصرف.
(٢) الشره: النهم وهو شدة العطش والجوع.
(٣) الكمين: المختبىء.
(٤) أخلق: أبلى.
(٥) الأسى: الحزن ـ تجلد: تصبر، والشطر لطرفة بن العبد من معلقته:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم ... يقولون لا تهلك أسىً وتجلدِ

ومن نكت المجون التي توارد هو والشيخ جمال الدين عليها، وزناً وقافية، قوله:

إذا ما قام أيرك في الدياجي ... وعندك من تحب فلا تحابي[1]
ومل نحو الطواشي واعتنقه ... فمثلك لا يدلّ على صواب[2]

وقول الشيخ جمال الدين:

أرى الصواب يا أيري صفات ... تحث على التعشق والتصابي
فبادره فأنت به خبير ... ومثلك لا يدل على صواب

ويحسن أن نختم هذه المجونات بقول الشيخ صلاح الدين، وهو:

يا ساحباً ذيل الصبا في الهوى ... أبليته في الغيّ وهو القشيب[3]
فاغسل بدمع العين ثوب التقى ... ونقه من قبل وقع المشيب

الشيخ صلاح الدين سامحه الله كان من المكثرين، وكان هو والشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة يرضيان، لرغبتهما في الكثرة بالأشياء الرخيصة، ولم أورد للشيخ صلاح الدين هنا غير الغالي من نظمه واختياره واختياري، ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردي في باب التورية، ومقاطيعه التي هي أحسن من مقطعات النيل، وأحلى في الأسماع من نغمات المواصيل:

إن قلت قدّك غصن ... قالت لي الغصن ساجد
أو قلت ريقك ثلج ... قالت تشبه بارد

ومن ذلك قوله:

يا سائلي تصبراً ... عن لثم فيه لا تسل
ما تستحي تبدلني ... بالصبر عن ذاك العسل

ومن ذلك قوله:

ومليح إذا النحاة رأوه ... فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرّد يروي ... ونهود تروى عن الرماني

---

(١) حابى: فاضل بين شيئين أو فضل أحدهما على الآخر.
(٢) الطواشي: الخصيّ، الذي لا يمكنه الجُماع.
(٣) القشيب: الجديد.

وقوله:

امام في الركوع حكى هلالا ... ولكن في اعتدال كالقضيب
وقال تلوت قلت الشمس حسناً ... وقال ختمت قلت على القلوب

ومن لطائفه في هذا الباب قوله:

يشفع فيّ شعره ... إذ مال عن قبوله
فهو على أقدامه ... ممدد بطوله

ومنه قوله:

عجبت في رمضان من مسحرة ... بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت
قامت تسحرنا ليلاً فقلت لها ... كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

ومن لطائفه قوله:

إذا تعذر حبي ... فخله يتعذر
فجيده حصل ما بي ... والجيد لا يتغير

ومنه قوله:

وتاجر ماطلته دينه ... لأجتليه قال ما أمطلك[1]
قلت له جيدك لي أو لمن ... فقال هات المال والجيد لك

وقوله:

قالت إذا كنت تهوى ... أنسي وتخشى نفوري
صف ورد خدّي وإلا ... أجور . ناديت جوري

ومنه قوله:

أنكر حبي مدمعي ... وقال هذا من هوى
فقلت لا بل من فتى ... أصاب عيني بنوى

ومن نكته اللطيفة في تضمين المثل السائر قوله:

وسمينة كانت لها ... في القلب منزلة ترقت
رقت فعفت وصالها ... وقطعتها من حيث رقت

---

(١) ماطل: سوّف ولم يف بالوعود.

وقوله: سألتها أي ناه نهاك عن حسن نوجك[1]
قالت نهاني زوجي فقلت روحي بزوجك

ومن أغزاله قوله: أقول إذ قال لي حبيبي علام فارقتني علاما
خدّك كان الصفا ولكن قد أصبح المشعر الحراما

وقوله: رامت وصالي فقلت لي شغل عن كل خود تريد تلقاني[2]
قالت كأن الخدود كاسدة قلت كثير القلة القاني[3]

وقوله: أبصروا دمعي فخافوا قلت لا تخشوا بكائي
ما عليكم من دموعي غير أمطار السماء

ومنه قوله: سل الله ربك من فضله إذا عرضت حاجة مقلقه
ولا تسأل الترك في حاجة فأعينهم أعين ضيقه

وقوله: لما شتت عيني ولم ترفق لتوديع الفتى
أدنيتها من خده والنار فاكهة الشتا

وقوله: ضممتها عند اللقا ضمة منعشة للكَلِف الهالك[4]
قالت تمسكت وإلا فما وهذا الشذى قلت بأذيالك

وقوله: شكى من الخط ضعفاً وذاك منه دلال
قلت استعن بمثال فقال ما لي مثال

ومنه قوله: وأغيد يسألني ما المبتدأ والخبر[5]
مثلهما لي مسرعاً فقلت أنت القمر

ومن نكته مع حسن التضمين قوله:

مليح ردفه والساق منه كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيباً فقد عزم الغريب على الخروج

---

(١) نوجك: مراءاتك، النَّوْج: المراءاة.
(٢) رام: أراد وطلب ـ الخود: الحسناء.
(٣) كاسدة: ليس عليها طلب ـ القاني: المحترف والمتزين.
(٤) الكَلِف: الشديد العشق المتلهف على اللقاء.
(٥) الأغيد: الممشوق القد المتمايل في مشيته.

ومن نكته اللطيفة قوله:

مهفهف القدّ إذا ما انثنى ... يقول لا تخش من الردّ
ما أنت حملي يا كثيب النقا ... ولست يا غصن النقا قدي

وقوله: لو نلت من خديه تقبيلة ... تزين الريحان بالورد

وقوله: رومية الأصل لها مقلة ... تركية صارِمُها هندي
قد فضحتني وجنتاها فقل ... في وجنة فاضحة الوردي

وقوله من دو بيت:

يا روضة حسن ليتها لي وحدي ... الشركة فيك قد أذابت كبدي
ما ضرك أن تسقي بماء فرد ... والواجب أن يكون ماء الورد

ومنه قوله: هويت أعرابية ريقها ... عذب ولي فيها عذاب مذاب
رأسي بنو شيبان والطرف من ... نبهان والعذال فيها كلاب[(١)]

وقوله: قلت وقد عانقته ... عندي من الصبح فلق[(٢)]
قال وهل يحسدنا ... قلت نعم حتى انفلق

ومنه قوله: تقويم قدّك مال يا من ثغره ... در يقصّر دونه التقويم[(٣)]
إني لأبكي من جفاك ولي أب ... والثغر يضحك منه وهو يتيم

ومن اختراعاته قوله:

رام ظبي الترك ورداً ... قلت أقصر خاب ضدّك
عندك الورد المربى ... قال قاني قلت خدك

وقوله: رب فلاح مليح ... قال يا أهل الفتوّه
كفلي أضعف خصري ... فأعينوني بقوّه[(٤)]

---

(١) بنو شيبان ونبهان وكلاب: قبائل عربية.
(٢) الفلق: الضوء ينشق من ظلمة الليل.
(٣) تقويم: الأولى بمعنى الاستقامة والثانية بمعنى التثمين.
(٤) الكفل: فلكتا المؤخرة أو الردف.

وقوله: قـلـت لـفـرًا فـرى أديـمـي وزاد صـدّاً وطـال هـجـرا[1]
قـد فـر صبـري وفـر نـومي قـال نعم مـذ عـشـقـت فـرا

وقوله: رغيف خـبـاز كم قـد حـكى من وجهـه التـدويـر والحمـره
إذا رأى مـيـزانـه المـشـتـري قـال هنا الميـزان والـزهـره[2]

ومنه قوله في مليح عبري:

أغـيـد عـبـري لـه عـمـة حكت من العشـاق ألـوانـا
لقد سبى بالنور شمس الضحى فـهـل أتـى مـن آل عـمـرانـا

ومنه قوله: ووعدت أمس بأن تزور ولم تزر فغـدوت مسلوب الفؤاد مشتتـا
لي مهجة في النازعات وعبرة في المرسلات وفكرة في هل أتى[3]

وقوله: أعـور كـالـبـدر لـه مـقـلة واحـدة قـامت مقام اثـنتـين
قد سرق الرقـدة من نـاظري وقـال مـا جئتـك إلا بـعـين

وقوله: بـأبـي أعـور عـيـن فـاتـن مـثـل بـدر التم والتم بعـين
طـرفـه الـواحـد عضب ذكـر فله في الحسن حظ الأنثيين[4]

ومنه قوله: رأيت رشيق القـد أعور فـاتنـا له مقلة أغنته عن حسن ثنتين[5]
إذا قال غصن البان أنت ابن قامتي يناديه بدر التم أنت أخو عيني

وقوله: جنكيـة شـاهـدت عشـاقهـا وهم بهـا في الجهـد والضنـك
قـالـت أمـا تعشـق جـنكيـة قلت كـذا يـا ليتني جنكـي

وقوله: تـغـسـل عيـنـي وجـنـتـي بـدمـعـة هـامـلـة
فـوجـنـتـي قـائـلـة عـدوتـي غـاسـلـتـي

---

(١) فرى: : يفري، شق ـ والأديم: الجلد.
(٢) الميزان والمشتري والزهرة: من الكواكب والأبراج بالإضافة إلى معناها الحقيقي.
(٣) هل أتى، والنازعات: سورتان من سور القرآن الكريم.
(٤) العضب: الحاد القاطع ـ الأنثيين: الخصيتين.
(٥) الجنكية: التي تضرب بالجنك وهو من آلات الطرب ـ الضنك: التعب.

وقوله: ناديت صالحة إلى كم أنتِ عنا نازحه
قالت نزحت لأنكم لا تصلحون لصالحه[1]

هويت حصاداً حكت قامتي من طول ما يهجرني منجله[2]
أقول والسنبل من حوله مولاي أنت الشمس في السنبله[3]

وقوله: أنا في حالي نقيض يا شموساً في البزوغ
هزم الصبر عليكم والمنى دون البلوغ

ومن لطائفه قوله:

قال لي بند خصره كم كذا ترجع البصر
قلت لا تنفرد به لك شد ولي نظر

ومن أغراضه اللطيفة قوله في صديق له بالمعرة يقال له شمس:

لي بالمعرة شمس رضاه غير مرادي
فلا تذموه إني أدرى بشمس بلادي

وكتب إليه في زفة له:

يا شمس أشعلت شمعاً عليك عشر الأصابع
رغماً لمن قال قبلي الشمع في الشمس ضائع[4]

ومنه قوله في آل النصيبي بحلب:

فؤادي إلى آل النصيبيّ مائل وودي لهم في محضري ومغيبي
فبيني وبين القوم نوع تجانس إذا طاب أصل الورد كان نصيبي[5]

وقوله: للمقدسيّ بقلبي حب خليّ الدليل
فمن يكن ذا خليل فالمقدسيّ خليلي

---

(١) نزح: هاجر ـ صالحه: إسم علم وعمل الخير.
(٢) المنجل: آلة الحصاد البدائية.
(٣) السنبلة: أحد أبراج الشمس.
(٤) ضائع: لا يظهر ضوؤه.
(٥) نصيبي: نسبة إلى آل النصيبي ومن الحظ.

ومن لطائف أغراضه قوله:

يا شيخ خلِّ التصابي　　فالزهد بالشيخ أليق[1]
ولا تحت كميتاً　　فإن فودك أبلق[2]

ولي صاحب بالمدح والهجو كسبه　　يقول أتدري كيف أصنع بالخلق
إذا حمَّروا وجهي وما بيَّضوا يدي　　أزرِّق لهم رجلي ولو خضَّروا عنقي[3]

ومثله قوله: لي صاحب واسمه سراج　　ما قرَّ لي عنده قرار
لسانه محرق لقلبي　　إن لسان السراج نار

ومن أغراضه اللطيفة قوله:

تجادَلْنا أماء الزهر أزكى　　أم الخلاف أم ورد القطاف[4]
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا　　وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومن لطائف مجونه:

يا من تولى قاضياً　　هذا قضاء أم قدر
غدروك في بستاننا　　إن القضا يعمي البصر

ومن أغراضه البديعة قوله:

قد مات شيخي فاظهروا　　بحربه أو سلمه
عيشوا بجهل بعده　　فقد قضى بعلمه

ومن أغراضه البديعة قوله:

لا تحملوني على انتقام　　فالجاه يحكي خيال طيف
عفوت عن مذنب فقرت　　عين عدوي وجفن سيفي

---

(١) خلِّ: اترك ـ التصابي: عمل الصبيان.
(٢) حتّ: أسقط ـ الكميت: من صفات الخمرة ـ الفود: الشعر النابت فوق جانب الرأس مما يلي الأذن ـ الأبلق: الذي خالط سواده بياض.
(٣) حمَّروا وجهي: أخجلوني ـ بيضوا يدي: بالعطاء أزرّق لهم رجلي: أهيئها للرحيل إليهم ـ خضّروا عنقي: دقوها.
(٤) الخلاف: الصفصاف.

ومن أغراضه قوله:

دیار مصر هي الدنيا وساكنها ... هم الأنام فقابلهم بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها ... مصر مقدمة والشرح للنيل

ومن لطائف مجونه قوله:

حمامكم قيمه أسود ... هربت منه وأنا صارخ[1]
قد سلخت جسمي أظفاره ... يا قوم هذا أسود سالخ[2]

ومن لطائف أغراضه قوله:

يا من غدا في طلاب المجد مجتهداً ... لم يثنه عنه لا مال ولا ولد
لا تبسطن لتقليد القضاء يداً ... أيرتضي رتبة التقليد مجتهد[3]

وكتب إلى قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي:

جنبتني وأخي تكاليف القضا ... وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حيّ عالم دهرنا أحييتنا ... فلك التصرف في دم الأخوين

وقوله مع تضمين المثل السائر:

إني عدمت صديقاً ... قد كان يعرف قدري
دعني لقلبي ودمعي ... يا صاح أحرف وأدري[4]

ومن لطائف أغراضه وقد ولي قضاء شيراز قوله:

إنما شيراز نار ... وبها القاضي مخلد
قلت لا أمكث فيها ... أنا من حزب محمد

ومن أغراضه قوله:

مرض الفؤاد وصح ودّي فيهم ... وأقام تذكاري وصبري نازح
إنسان عيني كم سهادكُم بكى ... يا أيها الإنسان إنك كادح[5]

---

(١) القيم: المسؤول عن الشيء والمعتني به.
(٢) الأسود السالخ: من الحيات أشرسها وأشدها سماً.
(٣) المجتهد: الذي يستطيع استنباط الحكم الإلهي في أي قضية.
(٤) أحرف وأدري: أي أعرف وأنكر.
(٥) كادح: عامل عملاً شاقاً، وهذا الشطر من آية قرآنية هي قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾.

ومن نكته البديعة مع تضمين المثل قوله في آل البيت عليهم السلام:

يـا آل بيت النبي من بـذلت ... في حبكم روحـه فما غُبنـا[1]
من جـاء عن بيتـه يحـدثكم ... قـولـوا لـه البيت والحديث لنـا

ومن نكته الغريبة قوله في محتسب:

من ولي الحسبـة يصبـر على ... تـعـرض الـواقف والسـائـر
فليس يحـظى بـالمنى والغنى ... فيهم سوى المحتسب الصابر[2]

وقوله: قـد عـجـبـنـا لأمـيـر ... ظـلـم الـنـاس وسـبـح
فـهـو كـالـجـزار فـيـهـم ... يـذكـر الله ويـذبـح

وقوله في مدينة حلب:

عليـك بصهـوة الشهبـاء تـلقى ... بجوشنها محـاربة الـزمـان[3]
فللعـرفـان في الفـردوس ريـح ... يفـوح شـذاه من بـاب الجنـان

ومن مجونه فيمن رتبوا له أربعة دراهم قوله:

كـل يـوم رتـبـوا أربـعـة ... لـك فـازددت علينـا صعصعـه[4]
فـلو استـفـتيـت فـي سيـدنـا ... قلتَ يستـأهل قـطع الأربـعة[5]

ومن لطائفه قوله:

نـاعـورة مـذعـورة ... ولـهـانـة وحـائـره[6]
الـمـاء فـوق كـتـفـهـا ... وهـي عـليـه دائـره

ومن نكته الغريبة قوله:

زوجـة مجـد الـدين والـداهـا ... قـد أخذ عـرض المجد أشبهاها
إن أبـاهـا وأبـا أبـاهـا ... قـد بلغا في المجد غايتـاهـا

---

(١) غُبن: بُخِس حقه.

(٢) المحتسب: الذي يعمل العمل في سبيل الله.

(٣) الجوشن: الصدر ـ الصهوة: أعلا الشيء.

(٤) الصعصعة: الجلبة والصياح.

(٥) استفتى: طلب الفتوى، وهي الحكم الشرعي ـ الأربعة: اليدين والرجلين.ـ

(٦) الناعوره: دولاب يستقى بواسطته الماء ـ المذعورة: الهاربة التي تبدو وكأنها ملاحقة.

وقوله: مليحة مصطولة إن لمتها فيما أرى[1]
تقول كل ظبية ترعى الحشيش الأخضرا

ومن أغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله:

كرهت وضوءاً من قناة تساق من دماء الرعايا أو بسخرة مسلم[2]
ستشرق في يوم الحساب ندامة كما شرقت صدر القناة من الدم

ومما تخيرته هنا من تأليفي الذي وسمته بتحرير القيراطي رحمه الله تعالى قوله:

البدر طلعة وجهه وعذاره هالاته[3]
وخفوق قلبي في هوا ه سعيدة حركاته

وقوله: أجريت دمعي فمذ أفنيت أبحره أجريت مني بأسياف الجفون دمي
إن ملت عني برمح القدّ يا أملي لتقرَعَنَّ عليَّ السِّنَّ من ندم

وقوله: أسدّي ثم ألحم تحت طاق له والدمع يجري كل وقفه[4]
وكم يوم عبرت له زقاقاً أحاول غفلة وأروم عطفه

وقوله: لما تبدى قوام قامته وحاجباه لناظر العين
رأيت موتي بسيف ناظره من قيد رمح وقاب قوسين

وقوله: تنفس الصبح فجاءت لنا من نحوه الأنفاس مسكيه
واطربت في العود قمرية وكيف لا تطرب عوديه[5]

وقوله: ارتاح للأقمار وهي طوالع وشموس راحي للمغارب تجنح
ويهزني زجل الطيور بلحنها والروض بالزهر النظيم موشح

---

(١) مصطولة: بلهاء.
(٢) السخرة: التسخير وهو التشغيل دون مقابل.
(٣) العذار: الشعر ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ـ الهالات: جمع هالة، وهي دائرة من النور تحيط بالقمر في أيام القيظ عادة.
(٤) أسدّي ثم ألحم: من السدى واللحمة وهما الخياطة والتبطين.
(٥) القمرية: نوع من الحمام المطوق.

وقوله: يـا أمـيـر الـجـمـال قـل | فـالـمـراسـيـم تـسـتـمـع
أنـا مـمـلـوكـك الـذي | لـك قـلـبـي غـدا تـبـع

وقوله: في جفـنـه سيـف مـضـاربـه | يـا صـاح اسبق لي من العـذل
وبـخـدّه والـردف لـي خـبـر | قـد سار بين السهـل والجبـل

وقوله: شبـه السيف والسنـان بعيـني | من لقتلي بين الأنـام استحـلا
فـأبى فـالسيف والسنـان وقـالا | حدنا دون ذاك حاشى وكـلا[1]

وقوله: هـويت طبـاخـاً لـه نـصـبـة | نيـرانـهـا لـلقـلب جـنـات[2]
يـكـسـر أجـفـانـاً إذا مـا رنـا | لـهـا عـلى الأرواح نـصـبـات

وقوله: أهيم بأعطاف القـدود صبابـة | وإن هي زادتني جفـا وتبـاعـدا
ويعجبني بيـن الأنـام تـطفلي | عليهـا إذا شـاهـدتهن موائـدا

وقوله: أبـاح لـي نـرجـس ألـحـاظـه | في مجلس مـا فيه مـا نكـره
فقلت ورد الخـدّ جـد لي بـه | أيضاً فقال الكـل في الحضره[3]

وقوله: قـال لي بـالحمى غـزالي لمـا | لم أجد من ظبا الجفون ملاذا[4]
كيف جاءت إليك أسياف جفني | قلت جاءت على الحمى فولاذا

وقوله: في وصف خمر الثغر منك نوادر | تزري بحسن نوادر ابن عتيق[5]
وإذا وصفت رشيق قدّك عندمـا | هـز القـوام لنـا فمـا ابن رشيق

وقوله: جفني وجفن الحب قـد أحـرزا | وصـفـيـن من نـيلك يـا مـصـر
جفني لـه يـوم الـوداع الجفـا | وجفنـه الساجي لـه الكسـر[6]

وقوله: خـدمـت بـالأغـزال أبـوابـه | لمـا تبـدى حسنـه البـاهـر
ولي من الـدمـع على خـدمتي | جـرايـة أطـلقهـا الـنـاظـر[7]

---

(١) هكذا في الأصل ونرجح أنه: السيف، بدل: فالسيف.
(٢) النصبة: الموقد المنصوبة.
(٣) في الحضرة: في خدمة صاحب المكانة الرفيعة.
(٤) ظبا: جمع ظبة وهي شفرة السيف وحده.
(٥) ابن عتيق: الناقد الشهير ابن أبي عتيق الأموي.
(٦) الساجي: الساكن الهادىء.
(٧) الجراية: الجريان والمسيل.

وقوله: الــدمــع والــجــفــن فــيــه لــي شــاهــدان بــحــزنــي
فــالــجــفــن يــسـقـط دمــعــي والــدمــع يــجــرح جــفــنــي

وقوله: عبدك يا من جفا وصدّ وما درى بصب يموت بالكمد[1]
جرى على الخد من مدامعه في الحب ما لا جرى على أحد

وقوله: في خد من همت به شامة ما الند في نفحه ندها[2]
والعنبر الرطب غدا قائلاً لا تدعني إلا بيا عبدها

وقوله: ومخايل نبت العذار بخدّه وله مخايل بالملاحة تشهد[3]
لما رآني قانعاً بخياله نزل العذار بوجنتيه يسوّد

وقوله: مال إلى الهيئة ذو هيئة فاتننة ألبابنا باهره
فخاله في خدّه نقطة عِذاره أضحى لها دائره

وقوله: أنظر إلى سطر عذار بدت من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن لمن قد راحت الأرواح فيه غلط

وقوله: جزت النقا فحويت لين غصونه وكثيب واديه وجيد غزاله
وأخذت حسن البدر منه وقد بدا في أفقه بتمامه وكماله

وقوله: ويوم توالى القطر فيه فجاءني بشمس الطلا بدر يفوق على البدر[4]
فعانقت لما مال عسال قده وقبلت معسول اللمى عدد القطر[5]

وقوله: يا من تبرمك[6] صبه في عشقه بالروح لا تبخل فعشقي زائد
بالفضل جد لي إن دمعي جعفر والوجد يحيى والتشوق خالد

وقوله: يا هاجراً أوقعني هجره وصده في حالة صعبه
أخذت قلبي بالتجني وما تركت لي منه ولا حبه

---

(١) الصب: الشديد العشق ـ الكمد: كبت المشاعر.

(٢) الند: عود يتبخر برائحته الطيبة ـ ندها: شبيهها.

(٣) المخايل: المختال الفخور ـ المخايل: العلامات.

(٤) الطلا: الخمرة.

(٥) العسال: المضطرب المهتز ـ المعسول: الممزوج بالعسل ـ اللمى: سمرة الشفاه.

(٦) تبرمك: انتسب إلى بني برمك أو تشبه بهم، وهم أسرة علت مكانتها في الحكم حتى كانت نكبتهم على يد أحد الخلفاء العباسيين. ومنهم يحيى البرمكي وخالد وجعفر والفضل.

وقوله: قلت لـه لما زهـا حسنـه على بـدور التم مـا أحسنـك
وقـلت لـلائـم يـا لائـمـي في خـده الناعم مـا أخشنك

ومن لطائف مدائحه قوله:

أوصـافكم تـسـري أحـاديثـهـا مسرى النجوم الـزهـر في الأفق
كمـا أحـاديث النـدى عنـدكم تسنـدهـا الـركبـان من طـرق

وقوله في البجانقي الموقت:

شهـاب الـدين ذو فكـر بسمت وبالفلك المحيط غدت محيطه[1]
غدا في العصر شيخ الوقت حقاً وفي أوضـاعـه ملك البسيـطة[2]

ومن أغراضه قوله:

قـنـاطـر الـجـيـزة كـم قـادم عليـك يلقى فيك أقصى منـاه
أتـاك قـوم لاطـة فـانـحـنـى ظهـرك للوطء وصب الميـاه[3]

وقلت في هذا المعنى:

وقالوا كميت النيل يجري وقد غدا عليه حلوق السبق قلت كذا جرى[4]
ولكنـه نحـو القنـاطـر إذ أتى تجرّى عليهـا معجبـاً فتقنطرى

ويعجبني من أغراضه اللطيفة قوله:

كـم عـالم قـد اشتكى في الفـقـر طـول مكثـه
وكـلّ نـور سـارح زيـد لـه في حـرثـه[5]

وكتب إلى الشيخ صلاح الدين:

يـا صـلاح العـلا صفـاء ودادي لا يـرى عن أبي الصفا تحـويلا
فـدع العتب إنني لست ممـن لا يُـراعـون في الأنـام خليـلا[6]

---

(١) السمت: الهيئة الخيّرة.
(٢) البسيطة: الأرض وما عليها.
(٣) لاطة: يمارسون اللواط وهو إتيان الرجال شهوة من دون النساء.
(٤) الكميت: الحمراء الضاربة إلى السواد ـ الحلوق: الطرق.
(٥) الحرث: المتاع.
(٦) الخليل: الصديق الملازم.

ومن لطائفه قوله فيما يكتب على طاسة:

تـأمل فـإني طاسـة صـح نقشهـا وفاق على نقش الغواني التي تسبي[1]
وواصف حسني أطرب السمع قوله كأني في الكاسات داخلة الضرب

وقلت في المعنى:

أنا طاسـة قدري سمـا ويروضتي نهـر المجـرة للنجـوم مـوارد
وتسـارح القمـر المنيـر لحسنـه فقمـرتـه وعليـه نقشي قـاعـد[2]

وقلت أيضاً:

أنـا طاسـة بيضت وجهي عندكم وصفـاً لكـم قلبـي بمـاء رائـق
عـذبت مـوارده ببـارق بهجتي فتنـزهـوا بين العـذيب وبـارق[3]

ومن أغراضه اللطيفة في باذهنج قوله مضمناً:

بـروحي أفـدي بـاذهنجاً مـوكـلاً بإطفاء ما يلقاه من حرق الجوى [4]
إذا مـدحت أوصافـه قال منشـداً على أنني راض بأن أحمل الهوى

ومن أغراضه قوله:

أطـربنـا العـود إلـى أن غـدا مقـامنـا يـرقص مـع صحبـه
فـشـمـعنـا قـام عـلى سـاقـه وكـأسـنـا دار عـلى كـعـبـه

وقوله مضمناً:

درب الحجـاز لقد شـرفت منازلاً قـدر المنـازل من سـواهـا نـازل
كم سرت فيها نحـو مكة منشـداً لك يا منـازل في القلوب منازل

ومما اخترته من الأبيات العامرة، للمعمار رحمه الله قوله:

إن قـام يتلو سـورة الشمـــــس المنيـرة في ضحـاهـا

---

(١) تسبي: تفتن وتأسر، والطاسة وعاء صغير مجوف ومستدير.

(٢) قَمَرَ: غَلَبَ.

(٣) العذيب وبارق: مكانان في الصحراء.

(٤) باذهنج: لم نعثر على هذه اللفظة في ما بين أيدينا ونظنه من الأسماء التي تدل على نوع من النبات.

يـا حسنه فكـأنـه الـــــقـمـر المنيـر إذا تلاها[1] (ى)

ونقلت من تذكرة الشيخ عز الدين الموصلي، بخطه، بيتين للمعمار وذكر أنهما خارجان عن الديوان، وهما من اللطائف في هذا الباب:

لما تبدى عـذار الحب قلت له رفقاً ومهلاً عليه أيها الجاني
ولا تخشن فما في الخد محتمل بـان يخط عليه عـرق ريحـان[2]

ومن لطائفه في هذا الباب قوله:

وخـادم قـبـلـت مـشـروطـه في خـده لكـن رأيت الـعجب
مـن نـاعـم حـلـو فـنـاديـتـه مـا أنت يا مشـروط إلا رطب[3]

وقوله: تملك قلبي خـادم قـد هـويتـه من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقـول لصحبي حين يرنـو بلحظه خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي

وقوله: لثمت عـذار محبوبي الشـرابي فقـال تـركت لثم الخـد عجبا
حفـظت الأنيسـون كمـا سمعنا ورحت تضيع الـورد المـربى[4]

وقوله: صاد فؤادي من بني العرب فتى لـه من الحسن اتصـال ونسب
فصحت في الحي وقلبي طـائـر يـا عربـاً أهـل ذمـام وحسب
عسـاكم أن تنشـدوا حشـاشـة في حبكم ضلت وراحت يا عرب[5]

وقوله: رحـلوا عـريـب الـمـنـحـنـى وفـراقـهـم مـا كـان أصـعـب
أمـلـتـهـم أن يـرجـعـوا والـمـوت لـي من ذاك أقـرب
جئـت الـحـمـى لأرى الـخيـا م فلم يلح في الحيِّ مضرب[6]

ومنه قوله وأجاد:

كلفي بـطبـاخ تـنـوّع حسنـه ومـزاجـه لـلعـاشقـين يـوافق
لكن مخافي من جفاه وكم غدت منـه قلوب في الصـدور خـوافق

---

(١) تلاها(هى): الأولى بمعنى: قرأها والثانيه، بمعنى اللهو.

(٢) البان: شجر طيب الرائحه ـ الريحان: كل نبات طيب الرائحة.

(٣) المشروط: المتأنق في عمله.

(٤) الأنيسون: اليانسون، نبات عشبي ذو رائحة فواحة يُستعمل في الاستطباب.

(٥) الحشاشة: بقية الروح. ضلت أضاعت الطريق.

(٦) المضرب: الخيمة أو مكانها.

ومنه قوله: رب جزار هواه صار لي لحماً ودما
فزت بالألية منه وامتلا قلبي شحما[1]

وقوله: حاكمت في شرع الهوى قاتلي ولي دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاً له تحقق الفتنة من عنده
مال إلى الحق فلما رأى قد حبيبي مال مع قده

وقوله: أصاب قلبي خطائي بلحظه لشقائي
فرحت من فرط دائي أشكو إلى الحكماء
قالوا أصبت بعين فقلت من علم دائي
إن كان هذا صواباً فتلك عين الخطائي

ومن لطائفه قوله:

رحت يوم الفراق أجري دموعي حسرة إذ قضى الزمان ببيني[2]
قيل كم ذا تجري دموعك تعمى أوقف الدمع قلت من بعد عيني

ومن لطائفه قوله:

شكوت للحب منتهى حربي وما ألاقيه من ضنى جسدي[3]
قال تداوى بريقتي سحراً فقلت يا بردها على كبدي

ومن لطائفه قوله:

قلت له لما وفى موعدي مختفياً من حاسد معتدي
رب كما فرحتني بالوفا أسبل عليّ الستر يا سيدي[4]

وقوله: وبي غضبان لا يرضيه إلا دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل وفي عيني بعد الهجر قطره

---

(١) الألية: ذنب الغنم أو العجيزة وما ركبها من شحم ولحم.
(٢) البين: الفراق.
(٣) حربي: غضبي الشديد ـ الضنى: الضعف والمرض.
(٤) أَسْبَلَ الستر: أرخاه وستر به.

ومن لطائفه قوله:

لو أنصفت لأشارت بالسلام على ... متيم ما قضى من وصلها وطره[1]
بأصبع إنما عضت أناملها ... حتى ولا واحد يصفو من العشره

ومثله قوله: لو رأى دور ثغره ... عاذلي في التبسم
ذهبت روحه كما ... قيل في دور درهم

وقوله: في خد من أحببته ... ورد بدا لم أجنه
وشامة ذقت لها ... حلاوة في صحنه[2]

ومن لطائف قوله مع التضمين:

عزمت على رقيا محاسن وجهه ... بأنوار آيات الضحى حين أقبلا[3]
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره ... بدأت ببسم الله في النظم أولا

ومن بديع مديحه قوله:

لابن فضل الله فضل ... غمر الفضل ووفى
كيف لا وهو عليّ ... علم السر وأخفى

وقوله: أيا بدر المحاسن حزت جوداً ... وفضلاً شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فحزت حظاً ... فصرت من الكرام الكاتبينا

وقوله: قسماً بما أوليت من إحسانه ... وجميله ما عشت طول زماني
ورأيت من يثني على عليائه ... بالجود إلا كنت أوّل ثان[4]

ومن أغراضه قوله:

ما مصر إلا منزل مستحسن ... فاستوطنوه مشرقاً أو مغربا
هذا وإن كنتم على سفر به ... فتيمموا منه صعيداً طيبا[5]

---

(١) الوطر: الحاجة والأرب.

(٢) الشامة: الخال بقعة سوداء تظهر على الجلد وتكون عادة على الخد ـ صحنه: أي صحن خده وصحن الخد صفحته.

(٣) الرقيا: التداوي بالرقى وهي التعاويذ والطلاسم.

(٤) ثانٍ: الذي يثني، المادح.

(٥) هذا البيت عبارة عن آياتين قرآنيتين تصرف بهما الشاعر وتيمموا: اقصدوا ـ الصعيد: الأرض والتراب.

وقوله: جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت | عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح خزانه للنيل ينظره | فاستكثر الماء في عينيه ثم عمى

وقوله: حزن الخزان لما أن رأى | نيلنا قد عم سهلاً وجبل
ورأى الأرض لنا قد أخرجت | سنبلات ذات حب فاختبل[1]
وبكى إذ رمدت أعينه | زادها الله عروقاً وسبل[2]

وقوله: سمعت يوماً سد مصر يقو | ل النيل وافى زائداً عندي
وكان هذا خبراً صادقاً | فرحت أرويه عن السدي[3]

وقوله: لائمي في الشباب دع عنك لومي | لست ممن تروعه بالعتاب
أيها الشيخ هات بالله قل لي | أي عيش يحلو بغير الشباب

وقوله: وشادن ليس له شارب | ولا عذار بل له طره[4]
كفايتي من ريقه شربة | واحسرتي منه على جره

ومن لطائف مجونه قوله:

شهر الصيام تولى | فراقه يوم عيد
فقيل شيع بست | فقلت أيضاً وسيدي[5]

وقوله: قلت هلال الصيام ليس يرى | فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه
فغالطوني وحققوا ورجوا | وكل هذا من قوة الحدقه[6]

وقوله: أيري مع المرد خاب متجره | مذ عاملوه معشر النصبه
فضيعوا رأس مال حاصله | إذ كسروه وقام بالشقبه

---

(١) اختبل: جن واختلط عقله.

(٢) عروق العين: مرض يصيبها فلا تقوى على النظر(الظفر). والسبل: العمى والغشاوة.

(٣) السدي: أحد رواة الحديث.

(٤) الشادن: الغزال تشبه به الفتاة ـ العذار: جانب اللحية أو معظمها ـ الطرة: الطغراءوهي الشعر الذي يجمع ويرفعه صاحبه فوق جبهته.

(٥) الست: العدد المعروف والسيدة من النساء.

(٦) الحدقه: دائرة العين التي يرى بواسطتها.

وقوله : أيـري إذا نـدبـتـه ... لـحـاجـة تـخـتـص بـي
قـام لـهـا بـنـفـسـه ... مـا هـو إلا عـصـبـي

وقوله : تـأخـرت لـعـذرهـا ... قـلـت لـهـا تـقـدمـي
أيـري هـذا عـصـبـي ... يـدخـل مـعـك فـي الـدم

وقوله : لـي أيـر فـيـه كـبـر وجـفـاء ... وهـو مـني يـا لـقـومي وإلـيّ
كـلـمـا أغـضـبـنـي أرضـيـتـه ... وإذا أرضـيـتـه قـام عـلـيّ

وقوله : أيـري مغـرى بـاللواط الـذي ... يقبـح لا سيـمـا على مثله
أوقف حـالي لا تسل مـا جرى ... وصـرت خلف النـاس من أجله

وقوله : وبخت أيـري إذ جـاء ملتثمـاً ... بـذاك من غفلة فمـا اكتـرثـا
بـل قـال لي حين لمتـه قسمـاً ... مـا جزت حمـام قعره عبثـا
كـيف وفـيهـا طـهـرتي وبـهـا ... أقـلـب مـاء وأرفـع الـحـدثـا

وقوله : يـا لـيـلـة قـضـيـتـهـا ... فـهـل تـراهـا عـائـده
عـمـود أيـري قـائـم ... وهـي عـلـيـه قـاعـده

وقوله : وصـغـيـرة كـلـفـتـهـا ... أيـري فـقـالـت ويـك بـاعـد
مـا خـلـت يحـمـل ذا الـعـمـو ... د من الـنـسـا إلا الـقـواعـد

ومثله : صـغـيـر نـام عـلى وجـهـه ... وقـال حكـك قلت لا فـائـده
قـم أدخـل العمود يـا سيـدي ... فـقـال لا تـنـخـرم الـقـاعـده

وقوله : عـميـرة قـام يـبتـغي نـكـدي ... جلدتـه ثـم قـلت يـا ولـدي
هـا أنت في قبضتي تـطاوعني ... وإن عصـاني خصاه تحت يـدي

وقوله : وقـحـبـة ذات حـر يـابس ... يحمل كالسندان رصعي الشديد
تقـول قم طـرِّقـه لي لا تنم ... فقلت مـا لي زبـرة من حـديـد

وقوله : أطـعـمـت أيـري كـي يـنـا ... م وقـلـت قـرّ فـمـا اسـتـقـر
بـل قـام يـسـعـى قـائـلاً ... أنـا مـن إذا طـعـم انـتـشـر

وقوله : قـد ذبت من كربي لفقـد النسا ... أفـور كـالـتـنـور من نـاريـه
وقـد طغى المـاء فمن لي بـأن ... أحمـل بـالجـود على جـاريـه

وقوله: لـو رأى فقحـة حبي عـاذلـي | وهي تجلى في ثياب سندسيه[1]
لـغـدا الـعـاذل فـيـهـا عـاذراً | وتفـاصلنـا على بيضـا نقيـه

وقوله: سـألت وصـال حبي قـال دعني | فـإنـك في افتقـار لا تجـاب
فقلت لـه حبيب القـلب أدعى | بـذي فقـر وفي وسـطي نصـاب

وقوله: وصـاحـب أنـزل بي صـفـعـة | غضبت إذ ضيع لي حرمتي[2]
فقـال في ظهـرك جـاءت يـدي | فـقـلت لا والـعـهـد فـي رقبـتي

وقوله: سـألتـه في صفعـة قـال لـي | جنـاية الصفعـة مـا منـه بـد
صـاع مـن التـمـر أحـلى بـه | قلت لـه أعـطيـك صـاعـاً ومـد

وقوله: لـج الـعـذول ولامـنـي | فـيـمـن أحـب وعـنـفـا
فـهـمـمـت ألـطم رأسـه | لـمـا بـلـيـت تـأسـفـا
لـكـنـنـي زلـقـت يـدي | وقـعـت عـلى أصـل الـقـفـا[3]

وقوله: جئت لخـل يـلاطف الجـرحى | قلت له يا أخا الرضا صف لي
فـي عـنـقـي دمـل بـه ورم | قـال تـداو بـمـرهـم الـخـل

وقوله: قـالـوا عشقت الشبـاب جهـلاً | فـعـلك هـذا هـو الـقـبـيـح
فـقـلت قـد قـيـل كـل شـيء | يـأتـي عـلى وجـهـه مـلـيـح

وقوله: بـدا بـخـد الـحـبـيـب شـعـر | وسـفـلـه يـا أخـي سـالـم
فـكـان كـالـخـوخ إذ يـنـادي | عـلـيـه ذا مـشـعـر ونـاعـم

وقوله: ومـمـاجـن يـهـوى الـصـفـا | ع ولـم يـكـن إذ ذاك فـنـي[4]
سـلـمـتـه عـنـقـي الـدقـيـــق فـراح يـنـخـلـه بـغـبـن[5]
مـا إن أذنـت لـه رضـا | لـكـنـه مـن خـلـف أذنـي
لـولا يـد سـبـقـت لـه | لأمـرتـه بـالـكـف عـنـي

---

(١) الفقحة: الزهرة أياً كان لونها ـ السندس: نسيج الديباج أو الحرير.
(٢) الصفعة: ضرب القفا.
(٣) زلق: غلط وأخطأ المقصد.
(٤) المماجن: الذي يمارس المجون ـ الصفاع: ضرب القفا.
(٥) نخل: هزّ ليتبين جودته أو رداءته ـ الغبن: الخفية.

ومثله قوله: ومازحة تهوى المجون ولم تزل تباسطني لطفاً بطيب مجونها
تقول وقد تاهت بلين قوامها وقلبي مفتون بسحر عيونها
بعيشك هب لي صفعة ثم أقسمت على صبها المضني بنور جبينها
فلما جرى منها اليمين وأكدت مددت قفاي فسحة ليمينها

ومن عجائبه وغرائبه قوله:

جاءت بخدين كاللجين فقلت ماذا سوى لحيني[1]
ذات حر واسع عميق كأنه ترعة اللبيني
عليه شعر لو نسجته لجاء مسحاً لراهبين[2]
تقول لم لا تجر ألفا أجبتها باسط اليدين
إن كان قصدي عليه جراً غرقت فيه بجرتين

ومنه قوله: وإن من الخدام من ليس ترتجي مكارمه فالبعد عنه غنائم
ولا تك ممن يتهمهم بحشمة فليس لهم بين الرجال محاشم[3]

وقوله: فلان والجماعة عارفوه وإن أبدى التنسك والزهاده
يموت على الشهادة وهو حي إلهي لا تمته على الشهادة

وقوله: لما جلوا لي عروساً لست أطلبها قالوا ليهنك هذا العرس والزينه[4]
فقلت لما رأيت النهد منتفشاً رمانة كتبت يا ليتها تينه

وقوله: أبيت من الإفلاس والفقر طاوياً لقد زهدوني العشق قهراً وسلوني[5]
وقالوا تحب البيض والسمر قلت لا أحب من الألوان قمحية اللون

---

(١) اللجين: الفضة ـ الحين: الموت.
(٢) المسح: يجمع على مسوح وهي ثياب خاصة برجال الدين.
(٣) الحِشمة: الغضب والأذى.
(٤) جلا العروس: زفها إلى عريسها، والجلوه من أعمال العرس وكانت تتم بأن تقوم إحدى النساء بالغناء للعروس بأغانٍ معروفة بينما تقوم العروس بالدوران مادة يديها وفي كل دورة يدفع لها العريس بعض المال حتى تتم عدداً معيناً من الدورات.
(٥) طاوي: جائع، خاوي البطن.

وقوله: لـو رأى فقحـة حبي عـاذلـي وهي تجلى في ثياب سندسيه[1]
لـغـدا الـعـاذل فـيـهـا عـاذراً وتفـاصلنـا على بيضـا نقيـه

وقوله: سألت وصال حبي قـال دعني فـإنـك في افتقـار لا تجـاب
فقلت لـه حبيب القـلب أدعى بـذي فقـر وفي وسطي نصاب

وقوله: وصـاحـب أنـزل بي صفعـة غضبت إذ ضيـع لي حرمتي[2]
فقـال في ظهـرك جـاءت يـدي فـقلت لا والـعهـد في رقبـتي

وقوله: سـألتـه في صفعـة قـال لـي جنـايـة الصفعـة ما منـه بـد
صـاع مـن الـتـمـر أحلى بـه قلت لـه أعـطيك صاعـاً ومـد

وقوله: لـج الـعـذول ولامـنـي فـيـمـن أحـب وعـنـفـا
فـهـمـمـت ألـطم رأسـه لـمـا بـليـت تـأسـفـا
لـكـنـنـي زلـقـت يـدي وقـعت عـلى أصـل الـقـفـا[3]

وقوله: جئت لخـل يـلاطف الجـرحى قلت له يا أخا الرضا صف لي
فـي عـنـقـي دمـل بـه ورم قـال تـداو بـمـرهـم الـخـل

وقوله: قـالـوا عشقت الشبـاب جهـلاً فـعـلك هـذا هـو الـقـبـيـح
فـقـلت قـد قـيـل كـل شـيء يـأتـي عـلى وجـهـه مليـح

وقوله: بـدا بـخـد الـحـبـيب شـعـر وسـفـلـه يـا أخـي سـالـم
فـكـان كـالـخـوخ إذ يـنـادي عـلـيـه ذا مـشـعـر ونـاعـم

وقوله: ومـمـاجـن يـهـوى الـصـفـا ع ولـم يـكـن إذ ذاك فـنـي[4]
سـلـمـتـه عـنـقـي الـدقـيــــــق فـراح يـنـخـلـه بـغـبـن[5]
مـا إن أذنـت لـه رضـا لـكـنـه مـن خـلـف أذنـي
لـولا يـد سـبـقـت لـه لأمـرتـه بـالـكـف عـنـي

---

(١) الفقحة: الزهرة أياً كان لونها ـ السندس: نسيج الديباج أو الحرير.
(٢) الصفعة: ضرب القفا.
(٣) زلق: غلط وأخطأ المقصد.
(٤) المماجن: الذي يمارس المجون ـ الصفاع: ضرب القفا.
(٥) نخل: هزّ ليتبين جودته أو رداءته ـ الغبن: الخفية.

وقوله: ثنى غصناً ومدّ عليه فرعاً — كحظي حين أطلب منه وصلا
وأسبله على الأرداف منه — فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقوله: ركبت في بحر هواكم مركبا — قذفت فيه بيد التبريح
فانحدرت مدامعي وأقبلت — عواذلي وأقلعت في الريح

وقوله: هجرت فأحشائي توقد جمرها — هذا وليست في المحبة فاتره
وتظل تحرقني بنيران الجفا — ومن الذي يقوى لنار الهاجره[1]

وقوله: قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا — فظل في الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم — فقال إني استعرت اليوم نيرانا[2]

وقوله: يقول عذولي للدموع وقد جرت — على اثر محبوب برى مهجتي بريا
تأنى فقد لاح العذار بخده — فقالت له والله قد زدتني جريا[3]

وقوله: قد زاد في التفنيد لي عاذلي — على هوى من لم أطق بينها[4]
حتى بدا من لحظها صارم — ففر لما أن رأى عينها[5]

وقوله: لا تنكروا اني تركت معذرا — أضنى الفؤاد بلوعة التبريح[6]
لما بدا شعر بصفحة خده — قابلت ذاك الشعر بالتسريح

وقوله: عارضني العذال في عارض — قالوا له بلطف بعدما أطنبوا
ما آن للعارض أن ينتهي — قلت ولا للشيب لا تتعبوا

وقوله: قاس الورى وجه حبيبي بالقمر — لجامع بينهما وهو الخفر[7]
قلت القياس باطل بفرقه — وبعد ذا عندي في الوجه نظر

---

(١) الهاجرة: وقت اشتداد الحر من النهار وهو وسطه.
(٢) راود: حاول الخداع.
(٣) الجري: الركض.
(٤) التفنيد: التكذيب ـ البين: الفراق.
(٥) الصارم: السيف.
(٦) أضنى: أتعب ـ التبريح: شدة الشوق.
(٧) الخفر: الحياء.

وقوله: لمـا ثنى العـطف ثنى مهجتي إليـه ظبي في الهـوى شـارد
نـاديت إذ صرنـا بـلا ثـالث يـا ثـاني العـطف عسى واحـد

وقوله: قـال الـعـذول عـنـدمـا شـاهـدنـي فـي شـغـلي
بـمـن فـتـنـت فـي الـورى فـقـلـت دعـنـي بـعـلي

وقوله: يـا بـاخلين بـالسـلام جهـدهم من ذا رأيتم له شح يوماً بالكلام[1]
لا تمنعـوا عني السلام سـادتي فـأنتم قصـد المعنى والسـلام

وقوله: يـا مليحـاً رووا لنـا عنـه حسنـاً وقبيـح إن لم يكن تم حسنا[2]
طبت لفـظاً مـع الـرواة ولكـن ينبغي أن تكـون في الدهـر معنا

وقوله: أميـل إليـه كي يميـل فيثـني ويعرض أبصرت القضيبَ إذا انثنى
ويـطرحني عن بـالـه لا يعـدني فيلبسني من طرحـه حلة الضنى

وقوله: ولـيـلـة مـرت لـنـا حـلـوة إن رمت تشبيهـاً بهـا عبتـهـا
بت مـع المعشـوق في روضـة ونلت من خـرطـومـه المشتهى[3]

وقوله: لست أنسى رقـة العيش الـذي زاد في الـرقـة حتى انقـطعـا
فـرعـى الله زمـانـاً بـالحـمـى وحـمـاه وسـقـاه ورعـا

وقوله: بـدا ليـل العـذار بخـد بـدر يفـوق البـدر حسنـاً في الكمـال
فـلا تـطمـع عـذولي في سلوِّي فـعشـقي لا تـغيـره الـليـالي

وقوله: بـروحي أفدي خـاله فـوق خـده ومن أنا في الدنيا فأفديه بـالمال
تبارك من أخلى من الشعر خـده وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

وقوله: راحت مني روحي فهذي مهجتي من بعد ذا وجداً بها قد طاحت[4]
فـاترك مـلامك يـا عذول فـإنمـا هي مهجة رحلت على من راحت

وقوله في القاضي علاء الدين بن فضل الله:

لقـد أعطى عـلاء الـدين مـا لم تـوف بـشكـره الـمـداح طـرا

---

(١) الشح: البخل.
(٢) هذا البيت هكذا ورد في الأصل برفع قبيح. والتقدير: وقبيحٌ هو إن لم يكن تم حسناً، والله أعلم.
(٣)
(٤) طاحت: هلكت.

نحـا نحـو الـكـرام إليَّ حتى دخـلت مبـرداً وخـرجـت فـرّا

وقوله في القاضي تقي الدين بن صالح مع بديع التضمين:

بجـود تقي الدين أصبـح دهـرنـا رقيق الحواشي معلماً بالمدائح(١)
فيا دهرنا حزت المفـاخر فـافتخر إذا نحن أثنينـا عليـك بصـالـح

ومن أغراضه قوله:

أعدى احتراق النيل أكباد الـورى فغـدت تـذوب تلهبـاً وتلهـفـا
وتـزايـدت نيـرانهـا من نقصـه فإذا به طـاف البلاد وقـد طفا(٢)

ومن نكته اللطيفة، وقد أهدى له بعض الوزراء في عيد الأضحى كبشاً:

وزيـر الملك عيـد ألف عـيـد فـأنت الصـاحب الخلق الجميـل
لقـد منيت في الأضحى بكبش مـليّ بـالـغـنـى كـاف كـفـيـل

ومن لطائف مجونه قوله:

ونـاحـل أضحى يـصفـي وقـد حـنـت لـه راووق جـريـال(٣)
سـألتـه كـأسـاً أطـفـي بـهـا نيـران أحشـائي فصـفـى لـي

وقوله:

قـلت لـبـزاز عـلى خـلوة واصـل فتى ينسب للخـرقـة(٤)
وخـلني أصـفـق ولـو صـفـقـة فـأنت مـا تخسـر في صفقتي

وقوله في العنب العاصمي:

وعـاصـميّ قـد غـدا طـعـمـه أروى من المـاء لدى الحـائم(٥)
أورث خـلي أكـلـه هـيـضـة فاعجب له من مسهـل عاصم(٦)

---

(١) معلماً: مشهوراً ومميزاً.
(٢) طفا: تمادى في ارتفاعه.
(٣) الراووق: وعاء الخمر ـ الجريال: نوع من الشراب أحمر اللون ونظنه النبيذ الأحمر.
(٤) البزاز: بائع الثياب ـ الخرقة: الحمق.
(٥) الحائم: الشديد العطش.
(٦) هيضة: الإسهال والاستفراغ(الكوليرا).

وقوله: جاء نحوي معذر بعدما عز مطلبه
قلت ذا الأير ميت ظل يبكي ويندبه

وقوله: تطلبت حجراً في الظلام فلم أجد ومن يك مثلي حية دأبه الجحر
فناداني البدر الأديب إلى هنا وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر[1]

ومن لطائف مجونه مع الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة قوله:

يكذب من ينسب البغاء إلى شاعرنا المنتمي إلى حجله[2]
ما هو بغا كما يقال لنا بل هو نور يدور بالعجله[3]

وقوله في الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد:

لعلاء الدين ذقن تملأ الكف وتفضل
فاعمل المنخل منها لدقيق العيد وانخل

ومن لطائف الشيخ بدر الدين بن الصاحب في باب التورية قوله وتلطف ما شاء:

حبيب لي طبيب لم يزرني سوى بالطيف في ظلم الليالي
رآني ناحلاً من فرط شوقي فأهدى لي مزوّره الخيالي[4]

وقوله: وعدتني بخيال يزور طرفي مناما
فشاب رأسي انتظاراً وما بلغت احتلاما[5]

وقوله: يا هلالاً قد تسامى وله الصدغ عمامه
أشتهي لو نلت حظاً منك مقدار قلامه[6]

ومن لطائفه في هذا الباب قوله:

يقبل الأرض لا زالت مقبلة من بعد ثغري بثغر الروض والزهر
ويسألّ الله جمع الشمل منتظماً ودمعه قائل يا منزل المطر

---

(١) الشطر الثاني من هذا البيت، لأبي فراس الحمداني من قوله:
سيعرفني قومي إذا جد وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
(٢) البغاء: ممارسة الفجور.
(٣) العجلة: السرعة.
(٤) ناحل: ضعيف ـ مزوره: طيفه.
(٥) الاحتلام: العقل والبلوغ.
(٦) القلامة: قصاصة الظفر.

وقوله: جفني عليك ساهر بحرقة قد ذقتها
ودمعتي جارية إن زرتني عتقتها(1)

وقوله في قيم حمّام:

وقيم في حسن صنعته حاز الجمال على حسن من الترف
لو يخدم البدر أنقى البدر من كلف لكنه لم يزل ما بي من الكلف(2)

وقوله: فتنت بنبت من عوارض خده فها أنا في قيد الغرام أسير
ولا كان لي بالعشق قط تعلق ولا بالهوى قبل العذار شعور

وقوله: إذا جلوا لي كأسي بها حباب منظم(3)
علمت أن زماني بعد القطوب تبسم(4)

وقوله: يا أيها العاصر بادر إلى عنقودك الفاخر في كرمه
إياك أن تتركه ساعة يزبب النحس على أمه(5)

وقوله: يا حابس الكاس لا تزدها من بعد حبس الدنان حسره(6)
واغنم مزاجاً لها لطيفاً أورثه الانتظار صفره

وقوله: أطربنا مشبب من غير جعل سأله(7)
يا حسن موصول له لم يفتقر إلى صله

ويعجبني قوله:

غنت فأغنت عن كؤوس الطلا بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت إذ هيمني صوتها في مثل ذا الحلق تروح الذقون(8)

---

(1) عتقتها: حبستها.
(2) الكلف: شدة العشق والكلف، النمش الذي يعلو وجه الحامل.
(3) الحباب: الفقاقيع التي تعلو وجه السائل عند صبه.
(4) القطوب: العبوس.
(5) تزبب: صار زبيباً ـ النحس: المجدب الذي لا خير فيه: وهذا من الأمثال: يزبب النحس على أمه.
(6) الدنان: جمع دن وهو وعاء الخمر.
(7) الجعل: الضريبة.
(8) الحلق: الحلاقة.

يـا مهـدي الأقصــاب من سكـر | صفراً حكى طول القنا طولها [1]
إيــاك أن تــقــطعــهــا ســاعــة | فـأحسن الأقصـاب مـوصـولهـا

وقوله:

ناحت حمام البان أم تاهت أسى | لم أدر مـا عنـاؤهـا من شـوقهـا
عجماء لا تظهر حرفاً من شجى | كـأنهـا مخنــوقـة من طــوقهـا

وقوله:

وذات طوق على الأغصان تذكرني | قوام حسنك في ضمي لمعتنقك
قد سوّدت وجهها نوحاً فقلت لها | سواد قلبي يا ورقاء في عنقك [2]

ويعجبني قوله:

يــا لـيــل إن الـحـبـيـب وافـى | وخفت إســراع دهـم خيـلك [3]
فــطل وغش الـصــبــاح إنــي | دخـلت بـالليــل تـحـت ذيـلك

ومن نكته البديعة الغريبة في الشطرين قوله:

تأمل ترى الشطرنج كالدهر دولـة | نهـاراً وليـلاً ثم بؤسـاً وأنعمـا
محــركهـا بــاق وتفنى جميعهـا | وبعـد الفنا تحيى وتبعث أعـظما

وقوله مضمناً:

أميــل لشـطـرنــج أهــل النهـى | وأسلوه مـن نـاقــل البـاطــل
وكـم رمـت تـهـذيـب لـعـابـه | وتـأبى الـطـبـاع على النـاقـل

ومن أغراضه:

لعبت في الشـطرنـج في غــايـة | تقصـر الأوصــاف عن حــدهـا
إن صـاح في الأقـران لي بيـدق | تمـوت منه الشـاة في جلدهـا [4]

ومن لطائف مجونه قوله:

شاب الحبيب فقلت أهلاً بـالوفـا | وازددت فـيــه تعـشقـاً وتـكلفـا
والأيــر قــام ولم يبــل لمشيبـه | فـالرايـة البيضـا عليـه في الـوفـا

---

(١) الأقصاب: جمع قصبه وهي نبات ذو ساق كالأنبوب ومنه ما هو سكري الطعم ويصنع منه السكر- القنا: الرماح.
(٢) النوح: البكاء - الورقاء: الحمامة المطوقة.
(٣) دُهم الخيل: سودها والدُّهم: المداهمه والمفاجأة.
(٤) البيدق: من أدوات لعبة الشطرنج (الجندي).

وقوله: كم جار صرف الدهر في حكمه وضـرَّني من حيث بي يعتني
ألبسني من شيبتي حلة قلت له والله عزيتني

ومن أغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله:

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفوا على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه مخلق تملأ الدنيا بشائره[1]

وقوله: النيل ألبس حلة حمراء في تخليقه
وله أصابع زينب قد ختمت بعقيقه

وقوله: نادى منادي الوفاء مصراً إذ علقوا سترة علامه
من الغلا قد سلمت حقا فبت في الستر والسلامه[2]

وقوله: كانت لمصر سترة بالنيل مذ ولى خلت
كأنه زوج لها فبعده ترملت[3]

ومن أغراضه البديعة قوله:

فاخرت الأقلام سمر القنا والسعد في الأقسام مكتوب
فقلت للخطيّ لا تستطل كلاكما للخط منسوب[4]

وقوله: ولائم زاد لوماً في أسود أشتهيه
وقال أسود تهوى فقلت عينك فيه

ومن لطائف أغراضه في مليح فوّال قوله:

أنا ابن الذي في الليل تسطع ناره كثير رماد القدر للعبء يحمل
يطوف بأقداح العوافي على الورى ويصبح بالخير الكثير يفوّل[5]

ومما اخترته من نظم الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة، وقد تقدم قولي إنه كان يرضى بالرخيص لأجل الكثرة، قوله:

---

(١) المخّلق: ذو الأخلاق الفاضلة.
(٢) الغلا: الغلاء وهو ارتفاع الثمن.
(٣) ترملت: المرأة، فقدت زوجها فصارت أرملة.
(٤) استطال: تكبّر وتعجرف.
(٥) يفوّل: يملأ أو من الفأل.

بي من غدا ظهري عليه المنحنى ... ولـحـظه لـحظ ظـبـاء رامـه
كم قلت من عـذاره وقـد بـدا ... لي خـطه يا كـاتب السلامـه

وقوله:
يقـول لي الحبيب أرى عـذاري ... يـدب الحسن من وجهي إليـه
تكلم في وظيفـة حسـن خـدي ... وقـام بـنـفـسـه يسعى إليـه

وقوله:
وعـاذل قـد زاد فـي لـومـه ... وقـال لـمـا هـاج بلبـالـي[1]
بعـارض المحبـوب مـا تنتهي ... قلت ولا بـالشيب والـوالـي[2]

وقوله:
يا سائلي عن حالتي ما حال من ... أمسى بعيـد الـدار فـاقـداً إلفـه
بي صيـرفيّ لا يـرق لحـالتي ... قدمت من جور الزمان وصرفه[3]

وقوله:
أصـبـحـت مـا بـيـن الـورى ... كـالـوالـه الـمـصـاب
من هجـر ذي القبـطي الـذي ... مـا كـان فـي حـسـابـي[4]

وقوله:
يقـول جـاري من بعـد جـور ... وقـد رأى حـرقـتـي ونـاري
دمـعـك مـا شـانـه ومـن ذا ... عليـك قـد جـار قلت جـاري

وقوله مضمناً:

أقـول لصب قلبـه يشتكي الأسى ... هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
عذلتك في ابن السكري والذي أرى ... مخالفتي فاختـر لنفسك مـا يحلو

وقوله مضمناً:

قـل للهـلال وغيم الأفق يستـره ... حكيت طلعة من أهواه بالبلج[5]
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ... ذكرت ثم على ما فيك من عِوَج

وقوله في غلام يدعى مقبلاً:

يا من تحجب عن محب صادق ... مـا زال عنه كـل حين يسـأل
من لي بيـوم فيـه تقبـل بـاللقـا ... ويقـال لي هذا حبيبـك مقبـل[6]

---

(١) البلبال: شدة الهم أو الحزن الشديد.
(٢) العارض: جانب اللحية - ولا بالشيب: أي ولا أنتهي بالمشيب وما بعده.
(٣) صرف الزمان: تقلّبه. والصرف من الصيرفة عملية تبديل العملات.
(٤) القبطي: نسبة إلى الأقباط وهم طائفة من النصارى أكثرهم في مصر.
(٥) البلج: الإضاءة والإشراق.
(٦) مقبل: آتٍ واسم الحبيب.

وقوله في جارية تدعى حكم الهوى:

حكم الهوى صدق فبت لأجل ذا ... ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلي لا تلحني في حبها ... نفذ القضا وكذا جرى حكم الهوى(١)

ورأيت غالب مقطعات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة، في الباذهنج والفانوس، ولكن نختار منها ما يحسن نظمه في هذا السلك، فمن ذلك قوله في فانوس مع حسن التضمين:

وكأنما الفانوس نجم نير ... منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة ... من حر نار تحتويه ضلوعه

وتقدمه فيه مجير الدين بن تميم، فقال وأحسن التضمين:

أنظر إلى الفانوس تلق متيماً ... ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه بدموعه ... وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال فيه ابن أبي حجلة وأجاد مع حسن التضمين:

يحكي سنا الفانوس من بعد لنا ... برقاً تألق موهناً لمعانه(٢)
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحت به أجفانه

ويعجبني قوله مع حسن التضمين:

أنا في الدجا ألقى الهوى وبمهجتي ... حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأنني في الليل صب مدنف ... كتم الهوى فوشت عليه دموعه(٣)

ويعجبني أيضاً هنا قول مجير الدين بن تميم:

أبدى اعتذاراً لنا الفانوس حين بدا ... في حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرماً ما بين أضلعه ... نار الجوى فغدا بالثوب يسترها(٤)

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في الباذهنج قوله مع حسن التضمين:

---

(١) لحا: لام.

(٢) الموهن: قريب من منتصف الليل أو بعده بقليل.

(٣) الصب: العاشق ـ المدنف: المريض بالعشق ـ وشى: دَلَّ ونَمَّ.

(٤) مضرماً: ملتهباً ـ الجوى: الشوق والصبابة.

ويـاذهنج غـدا في الجوّ منـظره من فـوق مخبره يبـدو على سنن
فانظر فـديتك يـا محبوب رفعتـه واستنشق الريح من تلقاه يا سكني

وقوله:

يـا بـاذهـنجي كم كـذا تـعلو عـلى بـان الحمى
أبـديـت حـمـقـاً زائـداً ورفـعت رأسـك لـلسـمـا

وألطف منه قوله مع حسن التضمين:

يا باذهنجي لا برحت من الهوى مثلي على حب الـديار مـولهـا
داري بحبـك لم تـزل مشغـوفـة خلعت هواك كما خلعت هوى لها

وقوله مضمناً:

هجـا الشعـراء جهـلاً بـاذهنجي لأن نـسـيـمـه أبـداً عـلـيـل
فقـال البـاذهنـج وقـد هجـوه إذا صـح الهـوى دعهم يقـولـوا

ومن نكته الغريبة في باب التورية قوله، وكتب به إلى ابن الزين المعروف بلبيكم:

يا شاعـراً قد حـاز حسن بديهـة وتـطيعـه درر النجـوم إذا نـظم
وتجيبـه قبـل السؤال لـقصـده وتقول يا ابن الزين لبيكم نعم(١)

وقوله وقد قدم الشيخ جمال الدين إلى الشام:

يـا معشـر الأدبـا غـدا تشبيبكم ومـديحكم فيما يـروق ويعذب(٢)
وافـاكم ابن نبـاتـة فتـفقـهـوا أقـوالـه بـسكـيـنـة وتـأدّبـوا

وقوله من أبيات:

ومتى امتطيت من الكؤوس كميتها أمسيت تمشي في المسرة راكبا(٣)
ومتى طرقت عشى آنس ديرهـا لـم تـلق إلا راغبـاً أو راهبـا

وممن قنص شوارد التورية بحبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن الزغاري، فمن ذلك قوله:

---

(١) لبيكم: لقب المذكور ومعناها سرعة الإستجابة للطلب.
(٢) التشبيب: التغزل.
(٣) الكميت: الحمراء التي يميل لونها إلى السواد ـ المسرة: السرور.

قــالت وقــد أنكــرت سقــامي لم أرد ذا السقم يــوم بينك[1]
لـكن أصــابتـك عيـن غيــري فـقلت لا عـين بـعـد عـيـنـك

وقوله: حبست الـدّمـع ثم جعلت جفني سيــاجــاً مــا لــه قط انفــراج
فـمــا زلتـم بجــوركـم إلـى أن تجرى الـدمـع وانخـرق السيـاج

وقوله: قـيــل لي إذ رأيـت أقمــار تـمّ عن بــدور السمـاء للطرف تلهي
أي وجــه أضنـاك قلت دعــوني فسقـامي قد صـح من كل وجـه

وقوله: سـل لحتفي كـالحسام الصقيل لحظاً حديداً تحت جفن كليل[2]
ثـقيــل ردف قــادني في دجــا شعــره عنقـود ولـيــل طــويــل

وقوله أيضاً: أفـديـه في الألكن يــرمي دائمـاً وسواد قلب الصب من أغراضه[3]
أطلقت لحـظي نحـوه فـأجابني سهم ومـا عـاينت كشف بيـاضـه

وقوله مضمناً، وأجاد:

يقــول العـاذلــون نــرى رمــاداً على خـديـه من شعــر العــذار
فقلت لهم صــدقـتم غيــر أني أرى خلل الـرمـاد وميض نــار[4]

وقوله: فـتـنـت بـأسـمــر حـلو الـلمـى لسلوانــه الصب لم يستــطع[5]
يـقــطـع قـلـبـي ومــا رق لــي ودمــعـي يــرق ومــا يــنـقــطـع

ومنه قوله في مليح بيده قوس حلقه:

وبــدا العشيــة أغيــد في كفــه قــوس كنـانتهـا سهـام جفـونـه[6]
فسـألتــه البقيــا على عشــاقــه فنفــوسهـم مــطويــة بـيمـيـنــه

---

(١) السقام: المرض والضعف ـ البين: الفراق.

(٢) الحسام: السيف ـ الصقيل: المسنون القاطع ـ حديد: شديد الإبصار. الكليل: الذي لا حدّ له فلا يقطع.

(٣) الألكن: الذي يصعب عليه الإفصاح بالعربيه للكنة في لسانه أي عجمة.

(٤) الوميض: اللمعان.

(٥) اللمى: سمرة في الشفاه من عناصر الجمال.

(٦) الكنانة: الجعبة التي تحوي السهام.

وقوله: وافى كتابك يا خليلي بعدما حكمت عليّ ببعدك الأيام
لكن أرى نار اشتياقي لم تكن برداً عليَّ وفيه منك سلام

ومن نكته الغريبة قوله:

أما ترى النهر كالحسام غدا ينسل بين الغصون والورق
وليس في الجري مثل صارمه يشق نحوي مفارق الطرق

ومن غاياته البديعة في هذا الباب قوله:

سرت من بعيد الدار لي نفحة الصبا وقد أصبحت حسرى من السير ظالعه(1)
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى ومن تعب أنفاسها متتابعه(2)

ومن لطائفه قوله:

أعجب ما في مجلس اللهو جرى من أدمع الرواق لما انسكبت(3)
لم تزل البطة في قهقهة ما بيننا تضحك حتى انقلبت(4)

ومثله قوله وزاد لطفاً بزيادة نكتة أخرى:

يا من يلوم في التصابي خلني فأذني عن الملام قد نبت(5)
تصفية الكاسات في شواربي أضحكت البطة حتى انقلبت

وتلاعب بهذا المعنى وقال:

أنا القليل العقل في صرف الذي أملكه في كلف المشارب
ولم أنل مما أضعته سوى تصفية الكاسات في شواربي

ومن مجونه قوله:

يا صاحباً ما زال من أنعامه لثياب راجيه المؤمل رافي(6)
قد قطعت فرجيتي حتى لقد ظهر القطوع بها على أكتافي(7)

---

(1) حسرى: كاشفة ـ ظالعة: متهمة.
(2) الجيب: موضع وضع القلاده من العنق.
(3) الرواق: هكذا وردت في الأصل ونظنها الراووق وهو وعاء الخمر.
(4) البطة: الباطية وهي وعاء للخمر.
(5) نبا: أخطأ ولم يصب.
(6) رفى: يرفي ويرفو: رقع.
(7) الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام يلبسه رجال الدين عادة(محدثة).

وممن أتى في دقيق التورية بخاص الخاص الشيخ يحيى الخباز الحموي، فمن ذلك قوله:

قال عذولي والقوم قد رحلوا وقصده في مقاله حيني
أطلق دموعاً ما زلت تحبسها وطلق النوم قلت من عيني (١)

وقوله:

لم أنس طيفاً زارني وانثنى عني وقلبي بعده يخفق
وما كفى حتى دموعي غدت من خلفه تجري وما تلحق

وقوله مضمناً:

لئن وعدت بالوصل سلمى وأخلفت فسلها عسى العذر المبين يقوم (٢)
ولا تبدها باللوم قبل سؤالها لعل لها عذراً وأنت تلوم

وقوله:

لقد تعشقت فتى سائباً يبدل الحاضر بالغايب
مدحته جهدي فلم يرتبط وراح كل المدح في السائب

وقوله:

تعذر من أهواه واسودّ وجهه ورام وصالي بعدما لم يكن خلقي (٣)
وقال حكى صدغي نباتاً أجبته صدقت لهذا عاد يصلح للمحلق (٤)

ومن لطائف نكته في هذا الباب قوله:

قلت لمن ينتف أصداغه لا تكره الريحان حول الشقيق
وأعتق شعور الذقن من نتفها فإنني شيخ أحب العتيق

ومن لطائف نكته في هذا الباب قوله:

أصبحت في العالم أعجوبة عند ذوي الألباب والفهم
جدي حموي فاسمعوا واعجبوا وما كفى حتى أبي أمي

---

(١) من عيني: كناية عن الاستجابة للطلب.
(٢) أخلف الوعد: نكثه ولم يف به.
(٣) رام: طلب وأراد ـ خلقي: جدير بي.
(٤) المحلق: الحلاقه ـ الصدغ: الشعر بين العين والأذن حكى: شابه.

ومن لطائفه قوله:

عاطنيها من عهد كسرى سلافاً ... تتقد في الكؤوس كالنيران[1]
وابن ماء السماء زوجه راحاً ... أذكرتنا شقائق النعمان

ومن رقيق أغزاله قوله:

لضعف أجفان حبي ... بالفتك فينا عتوّه[2]
فيا لها من جفون ... تزداد بالضعف قوّه

ومن مجونه قوله:

كسبت مملوكاً ومن لطفه . ... يسير باللطف على سيري
سميته خيراً وإن يدخل ... الأير يكن خيراً على خير

ومن مماجناته مع الشيخ حسن الزغاري المذكور قوله:

حسن الزغاري أحمق ... يا بئس من يوافقه
خنقته هجواً وما ... للكلب إلا خانقه

ومثله قوله فيه:

نبح الزغاري عند نظم موشح ... وكمال نظمي بالسفاهة نقصا
فضربته بعصا الهجا لما عوى ... فأصبت مصرعه ولم تضع العصا

وقوله فيه:

قل للزغاري الذي من جهله ... أمسى بأقوال الأكابر هازي
هذا ابن قرصة قد سمعت هجاءه ... من ذا يجيرك من يد الخباز

ومن لطائف الشيخ شهاب الدين الحاجبي، تغمده الله برحمته، في باب التورية، ولم أظفر له إلا بما قل من مقاطيعه، مع أني كثير الفحص عنها، فإنه ما يجارى في انسجامه وسهولته ورقته ولطيف تركيبه في هذا الباب، قوله:

لها عين لها غزل وغزو ... مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي ... فيا لك مقلة غزلت وحاكت

---

(١) عاطاه: الخمرة: شربها معه.

(٢) العتوّ: القوة والشده والهياج.

وقوله:

وصفت خصره الذي أخفاه. ردف راجح[1]
قالوا وصف جبينه فقلت ذاك واضح[2]

وقوله:

عودوا لصب بكى عليكم يا جيرة ودّعوا وساروا
فدمع عينيه عاد بحراً وقلبه ما له قرار

وقوله:

لا تبعثوا غير الصبا بتحية ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوّعت نشراً فيا لله ما أذكاها[3]

ووقفت له على قصيدة لامية امتدح بها الملك الأفضل صاحب حماة، كلها غرر في باب التورية، مطلعها:

عما جرى من أدمعي لا تسألوا فمدامعي أخبارها تتسلسل

وما أحلى ما قال بعد المطلع:

وخذوا حديثاً قد ألم بمهجتي وازداد حتى أهملته العذل

منها:

ثاني المعاطف كنت أول عاشق في حبه ولكل ثان أول[4]
يرنو فيحلو للمتيم لحظه إذ ذاك لحظ بالنعاس معسل[5]
وتميل منه شمائل لم أدر من مشمولة أو حركتها الشمأل[6]
متلون الأوصاف سيف لحاظه ماض ولكن هجره مستقبل

منها قوله، وأظنه سبق ابن نباتة إلى معناه، وهو:

---

(١) الردف: الكفل والعجيزة ـ الراجح: الثقيل.
(٢) واضح: بيّن ظاهر وواضح الجبين عريضه.
(٣) تضوع: فاح ـ النشر: الرائحة الطيبة.
(٤) ثاني: طاوي من ثنى يثني.
(٥) يرنو: ينظر بعطف ـ المتيم: العاشق ـ المعسّل: ذو النوم الخفيف.
(٦) المشمولة: الخمرة الباردة ـ الشمأل: الريح الشمالية.

أيجـود لي دهـر بـطيف خيـالــه وأظنــه بــرجــوع ذلــك يبخــل
أم كيف يأتي الطيف جفنـاً بابـه بالفتح من أرق الصبابة مقفـل(١)

وقول الشيخ جمال الدين:

وأقسم لــو جـاد الخيــال بـزورة لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومن قصيدة الحاجبي قوله:

يـا ساكنين السفـح كيف حجبتم عن ناظري البدر الذي لا يأفل(٢)
وفعلتم بي مــا يـسـر عــواذلي مـا شئتم يـا أهـل بـدر فـافعلوا
لا تحجبــوا بيني وبين غــزالكم فعلى حجاز الصد ما لي محمل

ومنها وهو المرقص والمطرب قوله:

يـا صـاح عللني بكـأس مـدامـة عن ذكـره إن المـحب يـعلل(٣)
صهباء إن جن الفتى بخمــارهــا فهي الشفاء وفي شذاها المندل(٤)

ومن لطائفه في هذا الباب قوله:

لم أنس أيــام الصبــا والهــوى لله أيــام الــنجــا والــنــجــاح
ذاك زمــان مــر حـلو الـجــنـى ظـفــرت فيــه بـحبيب وراح(٥)

تالله لقد عز علي أن تتحجب عني عرائس الحاجبي في خدور الأوراق، فإني لم أظفر من منهله العذب بغير هذه النهلة، ومن عروبة الشيخ زين الدين بن العجمي في باب التورية، قوله:

سهل الخدود عزيز وصل من يرم يـومـاً جنى وجنـاتـه لم يستـطع
كم رمت لثم الخد منه فقال لي لا تـطمعن فكـل سهــل ممتنـع

---

(١) الأرق: عدم استطاعة النوم ـ الصبابة: الشوق.
(٢) أفل: النجم، غاب.
(٣) علل: منّى النفس ـ المدامة: الخمرة اديمت في الدنان.
(٤) الصهباء: الخمرة ـ الخمار: غطاء الوجه للفتاة أو السكر ـ الشذا: الرائحة ـ المندل: العود الطيب الرائحة وضرب من الكهانة.
(٥) الراح: الخمرة.

وقوله:

حبي يمين في يمين الهوى ... فلا تشق منه بزور المقال
كم قال ما ملت وولى وكم ... قد سلب العشاق روحاً ومال

وقوله:

وافى وفي كميه ورد أحمر ... حيا به مذ شب تحت لثامه
فرشفت حلو الراح من خرطومه ... وجنيت ورد الخد من أكمامه

وقوله:

أنظر إلى الغدران كيف تجعدت ... أمواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطوراً في طروس خطها ... قلم النسيم بلطفه لما انبرى

ومن نكت مدائحه البديعة قوله في القاضي شهاب الدين بن فضل الله، رحمه الله تعالى:

يا عمري الأصل أنت مالكي ... ونافعي بجوده دون البشر
لذا رفعت سندي في حكمكم ... لنافع لمالك لابن عمر[1]

وقال وقد أهدى له حلاوة سكب:

لفضلك يا قاضي القضاة مزية ... على السحب لا تخفى على من له لب[2]
فأول جود الغيث قطر مبدّد ... وغيث نداك الجم أوله سكب[3]

ويعجبني من زهدياته قوله:

عن طريق الذنوب قيدت خطوي ... خيفة من عقاب عقبى التجري[4]
وإذا لاح نهج برٍ تراني ... فيه أمشي أبغي ثوابي وأجري

وقد عن لي أن أورد هنا نبذة له من المواليا، فإنه كان فارس ميدانها وقائد عنانها، فمن ذلك قوله:

للحب قالوا معناك الذي إذ بلتو ... جدلو بقبله فعقلو فيك خبلتو
فقال أقسم لو أن البوس سبلتو ... ومات للشرق ما درتو وقبلتو

---

(١) نافع ومالك بن أنس وعبد الله بن عمر: من رواة الحديث.

(٢) اللب: العقل.

(٣) الغيث: المطر والمساعدة ـ الندى: العطاء.

(٤) التجري: اتخاذ الجواري.

ومن مخترعات معانيه قوله فيها:

حشيش عارضك الأخضر بدا في هدو في روض وجنتك يحدو للصبابه حدو
والوهم ما ضر خدك يا رخيم الشدو إلا لأن حشيشو قد طلع في بدو

وقوله:

شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل ملهوف لا حمل يعنيني ولا تحميل
والعين قد حلفت يا بدر في التكميل لا تكتحل بالكرى إن غبت عنها ميل

وقوله:

يا من على الخلق أذيال المكارم جر وقد سلب نوم أجفاني وعنى فر
يحل لك أن قلبي يا غزير الدر مالو قرار ودمعي البحر وأنت البر

وممن فتح له هذا الوصيد، القاضي فتح الدين بن الشهيد، رحمه الله تعالى، فمنه قوله:

بستان حسنك أينعت ثمراته واهاً لغصن قوامك المياس[1]
في صدره رمان نهد زانه حليٌ يوسوس في صدور الناس

وقوله:

أفدي التي ساقت حروب الهوى بحسن ساقيها لمشتاقها
جادلت عذالي على حسنها فقامت الحرب على ساقها

وقوله:

قال لا تخش رقيبي فلمن حبني في زورتي أوفى نصيب
قلت إن زرت وحانت غفلة فبودي وعمى عيني رقيبي

وقوله في عين بعلبك:

ولقد أتيت لبعلبك فشاقني عين بها روض النعيم منعم
فلأهلها من أجلها أنا مكرم ولأجل عين ألف عين تكرم

وقوله:

قاسوا حماة بجلق فأجبتهم هذا قياس باطل وحياتكم
فعروس جامع جلق ما مثلها شتان بين عروسنا وحماتكم

---

(١) أينع الثمر: نضج ـ واهاً: إسم فعل بمعنى التلهف والتفجع والتعجب.

فأجبته في ذلك التاريخ عن ذلك بقولي:

والله إن حماة شامكم ... وعروسها بمحاسن متزايده
ودمشقكم بعذارها الثلجي قد ... ولت شبيبتها وأمست بارده

ومن لطائف القاضي فتح الدين بن الشهيد، قوله وقد أحضر له عواد يسمى طائر بغا، بسفارة الحاجب توكل:

نهاري أنس كله بمنادم ... على عوده يغزو الحشا بتبلبل[1]
وكنت أراه طائراً عز مطلباً ... ولكنني حصلته بتوكل

وقال وقد حضر عنده من يلعب بالقانون وأطربه:

غنى على القانون حتى غدا ... من طرب يهتز عطف الجليس[2]
داوى قلوباً من عليل الأسى ... وكان فيها من هواها رسيس[3]
فصاحت الجلاس عجباً به ... يا صاحب القانون أنت الرئيس

ومن نكته اللطيفة التي هو أحق بها من غيره، لكونه صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام، قوله:

كانت فتاتي لنظم بيتي ... قرينة برة أمينه
بكيتها والحمام قامت ... بالسجع في ندبها معينه
من علم الورق أنّ سجعي ... ليس يؤاتي بلا قرينه

ومن لطائفه، وقد جهز لبعض أصحابه رسالة القلب، وهي ما لا يستحيل بالانعكاس وجهز بعده قوالب سكر:

رسالة القلب بها خدمتي ... تقدمت في الزمن الذاهب
وها أنا أرسل من بعدها ... قوالب السكر في الواجب
ليعلم المخدوم أني امرؤ ... أخدمه بالقلب والقالب

وكتب على عمارة بيته قوله:

بنيت على وفق المكارم والعلا ... فللفتح أبوابي وصدري للضم
سنا الملك يبدو من موشح زينتي ... ومن أجل ذا دار الطراز على كمي

---

(١) التبلبل: الاضطراب.

(٢) القانون: من آلات الطرب الموسيقية ـ العطف: الجنب.

(٣) الرسيس: الأثر.

وكتب على الرفرف:

رفعتك ما شاء الترفه رفرفا   أزين سمائي بل أزين سماحي[1]
فلا بدعَ أنّ الناس يهوون بهجتي   ويمشون في ظلي وتحت جناحي

وكتب على مجلس بيته:

يا من ينزه في حسني نواظره   اسمع صفات بها قد فقت أمثالي[2]
أني مقام مقرٌّ عز جانبه   ودون قدر مقامي المجلس العالي

ومن لطائف الشيخ عز الدين الموصلي، في باب التورية، قوله رحمه الله تعالى:

يقول وقد بدا قمراً وغصناً   حباه حسنه هيفاً بلين
تنشق مسك أصداغي حلالاً   فهذا الطيب من عرق الجبين

وقوله:

كالزرد المنظوم أصداغه   وخدّه كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته   في الخدّ تقبيلاً يفك الزرد

ويعجبني من نكته الغريبة قوله:

وحاجم في الكأس أجرى دماً   من ساق ساقينا بإشفاق[3]
لكنه خالف في شرطه   وحكّم الكأس على الساق

ولعمري إنه تلطف إلى الغاية بقوله:

أعدى سقام جفونه   جفني فأعدمني الكرى[4]
حتى اعتللت بسرعة   مثل النسيم إذا سرى

ويعجبني قوله في باب التدبيج:

خضرة الصدغ والسواد من العيـ   ـن بياض المشيب قد أورثاني
واحمرار الدموع صفر خدي   كل ذا من تلوّنات الزمان

---

(١) الرفرف: الرّف تجعل عليه طرائف البيت.

(٢) فاق: تفوق وزاد عليه.

(٣) الحاجم: الذي يشتغل بالحجامة وهي المداواة بكبايات الهواء او امتصاص الدم بالمحجم.

(٤) أعدمني: حرمني ـ الكرى: النوم.

وقوله: حديث عذار الحب باد وساقه ... له أوجه تبدي لقلبي اشتياقه
دری أننا نسعى إلى الحسن كلنا ... فأبدى لنا ذاك الحديث وساقه[1]

وقوله: يا مقلة الحب مهلاً ... فقد أخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه ... لا تحرقيني بنارك

وقوله: حديث عذار الحب في خدّه جرى ... كمسك على الورد الجني مسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه ... كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى[2]

وقوله: عيني أفاضت دموعي ... من طول صد وبين
ووجنة الحب قالت ... رأيت غسلي بعين

وقوله: عاتبت حبي على تأخره ... وقد تعنى برجة الردف[3]
فقال هذا الثقيل أخرني ... عن سرعتي لانقطاعه خلفي

وقوله: لحديث نبت في العذار حلاوة ... وطلاوة هاجت بها العشاق[4]
فإذا تجافى المرد قلت تمهلوا ... فإليكم هذا الحديث يساق[5]

وقوله: هجروك البيض لما ... نصل الصبغ فضرك[6]
كشف الدهر المغطى ... يا جميل الستر سترك

وقوله: ذو حور أصابني ... بعينه لما نظر
فليس قتل صبه ... إلا كلمح بالبصر

ومن لطائف مجونه قوله:

وبي ناتف للعارضين يقول صف ... نبات عذار زان في الحسن منظري
فناديت يا حلو الشمائل ما الذي ... يقول لساني في النبات المكرر

---

(١) درى: عرف ـ وساقه: الحديث حدث به في سياق الكلام. والساق المتصل بالقدم.
(٢) الرسوم: الآثار ـ جرى: حدث.
(٣) الرجة: الإهتزاز ـ تعنى: تعب ـ الردف: المؤخرة.
(٤) الحديث: الجديد ـ الطلاوة: الرونق.
(٥) المرد: جمع أمرد وهو الشاب الذي لم تنبت لحيته بعد.
(٦) نصل الصبغ: بهت وبار لونه. والصبغ الخضاب.

وقوله: لما جفا المحبوب ناديته قابلت حبي منك بالبغض
فعندها نام على وجهه وقال وجهي منك في الأرض[1]

وكنت أظن أن هذه النكتة اختراع الشيخ عز الدين الموصلي، إلى أن وقفت على الديوان الكبير من نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة، فوجدته قد أخذها منه بنصها، اللهم إلا أن يكون وقع حافر على حافر، وقول الشيخ جمال الدين في هذه النكتة:

عاتبت محبوبي وقد نكته بطحا فأضحى خجلاً مغضي
فقلت دربسني وخل الحيا فقال وجهي منك في الأرض[2]

ومن لطائف مجون الشيخ عز الدين قوله:

قد لقبوا بالزاغ ذا حنكة كواه ذا التلقيب في القلب داغ[3]
وهو غراب البين في شؤمه لكن إذا جئنا إلى الحق زاغ [4]

وقوله في تمتع الدمشقي:

وذي أدب لطيف الذات جداً طلبت الوصل منه فما تمنع
ودب لأخذ أيري قلت من ذا فناداني بإشفاق تمتع

وقوله: مذ نام أيري قال لي أفمه يحظى بالوصول
فقلت فيه قصر فقال ذا شيء يطول

وممن عاصر الشيخ عز الدين الموصلي، ومشى تحت علم التورية، علاء الدين بن أيبك الدمشقي، وكان المتعصبون على الشيخ عز الدين يناظرونه به. ولعمري إن هذه المناظرة ما صدرت ممن له نظر. فمن نكته البديعة قوله، وقد اجتمع بمليح في منتزه من منتزهات دمشق يعرف بالسلطاني:

سلطان حسن أفتديه بناظري وأعيذه من نظرة الشيطان
يوماً بزهر اللوز لما زارني قضيت ذاك اليوم بالسلطان

---

(١) وجهي منك في الأرض: كناية عن الخجل وشدته.
(٢) دربس: قدّم.
(٣) الزاغ: من أنواع الغربان قريب من الحمامة أسود اللون لا يأكل الجيف ـ الحنكة: الدهاء والحيلة ـ داغ: هذه اللفظة لم نعثر على معنى لها في ما بين أيدينا ونرجح أن تكون بمعنى ترخيماً لداغل وهذه تقال للجرح الخفي، أو أنها تكون بمعنى الأحمق من دُغينة وهي علم على الأحمق.
(٤) زاغ: مال عن الحق وحاد. ويمكن أن تكون ترخيم «زاغل» وهي بمعنى غاش.

وقوله: أحببت من خياله وجنة ... مشرقة حمراء شبه اللهب
قالوا الشهيدية أعطافه ... فقلت والردف تليل الذهب(١)

وقوله: أقول وقد ظمئت ووجه حبي ... له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي ظمأ شديد ... ولكن لا سبيل إلى الورود(٢)

ومن لطائف مجونه قوله:

تلطف واحتمل مزح الغواني ... وإن أوجعن منك الظهر دقا
وجيدك إن يُلَقَّ الصفع فاصبر ... فإن الجيد في الدنيا ملقى

ومن نظم الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا في باب التورية قوله:

شهدت جفون معذبي بملالة ... مني وإن وداده تكليف(٣)
لكنني لم أفأ عنه لأنه ... خبر رواه الجفن وهو ضعيف(٤)

وقوله: تقول وقد أتتني ذات يوم ... مخبرة عن الظبي الجموح
يسرك أن أروح إليه أجري ... فقلت لها خذي مالي وروحي(٥)

ومن لطائف مجونه قوله:

يا معشر الأصحاب قد عنَّ لي ... رأي يزيل الحمق فاستظرفوه(٦)
لا تحضروا إلا بأخفافكم ... ومن تثاقل بينكم خففوه

وقوله: تصفحت ديوان الصفيّ فلم أجد ... لديه من السحر الحلال مرامي
فقلت لقلبي دونك ابن نباتة ... ولا تقربي الحليَّ فهو حرامي(٧)

---

(١) الشهيدية: ونظنها الشهدية نسبة إلى الشهد وهو العسل ويمكن أن تكون منسوبة إلى الشهيد لطيب أعطافه ـ تليل الذهب: عنقه وأحسن شيء فيه.

(٢) الورود: شرب الماء وجمع وردة.

(٣) تكليف: واجب.

(٤) فاء عن الشيء: تاه عنه وأضاعه. وفاء إليه: لجأ.

(٥) روحي: من الروح والرواح.

(٦) عنَّ: بان وظهر.

(٧) تقربي: هكذا ورد والأصح: تقرب أو تكون تقربي كما وردت ولكن يكون البيت كما يلي: فقلت لنفسي: بدل قلبي. ـ الحرامي: السارق.

الشيخ جمال الدين، رحمه الله تعالى، أراد بالسحر الحلال الذي ما وجده في ديوان صفي الدين التورية لا غير، وما ذاك إلا أن الشيخ صفي الدين كان أجنبياً منها، ولهذا لم أنظمه في سلك القوم الذين مشوا في نظم التورية تحت العلم الفاضلي والعلم النباتي، وغايته أنه رضي بالشعر الساذج المنسجم، وتعرض للتورية في بعض المواضع، ولكن سبكها في غير قالبها، لأنه لم يكن في طباعه ويأتي الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى. ومن نظم الشيخ جلال الدين غفر الله له والمعنى في مراده ومفهوم قوله:

ذكر المصطفى ثلاثين دجّا ... لاً يجيئون في قيام الساعه[1]
فيهم أعور وقد صح بالبر ... هان أن جا كواحدٍ من جماعه

ويعجبني قوله، في آثار النبيّ ﷺ:

يا عين إنْ بعُد الحبيب وداره ... ونأت مرابعه وشط مزاره[2]
فلقد حظيت من الزمان بطائل ... إن لم تريه فهذه آثاره[3]

ومن لطائف شمس الدين بن المزين، في باب التورية، ما أنشدنيه من لفظه لنفسه:

مدير الكاس حدثنا ودعنا ... بعيشك من كؤوسك والخبيث
حديثك عن قديم الراح يغني ... فلا تسقي الأنام سوى الحديث[4]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً:

ومليح لالاه يحكيه حسناً ... فهو كالبدر في الدجى يتلالا[5]
قلت قصدي من الأنام مليح ... هكذا هكذا وإلا فلا لا

ومن نكته اللطيفة قوله:

قلت للأحدب لما ... أن رأى الوجد علانسي[6]
أنا أبقى وبوجدي ... فيك يا أحدب فاني

---

(١) الدجّال: المنافق الكذاب.

(٢) نأى: ابتعد ـ المرابع: جمع مربع وهو الدار ـ شطّ: بعُد ـ المزار: المسكن والمقام.

(٣) الطائل: الخير الكثير.

(٤) الحديث: الجديد والكلام.

(٥) لالاه: لألاؤه: فرحه وضحكه أو طلعته.

(٦) الأحدب: منحني الظهر.

وقد تقدم القول أن النكتة في التاجر استحقها الشيخ جمال الدين بن نباتة على الصلاح الصفدي، وعلى زين الدين الوردي، وهي:

وتاجر أسكرني طرفه | والكاس فيما بيننا دائر
وقال لي سرك قلت اسقني | جهراً على عينك يا تاجر

ومن نكته المخترعة قوله:

شاب ورد الرياض من | ورد خديك وانفرك[1]
فله الناس أثبتوا | وانتفى الورد للكرك[2]

ورسم الجوباني، وهو إذ ذاك كافل المملكة الشامية لفضلاء دمشق، أن ينظموا له ما يكتب على أسنة الرماح، فنظم القاضي فتح الدين بن الشهيد:

إذا الغبار علا في الجو عثيره | فأظلم الجو ما للشمس أنوار[3]
هذا سناني نجم يستضاء به | كأنه علم في رأسه نار[4]
إن الرماح لأغصان وليس لها | سوى النجوم على العيدان أزهار

ونظم مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي، نور الله ضريحه، وكان إذ ذاك في عنفوان شبابه ومبادي نظمه:

النصر مقرون بضرب أسنة | لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت ما لتسبك كل خصمٍ مارق | وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض في الهيجاء إذ | يحمر من دمها العدو الأزرق[5]
ينسجن يوم الحرب كل كتيبة | تحت الغبار فنصرهن محقق

---

(١) انفرك: صار قريباً من النضوج.
(٢) الكرك: مدينة.
(٣) العثير: الناعم من الغبار.
(٤) الشطر الثاني من هذا البيت مضمن وهو للخنساء ترثي أخاها صخراً في قولها:
وإن صَخراً لتأتم الهداة به | كأنه علم في رأسه نار
والعلم: الجبل العالي سمي بذلك لأنهم كانوا يوقدون في رأسه ناراً علامة للضالين من المسافرين في الصحراء ليهتدوا إلى مكان معمور.
(٥) الزرق والبيض: الخيول ـ الهيجاء: الحرب ـ العدو الأزرق: الأجنبي من أبناء الروم.

ولعمري إن الشيخ شمس الدين بن المزين تطاول برمحه على أقرانه في ذلك العصر، بقوله:

أنا أسمر والراية البيضاء لي ... لا للسيوف وسل من الشجعان
لم أحل في عيش العداة لأنني ... نوديت يوم الجمع بالمرّان[1]
وإذا تعانقت الكماة بجحفل ... كلمتهم فيه بكل لسان[2]
فتخالهم غنما تساق إلى الردى ... قهر المعظم سطوة الجوياني

وكتبت من حماة المحروسة حسب ما رسم لي به قولي:

أنا في الخط إن تحمر نقطي ... فكتابي مقاتل الفرسان
وقوامي إذا تثنى فرد ... ما له في تفرق الجمع ثاني
وسناني كالبرق بل صار منه ... قلب سيف البروق في خفقان
رمحه للردين ينسب لكن ... صاح لما علاه بالسنان[3]

ومن أغراض الشيخ شمس الدين المزين اللطيفة قوله:

حمل الدواة فرمتها ... منه مرامة عاشق[4]
قالت إذاً ما أنت يا ... قلم الديار بلائق

ومن لطائف مجونه قوله:

سلماني أضافنا ... لبناً ما له ثمن
بيض الله وجهه ... كلما جاء باللبن

ومن مقاطيعه التي سارت لديها الركبان قوله:

أنا دواة يضحك الجود من ... بُكا يراعي جلّ من قد براه[5]
دلـزا على جودي من مسه ... داء من الفقر فإني دواه[6]

---

(١) المرّان: الرماح الصلبة اللدنة. مفردها مرّانة.
(٢) الكماة: الفرسان الأبطال ـ كلمتهم: جرجتهم ومن الكلام.
(٣) الردين: امرأة كانت تقوم الرماح فنسبت إليها فيقال: رماح ردينية وهي أصلب الرماح وأقومها.
(٤) رام: طلب ـ مرامة: مطلب.
(٥) بكا: بكاء ـ يراع: قلم.
(٦) الداء: المرض.

ومن أغراضه اللطيفة قوله:

تـزلنـا بـالقصيـر فـرام قـلبي ... مليحاً بالعـذارى الغيـد أزرى[1]
فـلمـا أن تـعـذر مـال عـنـه ... فؤادي والجـوانح نحـو عـذرا[2]

ومن مدائحه المخترعة ما أنشده لشيخنا ومولانا، قاضي القضاة علاء الدين بن القضامي الحنفي، نور الله ضريحه، وقد مرَّ على دمشق متوجهاً إلى الحجاز الشريف في محفة، قوله:

مـحفـة الـمجلس الـعـلائي ... تنشـر جـدواه في المشـاهـد
تـقـول هـذا قـنـى وأعـطى ... وحج بـالنـاس وهـو قـاعـد[3]

وأمر ابن المزين أن يكتب على قبره من نظمه، ما قرأته على القبر وحفظته، وهو قوله رحمه الله:

بقـارعـة الـطريق جعلت قبـري ... لأحـظى بـالتـرحم من صـديقي
فيـا مـولى المـوالي أنت أولى ... بـرحمة من يمـوت على الـطريق

ومما قررته للشيخ شرف الدين عيسى العالية في باب التورية، قوله رحمه الله تعالى:

لما رأوه مضاجعي تحت الـدجا ... حجبـوه عن عينيّ حتى أسهـرا
قبلت خـالاً فـوق كعبـة خـده ... قبل الوداع ومـا أتيت المشعرا[4]

وقوله:

ومـليـحـة راودتـهـا فـتـعـللت ... بـالحيض وهي تقول كـالمذعـور
هل موضع خال فقلت لها اسكتي ... فمـواضعي ليست تـعـد و دوري

ومن لطائف مجونه قوله وهو حكاية لحاله:

قـالت لي الـفـروة قـم دفـني ... حـتـى أدفـيـك بـقـلبـيـن
قـلت لهـا بـالله مـا تـشتـهي ... قـالت غشـا قلت على عيني[5]

---

(١) أزرى به: أظهر بشاعته.
(٢) عـذرا: عذراء وهي الفتاة لم يممسها بشر.
(٣) قنّى: جعله يقتني ويملك أي وهب ما يقتنى.
(٤) المشعر: المشعر الحرام وهو من مناسك الحج.
(٥) غشا: جُماع ـ على عيني: كناية عن الإستجابة.

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكي:

البشتكي المكدي ... ذو أُبنة ليس تخفى(١)
قد مد للنيك رجلاً ... وللخلائق كفا

وقوله: أيا معشر الصحب مني اسمعوا ... مقالي وكس أم من ينتكي(٢)
ألا فالعنوا آكلين الحشيش ... وبولوا على شارب البشتكي

وقوله: البشتكي البدر له لحية ... كلحية الراهب مشعوره(٣)
قال أنا أشعر هذا الورى ... قلنا له فاستعمل النوره(٤)

ويعجبني من مدائحه قوله:

تهنأ بنصف كم به من حلاوة ... وجد لي بفضل لا يضيع ثوابه
فإن لساني صارم وفمي له ... قراب وأرجو أن يحلى قرابه(٥)

ومن شعر عيسى في مؤلفه من قصيدة:

صبيغ دعاويه ما تنقضي ... ويخطىء في القول لا يشعر
تفكرت فيه وفي ذقنه ... فلم أدر أيهما أحمر(٦)

وقوله: أيا رب الجناب الرحب جد لي ... وكثر في العطاء ولا تقلل
وما تعطيه لي من خشكنان ... نهار العيد كبر أو فهلل(٧)

وقوله: لفضلك يا ابن فضل الله أشكو ... برأسي البرد في نومي وأمسي
وأرجو أن يكون الشاش شمساً ... أروم الفوز من برد بشمس(٨)

---

(١) المكدي: الشحاذ ـ الأُبنة: العيب.
(٢) ينتكي: : يشاكس ويعمل بالضد(نكاية).
(٣) مشعورة: المغطاة بالشعر الكثيف.
(٤) النورة: أخلاط من الأملاح تستعمل لإزالة الشعر ـ أشعر: أكثر شَعْراً وأحسنهم شِعراً.
(٥) القراب: للسيف غمده أو موضعه.
(٦) أحمر: أفعل تفضيل من حِمار ـ واللون المعروف.
(٧) الخشكنان: نوع من الحلوى يصنع من دقيق الحنطة والسكر واللوز أو الفستق (فارسية) ـ كبّر: قال الله أكبر ـ هلل: قال لا إله إلا الله.
(٨) الشاش: نسيج رقيق من القطن تضمد به الجراح ويستعمل لفافة للعمامة.

الشيخ شرف الدين عيسى، وعصريه الشيخ شهاب الدين بن العطار الآتي ذكره، رحمهما الله تعالى، والشيخ بدر الدين البشتكي، لم أجد في أغزالهم من المقاطيع ما يغازل بغزله عيون التورية، ولكن وقفت لهم على أغراض هي فوق الغرض، فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار:

أصبحت بطال والأولاد أربعة ... محمد وثلاث موتهم يجب[1]
فإن تحيل في رزق بمدحكم ... أبو محمد البطال لا عجب

ومن إيهامه في هذا الباب قوله:

طلبت رزقاً قيل رح ناظرا ... جيوش سيس قلت رأي تعيس[2]
لو أن ذي الحكام في سلطة ... ما طلبوا أني أبقّى بسيس

وقال في الشيخ شرف الدين عيسى المذكور:

عيسى ومن مدحوه ... ما شمت فيهم رئيسا[3]
وما رأيت أناساً ... لكن حميراً وعيسا[4]

وقوله في طاهر بن حبيب:

تجادل شافعي مع مالكي ... وهذا البحث بين الناس ظاهر
فقال الشافعي الكلب نجس ... وقال المالكي الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله:

هيأ البلان موسى ... خلوة تحيي النفوسا[5]
قلت ما أصنع فيها ... قال تستعمل موسا

ومن محاسن الشيخ جمال الدين عبد الله السوسي، في باب التورية، قوله:

أهوى غزالاً عليه صبري ... قد بان في الحب وهو عذري
قد أسرت مقلتاه قلبي ... فرحت مملوكه بأسرى[6]

---

(١) بطال: بدون عمل.
(٢) سيس: إسم بلد.
(٣) شام: رأى أو وجد وآنس.
(٤) العيس: الإبل مفردها أعيس.
(٥) البلان: الحمّام.
(٦) بأسري: بكل جوارحي.

وقوله: تهاون شمس الدين بي وهو صاحب ... وأظهر لي أضعاف ما تظهر العدا
نزلت به أبغي الندى وهو طالع ... وعند طلوع الشمس يرتفع الندى (١)

وقوله: زجرت النفس عن نذل لئيم ... أقر بموعدي غلطاً وأنكر
وقد ذكّرته عنه مراراً ... وهيهات المؤنث لا يذكر

وقوله: تجنب أقطعاً لصاً جريئاً ... يحن إلى الجناية كل ساعة (٢)
وما قطعوه بعد الوصل إلا ... أرادوا كفه عن ذي الصناعه

ومن محاسن الصاحب فخر الدين بن مكانس، في باب التورية، قوله:

بأبي عقيقة مرشف ... برت وكانت قبل عقت (٣)
فلثمتها ورشفتها ... وقطعتها من حيث رقت

ومنه قوله:

يقول مفندي إذ همت وجداً ... بخد خلت فيه الشعر نملا (٤)
أيعرف خده للعشق أهلاً ... فقلت لهم نعم أهلاً وسهلا

وقوله: زارت معطرة الشذا ملفوفة ... كي تختفي فأبى شذا العطر
يا معشر الأدباء هذا وقتكم ... فتناظموا في اللف والنشر (٥)

وقوله: علقتها معشوقة خالها إذ عمها ... إذ عمها بالحسن قد خصصا (٦)
يا وصلها الغالي ويا جسمها ... لله ما أغلى وما أرخصا

وقال وأجاد:

إن الهواءين يا معشوق قد عبثا ... بالروح والجسم في سر وفي علن
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت ... والجسم حوشيت بالمقصور في كفن (٧)

---

(١) الندى: الثانية بمعنى الرذاذ الذي يكون صباحاً على الأزهار والأولى بمعنى العطاء.

(٢) الأقطع: الذي حُدّ حدّ القطع فقطعت يده لأنه سرق ـ اللص السارق ـ الجناية: العمل المشين.

(٣) العقيقة: واحدة العقيق، حجر كريم يميل لونه إلىّ الدم تشبه به الشفاه ـ المرشف: مكان الرشف أي الشفاه ـ برّت: أطاعت ـ عقت: عصت.

(٤) المفند: المتهم والمكذب ومضعف الرأي.

(٥) اللف والنشر: من المصطلحات البلاغية.

(٦) علقتها: عشقتها.

(٧) المقصور: من الأسماء الذي ينتهي بألف أصلها ياء، ومكان العبادة حوشيت: حاشاكِ.

وقوله مضمناً:

ومقلة ظبي يرشق القلب سهمها ... ولكنه رشق يزال به الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيب ولا سهم

وقوله: عارض المحبوب من فو ... ق صفاء الخد فاتن
شبه ورد زاد لطفاً ... حول ماء غير آسن[1]

وقوله في مجونه مضمناً:

قلت يا لائمي على بذل مالي ... في هوى الحب دع كلام الفشار[2]
فعلى فلس ذا يناح ويبكي ... لا على درهم ولا دينار

وقوله: شكى إليَّ اليتم إذ نكته ... مراهق فيه حلا هتكي[3]
بت أسليه على يتمه ... وكلما سلّيته يبكي[4]

وقوله: سكر الشيخ وطابا ... واشتهى الشيخ شبابا
حسب الخمرة صابا ... وجد الراح شرابا[5]

وقوله يمازح السراج السكندري، وقد انقطع عنه:

قل للسراج إذا تكبـ ... ـر حيث بالقوم احتمى
أنت السراج بعينه ... لو شلت انفك للسما[6]

ومثله قوله فيه:

يا ذا السراج اشتري أيري فأنت به ... أولى وذلك للحق الذي وجبا
سكندري وتدعى بالسراج وذا ... مثل المنار إذا ما قام وانتصبا

وقال في الصاحب بن النشو الوزير، وقد أنشأ سبيلاً بالجامع العمري:

---

(١) آسن: فاسد ومتغير اللون والطعم والرائحة.
(٢) الفشار: الأحمق.
(٣) المراهق: الذي لم يبلغ الحلم من الصبيان ـ الهتك: المجون والفحش.
(٤) سليّته: من التسلية، والسُّل.
(٥) الصاب: عصارة شجر مرّ المذاق ـ الراح: الخمرة.
(٦) شال بأنفه: تكبر وتعجرف.

أنشأ القطيم النشو لما ارتقى   وزارة زادته في وزره[1]
بالجامع العمري سبيلاً وقد   قال لنا عنه بنو مصره
هذا سبيل حاله فاسد   وزيره يرشح من قعره[2].

ومن أغراضه البديعة قوله:

لولا الزمان للمحال قابل   ما سلسلوا مطلق كل جدول
وأصبح الدولاب في رياضه   يقول بالدور وبالتسلسل[3].

ومن أغراضه الغريبة قوله في ولده مجد الله بن فضل الله، رحمهما الله تعالى:

أرى ولدي قد زاده الله بهجة   وكمله في الخلق والخلق مذ نشا
سأشكر ربي حيث أوتيت مثله   وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع أمداحه قوله في الشهيد فخر الدين نقيب الأشراف، رحمه الله تعالى:

جناب فخر الدين كهف الورى   دامت له النعماء لا تنقضي
فهو الشريف الحسن المرتضى   وخلقه ذاك الشريف الرضي[4]

وقال يمدح الإمام المرتضى، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

يا ابن عم النبي ان أناساً   قد توالوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم في الحقيقة باب   يا إماماً وما سواك مجاز

ويعجبني من حسن خواتمه قوله:

وا سوأتاه إذا وقفت بموقف   ما مخلصي فيه سوى الإقرار[5]
وسواد وجهي عند أخذ صحيفتي   وتطلعي فيها شبيه القار[6]

---

(١) القطيم: الصقر ـ الوزر: الحمل الثقيل والمسؤولية.
(٢) يرشح: يتسرب منه الماء ـ قعره: إسته.
(٣) الدولاب: ما يستقى به ويوضع فوق البئر(الناعورة).
(٤) الشريف الرضي: الشاعر المعروف وأخو الشريف المرتضى صاحب الأمالي.
(٥) الإقرار: الاعتراف.
(٦) القار: الزفت.

ومن محاسن ولده مجد الدين بن فضل الله، تغمده الله برحمته، قوله:

وأغـيـد بـت مـنـه بـنـار عـشـقـيـه أُقـلى[1]
رمـى مـن الـلحظ سـهـمـاً بـه نـمـوت ونـبـلى

وقوله: قـالـوا وقـد عـ.شـت بـنـا قـامـاتـهـم والأعـيـنـا
إن رمـت تـلـ.ـانـا فـلـج بـيـن الـسـيـوف والـقـنـا[2]

وقوله: يقـولون هـل منّ الحبيب بـزورة ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا[3]
فقالوا لنا غوصـوا على قده ومـا يحاكى إذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

وقوله: حق الله دع ظلم المعنى ومتعـه كمـا يهـوى بـأنـسـك
وكف الصـد يـا مـولاي عمن بيـومك رحت تهجـره وأمسـك

وقوله: قـال خلي لحبيبي صـل فـتى بـك قـد أضحى معنى مغـرمـا
قـال هـل يـولـم إن واصلتـه قـلت إن فـاز بثـغـر أولمـا[4]

وقوله: يا لائمي إن فقدت الصبر في قمر أصداغه سلبت أهل الهوى وسبت
كلت سيوف اصطباري عنه حين بدا آس العذار على وجناته ونبت[5]

وقوله: من مجيري من سادة ألفوا الهجـــــــر لعشـاقـهـم وزادوا الـنـفـارا
سأل الـدمـع أن يجيـروه قـالـوا مثـل هذا في حينـا لن يجارا[6]

ومن اختراعاته اللطيفة:

تسـاومـنـا شـذى أزهـار روض تحيـر نـاظـري فيـه وفكـري
فـقلت نـبـيـعـك الأرواح حـقـا بـعـرف طيـب منـه ونـشـر[7]

---

(١) أولم: أقام وليمة ـ لما: سمرة في الشفاه.

(٢) كَلَّ السيف: لم يعد قاطعاً ـ الآس: نبات ذو ثمار كروية بيضاء ورائحة زكية ـ نبت: أخطأت الهدف ومن النبات.

(٣) أقلى: أحترق بالزيت الساخن أو أُكره وأُهجر.

(٤) لج: أمر من ولج: أدخل ـ القنا: الرماح.

(٥) منّ: جاد وتفضل ـ منّى: علّلَ.

(٦) أجار: حمى ـ لن يجارى: لن يسبقه أحد ولن يعينه أحد.

(٧) العرف: الشذا ـ النشر: الرائحة الطيبة.

ومن أغراضه اللطيفة قوله:

سحقاً لذي نظم يهيج من البغا ... ويثير في هجو الكرام عجاجا (١)
أقصيته عني فظل يسبني ... ومنعته أيري فذم وهاجا (٢)

ومن مدائحه يهنىء والده بعوده من السفر:

هنئت يا أبتي بعودك سالماً ... وبقيت ما طرد الظلام نهار
ملئت بطون الكتب فيك مدائحا ... حتى لقد عظمت بك الأسفار

وقال فيه أيضاً، وقد أهدى له هدية حسنة:

تناهيت في بري إلى أن هديتني ... ولولاك كنت الدهر في الغي سادياً (٣)
وأهديت لي ما حير العقل حسنه ... فلا زلت في الحالين للعبد هاديا

ويعجبني من زهدياته قوله:

جزى الله شيبي كل خير فإنه ... دعاني لما يرضى الإله وحرضا
فأقلعت عن ذنبي وأخلصت تائباً ... وأمسكت لما لاح لي الخيط أبيضا

ومن كلام الشيخ أبي الفضل بن أبي الوفاء العارف، الذي دخل بحسن سلوكه إلى زوايا الأدب فأخرج منها الخبايا وأظهر البرهان، تغمده الله برحمته قوله:

عبدك الصب المعنى ... عرف الفقر وذاقه
فلكم فاخر محتا ... جاً شكا فقراً وفاقه

ومن مخترعاته، في باب التورية مع بديع التضمين، قوله:

ما خادم واسمه في در مبسمه ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول (٤)
وريقه مع ثناياه التي انتظمت ... كأنه منهل بالراح معلول (٥) (مع لولو)

---

(١) البغا: البغاء وهو الفحش ـ العجاج: الغبار المتصاعد فوق أرض المعركة.
(٢) هاج: اضطرب وصاح. وهاجى من الهجاء بادله إياه.
(٣) سادياً في الغي: متمادياً في الضلال.
(٤) أغن: في صوته غُنَّه، غضيض الطرف: ذابله.
(٥) الثنايا: الأسنان ـ معلول: ممزوج.

ومن اختراعاته قوله:

على وجنتيه جنة ذات بهجة ... ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره ... فيا حسن ريحان العذار حماحما[1] (حمى حمى)

ومثله قوله: أرسلت عينيّ بدمعيهما ... بين يدي من قد تمادى جفاه
أسأله في فمه قبلة ... فلم يميلاه ولم يعطفاه (يعطِ فاه)

ومثله قوله: سألتها رشف ريق ... مستعذب الطعم حلو
قالت فصفني ارتجالاً ... فقلت بعد التروي[2]

ومن لطائف نكته في هذا الباب، قوله:

ازداد خدك شعراً ... فازداد قلبي حبا
إذ كان وردك جمري ... فيه فصار مربى[3]

ومن لطائفه قوله:

ألا لا تلوموني فلست بمقلع ... إذا انحدرت من كأسها الراح في حلقي
سآوي إلى بحر من الخمر مترع ... أحط المراسي عنده فأمل لي واسقي (وسقي)[4]

وقوله: ذكرك لي في اللوم مستحسن ... واللوم عندي غير مستحسن
كم قلت للمعرب في لومه ... إن جئت نحوي قط لا تلحنِ (ني)[5]

ومن لطائف مجونه مع حسن التضمين:

وخلٍّ سمته صفعاً بمال ... فقال توازعوه يا صحابي[6]
إذا الحمل الثقيل توازعته ... أكف . القوم هان على الرقاب

---

(١) الحماحم: الحبق، نبات طيب الرائحة.
(٢) التروي: الشبع والتأني.
(٣) مربى: من الحلويات وذو تربية.
(٤) الوسق: مكيال مقداره ستون صاعاً والصاع خمسة أرطال وثلث والرطل كيلوين ونصف وعلى هذا يكون الوسق. سبعماية وخمسون كيلو أو ليتراً. وتجمع على أوسق
(٥) تلحن: تخطىء في النحو وتلومني.
(٦) سام: طلب الشراء.

ومن أغراضه قوله:

تعنت دهـر لـج فينـا بخطبـه ... وذللنـا من بعـد عـز وأنكـانـا[1]
قسـا وانثنى يختـال في جبروتـه ... وجـرر أذيـالاً علينـا وأردانـا[2]

وأنشدني، من لفظه لنفسه، الشيخ شمس الدين المتنبي، قوله في مليح اسمه حمزة:

تـرى يبدو لحمـزة بعض مـا بي ... ويـرثي لي ويـنـظر في بـلائـي
وأشـفي بـالـمبـرد مـن لـمـاه ... واجمع بين حمزة والكسـاء (ي)[3]

ومن لطائف عـلّامة الوجود فريد الدهر بدر الدين بن الدماميني المخزومي المالكي، قوله:

قـلـت لـه والـدجـا مـولّ ... ونـحن فـي مـجلس الـتـلاقـي
قـد عـطس الصبـح يـا حبيبي ... فـلا تـشـمـتـه بـالـفـراق[4]

وقوله: يقـول بـديـوان المحبـة وردوا ... محاسن حبي فهو في الحسن مفرد
فـوردت في الديـوان عامـل قـدّه ... فقـال وذاك الخـد قلت مـورد

وقوله: وبي وجنـة حمراء زاد صفاؤهـا ... وأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فـدع لائمي ينهى عن الحب جهده ... فما أنا بالسالي صفاها ولونها (نهى).

وقوله: يـا عـذولي في مغن مـطرب ... حـرك الأوتـار لـمـا سـفـرا[5]
كم تهـز العـطف منـه طـربـاً ... عنـدمـا تسمـع منه وتـرى (ا)[6]

وقوله: أذاب أحشـائي هـوى صـائـغ ... قـلت لـه والقـلب رهن لـديـه
إنـي على فـيـك أرى خـاتمـاً ... فهـل تـرى يقعـد نقشي عليـه

---

(١) الخطب: الأمر الجلل والمصيبة ـ أنكانا: عاندنا.

(٢) يختال: يتبختر في مشيته ـ أردانا: أكمام أو قتلنا أو أوردنا الردى وهو الموت.

(٣) حمزة والكسائي: من رواة الحديث.

(٤) عطس الصبح: طلع وبان ضوؤه ـ شمّت العطس: قال له: يرحمكم الله.

(٥) سفر: انكشف.

(٦) وترى (ا): الوتر الخيط في الآلة الموسيقية. والرؤية.

وقد زاد النكتة حسناً بقوله:

بدا وقد كان اختفى | وخاف من مراقبه
فقلت هذا قاتلي | بعينه وحاجبه[1]

وقوله:

أمنيتي أنت يا مليح | ما مثله في الزمان ثاني
فكيف تبدي جفاك خوفاً | وأنت في غاية الأمان (ني)

وقوله:

وعزيز الجمال أوجب ذلي | وهواه عليَّ أصبح فرضا
فهو في الحسن والجمال سماء | صرت يا صاح منه بالذل أرضا (ضى)

وقوله:

تناسبت أوصاف من وصله | ينفي عن القلب جميع الكرب[2]
في الخد تسهيل ومن ثغره | يطيب للصب ارتشاف الضرب

وقوله:

لا ما عذاريك هما أوقعا | قلب المحب الصب في الحين[3]
فجد له بالوصل واسمح به | ففيك قد هام بلا مين[4]

وقوله:

قلت لعطار به صبوتي | محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتني كأس غرام به | ذبت ومن فيك براني الشراب

وقوله:

لله منه ملثم أشنب | قد طاب فيه العشق للمغرم[5]
قلت لعذالي لا تعجبوا | طيب الهوى ما زال في الملثم

وقوله:

في ليلة البدر أتى | حبي فقرت مقلتي
وقال لي يا بدر قم | فقلت هذه ليلتي

وقوله:

قم بنا نركب طرف | اللهو سيقاً للمدام[6]
واثن يا صاحي عناني | لكميت ولجام[7]

(١) بعينه: نفسه وذاته والعين أداة النظر.

(٢) الكرب: الضيق.

(٣) الحين: الحيرة والقلق المميت.

(٤) المين: المراهنة والرياء.

(٥) الملثم: الفم ـ الأشنب: الأبيض الأسنان رقيقها.

(٦) سيقاً: هكذا في الأصل وهي من السياقة. ونظنها سقياً: وهي بمعنى شرباً. وهي أنسب في المعنى ـ والمدام: الخمره.

(٧) العنان: المقود ـ الكميت: من الخمره التي يميل لونها الأحمر إلى السواد ـ الجام: وعاء للشراب. واللجام: المقود.

ومن أغراضه اللطيفة قوله:

أقول لخل جن من فرط ماله ... ورابى فأسق الناس كأس عذاب
صفاتك يا هذا لعمري تناقضت ... فإنك ذو مال وأنت ترابي

ومن مدائحه، ما كتب به إلى قاضي القضاة ناصر الدين التنيسي، قوله:

قد نلت يا قاضي القضاة مطالبي ... بكنوز ود منك أورثت الغنى
وأخافني الدهر الظلوم فمذ رآ ... ني داعياً لجناب جودك أمنا

ومن مدائحه فيه قوله، وقد ولاه وظيفة العقود في مبادي العمر:

يا حاكماً ليس يلفى ... نظيره في الوجود (١)
قد زدت في الفضل حتى ... قلدتني بالعقود (٢)

وكتب إلى برهان الدين المحلي:

يا سر يا معروفه ليس يحصى ... ورئيساً ذكا بفرع وأصل
مذ علا في الورى محلك عزا ... قلت هذا هو العزيز المحلِ (ي)(٣)

وكتب إلى شهاب الدين الفارقي:

قل للذي أضحى يعظم حاتماً ... ويقول ليس لجوده من لاحق
إن قسته بسماح أهل زماننا ... أخطا قياسك مع وجود الفارقِ (ي)

ويعجبني من أغراضه البديعة قوله:

لئن عقدت بنت الكروم عقودها ... على حمل نفى الهم والهم زائد
فنحن شهود في المقام لعقدها ... على أولياء اللهو واللوز عاقد(٤)

ومن لطائف مجونه قوله:

أمنت صدوده فدنوت منه ... على مهل بشيء زاد حسنا
وعاجلني الرقيب فخاف أيري ... وأنزل إذ رأى خوفاً وأمنا (ى)

---

(١) يلفى: يوجد ـ النظير: المثيل والشبيه.
(٢) قلد: ألبس قلادة وهي عقد ثمين يلبس في العنق.
(٣) العزيز: عزيز مصر، واشتهر عهده بالرخاء.
(٤) عقد اللوز: إذا صار زهره ثمراً. والعقد: عقد الزواج.

ومما اختاره سيدنا الشيخ العالم العلامة، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، روى الله من سحاب الرحمة ثراه، من نظمه لنفسه رحمه الله تعالى، في باب التورية، ورسم لي أن يكون واسطة لهذا العقد، وكتب ذلك بخطه الكريم في كراسة، وأتحف بها العبد لأنظمها في عقود هذه الأسلاك، وكتب في ديباجة الكراسة قوله:

يا سيداً طالعه ... إن راق معناه فعد
وافتح له باب الرضا ... وإن تجد عيباً فسد

وقوله: سألت من لحظه وحاجبه ... كالقوس والسهم موعداً حسنا
ففوق السهم من لواحظه ... وانقوس الحاجبان واقترنا[1] (وقت رنا)

وقوله: سألوا عن عاشق في ... قمر باد سناه
أسقمته مقلتاه ... قلت لا بل شفتاه

وقوله: أتى من أحبائي رسول فقال لي ... ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا ... فصار عزيزاً حين ذاق هوانا[2]

وقوله: ضنيت جوى فواصلني حبيبي ... وعاد إلى الجفاء فعاد ما بي
فقلت أعد وصالاً قال كلا ... فها أنا ذبت من رد الجوابِ (بي)

وقوله، مع بديع الاقتباس:

خاض العواذل في حديث مدامعي ... لما رأوا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم ... حتى يخوضوا في حديث غيره[3]

وقوله: يا عاذلي وسهام اللحظ ترشقني ... عن قوس حاجب بدر خدّه قبسي
إن تستطع لنجاتي في الهوى سبباً ... فاستنبط السلم لي من أسهم وقسِ (ي)

وقوله: ولم أنس إذ زار الحبيب بروضة ... فغارت من المعشوق أعينها المرضى
ولاحت بخد الورد حمرة خجلة ... حياء رأينا طرف نرجسها غضا

---

(١) فوّق السهم: صوّبه ـ انقوس: صار منحنياً كالقوس.
(٢) هوانا: حبنا، والذل.
(٣) حتى يخوضوا في حديث غيره، تضمين للآية الكريمة: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ الأنعام، ٦٨/٦.
(٤) قس: أمر من قاس: قدّر المسافة. وقسي: جمع قوس.

وقوله: يا مبدعاً في حسنه واصل أخا هـمّ لـه عـام ومـا واصـلنـا
فقـال هـل صيف في مشتـاتـه قـلت نعم وفي هـمـوم شتـى

وقوله: مـحـبـوبـتـي واصـلتـنـي والـهـم عـنـي تـشـتـت
وذاب قـلـب حـسـودي لـمـا وفـت وتـفـتـت

وقوله: أحبب بـوقـاد كـنجـم طـالـع أنـزلتـه بـرضـا الغـرام فؤادي
وأنـا الشهاب فـلا تعانـد عـاذلي إن ملت نحـو الكـوكب الـوقـاد

وقوله: نحن أهـل الهـوى بلونـاه قـدمـا بـيـن خـوف مـن أهـلـه وأمـان
وشـربنـا خمـر الهـوى كـل حين بكؤوس قد أترعت وأوان (ني)[1]

وقوله: ورشـا مـذ نشـا وعينـا التصـابي بعـدمـا كـان ذا اشتبـاه علينـا[2]
وجـهلنـا الـغـرام حتـى أرانـا منـه تحت اللثـام خـداً وعينـا

وقوله: سـرت وخـلفـتـنـي غـريـبـاً في الـربع أصلى جـوى بنارك[3]
أغـث حشـا أحـرقـت غـرامـاً فـي ربـعـك الـمـعـتـلي ودارك

وقوله: وبـدر تـمّ جـمـيـل مـحـجـب بـالـدلال
إذا هـمـمـت بـأنـي أسـلو هـواه بـدا لـي

وقوله: نهـاني حبيبي أن أطيع عـواذلي لكي أتهني بالوصال الذي سـرا
فقلت فدتك النفس سمعاً وطاعة فلم أر نهياً منه أهنى ولا أمرا[4]

وقوله: وأهيف حياني بـطيب وصـالـه ومن ريقه الخمر الحـرام حلالي
أدار لي الكـأسين خمـراً وريقـة ونـزهني عن جفـوة ومـلالِ (لي)

وقوله: تجـرد من أحب فقـال لي من يلوم وأظهـر الحسـد الـمكـتم
أجـاد لـك الحبيب بلمس جسم لـه كـالخـز قلت نـعم وأنـعم

---

(١) أترع الكأس: امتلأ ـ أوان: وقت وآنية وهي الأوعيه.
(٢) الرشأ: الغزال ـ اشتباه: التباس.
(٣) أصلى: أحترق.
(٤) أمرا: من الأمر وأمرأ: أي أسهل وأهون.

وقوله: تيه فلان الدين مع فقره ... أقوى دليل أنه جاهل[1]
لشوبه بالصقل من فوقه ... قعاقع ما تحتها طائل[2]

ومن أغراضه اللطيفة قوله:

أشكو إلى الله ما بي ... وما حوته ضلوعي
قد طابق السقم جسمي ... بنزلة وطلوع

وقوله، وهو مما كتبه على مجموع الكرماني:

نظرت لما سطرته من فوائد ... لها الفضل إذ وافت محاسنها يعزى
فللّه ما سطرت منها لخاطري ... فلم يكف طرفي منه شيء ولا أجزا[3]

وقوله: قد جئت في علم الأصول لنا وفي ... علم الفروع بخالص الإبريز[4]
وبرزت في هذا وفي هذا على الر ... ازي بالإحسان والتبريز (ي)

ويعجبني من وعظياته قوله:

يا أيها الشيخ المطيع هواه دع ... هذي الدعاية قد أتى داعي الردى[5]
وخيوط هذا الشيب لا تنسج بها ... ثوب التصابي فهي ما خلقت سدى[6]

وقوله: خليليّ ولى العمر منا ولم نتب ... وننوي فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني بيوتاً مشيدة ... وأعمارنا منا تهد وما تبنى (تبنا)

ومن نظم الشيخ بدر الدين البشتكي، رحمه الله، في هذا النوع قوله:

بدا بوجه جميل ... قد شرف الحسن قدره
في شمسه كل صب ... يود يبذل بدره

---

(١) التيه: التكبر والخيلاء.
(٢) قعاقع: أصوات وجلبة.
(٣) أجزا: أجزأ أي كفى أو قام مقام.
(٤) الإبريز: الذهب.
(٥) الردى: الموت.
(٦) سدى: عبثاً بدون طائل.

هذا الذي ظفرت به من أغزاله في هذا الباب. ومن مجونه قوله:

وافى بذقن بعد أن ... قاسيته حلواً ومراً
فقبضت لحيته وأيسري في استه وهلم جرا[1]

وقال من كتابه المسمى «برفع شان العمشان»:

أقول لنـاتف خـديه مهلاً ... أترضى اللائطين مدى الدهور[2]
فدع نتف العوارض عنك كيما ... تناك بلحية مثل الحريرِ (ي)

ومثله قوله في الشيخ بدر الدين بن الدماميني المخزومي:

تبـاً لقاضٍ جـار في أحكامـه ... حتى على المنثـور والمنـظوم
خان الشريعة مذ أطاع بني وفا ... وانقاد للفساق كالمخزومِ[3] (ي)

ومن مدائحه قوله:

وقاس الورى بالنيل نائلك الذي ... حلا وصفا والنيل يبدو مرنقا[4]
فقلت وهل ينقاس من خلقه الوفا ... بمن بالوفا في العام يوماً تخلقا

وكتب إليه سيدنا ومولانا قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلاني، في رمضان:

أليس عجيباً بأنا نصوم ... ولا نشتكي من أذى الصوم غما
ونسغب والله في نسكنا ... إذا نحن لم نرو نثرا ونظما[5]

فأجابه بقوله:

ألا يا شهاباً رقى في العلا ... فأمطرنا نوؤه العذب قطرا[6]
إلى فقرة منك يا فقرنا ... ونستغن إن قلت نظماً ونثرا[7]

---

(١) الإست: مكان خروج الفضلات من جسم الإنسان.
(٢) اللائطين: الذين يأتون الرجال شهوة من دون النساء.
(٣) المخزوم: الذي جعل في جانب منخره الخزام أو الخزامة وهي حلقة يشد فيها الزمام وهو الرسن.
(٤) المرنق: المكدر.
(٥) نسغب: سغباً وهو الجوع.
(٦) النوء: المطر.
(٧) نثرا(ى): النثر الكلام العادي غير الموزون ونثرى: نستغني.

ومما فضل لي من صبابات هؤلاء الفضلاء في مناهل التورية قولي:

هـويته أعجميـاً فـوق وجنتـه ... لاميـة عـوذتهـا أحـرف القسم
في وصفها ألسن الأقلام قد نطقت ... وطـال شـرحي في لامية العجم

وقولي: خـال الحبيب يقول لي لمـا بدا ... من تحت عـارضه كسرٍ غـامض
أنـا فـارضيّ في الغـرام بخـده ... فغدا مقامي تحت ذيـل العارض

وقولي: عزمت على السلو لطول هجري ... فجـاءتني عـوارضـه تعـارض
وكـان العـذر يقبـل في سلوّي ... ولكن مـا سلمت من العـوارض

وقولي: دويـرة العـارض عني حميت ... بـرشـقـة من جـفنـه مـشتـقـة
فـاترك مـلامي يـا عـذولي إنني ... قـتـلت بـيـن دورة ورشـقـة

وقولي: ولمـا رآني الشعـر وهـو مـذيـل ... وجانب ذاك الصدغ وهـو مطرّف
بـدا بخمـار من خمـار بـريقـه ... فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وقولي: أقـول لثغر الحب مت ولم أجـد ... سبيلاً إلى برد الحشايا أخا الصفا
فقال ارتشف من خمر ريقي نهلة ... ألم تـره من برده قـد تقرقفـا[1]

وقولي: لمـا تعذر من أحب تعـذر الصـــــــبر الجميل. فلم أطق أن أصبـرا
قال العذول الصبـر أعظم مسعـد ... في العشق قلت أمـا تراه تعـذرا

وقولي، مع بديع الاقتباس:

ناحت مطوقـة الريـاض وقد رأت ... تلوين دمعي بعـد فـرقـة حبـه
لكن بـه لمـا سمحت تبـاخلت ... فغـدت مطوّقـة بما بخلت بـه[2]

وقولي في مدح حماة:

ذكـرت أحبتي بـالمـرج يـومـاً ... فـقـوّت أدمعي نيـران وهـجي
وبت أكـابـد الأحـزان وحـدي ... وكـل الناس في هـرج ومـرج[3]

---

(١) تقرقف: برد كثيرا.

(٢) في مطوقة بما بخلت به تضمين لقوله تعالى: ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ آل عمران، ١٨٠/٣.

(٣) كابد: عانى ـ الهرج والمرج: كناية عن الفرح وعدم المبالاة.

وقولي فيه أيضاً:

مـرج حـمـاة بـنـواعـيـره زاد على المقيـاس في روضتـه
واغـتـاظ نـمـروذ دمشق لـذا فقلت لا أفكـر في غـيـظتـه[1]

وجلست يوماً في قطاف السفرجل على عين الغيضة الموصوفة بست الشام، مع جماعة من أهل العلم والأدب، فنظم كل منهم ما يليق بذلك المقام على قدر مقامه، فنظمت قولي:

تقـول ست الشام لمـا غـازلت بـعينهـا فـأنعشت حيـاتي
وانـتقشت بـمـرجهـا وأبـرزت نـهـداً حـلا لأنـه نـبـاتي
خـذني بغيـر ضـرّةٍ فـإنـني بـديعـة في الحسن والصفـات
واستجـلني عـروسـة يـتيمـة شـامـيـة وعش بـلا حـمـاة

وقولي في وادي رشعين وعينه، بظاهر مدينة طرابلس:

أرض وادي رشعين مفتوحة العيـــــــن لهـا نقـطة على النيـرين[2]
مـا حللنـا هنـاك إلا وقـالـت أجلسـوهم على محـاجـر عيني

وقولي بوادي المنافس، بظاهرها أيضاً:

وادي المنافس من مغنى طرابلس بـطيب أنفـاسـه أبـدى نفـائسه
وكـاد يلحق بـالشقـيرا وأبلقهـا فـلا تلوموا إذ أقـوى منـافسه[3]

وقولي برأس العين ببعلبك:

ولمـا نـزلنـا بعلبـك تـفكـهت عيوني وأذواقي وصلت على البين
وطـالبتهـا يـومـاً بـرؤيـة مـرجهـا وخضرته قالت على الرأس والعين[4]

ومن أغزالي البديعة قولي:

مـاس فـي الـروض وانـثـنـى بـخـدود مـورده
فـرأيـنـا غـصـونـه وهـي خـشـب مـسـنـده

---

(١) النمروذ: نوع من الأزهار.

(٢) النيرين: الشمس والقمر.

(٣) أقوى: ضعف وبلي.

(٤) على الرأس والعين: تعبير عن الإستجابة للطلب.

وقلت مورياً ومقتبساً ومكتفياً:

قالوا وقد فرطت في تصبري ... وما برى بوصله سقاما
اصبر عسى تسقى بماء ريقه ... قلت لهم يا حسرتا على ما[1]

وقولي: أرخت لنا ذوائباً من شعرها ... عشراً وفرق الفجر فيهم يسري
فصرت بالفجر لها معوّذاً ... لما بدا بين ليال عشر[2]

وقولي مورياً مع بديع التضمين:

سرنا وليل شعره منسدل ... وقد غدا بنومنا مضفرا[3]
فقال صبح ثغره مبتسماً ... عند الصباح يحمد القوم السرى[4]

وقولي: قف واستمع طرباً فليلي في الدجا ... باتت معانقتي ولكن في الكرى
وجرى لدمعي رقصة بخيالها ... أتُرى درى هذا الرقيب بما جرى

وقولي: كم صحت في ظلمة الليالي ... ويلاه من نومي المشرد
والدمع في وجنتي ينادي ... أواه من شملي المبدد

وقولي: يقول معذبي حسن تخير ... سواي فقلت قد عز اصطباري
وكم في الناس من حسن ولكن ... عليك لشقوتي وقع اختياري

وقولي: ارشفني ريقه وعانقني ... وخصره يلتوي من الدقه
فصرت من خصره وريقته ... أهيم بين الفرات والرقه[5]

وقولي: أبصروا عند وداعي ... عقدها وهو مفرط
لمتها في ذاك قالت ... برح الشوق وأفرط[6]

---

(١) يا حسرتا على ما: على ماء ريقها أو على ما أؤمل.
(٢) الفجر: سورة الفجر - معوذاً: حامياً من التعويذ وهو الاحتماء بآيات القرآن الكريم وبالطلاسم.
(٣) مضفراً: بشكل ضفائر واحدتها ضفيرة وهي الجديلة من الشعر أو غيره.
(٤) السرى: السير ليلاً.
(٥) الرقه: مدينة سورية.
(٦) أفرط: زاد.

وقولي: سجدت جفوني هيبة لما بدا ... محراب حاجبه بغير حجاب
الله أكبر وهو يغزو مهجتي ... حرباً ولم أخرج عن المحراب [1]

وقولي: طلبت منه قبلة فقال لي ... وقد بدا يشرع في الإعراض
نسيت فعل سيف لحظي قلت لا ... يا قاتلي وكيف أنسى الماضي

وقولي: قيل لي لما عرتني شدة ... وتناءى فرج عني مده
يا أخا الأشواق ماذا تبتغي ... قلت أبغي فرجاً من بعد شده

وقولي: مذ جفاني ممرض القلب ولم ... ألق في الضعف وفي الكسر انجبارا
قلت للعارض يا آسي إذا ... درت داري ممرض القلب فدارا

وقولي: طلبت تقبيل من أحب وقد ... أنكرت في الخد نقطة حسنه
فرق لي قلبه وقال إذا ... قبلت خدي لا تنكر الحسنه

وقولي مورياً ومضمناً:

حثثت عزمي شوقاً إليكم ... فلم أطق مكثه بأرض
وحيث لم أحظ بالتلاقي ... فغايتي أن ألوم حظي

وقولي: جاء بصبح ثغره مبتسماً ... يمشي بليل الشعر في دلال
قلت له دمت لقلبي هكذا ... ما دامت الأيام والليالي

وقولي مرتجلاً في جبهة دمشق، من دو بيت:

لما ملأ الجبهة بالأنوار ... لمناه على ذلك خوف العار
قال انصرفوا سئمت من بلدتكم ... والجبهة من منازل الأقمار

وقولي: مذ أظهر ورده لنا ريحانه ... ناديت لتلك المقلة الكسلانه
قد دب عذاره على وجنته ... قومي انتبهي قالت أنا نعسانه

وقولي: أحببته متأدباً ونظمت في ... حسن ابتدائي فيه نظم المرقص
وأشار في حسن الختام أجبته ... حسن الختام يكون بعد تخلصي

---

(١) المحراب: مكان العبادة.

وقولي: يحاضرني بأبيات ولكن يعيرني إذا طال اجتماعي
فإن أنشدت أشعار السلام يطارحني بأبيات الوداعِ (عي)

وقولي: قلت للخال إذ بدا في نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لي أنا عبد لكل جيد

وقولي: قال أراك الحمى تعوّض بغصن قدي إذا جفاكا
فقلت من بعد قد حبي والله ما أشتهي أراكا

وقولي: رمت يوم العيد منه وقفة ليرى من بعده حالي وضعفه
فطر القلبَ وولى قائلاً يا معنى ما لعيد الفطر وقفه[1]

وقولي: قال نهد الحب صفني مذ غدا قاعداً في الصدر بالتصدير يجهر
قلت إذ برز في تحقيقه أنت بالتحقيق والله مصدر

وقولي: أسياف لحظ قاتلي لما تعدت حدها
وعربدت من سكرها قلت استحي فردّها[2]
وقال لي مورياً لا بد أن أحدها[3]

وقولي: عاتبته ودموعي غير جارية لأن دمعي من طول البكى نشفا
فقال لم أر وكف الدمع قلت له حسيبك الله يا بدر الدجا وكفا

وقولي: قالت وقد قبلتها في جيدها تصبو إلى غيري وتخلص من يدي
فأجبت حين تقلدت بمدامعي يا هند خوضي في دمي وتقلدي[4]

وقولي: بنقطة الخال وطعم اللمى وخضرة الشارب يا عاتبي
قد ملت للنقطة بعد التقى وقلت بالمشروب والشارب

---

(١) الوقفة: اليوم الذي يسبق عيد الأضحى وفيه يقف الحجيج بعرفة.
(٢) عربد: تكلم بكلام ماجن فاحش.
(٣) أحدها: أعاقبها والحد العقاب المعروف كحد السرقة: القطع وحد الزنى الجلد إلخ....
(٤) وكف الدمع: انصبابه.
(٥) خاض في دمه: قتله - تقلدي: البسي قلادة وهي العقد.

وقولي: أرداف من أهـواه قـد تثـاقلت لمـا تجافى الشعـر يـوم البين
وبـعـد ذا وجنـتـه تـلوّنـت وسـاقـه والله ذو وجـهـيـن

وقولي: بـرامـة لـي ظـبـي تـخـشـى الأسـود مـرامـه
كـم هـام قـلـبي فـيـه بـيـن الـعـذيـب ورامـه

وقولي: هويت غصناً لأطيار القلوب على قوامه في رياض الوجد تغريد
قـالت لـواحـظه أنـا نسود على بيض الظبا قلت أنتم أعين سودوا[1] (دُ)

وقولي: قـلت لـه إن جـفـن مـقـلـتـه يشبـه سهماً بجعبـة رشقـه[2]
خفت من الفتـك رحت أملقـه سابقني مـدمعي جْرى ملقـه[3]

وقولي: في سـويـداء مقلة الحب نـادى لحظه وهو يقنص الأسد صيدا[4]
لا تقولوا مـا في السويـدا رجال فـأنا اليـوم من رجـال السـويـدا

وقولي: بـروحي أفتـدي ظبيـاً نـفـورا يـحق لـه بـروحي أن يفـدى
جـلا لصـدا قليبي فـرد يـوم بـوصل منـه ثم جفا وصـدا

وقولي مورياً مضمناً:

ومذ كلمت جسمي سيوف لحاظها شكوت إليها قصتي وهي تبسم[5]
فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها ولـم تـر قبلي مـيتـاً يـتـكـلم

وقولي: جـاد الـنـسـيم عـلى الـربـا بـنـدى يـديـه وقـال لـي
أنـا مـا أقـصـر عـن نـدى وكـمـا عـلـمـت شـمـائـلي[6]

وقولي: رأيت مع المنثور بعض وقاحة ولم أدر ما بين الغـديـر وبينه
تـلوّن منـه ثـم مـدّ أصـابعـاً إلى وجهـه قصداً وخضـر عينه

---

(١) سودوا: كونوا سادة، تزعموا.
(٢) الجعبة: مكان وضع السهام.
(٣) ملق: كذب واحتال ـ ملقة: أملس.
(٤) قنص: : صاد بغتة.
(٥) كلّم: جرّح.
(٦) هذا البيت مأخوذ من بيت لعنترة بن شداد يفخر فيه بشربه الخمر فيقول:
وإذا صحـوت فمـا أقصـر عن نـدى وكـمـا علمـت شـمـائلي وتـكـرمي
والندى: العطاء والكرم ـ والشمائل: الصفات الحسنة.

وقولي: حيا بها عاصرها في كأسها ... مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذي تحفة في عصرنا ... قلت اسقنيها يا إمام العصر

وقولي: لما غدا حباب كأسي شاعراً ... لنظم خمرياته يحرّر[1]
أوقفت ساقينا على نظامه ... فقال لي والله هذا جوهر

وقولي: لما غدا راحي نحيلاً بالياً ... وكاد أن لم يك في الزجاج
وجاز بالماء إلى بحرانه ... ورق قالوا صنه بالعلاج
فجئته مستقصياً أعراضه ... وجدته معتدل المزاج[2]

وقولي: في حب كأسي لامني ... من ليس يدري حالتي
فقلت دعني إنني ... وجدت فيها راحتي

وقولي مماجناً: أعنابكم إن حرموا ماءها ... وحرفوا فيها على الشارب
لا تحرموني التين إني امرؤ ... أعشقه بالقلب والقالب

وقولي: أدخلت أيري فيه ... أصبت منه المقاتل
فقلت كيف تراه ... فقال والله داخل

وقولي: العلم ابن الكويز قال معي ... لطف وظرف حواهما الكرم
وقامتي بانة مهفهفة ... فقلت لا بانة ولا علم

وقولي: قالوا صفي الدين أشعاره ... ما للورى في طرقها ممشى
وهكذا إنشاؤه مسكر ... قلت لهم والله ما أنشا

وقولي: ديوان نظمي جاء وهو محرّر ... برقيق نظم لفظه يستعذب
فإذا بدى لا تستقلوا حجمه ... وحياتكم فيه الكثير الطيب.

انتهى ما أوردته في باب التورية من كتاب الله وحديث نبيه ﷺ، وكلام أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ومن نظم فحول العرب والمولدين، إلى أن ارتفع العلم الفاضلي وأوردت محاسنه، ومحاسن من مشى تحت علمه المحمدي، إلى أن اتصل هذا السند بأعيان أهل العصر.

قلت: ولولا الحياء من العصابة النباتية، وأنا منها، لعززت العلمين من الوداعي

---

(١) حرّر: كتب.

(٢) مستقصياً: متتبعاً ومتبيناً ـ وأعراض المرض: مظاهره وعلاماته.

بثالث، فأوردت هنا من مطرب عطر مفرداته ما يغني عن المثاني والمثالث، فإنه أحد أئمة هذا المذهب، وإذا ذكرت التورية فهو عذيقها المرجب، وعلى كل تقدير ففرسان العلمين المشهورين الفاضلي والنباتي هم الذين أبرزوا عروس التورية من خدرها، وحققوا للناس من تساذج عن نقوش القاعدة وسفل عن علوّ قدرها، ولم أخل بذكر الشهاب محمود، وكان محمود الحشمة في ألفاظه على كل ناظم وناثر، إلا أن التورية كانت غير مذهبه، ووقوعها في نظمه ونثره من النوادر، وتمذهب بها القاضي شهاب الدين بن فضل الله، ولكن ما تفقه في هذا المذهب ولا حرره، ولا أبدر فيها بدر الدين بن حبيب، وكانت ليالي سطورها بنظمه غير مقمرة، ولهذا خدمها حذاق الأدب وحافظوا على الخدمة وثابروا، وأنشدوا من رضي بالشعر الموزون:

إذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده   فقل أنا وازن وما أنا شاعر[1]

قلت: ومما تخيرته من نظم القاضي شهاب الدين بن فضل الله، رحمه الله، من النكت التي وقعت له عفواً من غير كد ولا تكلف، قوله:

جاؤوا بأنواع من الطيب لنا   تحملها معشوقة ممشوقه[2]
قلت خذوا الطيب لكم جميعه   بشرط أن لا تأخذوا المعشوقه

ومما اخترته من نظم بدر الدين بن حبيب، رحمه الله تعالى، قوله:

وجنته الحمراء لما اكتست   خضرة أذناب الطواويس
عابوا لفرط الحسن دينارها   فقلت خلوه على كيسي

قلت: وقد عنَّ لي أن أورد هنا نبذة من نظم من كانت التورية غير مذهبه، لأجعلها في مهالك الأشكال وموانع العقادة جل مطلبه، وما عليَّ ممن تأخر عصراً أو تقدم، فإن الغرض أن يصير عقد التورية وهو بنظم من شعر بها منظم، وما خفي أن من حذاق الأدب من وقعت له التورية عفواً، وصار العفو محلاً عند القدرة، ومنهم من نقب عنها وعسعس عليه ظلام التكليف، فلم يبرزها نيرة، كالشيخ صفي الدين، فإنها كانت غير مذهبه، وحاولها مراراً فأتى بها مغصوبة، ولم يبلغ من اقتناص شواردها بحبائل فكره مطلوبه، كقوله:

---

(١) وازن: هكذا في الأصل ونظنه من التحريف فالبيت غير قائم الوزن والأصح: وزّان: وهو الذي ينظمّ الشعر الموزون حسب التفعيلات.

(٢) ممشوقة: طويلة القوام.

وساق من بني الأتراك طفل أتيه به على جمع الرقاق[1]
أملكه قيادي وهو رقي وأفديه بعيني وهو ساقي[2]

قلت: لا شك أن مراده بالمعنى الواحد من التورية ساقي الراح، وهو ظاهر صحيح، وبالمعنى الآخر أن يكون هذا الساقي ساقاً للشيخ صفي الدين، وهو غير ممكن. ولعمري إن هذا مسلك من ليس له في باب التورية مدخل، وهذه النكتة أبرزتها معلمة الطرفين، وأنا إذ ذاك مبتدىء لم أبلغ من البلاغة أشدي، ولا ثبت عند قضاة الأدب رشدي، بقولي مورياً ومضمناً:

يا حسن ساق يقول إن ذهبت مدامكم تكيفوا بأحداقي
شمر عن ساقه لنا وسقى قامت حروب الهوى على ساق

قلت: ومما عقده الشيخ صفي الدين، في هذا الباب، بيت بديعيته الذي نظمه شاهداً على هذا النوع، وهو قوله في مدح النبي ﷺ:

خير النبيين والبرهان متضح في الحجر عقلاً ونقلاً واضح اللقم[3]

قلت: ومن تواريه التي يستشهد بها على رفضه، ولا بد أن الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلة أدبه، قوله:

إذا شاهدت عيناك وجه معذبي وقد زارني بعد القطيعة والهجر
رأيت بقلبي من تلقيه مرحباً وسيف عليٍّ في لحاظ أبي بكر

وكذلك الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي، ناظم البديعية، كان عن نظم التورية بمعزل، ولم ترض أن تنزل من أبياته بمنزل، وبيت نظمه في بديعيته، شاهداً على هذا النوع، في غاية العقادة والسفالة، وهو قوله:

لا يرفع العين للراجين يمنحهم بل يخفض الرأس قولا هاك فاحتكم

وهذه البديعية غالبها سافل على هذا النمط، والتورية تجل عن أن تكون من مخدرات هذا البيت. ولكن أورد له الشيخ أبو جعفر، في شرحه الذي كتبه على بديعيته، ما هو منهول في هذا الباب، وهو قوله:

---

(١) أتيه: أفتخر.

(٢) ساقي: الساق المعروفه وساقي الخمر.

(٣) اللقم: الطريق والنهج الواضح.

وقفت للوداع زينب لما ... رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعي وحلو ... سكب دمعي على أصابع زينب

قلت: ورتبة الشيخ صفي الدين بالنسبة إلى ابن جابر معلوم أنها عالية، ولكن التورية ما دخلت إلى بيت من بيوته إلا خرجت غير راضية.

ومن التواري التي وقعت لناظمها عفواً، بل سحراً من غير كد، قول القائل:

قاسوك بالغصن في التثني ... قياس جهل بلا انتصاف
فذاك غصن الخلاف يدعى ... وأنت غصن بلا خِلاف[1]

ومن ذلك قول جلال الدين شاعر ماردين قديماً:

ويوم برد يد أنفاسه ... تخمس الأوجه من قرصها[2]
يوم تودّ الشمس من برده ... لجرت النار إلى قرصها

ومثله قول شرف الدين بن منقذ:

ولرب ليل تاه فيه نجمه ... وقطعته سهراً فطال وعسعسا[3]
وسألته عن صبحه فأجابني ... لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثله قول ابن نبيه؛ وكانت التورية غير مذهبه:

تعلمت علم الكيمياء بحبه ... غزال بجسمي ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسي وقطرت أدمعي ... فصح بذا التدبير تصفية الجسم

ومثله قول ظهير الدين بن البارزي:

يا لحية الحب التي ... طال لها تلفتي
هل أنت مسك الترك أو ... هل أنت مسك تبت

ومثله قول أمين الدين السليماني:

أُضيف الدجا معنى إلى لون شعره ... فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت ... على شرطها فعل الجفون من الكسر

---

(١) الخلاف: الصفصاف. وبلا خلاف: بلا شك.

(٢) تخمش: تلطم وتخدش ـ القرص: شدة البرد.

(٣) تاه النجم: غاب ـ عسعس الليل: انتشر.

ومثله قول محاسن الشواء:

ولما أتاني العاذلون عدمتهم وما منهم إلا للحمى قارض(١)
وقد بهتوا لما رأوني ساهيا وقالوا به عين فقلت وعارض(٢)

ومثله قول سعد الدين الفارقي:

قف بي على نجد فإن قبض الهوى روحي فطالب خد ليلى بالدم
وإذا دجا ليل الفراق فناده يا كافراً أحللت قتل المسلم

ومثله قول شهاب الدين بن أبي الحوف:

أقول لعقد أذهل الطرف حسنه على جيد خود وصلها كل مقصودي(٣)
أخذت نظاماً راق معنى فقال لي وما زلت في عمري أدور على الجيد

ومثله قول إبراهيم بن عبد الله الغرناطي:

يا رب كأس لم تشج شمولها فأعجب لها جسماً بغير مزاج
لما رأينا السحر من أشكالها جملاً نسبناه إلى الزجاج(٥)

ومثله قول مجير الدين بن حبان الشاطبي:

تؤمون الحجاز وما علمتم بأن القلب بيتكم العتيق
وألفاظي العذيب وأضلعي المنحنى ودموع مقلتي العقيق(٦)

ومثله قول الشريف محمد بن قاضي الجماعة بغرناطه، وهو:

حدائق أنبتت فيها الغوادي ضروب النور رائقة البهاء
فما يبدو بها النعمان إلا نسبناه إلى ماء السماء(٧)

---

(١) قارض: جائز قاطع من قرض إذا جاز وقطع.
(٢) العين: صيبة العين ـ والعارض: المس.
(٣) الجيد: العنق ـ الخود: الفتاة الحسناء.
(٤) تشج الكأس: يمزج ما فيها من الخمرة بالماء لكسر سورتها.
(٥) الزجاج: أحد النحويين العرب.
(٦) العذيب والمنحنى والعقيق: أودية بظاهر المدينة المنورة.
(٧) النعمان: الزهر المعروف بشقائق النعمان والنعمان بن المنذر بن ماء السماء الملك.

ومنه قول لسان الدين بن الخطيب:

جلس المـولى لتسليـم الـورى ولفضـل البرد في الجوّ احتكـام
فـإذا مـا سـألـوا عن يـومنـا قلت هـذا اليـوم بـرد وسـلام

ومنه قول الشيخ شمس الدين الأدفوي:

كم للنسيم على الربا من نعمة وفضيلة بين الورى لن تجحدا[1]
مـا زارهـا وشكت إليـه فـاقـة إلا وهـز لها الشمـائل بـالنـدا[2]

ومثله، في الحسن واللطف، قول الشيخ موفق الدين الحكيم:

لله أيـامنـا والشمـل مجتمـع نظماً به خاطـر التفريق مـا شعرا
وا لهف قلبي على عيش ظفرت به قطعت مجموعه المختار مختصرا

ومنه قول عبد العزيز الآمدي:

إن الـذي فـي وجـهـه جـنـة حفـت بـمكـروه من العـذل
مقلتـه فـي وسط قلبـي غـدت أرمـلة تـأكـل بـالـغـزل

ومنه قول القائل وأجاد:

ويـد الشمال عشيـة مـذ أرعشت دلت عى ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيماً في صحيفة جدول فيـد الغمـامة صححته بنقطها

ومثله، في الحسن، قول علاء الدين بن البطريق ناظر الجيش ببغداد:

دار الـسـراج بـديـعـة فـيـهـا تـصـاويـر بـمـكـنـه
تـحـكـي كـتـاب كـلـيـلة فـمتى أراهـا وهـي دمـنـه[3]

ويعجبني في هذا الباب قول القائل في حمام:

إن حمـامـك التي نحن فيهـا أي مـاء لـهـا وأيـة نـار
قـد نـزلنـا فيهـا على ابن معين ورويـنا عنه صحيـح البخـارِ (ي)

---

(١) جحد: أنكر.
(٢) الفاقة: الحاجة ـ الشمائل: المكرمات ـ الندا: العطاء والكرم.
(٣) دمنة: أخو كليلة الثعلب الذي ورد اسمه في عنوان كتاب لابن المقفع «كليلة ودمنة» والدمنة آثار الدار أو الخربة.

ومن المخترعات في هذا الباب، قول الشيخ شمس الدين الواسطي يهجو عواداً وزامراً:

شبهت ذا العواد والزامر إذ ضاقت علينا بهم المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت وأرقم ينفخ وهو خارج(١)

ويعجبني قوله، من دو بيت:

إن ضرمني بجذوة التذكار حبي وبرى عظمي شكرت الباري
فالعاذل في هواه لا عقل له ما أبلد عاذلي وأذكى ناري

ومنه قول القاضي علاء الدين بن الجويني صاحب الديوان ببغداد:

يا طيب مبيتنا بواد السمر في بهجة ليلة بضوء القمر
وافى بفراقنا نسيم سحراً ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن الغايات في هذا الباب، قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل:

كم قال معاطفي حكتها الأسل والبيض سرقن ما حوته المقل(٢)
والآن أوامري عليهم حكمت البيض تُحدُّ والقنا تعتقل(٣)

ومثله قوله:

يا غاية منيتي ويا معشوقي من بعدك لم أمل إلى مخلوق
يا خير نديم كان لو يؤنسني من بعدك صليت على الراووق(٤)

ويعجبني، من نظم المواليا في هذا الباب، قول القائل:

حبي ومحبوبتي مذ بان يوم البين زاروا عشا ليلة الاثنين قبل الحين
فصرت أنظر إلى زينه وألمح زين وأقول يا قلب ما أحلى ليلة الاثنين

ومثله، في اللطف، قول الآخر:

سمعتها وهي داخل دارها في الصحن تنشد رمل صحنت قلبي المعنى صحن(٥)
يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحن ترفع أجر ودع يدخل على اللحن(٦)

---

(١) الأرقم: ذكر الحية.
(٢) الأسل: الرماح - والبيض: الخوذ.
(٣) تحدّ: تقاصص بالحد وهو قصاص محدد.
(٤) الراووق: إناء الخمرة.
(٥) صحنت: ضربت.
(٦) اللحن: الموسيقى والخطأ النحوي.

ومثله قول الآخر:

قالت لها أختها قصدي يسمعنا ... ما النحو قالت لها نحن بأجمعنا
للرفع والنصب أنا وأنتي ومن معنا ... للجر والزوج حرف جاء للمعنى

ومنه قوله:

ستي الكبيرة لها الخدام والحرمه ... تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشي أفشخت لو ناك من كلمه ... راحت يمين القواقية على قرمه

ومثله في اللطف قول القائل:

يا منيتي زدت لهواتي تنشفها ... واحرمتني الشفة الحمراء أرشفها
تحب بيضا وأجفانك تحشفها ... بالله أنظر ظلاماتي وكشفها

ويعجبني قول الشيخ حامد الحكاك:

ثار الغرام الذي في مهجتي خامد ... وسال دمعي الذي كنت أعهده جامد
وأنا ببغداد والمحبوب في آمد ... مصيبتي عظمت وأنا لها حامد

وقد طال الشرح، وأوردت في باب التورية من المحاسن ما يكفي، قديماً وحديثاً، وأوردت بعد ذلك ما وقع فيها من النظم، عفواً وتكليفاً. وقد تعيَّن عليَّ إيراد ما وعدت به في ديباجة هذا الباب، من فقه التورية والكلام على أنواعها وأقسامها، فإن القول على اختلاف عبارات الحدود قد تقدم، والكل راجع إلى مقصود واحد، إذ القصد من لفظ التورية أن يكون مشتركاً بين معنيين، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بالقريب، فيوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك، ولهذا سمي هذا النوع إيهاماً.

أنواع التورية:

والتورية أربعة أنواع: مجردة، ومرشحة، ومبينة، ومهيأة.

النوع الأول التورية المجردة: وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به، وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المورى عنه، وهو المعنى البعيد. وأعظم أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1] لأن الاستواء على معنيين: أحدهما الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب، والثاني الاستيلاء والملك، وهو المعنى

---

(١) طه، ٢٠/٥.

البعيد المورى عنه، وهو المراد، لأن الحق سبحانه منزه عن المعنى الأول، ولم يذكر من لوازم هذا شيئاً، ولا من لوازم ذاك، فالتورية مجردة بهذا الاعتبار. ومنه قول النبي ﷺ، في خروجه إلى بدر، وقد قيل له: ممن أنتم؟ فلم يرد أن يعلم السائل، فقال: من ماء. وأراد أنا مخلوقون من ماء، فورى عنه بقبيلة من العرب يقال لها ماء. ومن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في الهجرة، وقد سئل عن النبي ﷺ فقيل: من هذا؟ فقال: هاد يهديني. أراد أبو بكر هادياً يهديني إلى الإسلام، فورى عنه بهادي الطريق الذي هو الدليل في السفر. ومنه قول القاضي عياض، في سنة كان فيها شهر كانون معتدلاً فأزهرت فيه الأرض:

كأن نيسان أهدى من ملابسه ... لشهر كانون أنواعاً من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرفت ... فما تفرق بين الجدي والحمل[1]

فالتورية هنا مجردة، والشاهد في الغزالة والجدي والحمل، فإن الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيئاً من لوازم المورى به، كالأوصاف المختصة بالغزالة الوحشية، من طول العنق وسرعة الالتفات وسرعة النفرة وسواد العين، ولا من أوصاف المورى عنه، كالأوصاف المختصة بالغزالة الشمسية، من الإشراق والسمو والطلوع والغروب. فإن قيل إن الغزالة قد رشحت بذكر الجدي والحمل، وهما مرشحان بالغزالة، فالجواب إن لازم التورية من شرطه أن يكون لفظه غير مشترك، والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدي والحمل.

ومنه قول القاضي محيي الدين بن زيلاق، وقد أهدى لصاحب الموصل حملاً:

يا أيها المولى الذي ... ببابه كل أمل
لو لم تكن بدراً لما ... أهدى لك الثور حمل

فالتورية وقعت بين البدر والثور والحمل، ولم يذكر لواحد منهما لازماً، فالبدر مشترك بين اسم الممدوح وبدر السماء، والثور مشترك بين الحيوان والبرج في السماء، وكذلك الحمل. ومنه قول بعضهم، من كان وكان:

لو سنبله خلف ظهرو ... ناظر إليها المشترى[2]
ولو ذنب ما يقارن ... حتى يرى الميزان[3]

---

(١) الغزالة: الشمس والحيوان المعروف ـ خرفت: فقدت قدرتها على التفكير والتمييز بين الأشياء ـ الجدي والحمل: منزلتين من منازل الشمس والمدارين المعروفين وحيوانين معروفين.

(٢) سنبلة: الشمس في منزلة تدعى السنبلة ـ المشتري: الكوكب المعروف.

(٣) ذنب: مذنب وهو مجموعة من الكواكب ـ الميزان: مجموعة من الكواكب.

ومنه قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يصف وادياً:

وبطحاء من واد يروقك حسنه ... ولا سيما إن جاد غيث مبكر[1]
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا ... به العيش يحيى وهو لا شك جعفر[2]

فالتورية وقعت هنا في الفضل والربيع ويحيى وجعفر، والاشتراك في كل من الأربعة ظاهر.

النوع الثاني: **التورية المرشحة**: وهي التي يذكر فيها لازم المورى به، سميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورى به، ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية، وتارة بعده، فهي بهذا الاعتبار قسمان: فالقسم الأول منها، هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية، وأعظم أمثلته قوله تعالى: **﴿والسماء بنيناها بأيد﴾**[3] فإن قوله بأيد يحتمل الجارحة، وهذا هو المعنى القريب المورى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح، البنيان، ويحتمل القوة وعظمة الخالق، وهذا المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد، فإن الله سبحانه منزه عن المعنى الأول.

ومنه قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة:

فلما نأت عنا العشيرة كلها ... أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كريهة ... ولا نحن أغضينا الجفون على وقر[4]

الشاهد في الجفون فإنها تحتمل جفون العين، وهذا هو المعنى القريب المورى به، وقد تقدم لازماً من لوازمه على جهة الترشيح، وهو الإغضاء لأنه من لوازم العين، وتحتمل أن تكون جفون السيوف أي أغمادها، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو مراد الناظم.

ومن ألطف ما وقع في هذا القسم قول شمس الدين الحكيم بن دانيال الكحال:

يا سائلي عن حرفتي في الورى ... وصنعتي فيهم وإفلاسي
ما حال من درهم إنفاقه ... يأخذه من أعين الناس

الشاهد هنا، في أعين الناس، فإنها تحتمل الحسد وضيق العين، وهو المعنى

---

(١) البطحاء: الأرض المنبسطة ـ جاد الغيث: المطر إذا تساقط.
(٢) الفضل والربيع ويحيى وجعفر: من البرامكة والزيادة وفصل من فصول السنة، ويعيش والنهر.
(٣) الذاريات، ٥١/٤٧.
(٤) الوقر: الذل.

القريب المورى به، وقد تقدم لازمه على جهة الترشيح، وهو درهم الإنفاق لأنه من لوازم الحسد، ويحتمل العيون التي يلاطفها بالكحل، وهذا هو المعنى المورى عنه، وهو مراد الناظم الكاحل.

انتهى القسم الأول من التورية المرشحة، والقسم الثاني منها، هو ما ذكر لازمه بعد لفظ التورية، ومن أمثلته اللطيفة قول الشاعر:

مذ همت من وجدي في خالها ... ولم أصل منه إلى اللثم
قالت قفوا واستمعوا ما جرى ... خالي قد هام به عمي

الشاهد في الخال، فإنه يحتمل خال النسب، وهذا هو المعنى القريب المورى به، وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم.

ومنه قول الشاعر:

أقلعت عن رشف الطلا ... واللثم في ثغر الحبب[1]
وقلت هذي راحة ... تسوق للقلب التعب

الشاهد هنا في الراحة التي هي ضد التعب، وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل الراحة التي هي من أسماء الخمر، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو مراد الناظم.

النوع الثالث: التورية المبينة: وهي ما ذكر فيها لازم المورى عنه، قبل لفظ التورية أو بعده، فهي بهذا الاعتبار أيضاً قسمان: فالقسم الأول: هو ما ذكر لازمه من قبل، واستشهدوا عليه بقول البحتري:

ووراء تسدية الوشاح ملية ... بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الشاهد هنا في تملح، فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون من الملاحة التي هي عبارة عن الحسن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو مراد الناظم، وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن.

قلت: هذا الشاهد الذي استشهدوا به من نظم البحتري فيه نظر، ولكن يأتي

---

(١) أقلع عن العادة: تركها - الرشف: الشرب على مهل - الطلا: الخمرة.

الكلام عليه في موضعه. ومن أحسن الشواهد على هذا القسم قول الشيخ شرف الدين ابن عبد العزيز شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى:

قالوا أما في جلق نزهة ... تنسيك من أنت به مغرى
يا عاذلي دونك من لحظه ... سهماً ومن عارضه سطرا

الشاهد هنا في موضعين، وهما السهم وسطرا، فإن المعنى البعيد هما الموضعان المشهوران بمنتزهات دمشق، وذكر النزهة بجلق قبلهما هو المبين لهما، وأما المعنى القريب فسهم اللحظ وسطر العارض.

القسم الثاني من التورية المبينة: هو الذي يذكر فيه لازم المورى عنه بعد لفظ التورية، ومن أمثلته البديعة قول الشاعر:

أرى ذنب السرحان في الأفق ساطعاً ... فهل ممكن أن الغزالة تطلع[1]

الشاهد هنا في موضعين[2]: أحدهما ذنب السرحان، فإنه يحتمل أول ضوء الفجر، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم، وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله ساطعاً، ويحتمل ذنب الحيوان المعروف، وهذا هو المعنى القريب المورّى به. واستشهدوا على هذا القسم بقول ابن سناء الملك، وهو:

أما والله لولا خوف سخطك ... لهان عليَّ ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجباً ... وليس هما سوى قلبي وقرطك

الشاهد هنا في الخافقين، فإنه يحتمل أن يريد قلبه وقرط محبوبه، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم، وقد بينه بالنص عليه فإنه صرح بعد الخافقين بذكر القلب والقرط، ويحتمل أن يريد ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورّى به.

النوع الرابع: **التورية المهيأة**: وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ إلا باللفظ الذي قبلها، أو باللفظ الذي بعدها، أو تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت في الآخر. فالمهيأة، بهذا الاعتبار، ثلاثة أقسام: القسم الأول من التورية المهيأة: وهو

---

(١) السرحان: الذئب والفجر.

(٢) يبدو أن ابن حجة نسي أن يذكر الموضع الثاني من الشاهد وهو قول الشاعر: الغزالة: التي يحتمل أن تكون ذلك الحيوان المعروف الذي تشبه به الفتاة الحسناء كما يحتمل أن تكون الشمس.

الذي تتهيأ فيه التورية من قبل، وقد استشهدوا على ذلك، بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة:

وسيرك فينا سيرة عمرية ... فروحت عن قلب وأفرجت عن كرب[1]
وأظهرت فينا من سميك سنة ... فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

الشاهد هنا في الفرض والندب، وهما يحتملان أن يكونا من الأحكام الشرعية، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء، والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الأمور، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما، ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية.

القسم الثاني من التورية المهيأة: وهو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعد، ومن أمثلته نثراً قول الإمام علي بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه، في الأشعث بن قيس: إنه كان يحوك الشمال باليمين. فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه، ويحتمل أن يراد بها الشمال التي هي إحدى اليدين، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد.

ومنه نظماً قول الشاعر:

لولا التطير بالخلاف وأنهم ... قالوا مريض لا يعود مريضا
لقضيت نحباً في جنابك خدمة ... لأكون مندوباً قضى مفروضا[2]

فالمندوب هنا يحتمل الميت الذي يبكى عليه، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو المراد، ويحتمل أن يكون أحد الأكام الشرعية، وهو المعنى القريب المورى به، ولولا ذكر المفروض بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب، ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره. ومثله قول أبي الحسين الجزار:

يا عذولي دعني من العذل إن ... النصح في مذهب الهوى تحريض
مت لما نأى فها أنا مندو ... ب فراق وحبه مفروض

الكلام على هذا الشاهد كالكلام على الذي قبله.

---

(١) روح عن القلب: فرحه من بعد حزن ـ الكرب: الشده والهم.
(٢) النحب: النحيب وهو أشد البكاء والعمر أو المدة منه.

القسم الثالث من التورية المهيأة: وهو الذي تقع التورية فيه في لفظين، لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر، واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي، وهو:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

الشاهد، في البيت الأول، في الثريا وسهيل، فإن الثريا يحتمل أن يكون أراد بها بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو المراد، والقريب ثريا السماء، وهذا هو المعنى القريب المورى به، وسهيل يحتمل أيضاً سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل كان رجلاً مشهوراً من اليمن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، ويحتمل النجم المعروف بسهيل، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ولولا ذكر الثريا التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل، وكل واحد منهما صالح للتورية.

والتورية هنا، لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبينة، لأن الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما إلا بلازم خاص، والفرق بين اللفظ الذي تتهيأ به التورية واللفظ الذي تترشح به واللفظ الذي تتبين به، أن اللفظ الذي تقع به التورية مهيأة، لو لم يذكر لما تهيأت التورية أصلاً، واللفظ المرشح والمبين إنما هما مقويّان للتورية، فلو لم يذكرا لكانت التورية موجودة.

وسبب نظم هذين البيتين أن سهيلاً المذكور تزوَّج الثريا المذكورة، وكان بينهما بون بعيد في الخلق، فإن الثريا كانت مشهورة في زمانها بالجمال، وسهيل بالعكس، وهذا مراد الناظم بقوله: عمرك الله كيف يلتقيان. وأيضاً هي شامية الدار، وسهيل يماني. انتهى الكلام على التورية المهيأة وهي آخر أنواع التورية.

وهنا تنبيه فيه فائدة: وهو أن مشايخ هذا العلم قالوا: ليس كل لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيه التورية، كاللغات التي تدور على الألسنة، وإنما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين، إلا أن أحدهما أسبق إلى الفهم من الآخر.

وقد عنَّ لي أن أختم باب التورية بفائدة تكون مسكاً لختامها وبدراً لتمامها، وهي أن بعض علماء هذا الفن قالوا: إن التورية، إذا جاءت بلازمين فتكافآ ولم يترجح أحدهما على الآخر، فكأنهما لم يذكرا وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك في درجة

واحدة، وتلحق هذه التورية بالمجردة وتعد فيها قسماً ثانياً، وتصير مجردة بهذا الاعتبار، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر:

غدوت مفكراً في سرّ أفق | أرانا العلم من بعد الجهاله
فما طويت له شبك الدراري | إلى أن أظفرته بالغزاله

وقالوا: إن الشبك من لوازم الغزالة الوحشية، والدراري من لوازم الغزالة الشمسية. قلت: أما قوله في تقريره: إن اللازمين إذا تكافآ ولم يترجح أحدهما على الآخر تصير التورية كالمجردة، فقريب. وأما الشاهد ففيه نظر، فإنه صدر بقوله: غدوت مفكراً في سرّ أفق فالتفكر في سر هذا الأفق الذي أراه العلم من بعد الجهالة؛ لازم خاص يرجح جانب الغزالة الشمسية، وأما الشبك فاستعارة مرشحة بالحسن لنجوم الدراري، وهي أيضاً مما يرشح جانب الشمس عند طيها، الذي أراد به الناظم غيابها، ولو كانت الشمس مجردة من الدراري، ربما كان للغزالة الوحشية بعض مقاربة، وعين الشمس هنا ما تغطى على الترجيح، والله أعلم.

واستشهدوا أيضاً على هذا بقول مجير الدين بن تميم:

وليلة بت أسقى في غياهبها | راحاً تسل شبابي من يد الهرم[1]
ما زلت أشربها حتى نظرت إلى | غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقالوا أيضاً: إن الصبح من لوازم الغزالة الشمسية، والرعي من لوازم الغزالة الوحشية. قلت: أما الصبح فمن لوازم الغزالة الشمسية، كما قالوا، وأما رعي نرجس الظلم فليس من لوازم الغزالة الوحشية، وإنما هو استعارة مرشحة بالحسن للنجوم، وهي مثل استعارة الشباك والدراري، والغزالة الوحشية ليس لها هنا مرعى، فإنها أجنبية من رعي نرجس الظلم الذي هو عبارة عن النجوم، والله أعلم.

وقد تقدم قولي على الشاهد الذي أوردوه للبحتري، في التورية المبينة، بذكر لازم المورى عنه من قبل وقلت: فيه نظر، وهو قوله:

ووراء تسدية الوشاح ملية | بالحسن تملح في القلب وتعذب

هذا الشاهد تعارض فيه اللازمان وتكافآ، وهو أقرب إلى المجردة، وما ذاك إلا أن الشاهد في قوله: تملح، يحتمل أن يكون من الملوحة، ولازمه تعذب، وهو المعنى

---

(١) الغياهب: الظلمات ـ الراح: الخمرة ـ سلَّ: سحب بسرعة.

القريب، ويحتمل أن يكون من الملاحة، وهذا هو المعنى البعيد الموري عنه، ولازمه ملية بالحسن، وقد تعارض اللازمان، وهذا هو الشاهد على هذا القسم الذي اختاروه أن يكون قسماً ثانياً للتورية المجردة، وأقرب منه قول الشيخ زين الدين بن الوردي:

قالت إذا كنت تهوى ... أنسي وتخشى نفوري
صد ورد خدي وإلا ... أجور ناديت جوري

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة:

حملت خاتم فيه فصاً أزرقا ... من كثرة اللثم الذي لم أحصه
لولاه ما علم الرقيب فيا له ... من خاتم نقل الحديث بفصه

والأشباه والنظائر من هذا القسم كثير، والغرض أن اللازمين، إذا تعارضا وتكافآ في التورية، يلحق هذا القسم بالتورية المجردة.

انتهى الكلام على التورية، وقد قدمت من نظم الجماعة الذين مشوا تحت العلمين المشهورين ما هو أشهر من الأعلام، فالمتأمل إذا جمع بين طرفي هذا الباب، وعرف الأنواع والأقسام، وضع كل شيء في محله فإني كشفت له اللثام عن وجه التورية، وأما أبيات البديعيات فقد تقدم ذكرها، والله أعلم بالصواب.



ذكر المشاكلة

من اعتــدى فبعــدوان يشــاكله لحكمــة هــو فيهــا خيــر منتقم

المشاكلة: في اللغة هي المماثلة، والذي تحرّر في المصطلح، عند علماء هذا الفن، أن المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظه، لوقوعه في صحبته، كقـوله تعـالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾(١)، فالجزاء عن السيئة في الحقيقة، غير سيئة، والأصل: وجزاء سيئة عقوبة مثلهـا، ومثله قولـه تعالى: ﴿تعلم مـا في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾(٢) والأصل: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك، فإن الحق، تعالى وتقدس، لا يستعمل في حقه لفظ النفس، إلا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس، ومنه قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾(٣) والأصل: أخذهم بمكرهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾(٤) أي: فعاقبوه، فعدل عن هذا لأجل المشاكلة اللفظية.

وفي الحديث، قوله ﷺ: فإن اللّهَ لا يمل حتى تملوا. الأصل: فإن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا عن مسألته، فوضع لا يمل موضع لا يقطع الثواب، على جهة المشاكلة، وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولاً.

ومنه قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

ألا لا يـجـهـلـن أحـد عـلـيـنـا فنجهـل فـوق جهـل الجاهلينـا

(١) الشورى، ٤٢/ ٤٠.

(٢) المائدة، ٥/ ١١٦.

(٣) آل عمران، ٣/ ٥٤.

(٤) البقرة، ٢/ ١٩٤.

أي فنجازيه على جهله، فجعل لفظة نجهل موضع فنجازيه، لأجل المشاكلة. ومثله قول الشاعر، وتلطف ما شاء:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أراد خيطوا، فذكره بلفظ اطبحوا، لوقوعه في صحبة طبخه.

قلت: قد تقرر أن هذا النوع، أعني المشاكلة، اللفظية، أن يأتي المتكلم في كلامه باسم من الأسماء المشتركة في موضعين، فتشاكل إحدى المشاكلتين اللفظيتين الأخرى في الخط واللفظ ومفهومهما مختلف. ومن إنشادات التبريزي في هذا الباب، قول أبي سعيد المخزومي:

حدق الآجال آجال والهوا للمرء قتال

فلفظة الآجال الأولى: أسراب البقر الوحشية، والثانية: منتهى الأعمار، وبينهما مشاكلة في اللفظ والخط. قال الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع، في كتابه المسمى «بتحرير التحبير»، هذا الشاهد وأمثاله داخل في باب التجنيس. قلت: قول الشيخ زكي الدين ظاهر ليس في صحته سقم، وهذا البيت الذي أنشده التبريزي من أحسن الشواهد على الجناس التام، ولو اعتمد البديعيون على المشاكلة المعنوية لخلصوا من هذا الاعتراض. وعلى كل تقدير، فالمعارضة تعدّت حكم الالتزام في نظم هذا النوع، أعني المشاكلة اللفظية. وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته، على هذا النوع، قوله عن النبي ﷺ:

يجزي إساءة باغيهم بسيئة ولم يكن عادياً منهم على إرم[1]

وبيت العميان:

سقاهم الغيث ماء إذ سقى ذهبا فغير كفيه إن أمحلت لا تشم[2]

وبيت الشيخ عز الدين:

يجزي بسيئة للضد سيئة معنى مشاكلة من خير منتقم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

من اعتدى فبعدوان يشاكله لحكمة هو فيها خير منتقم

---

(١) إرم: : مدينة قوم عاد الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد﴾ الفجر- ٨٩/٧.

(٢) شام: طلب.

ذكر الجمع مع التقسيم

جمع الأعادي بتقسيم يفرّقه   فالحي للأسر والأموات للضرم[1]

هذا النوع، أعني الجمع مع التقسيم، هو أن يجمع الناظم بين شيئين فأكثر، ثم يقسم. كقول أبي الطيب المتنبي:

الدهر معتذر والسيف منتصر   وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا   والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر، كقول حسان بن ثابت:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حالوا النفع في أشياعهم نفعوا[2]
سجية تلك منهم غير محدثة   إن الخلائق فاعلم شرها البدع[3]

فالأول أحسن وأوقع في القلوب، وعليه مشى أصحاب البديعيات.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله:

أبادهم فلبيت المال ما جمعوا   والروح للسيف والأجساد للرخم[4]

---

(١) الضرم: الاحتراق.

(٢) أو حالوا: هكذا وردت في الأصل، ونظن أنه سقط منها حرف الواو وهي: حاولوا. أشياعهم: أتباعهم.

(٣) السجية: العادة ـ المحدث: الجديد الذي كان بعد أن لم يكن ـ البدع: الافتراءات وهي ما يستحدث في الدين زوراً وبهتانا.

(٤) الرخم: طير من الجوارح كبير الجثة وحشي الطباع.

وبيت العميان في بديعيتهم:

والمال والماء في كفيه قد جـريا   هذا لراج وذا للجيش حين ظمي

وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله:

علم ومـال على جمـع تقسمـه   هـذا لغمر وهـذا نفـع مغتـرم [1]

وبيت بديعيتي:

جمـع الأعـادي بتقسيم يفـرقـه   فـالحي للأسـر والأموات للضـرم



(١) الغمر: الجاهل غير المجرب للأمور ـ المغترم: الآثم.

ذكر الجمع مع التفريق

سناه كالبرق إن أبدوا ظلام وغى　　　والعزم كالبرق في تفريق جمعهم

هذا النوع، أعني **الجمع مع التفريق**: هو أن يجمع الشاعر بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرق بينهما في ذلك الحكم، كقوله تعالى: **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة﴾**[1] فكأنه يقول: الشمس والقمر كوكبان، فهذا نهاري، وهذا ليلي، فجمع بينهما إذ هما كوكبان، ثم فرق بأن هذا يضيء نهاراً وهذا يضيء ليلاً، فوقع الفرق في الشيء الذي وقع به الجمع..

واستشهدوا على هذا النوع بقول الفخر عيسى:

تشـابـه دمعـانـا غـداة فـراقنـا　　　مشـابهـة في قصـة دون قصـة
فـوجنتها تكسـو المـدامـع حمـرة　　　ودمعي يكسو حمرة اللون وجنتي

هذا الناظم جمع بين الدمعين في الشبه، ثم فرق بينهما بأن دمعها أبيض، فإذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها، وأن دمعه أحمر، لأنه يبكي دماً وجسده من النحول أصفر، فإذا جرى عليه الدمع حمره.

ومنه قول البحتري:

ولمـا التقينـا والنقـا مـوعـد لنـا　　　تعجب رائي الـدر منا ولاقـطه[2]
فمن لؤلؤ تجلوه عنـد ابتسـامهـا　　　ومن لؤلؤ عند الحديث تسـاقطه

---

(١) الإسراء، ١٧/١٢.
(٢) لاقط الدر: جامعه.

وبيت الصفي الحلي:

سناه كالبرق يجلو كل مظلمة   والعزم كالنار يفني كل مجترم[1]

وبيت العميان في تركيبه قلق، حيث قالوا:

فلذ بمن كفه والبحر ما افترقا   إلا بكف وبحر في كلامهم[2]

وبيت الشيخ عز الدين، شن فيه الغارة على بيت الشيخ صفي الدين الحلي، بقوله:

وعزمه النار في جمع يفرقه   ووجهه النور يجلو ظلمة الغشم[3]

وبيت بديعيتي أقول فيه، عن النبي ﷺ:

سناه كالبرق إن أبدوا ظلام وغى   والعزم كالبرق في تفريق جمعهم



---

(1) المجترم: مرتكب الجريمة.

(2) لاذ: احتمى.

(3) الغشم: الظالمون. والليالي المظلمة.

ذكر الإشارة

ومن إشارته في الحرب كم فهم ألـ أنصـار معنى به فـازوا بنصرهم

هذا النوع، أعني الإشارة، مما فرّعه قُدَامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وشرحه بأن قال: هو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكثير، بإيماء ولمحة تدل عليه، كما قيل في صفة البلاغة، هي لمحة دالة. وتلخيص هذا الشرح: إنه إشارة المتكلم إلى المعاني الكثيرة بلفظ يشبه، لقلته واختصاره، بإشارة اليد. فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء، لو عبر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة. ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة، وحسن البيان مع الاختصار، لأن المشير بيده، إن لم يفهم المشار إليه معناه، فإشارته معدودة من العبث.

وكان النبي ﷺ سهل الإشارة، كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة يمتدح به.

والإشارة قسمان: قسم للسان، وقسم لليد. ومن شواهد الإشارة في الكتاب العزيز قوله: ﴿وغيض الماء﴾[1] فإنه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض ومطر السماء، وذهاب الماء الذي كان حاصلاً على وجه الأرض قبل الإخبار، ولو لم يكن كذلك لما غاض الماء. ومنه قوله تعـالى: ﴿وفيها مـا تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾[2] فالمح أيها المتأمل كل ما تميل النفوس إليه من اختلاف الشهوات، وملاذ الأعين في اختلاف المرئيات، لتعلم أن بلاغة هذا اللفظ القليل جداً، عبرت عن المعاني

(١) هود، ١١/٤٤.

(٢) الزخرف، ٤٣/٧١.

التي لا تنحصر عدا. ومنه قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[1]. ومن المنظوم قول زهير في هذا النوع:

فـإني لـو لقيتـك فـاتجهنـا لكـان لكـل منكـرة لقـاء

يعني قابلت كل منكرة بمثلها.

ومن أمثلة هذا النوع قول امرىء القيس:

بـعـزهم عـززت فـإن يـذلـوا فـذلـهـم أنـالـك مـا أنـالا

فانظر كم تحت قوله: أنالك ما أنالا، من أنواع الذل ومثله قوله:

فـلأشكـرن غـريب نـعـمـتـه حتى أمـوت وفضله الـفضـل
أنـت الشجـاع إذا هُمُ نـزلـوا عـنـد المضيـق وفعلك الفعـل

فالحظ كم تحت قوله: وفضله الفضل، بعد إخباره بأنه يشكر غريب نعمته حتى يموت، من أصناف المدح وترجيح فضله على الشكر، وفي قوله: غريب نعمته، غاية المدح، إذ جعل نعمته غريبة لم يقع مثلها في الوجود، وكم تحت قوله: وفعلك الفعل، بعد إخباره بنزول القوم عند المضيق الدال على صبرهم وشجاعتهم، وما في ذلك من ترجيح شجاعته عليهم. ومنه قوله في صفة الفرس:

على هيكل يعطيـك قبل سؤالـه أفانين جري غير كز ولا واني[2]

فإنه أشار بقوله: أفانين، إلى جمع صنوف عدو الخيل المحمودة، والذي يدل على ذلك قوله: قبل سؤاله، فإن الأفانين المحمودة كانت منه عفواً من غير طلب ولا حث، وهذا كمال الوصف. ولو عدت هذه المعاني بألفاظها الموضوعة لها، لاحتاجت في العبارة إلى ألفاظ كثيرة.

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته:

يولي الموالين من جدوى شفاعته ملكاً كبيراً عـدا ما في نفـوسهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته:

ما تشتهي النفس يهدى في إشارته يعطي فنونـاً بـلا من ولا سـأم

وبيت بديعيتي:

ومن إشارته في الحرب كم فهم الأنصـار معنى به فـازوا بنصرهم

---

(١) النجم، ٥٣/١٠.

(٢) الهيكل: الحصان الضخم الجثه الغليظ العظام ـ الكزّ: السريع ـ الواني: البطيء.

ذكر التوليد

تـوليـد نصـرتهم يبـدو بـطلعتـه ما السبعة الشهب ما توليد رملهم

قلت: هذا النوع أعني، **التوليد**: ليس تحته كبير أمر، وهو على ضربين من الألفاظ والمعاني، فالذي من الألفاظ تركه أولى من استعماله، لأنه سرقة ظاهرة، وما ذاك إلا أن الناظم يستعذب لفظة من شعر غيره، فيقتضبها ويضمنها غير معناها الأول في شعره، كقول امرىء القيس في وصف الفرس:

وقـد أغتدي والـطير في وكنـاتها بمنجـرد قيـد الأوابـد هيكـل[1]

فاستعذب أبو تمام قيد الأوابد فنقلها إلى الغزل فقال:

لهـا منـظر قيـد الأوابـد لم يـزل يروح ويغدو في خفارته الحب[2]

والتوليد من المعاني، هو الأجمل والأستر[3]، وهو الغرض ههنا، وذلك أن الشاعر ينظر إلى معنى من معاني من تقدمه، ويكون محتاجاً إلى استعماله، في بيت من قصيدة له، فيورده ويولد منه معنى آخر، كقول القطامي:

قـد يدرك المتـأني بعض حاجتـه وقد يكون مع المستعجل الزلل[4]

وقال من بَعدَه، ونقص الألفاظ، وزاد تمثيلاً وتوكيداً وتذييلاً:

---

(١) الوكنات: جمع وُكنة وهي العش والمخبأ ـ المنجرد: الذي يسهل قياده قيد الأوابد: يعني أنه لسرعته لا تفلت منه الوحوش ـ الهيكل: الضخم.

(٢) الخفارة: الحراسة.

(٣) «الأستر»: هكذا وردت ونعتقد أنها «الأَسْيَر» أي الأكثر وجوداً في النظم.

(٤) المتأني: المتمهل ـ الزلل: الخطأ.

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامي بكماله، ومعنى عجزه نوع التذييل، وما تقدم ذكره، وهو مولد.

قال ابن أبي الأصبع في «تحرير التحبير»: أغرب ما سمعت في التوليد قول بعض العجم:

كأن عذاره في الخد لام ... ومبسمه الشهي العذب صاد
وطرة شعره ليل بهيم ... فلا عجب إذا سرق الرقاد[1]

فإن هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام، وتشبيه الفم بالصاد لصاً، وولد من معناه ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم، فحصل في البيت توليد وإغراب وإدماج.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع:

من سبّق لا يرى سوط لها سملا ... ولا جديد من الأرسان واللجم[2]

بيت صفي الدين هنا غير صالح للتجريد، وقد تكرر عليه هذا النقد في كثير من الأبيات، فإن بيته لم يظهر له معنى إن لم ينشد البيت الذي قبله، وهذا العيب سماه علماء هذا الفن التضمين، ويأتي الكلام عليه في موضعه، ولكن هو أقبح ما يكون في البديعيات، لأن المراد من بيت البديعيات أن يكون بمجرده شاهداً على النوع المذكور، ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده.

وبيت صفي الدين مولد من قول أبي عبد الله بن الحجاج:

خرقت صفوفهم بأقب نهد ... مراح السوط متعوب العنان[3]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين:

ما لي بتوليد مدحي في سواه هدى ... لمعشر شبهوا الهندي بالجلم[4]

وبيت عز الدين هنا صالح للتجريد، فإن ضميره عائد إلى النبي ﷺ، وأما قوله:

---

(١) بيهم: شديد السواد.

(٢) السبّق: الخيل السابقة ـ السوط: الكرباج ـ سمل: البالي من كثرة استعماله أي هي خيول تسبق دون أن تضرب ـ اللجم جمع لجام وهو حديدة توضع في فم الخيل ليسهل قيادها والسيطرة عليها.

(٣) الأقب: من الخيل الضامر ـ النهد: السريع القفز ـ مراح السوط: مدهونه وذلك ليصير أشد لسعاً ـ متعوب العنان: عنانه تعب لسرعته.

(٤) الهندي: السيف ـ الجلم: المقص.

لمعشر شبهوا الهندي بالجلم، فإنه ذكر في شرحه أنه ولده من قول أبي الطيب المتنبي:

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم ... عما أراه من الإحسان عميانا[1]

ثم قال في الشرح ما شبه السيف بالمقص إلا أعمى. قلت: ومن أين لنا أن تشبيه السيف بالجلم مولد من بيت المتنبي، وألفاظها ومعانيها ظاهرة للمتأمل.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

توليد نصرتهم يبدو بطلعته ... ما السبعة الشهب ما توليد رملهم

معنى هذا البيت ولدته من قول أبي تمام:

والنصر من شهب الأرماح لامعة ... بين الخميس علا في السبعة الشهب[2]

ولكن ذكر التوليد هنا، وهو اسم النوع البديعي، مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الأدب، فإنه التوليد في التوليد، وذكر الرمل هنا توليد آخر، وقد جمعت في صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذي هو المراد من التورية في تسمية النوع، وبين التذييل بقولي، بعد تتمة الفائدة: ما توليد رملهم، وبين مراعاة النظير، بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة، وجمعت بين قسمي التوليد في اللفظ والمعنى، والذي بينهما من توليد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبي تمام غير خاف على المتأمل المنصف، والله أعلم.



(١) العيس: الإبل جمع أعيس.

(٢) الخميس: الجيش.

ذكر الكناية

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم   لنــاره ألسن تكني عن الكـرم(١)

الكناية: هي الإرداف بعينه، عند علماء البيان، وإنما علماء البديع أفردوا الإرداف عنها. والكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو ردفه في الوجود فيومىء إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: طويل النجاد، كثير الرماد، يعنون بذلك أنه طويل القامة، كثير القرى(٢). فلم يذكروا المراد بذكره الخاص به، ولكن توصلوا إليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود، ألا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كثر القرى كثر الرماد؟ ومن أحسن الأمثلة على هذا النوع قول الشاعر:

بعيـدة مهوى القـرط أمـا لنـوفـل   أبوها وإما عبد شمس وهـاشم(٣)

أراد أن يذكر طول جيدها فأتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط. ومثله قول ليلى الأخيلية:

ومخــرّق عنـه القميص تخـالــه   وسط البيـوت من الحيـاء سقيمـا

كنت عن الإفراط في الجود بخرق القميص، لجذب العفاة له عند ازدحامهم عليه لأخذ العطاء.

والأبلغ في هذا الباب والأبدع، أن يكني المتكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن.

---

(١) نجاد السيف: حمائله وطويل نجاد السيف كناية عن طول قامته.

(٢) القِرى: إطعام الضيوف.

(٣) بعيدة مهوى القرط: كنايه عن طول عنقها ـ والمهوى الموضع والقرط: ما تتزين به المرأه في أذنيها.

والمعجز في ذلك قوله تعالى: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾[1] كناية عن الحدث، وقوله جل جلاله: ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾[2] يريد بذلك ما يكون بين الزوجين. وعلى الجملة لا تجد معنى من هذه المعاني في الكتاب العزيز إلا بلفظ الكناية، لأن المعنى الفاحش متى عبر المتكلم عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيباً، من جهة فحش المعنى، ولهذا عاب قدامة على امرىء القيس قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول[3]
إذا ما بكى من تحتها انصرفت له ... بشق وتحتي شقها لم يحوّل

قال، أعني قدامة: عيب هذا الشعر من جهة فحش المعنى، والقرآن منزه عن ذلك. ولو استعار امرؤ القيس لمعناه الفاحش لفظ الكنأية لسلم من العيب، وهذا القدر ينتقد على مثله. وفي السنة النبوية من الكنايات ما لا يحصى، كقوله ﷺ: لا يضع العصا عن عاتقه كناية عن الضرب، أو كثرة السفر. وحكى ابن المعتز أن العرب كانت تقول لمن به أُبنه[4] أنت تحت العصا وأنشد:

زوجك زوج صالح ... لكنه تحت العصا

ومن نخوة العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض، وقد جاء القرآن العزيز بذلك، فقال سبحانه: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾[5]. وقال امرؤ القيس في معلقته:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهواتها غير معجل[6]

أي بيضة خدر يعني امرأة كالبيضة في صيانتها لا يرام خباؤها لعزتها. ومن لطائف الكنايات قول بعض العرب:

ألا يا نخلة من ذات عرق ... عليك ورحمة الله السلام

---

(١) المائدة، ٧٥/٥.

(٢) النساء، ٢١/٤.

(٣) طرق: زار ليلاً ـ ذو التمائم: الولد ـ المحول: الذي له حول من العمر.

(٤) الأُبنة: العيب.

(٥) الصافات، ٤٩/٣٧.

(٦) بيضة الخدر: المرأة المصونة في خدرها وهو الخباء ـ لا يرام: لا يمكن الوصول إليه ـ لهواتها: واحدتها لهاة وهي قطعة من اللحم مدلاة في سقف الفم. وهذا البيت يروى كما يلي: وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهوٍ بها غير معجل.
وغير معجل: غير مستعجل، دليل على عدم الخوف.

سـألت النـاس عنـك فخبـروني هنـاة ذاك تكـرهـه الكـرام[1]
ولـيس بـمـا أحـلّ الله بـأس إذا هـو لم يخـالـطه الحـرام

فإن هذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة، وبالهناة عن الرفث، فإن العرب كانت تكني بها عن مثل ذلك. وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ألطف الكنايات.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته عن الكناية قوله:

كـل طويـل نجاد السيف يـطربـه وقع الصوارم كـالأوتار والنغم [2]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي:

داع كثير رماد القـدر إن وصفت كنـاية بـطنهـا والـظهـر بـالـدسم

قول الشيخ عز الدين: كثير رماد القدر، معلوم أنه أراد بذلك الكرم، وأما تتمة البيت، فالدسم الظاهر من القدر في ظاهرها تعافه النفس، ولفظة الدسم سافلة بعيدة عن حشمة الألفاظ.

وبيت بديعيتي:

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم لنـاره ألسن تكـني عـن الكـرم

تقدم القول إن الناس كنوا بطول النجاد عن طول القامة؛ وبكثرة الرماد عن كثرة القرى، ولكن الكناية بألسن النار عن كثرة الكرم والقرى لا تخفى استعارتها التي كادت تقوم مقام الحقيقة من المحاسن الظاهرة، والله أعلم بالصواب.



(١) الهناة: واحدتها هنة وهي الضعف والعيب.
(٢) الصوارم: السيوف.

ذكر الجمع

آدابـه وعـطايـاه ورأفـتـه ... سجيـة ضمن جمـع فيـه ملتئم

هذا النوع، أعني الجمع: هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر في حكم واحد، كقوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾[1] جمع سبحانه وتعالى المال والبنون في الزينة. ومنه قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾[2] فجمع بين الشمس والقمر في الحسبان، وجمع بين النجم والشجر في السجود. ومنه قوله ﷺ: من أصبح آمناً في سربه معافاً في بدنه ـ ويروى في جسده ـ عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها، فجمع الأمن ومعافاة البـدن وقوت اليـوم في حوز الـدنيا بحذافيرها، وهي النواحي والواحد حذفار، ومنه قول الشاعر:

إن الشبـاب والـفـراغ والجـدة ... مـفسـدة لـلمـرء أي مـفسـدة

فجمع بين الشباب والفراغ والجدة في المفسدة.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الجمع قوله:

آراؤه وعـطايـاه ونـقـمـتـه ... وعـفـوه رحمـة لـلنـاس كلهم

وبيت العميان في بديعيتهم:

قد أحرز السبق والإحسان في نسق ... والعلم والحلم قبل الدرك للحلم

---

(١) الكهف، ١٨/٤٦.

(٢) الرحمٰن، ٥٥/٥ و ٦.

وبيت الشيخ عز الدين:

للفصل والفضل والألطاف منه يرى   والعلم والحلم جمع غير منخرم[1]

قلت: حشو لفظة يرى، في بيت الموصلي، أذهب طلاوة الانسجام.

وبيت بديعيتي:

آدابه وعطاياه ورأفته   سجية ضمن جمع فيه ملتئم



(١) المنخرم: المنقطع، والمثقوب والمنثلم.

ذكر السلب والإيجاب

إيجابه بالعطايا ليس يسلبه ويسلب المنّ منه سلب محتشم

هذا النوع، أعني **السلب والإيجاب**، ذكر ابن أبي الأصبع في «تحرير التحبير»: أنه من مستخرجاته. ولكن رأيت لأبي هلال العسكري تقريراً حسناً على هذا النوع، وهو أن يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة، وإثباته من جهة أخرى، والذي قرّره ابن أبي الأصبع، هو أن يقصد المادح إفراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره، فينفيها في أوّل كلامه عن جميع الناس، ويثبتها لممدوحه بعد ذلك، كقول الخنساء في أخيها:

وما بلغت كف امرىء متطاولاً من المجد إلا والذي نلت أطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع: ويروى متناولاً، ونصبها على أنها مفعول به، وما هنا أبلغ، وعلى هذه الرواية رسمنا هذا الشاهد. وأخذ أبو نواس معنى البيت الثاني، ولكن لم يتمكن منه إلا في بيتين، ومع ذلك قصر عنه تقصيراً زائداً، فقال:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ منا بمدحة لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

هذا كله عين كلام الخنساء، ولكن فاته وإن أطنبوا في بيت الخنساء، وقولها: وما بلغ المهدون، وكل هذه المبالغات قصر عنها أبو نواس، والفرق بين فأنت الذي نعني، وبين الذي فيك أفضل ظاهر وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى: ﴿**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**﴾(٢) ومنه قول امرىء القيس:

---

(٢) الإسراء، ١٧/٢٣.

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها ويملأ منها كـل حجل ودملج[1]

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع:

أغرّ لا يمنع الـراجلين ما طلبـوا ويمنع الجار من ضيم ومن حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين قوله:

لم ينف ذماً بإيجاب المديح فتى إلا وعـاقدت فيـه الدهـر بالسلم

وبيت بديعيتي:

إيجـابـه بــالعـطايــا ليس يسلبـه ويسلب المن منـه سلب محتشم



(١) هضيم الحشا: دقيقة الخصر ـ الحجل والدملج: الأساور والمجوهرات.

ذكر التقسيم

هــداه تقسيمه حــالي به صلحت حيــاً وميتــاً ومبعــوثــاً مــع الأمم

التقسيم: أوّل أبواب قدامة، وهو في اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزأته، وفي الاصطلاح اختلفت فيه العبارات والكل راجع إلى مقصود واحد، وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين، ليخرج اللف والنشر، هذه عبارة صاحب التلخيص وذكر بعضها في الإيضاح.

وقال السكاكي: هو أن يذكر المتكلم شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم يضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عنده.

ومنهم من قال: هو أن يريد المتكلم متعدداً، أو ما هو في حكم المتعدد، ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين.

وتعجبني بلاغة زكي الدين بن أبي الأصبع؛ فإنه قال: التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾[1] ليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين. ومن لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة، تقديم الخوف على الطمع، إذ كانت الصواعق لا يحصل فيها المطر في أول برقة، ولا يحصل إلا بعد تواتر البرقات، فإن تواترها لا يكاد يكذب، ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة ثم تنتجع، فلا تخطىء الغيث والكلأ، وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله:

وقــد أرد الـميــاه بـغـيــر هــاد سوى عـدي لهـا بـرق الغمــام

(١) الرعد، ١٣/١٢.

فلما كان الأمر المخوف، من البرق، يقع في أول برقة، أتى ذكر الخوف في الآية الكريمة أوّلاً، ولما كان الأمر المطمع إنما يقع من البرق بعد الأمر المخوف، أتى ذكر الطمع في الآية الكريمة ثانياً، ليكون الطمع ناسخاً للخوف، لمجيء الفرج بعد الشدة. ومنه قوله تعالى: **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾**(١) فاستوفت الآية الكريمة جميع الهيئات الممكنات. ومنه قوله تعالى: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾**(٢) فاستوفت الآية الكريمة جميع الأقسام التي يمكن وجودها، فإن العالم جميعه لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة. ومنه قوله تعالى: **﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك﴾**(٣) فالآية الشريفة جامعة لأقسام الزمان الثلاثة، ولا رابع لها، والمراد الحال والماضي والمستقبل فله ما بين أيدينا المراد به المستقبل، وما خلفنا المراد به الماضي، وما بين ذلك الحال.

وفي الحديث النبوي قوله ﷺ: ما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت. ومنه قوله ﷺ: من أقام الصلاة كان مسلماً ومن آتى الزكاة كان محسناً ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً. فإنه صلوات الله عليه استوعب الوصف الذي من الدرجات العليا والوسطى والسفلى. ومنه قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أنعم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره. فإنه استوعب أقسام الدرجات، وأقسام أحوال الإنسان بين الفضل والكفاف والنقص.

ويحكى أن بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان فيهم شاب فقام وتقدم في المجلس وقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون. سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنقت العظم، وفي أيديكم فضول أموال، فإن كانت لنا لا تمنعونا، وإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لكم فتصدقوا إن الله يجزي المتصدقين. قال عمر بن عبد العزيز: ما ترك لنا الأعرابيّ في واحدة عذراً.

ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال: رحم الله من تصدق من فضله، أو واسى من كفاف، أو آثر من قوت. قال الحسن: ما ترك الأعرابيّ في واحدة عذراً.

---

(١) آل عمران، ٣/١٩١.

(٢) فاطر، ٣٥/٣٢.

(٣) مريم، ١٩/٦٤.

ومن النظم قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم[1]

ونقل أبو نواس جد زهير إلى الهزل، فقال:

أمر غدٍ أنت منه في لبس ... وأمس قد فات فاله عن أمس
فإنما الشأن شأن يومك ذا ... فباكر الشمس بابنة الشمس[2]

وقال ابن حيوس، وأجاد في تقسيمه:

ثمانية لم يفترقن جميعها ... فلا افترقت ما ذب عن ناظر شقر[3]
ضميرك والتقوى وكفك والندى ... ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

ومنه قول الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، قدس الله روحه:

يقولون لي صفها فأنت بوصفها ... خبير أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ... ونور ولا نار وروح ولا جسم

وأنشد سيبويه بيتاً بديعاً على هذا الباب، وهو قوله:

فقال فريق القوم لا وفريقهم ... نعم وفريق أيمن الله ما ندري

ويعجبني قول الحماسي في هذا الباب:

وهبها كشيء لم يكن أو كنازح ... عن الدار أو من غيبته المقابر

ويعجبني قول، أبي تمام في مجوسي أحرق بالنار:

صلى لها حياً وكان وقودها ... ميتاً ويدخلها مع الفجار

ومنه قول عمرو بن الأهتم:

اشربا ما شربتما فهذيل ... من قتيل أو هارب أو أسير

وبيت صفي الدين مأخوذ من قول عمرو بن الأهتم:

أفنى جيوش العدا غزواً فلست ترى ... سوى قتيل ومأسور ومنهزم

---

(١) عَمٍ: جاهل.
(٢) ابنة الشمس: من أسماء الخمرة.
(٣) ذبَّ: دافع وحامى - الشَقْر: الأمر المهم.

وبيت العميان في بديعيتهم:

غيثان أما الـذي من فيض أنمله   فـدائم والـذي للمـزن لم يـدم

وبيت الشيخ عز الدين:

تقسيمـه الدهـر يومـاً أمسه كغـد   في الحلم والجود والإيفاء للذمم

قلت: قد تقدم شرح هذا النوع، وتقرر أن الاثنين في التقسيم لا يمكن أن يكون لهما ثالث، والثلاثة لا يجوز أن يكون لها رابع. وقد تقدم في الاثنين قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾[1] وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في المطر. وتقدم في تقسيم الثلاثة قول النبي ﷺ: ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت. ولا رابع لهذه الثلاثة.

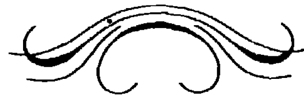
ورأيت باب الزيادة في بيت الشيخ عز الدين مفتوحاً، فإنه يحتمل الحلم والجود وإيفاء الذمم والشجاعة والصبر والقناعة والدين وهلم جراً. وتقدم أن بيت صفي الدين الحلي مأخوذ من بيت عمرو بن الأهتم:

إشـربـا مـا شـربتمـا فهـذيـل   من قتيـل أو هـارب أو أسيـر

فهذه الثلاثة لا تحتمل رابعاً. وكذلك بيت صفي الدين، فإنه مأخوذ من هنا. وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

هـداه تقسيمه حـالي به صلحت   حيـاً وميتـاً ومبعـوثـاً مـع الأمم

وهذه الثلاثة أيضاً لا يمكن أن يكون لها رابع، وهذا النوع ليس في تحصيله على واضعه مشقة زائدة على حذاق الأدب، لا سيما مثل الشيخ عز الدين. والذي أقوله إنه لم تضق عليه المسالك إلا بالتزام التورية في تسمية النوع، والله أعلم.



---

(١) الرعد، ١٣/١٢.

ذكر الإيجاز

أوجز وسل أوّل الأبيات عن مدح فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

هذا النوع، أعني الإيجاز، اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤها كثيراً، فإنهم كانوا إذا قصدوا الإيجاز أتوا بألفاظ استغنوا بواحدها عن ألفاظ كثيرة، كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك. فقولك: أين زيد؟ مغن عن قولك أزيد في الدار أم في المسجد، إلى أن تستقري جميع الأماكن. وقولك: من يقم أقم معه، مغن عن: إن يقم زيد أو عمرو أقم معه. وما بالدار من أحد، مغن عن قولك: ليس فيها زيد ولا عمرو. فغالب كلام العرب مبني على الإيجاز والاختصار، وأداء المقصود من الكلام بأقل عبارة.

وهذا النوع على ضربين: إيجاز قصر، وإيجاز حذف. **فإيجاز القصر**: اختصار الألفاظ، وهو كقوله تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾**[1] فهذا اللفظ الوجيز المعجز المختصر، غاية في الإيجاز والإيضاح والإشارة والكناية والطباق وحسن البيان والإبداع ومنه قوله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾**[2] وعظ في ذلك بألطف موعظة، وذكر بألطف تذكرة، واستوعب جميع أقسام المعروف والمنكر، وأتى بالطباق اللفظي والمعنوي، وحسن النسق والتسهيم، وحسن البيان والإيجاز، وائتلاف اللفظ ومعناه، والمساواة وصحة المقابلة وتمكين الفاصلة. ومن ذلك قول الشاعر:

يـا أيهـا المتحلي دون شيمتـه إن التخلق يـأتي دونـه الـخلق

(١) البقرة، ٢/١٧٩.
(٢) النمل، ١٦/٩٠.

وإيجاز الحذف: عبارة عن حذف بعض لفظه، لدلالة الباقي عليه، كقوله تعالى: ﴿**وسئل القرية التي كنا فيها**﴾[1] وكقول الشاعر:

ورأيت زوجك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحا

أي ومعتقلاً رمحاً. ومثله قول الشاعر: علفتها تبناً وماء بارداً.
أي وسقيتها ماء بارداً.

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على الإيجاز:

واستخدم الموت ينهاه ويأمره ... بعزم مغتنم في زي مغترم

تقديره بعزم رجل مغتنم، ومثله في زي مغترم، ولكنه ما تحته في بلاغة الإيجاز كبير أمر.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وقول الشيخ عز الدين:

وسل زمانك تلف الكتب راوية ... إيجاز معنى طويل الذكر مرتسم[2]

الشيخ عز الدين إيجازه: وسل زمانك، أي أهل زمانك، وأما بقية البيت فلا أفهم له معنى، فإن البيت الذي قبله متعلق بمدح النبي ﷺ، ماشٍ في أثر الأبيات التي قبله، وأما رواية الكتب لإيجاز هذا المعنى الطويل المرتسم، فإنه نوع من المعميات، والله أعلم.

وأما بيت بديعيتي فهو قولي عن النبي ﷺ:

أوجز وسل أول الأبيات عن مدح ... فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

الضمير في لفظة فيه عائد إلى النبي ﷺ، والإيجاز البديع البليغ الغريب في قولي: وسل أول الأبيات، فإنه إشارة إلى أول بيت وضع للناس، والإيجاز الثاني في قولي: وسل مكة أي وسل أهل مكة، فهذا البيت المبارك فيه إيجازان بليغان، وفيه التورية بتسمية النوع، وفيه المناسبة البديعة بين مكة والبيت والحرم، ومراعاة النظير أيضاً بين الإيجاز والمدح والإثبات، وفي الأبيات تورية أخرى، ونوع التمكين في القافية ظاهر.

---

(١) يوسف، ١٢/٨٢.
(٢) تَلْفَ: تجد.

ذكر المشاركة

بالحجر ساد فلا ند يشاركه ... حجر الكتاب المبين الواضح اللقم[1]

هذا النوع، أعني الاشتراك، جعله ابن رشيق وابن أبي الأصبع ثلاثة أقسام: قسمان منها من العيوب والسرقات، وقسم من المحاسن: وهو أن يأتي الناظم في بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكاً أصلياً، أو فرعياً، فيسبق ذهن سامعها إلى المعنى الذي لم يرده الناظم، فيأتي في آخر البيت بما يؤكد أن المقصود غير ما توهمه السامع، كقول كثير عزة:

وأنت الذي حببت كل قصيرة ... إليَّ ولم تعلم بذاك القصائر[2]

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد ... قصار الخطا شر النساء الحباتر[3]

فإنه أثبت في البيت الثاني ما أزال به وهم السامع من أنه أراد القصار مطلقاً، وقد يلتبس الاشتراك بالتوهيم على من لا يحققه، والفرق بينهما أن الاشتراك لا يكون إلا باللفظة المشتركة، والتوهيم يكون بها وبغيرها من تحريف أو تصحيف أو تذييل، والفرق بينه وبين الإيضاح أن الإيضاح في المعاني خاصة، لا تعلق له بالألفاظ، وهذا نوع اشتراك اللفظة. وبيت الشيخ صفي الدين على هذا النوع قوله:

شيب المفارق يروى الضرب من دمهم ... ذوائب البيض بيض الهند لا اللمم

(١) اللقم: الطريق والنهج.

(٢) القصائر: النساء المقصورات في خدورهن.

(٣) الحَبَاتر: القصار. مفردها حُباتر وحبتر.

هذا البيت الاشتراك فيه بين البيض، فلولا بيض الهند التي ترشح بها جانب السيوف، بذكر الهند، لسبق ذهن السامع إلى أنه أراد الذوائب البيض، ولكن بيت الشيخ صفي الدين لم يخل من بعض عقادة.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي:

وللغزالة تسليم به اشتركت مع التي هي ترعى نرجس الظلم

هذا البيت يصلح أن يعد من باب الإشارة في الجناس المعنوي، فإن الشيخ عز الدين أضمر أحد الركنين وأظهر الآخر، وهذا حد جناس الإشارة من المعنوي، فإنه ذكر الغزالة في أول البيت وأضمر الغزالة الشمسية في الشطر الثاني، وهذا النوع تقدم تقريره، ولو صرح الشيخ عز الدين في الشطر الثاني بلفظة الغزالة، وذكر معها الإشراق والنور بحيث يزيل وهم السامع أن المراد الغزالة الوحشية، ويتحقق أن المراد الغزالة الشمسية، أو بالعكس، كان نوع الاشتراك في بيته خالصاً، مع ما فيه من النظر، وهو أن كلاً من الغزالتين سلم على النبي ﷺ، ولكنه أظهر لفظ الغزالة الثانية، فتحتم أنه صار جناساً معنوياً، ولعمري إنه أحسن من بيته الذي استشهد فيه على الجناس المعنوي في أول بديعيته:

وكافر نعم الإحسان في عذل كظلمة الليل عن ذا المعنوي عمي

فإنه أظهر في أول البيت لفظة كافر، والليل يسمى كافراً، فأضمر لفظة كافر الذي هو الليل، وتالله إن بيته الذي نظمه شاهداً على نوع الاشتراك يستحق الجناس المعنوى، استحقاقاً ذوقياً وهو أسجم من هذا البيت وأرق للمعنى وأوقع في الأسماع. وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

بالحجر ساد فلا ند يشاركه حجر الكتاب المبين الواضح اللقم

هذا البيت يجب أن يعتمد عليه في هذا النوع، ولا يخفى على أهل الذوق السليم ما في تركيبه. والعميان ما نظموه في بديعيتهم. وبيت عز الدين تقرر أن الجناس المعنوي أحق به، واشتراك بيتي في لفظة الحجر، فإني قلت في أول بيتي بالحجر ساد وهذه اللفظة مشتركة بين العقل وسورة الحجر، فلما قلت في الشطر الثاني: حجر الكتاب المبين، زال الالتباس عن السامع وعلم المراد، وترشح عنده جانب السورة المنزلة على الممدوح فيه ﷺ.

ذكر التصريع

تصريع أبواب عدن يوم بعثهم ... يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم

هذا النوع، أعني التصريع: هو عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت، وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب، وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد، وفي وسطها ربما تمجه الأذواق والأسماع. وهذا وقع في معلقة امرىء القيس فإنه صرع المطلع بقوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

وقال في أثناء هذه القصيدة:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

قلت: وعلى كل تقدير، ليس في نوع التصريع كبير أمر حتى يعد من أنواع البديع، ولكن القوم كلما تغالوا في الرخص رغبوا في الكثرة. وبيت الشيخ صفي الدين الحلي:

لاقاهم بكماة عند كرهم ... على الجسوم دروع من قلوبهم[2]

والعميان ما نظمره. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي:

لا زال بالعزمات العز والهمم ... يصرع الضد بالتشطير في القمم

---

(١) سقط اللوى والدَّخول وحومل: أسماء أماكن في الصحراء.

(٢) الكماة: الأبطال الشجعان.

وبيت بديعيتي أشير فيه إلى النبي ﷺ:

تصريع أبواب عدن يوم بعثهم يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم

أنظر أيها المتأمل المنصف إلى بديع التورية وترشيحها، عند ذكر الأبواب بالفتح، هو فتوح في هذا الباب، مع سهولة التركيب، وحسن الانسجام، وتمكين القافية.



ذكر الاعتراض

فلا اعتراض علينا في محبته ... وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

هذا النوع، أعني الاعتراض، هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين، تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم. ومنهم من سماه الحشو، وقالوا في المقبول منه: حشو اللوزينج، وليس بصحيح، والفرق بينهما ظاهر، وهو أن الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم، والحشو إنما يأتي لإقامة الوزن لا غير. وفي الاعتراض من المحاسن المكملة للمعاني المقصودة ما يتميز به على أنواع كثيرة، ومن معجزه في القرآن: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[2] ومن الشواهد الشعرية قول بعضهم:

إن الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

فقوله: وبلغتها، من الاعتراضات التي زادت المعنى فائدة في غرض الشاعر، وهو الدعاء للمخاطب، وأمثلته كثيرة، وبيت الشيخ صفي الدين الحلي يقول فيه عن النبي ﷺ.

فإن من أنفذ الرحمن دعوته ... وأنت ذاك لديه الجار لم يضم[3]

---

(١) البقرة، ٢/٢٤.

(٢) الواقعة، ٥٦/٧٦.

(٣) أنفذ: : جح - يضم: يصاب بالضيم وهو الضيق والهوان.

فقوله: وأنت ذاك ، هو الاعتراض بعينه ، فإنه زاد المعنى. وسماه قدامة التفاتاً، وهو قريب.

والعميان ما نظموه. وبيت الشيخ عز الدين:

فلا اعتراض علينا في السؤال به أعني الرسول لكي ننجو من الضرم[1]

فقول الشيخ عز الدين: أعني الرسول، هو الاعتراض الذي أراده. وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

فلا اعتراض علينا في محبته وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

فقولي، بين الكلامين: هو الشفيع، هو الاعتراض البديع المتمكن، فإن في قول عز الدين: أعني الرسول، ركة تدل على ضعف التركيب، وكذلك قول الشاعر في مخلص مديحه: أعني فلاناً، يدل على ضعف رويته وقلة تصرفه، فإنهم عدوا ذلك من المخالص الواهية، ولم يجنح إليه إلا عوام أهل الأدب، ومثل الشيخ عز الدين ينتقد عليه ذلك والله أعلم.



(١) الضرم: النار والاحتراق بها.

ذكر الرجوع

وما لنا من رجوع عن حماه بلى　　　لنا رجوع عن الأوطان والحشم[1]

هذا النوع، أعني الرجوع، ذكره ابن المعتز وأبو هلال العسكري، وسماه بعضهم استدراكاً واعتراضاً، وليس بصحيح. قال القاضي جلال الدين القزويني في «التلخيص والإيضاح»: هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة، كقول زهير:

قف بالديار التي لم يعفها القدم　　　بلى وغيرها الأرواح والديم[2]

والنكتة فيه، كأنه لما وقف بالديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير، فقال لم يعفها القدم، ثم رجع إلى عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس، فقال بلى عفت، وعليه بيت الحماسة:

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها　　　إليك وكل ليس منك قليل

ويعجبني هنا قول أبي البيداء:

وما لي انتصار إن غدا الدهر جائراً　　　عليَّ بلى إن كان من عندك النصر

وأما من سمى هذا النوع استدراكاً واعتراضاً، فتسميته غير صحيحة، والذي أقول: إن هذا الرجوع لا فرق فيه بين السلب والإيجاب، وقد تقدم قول أبي هلال العسكري: إن السلب والإيجاب هو أن يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة، وإثباته من جهة

---

(١) الحشم: العيال والأهل والتابعون.

(٢) يعفها: يبلها ـ القِدَم: العِتَق ـ الأرواح: الرياح ـ الديم: الأمطار.

أخرى. وقال القاضي جلال الدين: الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض، وكل من التقريرين لائق بالنوعين، وللمتأمل أن ينظر في ذلك ليحسن ذوقه.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي:

أطلتها ضمن تقصيري فقام بها عذري وهيهات إن العذر لم يقم

وبيت العميان:

قلوا ببدر ففلوا غرب شانئهم به وما قل جمع بالرسول حمي(١)

وبيت الشيخ عز الدين:

رمت الرجوع عن الأمداح أنظمها سوى مديح سديد القول محترم(٢)

قلت: ليس في بيت الشيخ عز الدين رجوع، إلا عن حشمة الألفاظ وفخامتها في مديح النبي ﷺ، فإن قوله: سديد القول، دون من أنزل الله القرآن في أوصافه.

ويعجبني قول ابن نباتة في لاميته:

ماذا عسى الشعراء اليوم مادحة من بعد ما مدحت حم تنزيل(٣)

وأيضاً، فإنه كان يجب على الشيخ عز الدين أن يقول في النوع البديعي، الذي هو الرجوع: رجعت عن الأمداح، حتى يصح النقض في الشطر الثاني، وإنما قال: رمت، كأنه يرى أن يرجع. وعلى الجملة، فالبيت قاصر من كل وجه.

وبيت بديعيتي أشير فيه إلى النبي ﷺ بقولي:

وما لنا من رجوع عن حماه بلى لنا رجوع عن الأوطان والحشم

هذا البيت لم يحتج إلى إطلاق عنان القلم في ميادين الطروس، بوصف ما فيه من المحاسن، إذ في مدح أهل الذوق، من علماء هذا الفن، ما يغني عن ذلك والله أعلم.

---

(١) فلوا: قطعوا والغرب: العزيمة والقوة ـ الشانىء: العدو المبغض ـ حُمي: إحتمى.

(٢) رام: طلب وأراد ـ سديد القول: صائبه.

(٣) حم تنزيل: من سور القرآن الكريم وفيها مدح للنبي محمد ﷺ.

ذكر الترتيب

تـرتب الحيـوانـات السـلام لـه والنبت حتى جماد الصخر في الأكم[1]

هذا النوع، أعني الترتيب، من استخراجات التيفاشي، ذكره في كتابه وسماه بهذا الاسم، وقال: هو أن يجنح الشاعر إلى أوصاف شتى في موضوع واحد، أو في بيت وما بعده على الترتيب، ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية، ولا يدخل الناظم فيها وصفاً زائداً عما يوجد علمه في الذهن أو في العيان، كقول مسلم بن الوليد:

هيفـاء في فرعهـا ليل على قمـر على قضيب على حقف النقا الدهس[2]

فإن الأوصاف الأربعة على ترتيب ُخلقة الإنسان، من الأعلى إلى الأسفل.

وبيت صفي الدين الحلي:

كالنار منه رياح الموت إن عصفت روى صرى مائه أرض الوغى بدم[3]

ترتيب بيت صفي الدين على العناصر الأربعة، وهي الماء والنار والهواء والتراب.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين:

لـه المـلائـك والإنسـان أجمعهم والجن والوحش في الترتيب كالخدم

---

(١) الأكم: التلال والأمكنة المتكاثفة الأشجار.

(٢) حقف النقا: كثيب الرمل ـ الدهس: غير الصافي. أي الممزوج بالتراب وغيره.

(٣) الصرى: المحبوس والمجتمع في مكان ما ـ الوغى: الحرب.

هذا البيت، ذكر الشيخ عز الدين في شرحه أنه على ترتيب المخلوقات: الملائك والإنس والجن والوحش، ولكن وضع هذا الترتيب غير منتظم على ما قرره التيفاشي.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

ترتب الحيوانات السلام له والنبت حتى جماد الصخر في الأكم

معلوم أن الموجودات ثلاثة، وهي حيوان ونبات وجماد، والثلاثة على ترتيب خلقة الإنسان من الأعلى إلى الأسفل، فإذا قلنا: جسم نام، خرج الجماد لانه لا ينمو، وإذا قلنا: جسم نام متحرك بإرادته، خرج النبات، وإذا قلنا: جسم نام متحرك بإرادته ناطق، خرج باقي الحيوان وبقي الإنسان، وهذا حده. والله أعلم بالصواب.



ذكر الاشتقاق

محمد أحمد المحمود مبعثه   كل من الحمد تبيين اشتقاقهم

هذا النوع، أعني **الاشتقاق**، استخرجه الإمام أبو هلال العسكري، وذكره في آخر أنواع البديع من كتابه المعروف «بالصناعتين»، وعرفه بأن قال: هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى، في غرض يقصده، من مدح أو هجاء أو غيره، كقول ابن دريد في نفطويه:

لو أوحي النحو إلى نفطويه   ما كان هذا العلم يعزى إليه
أحرقه الله بنصف اسمه   وصير الباقي صياحاً عليه [1]

وهذا النوع، ما ذكره القاضي جلال الدين القزويني في «التلخيص» ولا في «الإيضاح»، ولا ذكره الشهاب محمود في «حسن التوسل»، ولا نظمته العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات، غير الشيخ صفي الدين الحلي، وبيت بديعيته، التي ذكر أنه جمعها من سبعين كتاباً، قوله:

لم يلق مرحب منه مرحباً ورأى   ضد اسمه عند هدّ الحصن والأطم [2]

الشيخ صفي الدين اشتق من اسم مرحب، الترحاب، حتى يقابله بضده، وهذا هو الغرض الذي أراده الناظم، وبيت الشيخ عز الدين في المعارضة قوله:

---

(١) ذلك آن النصف الأول لاسمه هو: نفط ومعناه البترول تلك المادة المشتعلة. والنصف الآخر: ويه وهي للندبة.

(٢) الأطم: الحصون ـ ومرحب هو الفارس اليهودي الذي قتله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوم فتح حصن خيبر

ميم وحا في اشتقاق الاسم محوُ عِدا والميم والدال مد الخير للأمم

هذا البيت يشق عليّ أن أشرح اشتقاقه، وأذكر ما فيه من التعسف والزيادة، وعدم القبول للتجريد، فإنه أراد أن يمشي على طريق ابن دريد في الاشتقاق، فلم يأت بغير الشقاق، وما ذاك إلا أن اسم نفطويه سداسي، قسمه الناظم في الاشتقاق نصفين: جعل النصف الأول نفطاً، والثاني صياحاً، وهذا الاشتقاق صحيح على هذا التفصيل، وقالوا هو في محمد رباعي من أين للشيخ عز الدين، غفر الله له، هذا حتى تصح معه لفظة محو، مع أني راجعت شرحه فوجدته قال: الميم والحاء، من اسم محمد ﷺ، فيهما محو لأعدائه، وأيضاً فلم نجد أحداً استشهد، في بيت من بيوت بديعيته وصدّر بيته، بقوله: ميم وحا في اشتقاق الاسم محو عدا، إلا الشيخ عز الدين، فإن المراد من بيت البديعية أن يكون صالحاً للتجريد خالياً من العقادة، ليصح الاستشهاد به على ذلك النوع.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ :

محمد أحمد المحمود مبعثه كل من الحمد تبيين اشتقاقهم

قد تقدم تقرير أبي هلال العسكري، في هذا النوع، وهو أن يشتق المتكلم معنى لغرض يقصده. والغرض هنا، إن كلاً من محمد وأحمد وصفتهما المحمودة مشتق من الحمد، وشرف هذا المدح ظاهر. والله أعلم.



وَوصفه لابنه قد جاء تسمية فإنه حسن حسب اتفاقهم

ذكر الاتفاق

الاتفاق: عزيز الوقوع جداً، وهو أن تتفق للشاعر واقعة وأسماء مطابقة لتلك الواقعة تعلمه العمل في نفسها، إما بالمشاهدة؛ أو بالسماع، فإن السبق إلى معاني الوقائع، يشترك الناس في مشاهدتها وفي سماعها فضل لا يجحد، وإن حصل للشاعر في ذلك قران سعادة، سارت الركبان بقوله، وترنم الحادي والملاح به، كما اتفق للرضي بن أبي حصينة المصري، في حسام الدين لؤلؤ صاحب الملك الناصر، يوسف، حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزمن، فظفر الحاجب بهم فقال ابن أبي حصينة يخاطبُ الفرنج:

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه والدر في البحر لا يخشى من الغير

وأحسن من ذلك وأبدع، ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي، الواعظ، في الوزير مؤيد الدين العلقمي حيث قال:

يا عصبة الإسلام نوحي والطمي حزناً على ما حل بالمستعصم
دَستُ الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي[1]

فاتفق أن المذكورين كانا وزيرين، وأن المورى بهما [الفرات والعلقمي] نهران معروفان، وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر.

---

(١) دَست الوزارة: منصبها.

ومنه قول ابن الساعاتي، وقد حضر الملك الناصر بيت يعقوب من حصون الشام، يخاطب الفرنج: دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف.

ومنه قول ابن أبي الأصبع، وقد اجتمع الملك الأشرف موسى بالملك الظاهر، وهو الخضر بن يوسف بن أيوب:

غدا مجمع البحرين شاطي فراتنا ألم تر موسى فيه قد لقي الخضرا

واتفق لي مع الملك ما يناسب هذه الاتفاقات البديعية، فإني أنشدته، وقد كسر النيل في شهر مسرى، وبلغه في يوم الكسران نوروز قد وصل من الشام إلى غزة، وقصد الديار المصرية، فقلت:

أيـا ملكـاً بـالله أضحى مؤيـداً ومنتصبـاً في ملكـه نصب تمييـز
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضي وحقك بعد الكسر أيام نيـروز[1]

الاتفاق البديع الغريب، في هذا البيت، أن كسر نوروز بعد كسر مسرى، ويسميه المصريون: الكسر النيروزي، ولم يبق بعده كسر. واتفق لي نظير ذلك بالحضرة المؤيدية وهو أن المقر التاجي، نائب السلطنة الشريفة، نقل عنه إلى المسامع الشريفة كلام، فثبت فيه براءته فأنشدته الحضرة الشريفة المؤيدية ما حصل به للخواطر الشريفة الرضا الزائد، وهو قولي:

سبـع وجـوه لـتـاج مـصـر تقـول مـا في الـوجـوه شبهي
وعنـدنـا ذو الـوجـوه يُهجى وأنـت تـاج بـفـرد وجـه

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع:

ومن غدا اسم أمـه نعتـاً لأمتـه فتلك آمنـة من سـائـر الـنقـم

اتفاق هذا البيت في اشتراك لفظي آمنة وآمنة. والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم.

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

محمـد واسمـه بـالاتفـاق لـه وصف يشـاكله في اسمـه العلم

وبيت بديعيتي، أقول فيه عن النبي ﷺ، وأذكر فيه وصفه الشريف لابنه الحسن[2]

---

(١) المسرى: المجرى ـ النيروز: عيد الربيع عند الإيرانيين ويصادف رأس السنة الفارسية.
(٢) الحسن والحسين عليهما السلام هما ابنا علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن النبي محمداً ﷺ

رضي الله عنه:

ووصفه لابنه قد جاء تسمية فإنه حسن حسب اتفاقهم

اتفاق هذا البيت في اشتراك لفظي: حسن وحسن الوصف، هو أن النبي ﷺ أشار إلى الحسن رضي الله عنه، وقال: إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. اهـ.



= كان يقول إنهما إبناه إشعاراً للمسلمين بقربهما له وبأنهما من ورثته فهما ابنا بنته فاطمة الزهراء عليها السلام والتي كان يقول فيها: فاطمة بضعة مني،... وفاطمة أم أبيها.. من أغضبها فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله.

ذكر الإبداع

إبداع أخلاقه إبداع خالقه ... في زخرف الشعر فاسجع بها و هِمِ [1]

الإبداع: هو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد بعدة أنواع، أو في القرينة الواحدة من النثر وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإبداع، كقوله تعالى: **﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾**[2]. هذه الآية الشريفة استخرج منها زكي الدين بن أبي الأصبع أنواعاً كثيرة من البديع منها: المناسبة التامة بين ابلعي وأقلعي، والمطابقة اللطيفة بين الأرض والسماء، والمجاز في قوله: ويا سماء، ومراده مطر السماء، والاستعارة في قوله: أقلعي، والإشارة في قوله تعالى: وغيض الماء، فإنه بهاتين اللفظتين عبر عن معان كثيرة، والتمثيل في قوله تعالى: وقضي الأمر، فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ الموضوع له، والإرداف في قوله تعالى: واستوت على الجودي، فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى، والتعليل، لأن قوله تعالى: غيض الماء، علة الاستواء، وصحة التقسيم، إذ قد استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه، والاحتراس، في قوله تعالى: وقيل بعداً للقوم الظالمين، إذ الدعاء عليهم مشعر بأنهم مستحقون الهلاك، احتراساً من ضعيف يتوهم أن الهلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق، فأكد بالدعاء على المستحقين، والمساواة، لأن لفظ الآية الشريفة لا يزيد على معناها، وحسن النسق، لأنه سبحانه وتعالى قص القصة،

---

(١) هِم: أمر من هام يهيم أي أحب حباً شديداً.

(٢) هود، ١١/٤٤.

وعطف بعضها على بعض، بحسن ترتيب، وائتلاف المعنى، لأن كل لفظة لا يصلّح معها غيرها، والإيجاز، لأنه سبحانه وتعالى قص القصة بأقصر عبارة، والتسهيم، لأنه من أول الآية إلى قوله: أقلعي، يقتضي آخرها، والتهذيب، لأن مرادات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، وعليها رونق الفصاحة لسلامتها من التعقيد والتقديم والتأخير، والتمكين، لأن الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها، والانسجام، وهو تحدر الكلام بسهولة، كما ينسجم الماء، وباقي مجموع الآية الشريفة هو الإبداع الذي هو المراد هنا، مع تكرار الأنواع البديعية.

وسهوت عن تقديم حسن البيان، وهو أن السامع لا يتوقف في معرفة معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء من هذه النظائر، وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على الإبداع قوله:

ذل النضار كما عز النظير لهم بالفضل والبذل في علم وفي كرم[1]

الشيخ صفي الدين في بيته من أنواع البديع: التجنيس، والتسجيع، واللف والنشر، والكناية عن الكرم، في قوله: ذل النضار، وائتلاف المعنى مع المعنى.

والعميان ما نظموا هذا في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي ذكر فيه ستة عشر نوعاً، ما أمكن العبد استيعابها، وتركته لحذاق الأدب، وهو قوله:

كم أبدعوا روض عدل بعد طولهم وأترعوا حوض فضل قبل قولهم

وبيت بديعيتي، أقول فيه عن النبي ﷺ:

إبداع أخلاقه إبداع خالقه في زخرف الشعر فاسجع بها وهم

الشطر الأول من هذا البيت مشتمل على: التورية، وعلى جناس التصحيف، وعلى الجناس المطلق، وعلى الترصيع، والمماثلة، والتسجيع، وائتلاف المعنى مع المعنى، والسهولة. والشطر الثاني فيه: التورية، ومراعاة النظير، والاعتراض، والانسجام ظاهر في البيت بكماله، والإبداع الذي هو المراد هنا، والله أعلم.

---

(١) النضار: الجود والكرم.

ذكر المماثلة

فـالخيـر مـاثله والعفـو جـاوره ... والعدل جانسه في الحكم والحكم

هذا النوع، أعني **المماثلة**: هو أن تتماثل ألفاظ الكلام، أو بعضها، في الزنة دون التقفية، كقوله تعالى: **﴿والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إن كل نفس لما عليها حافظ﴾**[1] وقد تأتي بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد، لأن التقفية في هذا الباب غير لازمة، كقول امرىء القيس:

كـأن المـدام وصـوب الغمـام ... وريـح الخـزامى ونشـر العـطر

وأما الشاهد الذي هو على أصل هذا الباب في الزنة دون التقفية، فكقول الشاعر:

صـفـوح صبـور كـريـم رزيـن ... إذا مـا العقـول بـدا طيشهـا[2]

والفرق بين المماثلة والمناسبة توالي الكلمات المتزنة وتفرقها في المناسبة، قلت: هذا النوع، أعني المماثلة، ما تستحق عقود أنواع البديع، بسموها، أن ينتظم النوع السافل في أسلاكها، وما أعلم وجه الإبداع فيه ما هو، ولا نرى من استخراجه وعده بديعاً غير الكثرة، وقد حسن أن أنشد ههنا:

* وكثر فارتابت ولو شاء قلّلا *

وبالله ما اختلج في فكري من حين تأدبت أن أرصعه في قصيدة من قصائدي، ولكن حكم المعارضة أوجب ذلك.

---

(١) الطارق، ٨٦/١-٤.

(٢) الصفوح: المتسامح المتساهل - الرزين: الوقور العاقل.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي:

سهل خلائقه صعب عرائكه ... جم غرائبه في الحكم والحكم[1]

والعميان ما نظموا. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي:

يبدي مماثلة يعطي مناسبة ... يجزي مجانسة في الكلم والكلم

وبيت بديعيتي:

فالخير ماثله والعفو جاوره ... والعدل جانسه في الحكم والحكم



(١) العرائك: جمع عريكة وهي العِشرة والمعاملة ـ جم: كثير.

ذكر حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي

الحق بحصـر جميـع الأنبيـاء بـه	فـالجـزء يلحق بـالكلي للعـظم

هذا النوع الغريب اخترعه الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع، وهو أن يأتي المتكلم إلى نوع فيجعله، بالتعظيم له، جنساً، بعد حصر أقسام الأنواع فيه والأجناس، كقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾ (١) فإنه سبحانه وتعالى يعلم ما في البر والبحر، من أصناف الحيوانات والجماد حاصر الجزئيات المولدات، فرأى الاقتصار على ذلك لا يكمل به التمدح، لاحتمال أن يظن ضعيف أنه جلّ جلاله بعلم الكليات دون الجزئيات، فإن المولدات وإن كانت جزئيات بالنسبة إلى جملة العالم، فكل واحد منها كلي بالنسبة إلى ما تحته من الأجناس والأنواع والأصناف، فقال، لكمال التمدح: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ (٢). وعلم سبحانه وتعالى أن علم ذلك يشاركه فيه كل ذي إدراك، فتمدّح بما لا يشاركه فيه أحد فقال عز من قائل: ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ (٣) ثم ألحق هذه الجزئيات بالكليات فقال: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (٤) وأمثاله من النظم قول الشاعر:

إليك طوى عرض البسيطة جاعل	قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي	ثـلاثة أشباه كمـا اجتمـع النسـر
فبشـرت آمالي بملك هـو الورى	ودار هي الدنيا ويـوم هو الـدهر

(١) الأنعام، ٦/٥٩.
(٢) الأنعام، ٦/٥٩.
(٣) الأنعام، ٦/٥٩.
(٤) الأنعام، ٦/٥٩.

المراد من النوع، البيت الثالث، فإن الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التي قصد فيها، ومدح يومه الذي لقيه فيه، فجعل الممدوح جميع الورى، وجعل داره الدنيا، ويومه الدهر، فجعل الجزء كلياً بعد حصر أقسام الجزئي، أما جعله الجزئي كلياً فلأن الممدوح جزء من الورى، والدار جزء من الدنيا، واليوم جزء من الدّهر. وأما حصر أقسام الجزئي، فلأن العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان، وقد حصر ذلك، وهذا النوع صعب المسالك في نظمه، عزيز الوقوع والتحصيل، وقد فر العميان من نظمه.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه:

شخص هو العالم الكلي في شرف ونفسه الجوهر القدسي في عظم

الشيخ صفي الدين جعل الجزئي كلياً فقط، وهو القسم الأول، لكون الواحد لا يسع جميع القيود. وبيت الشيخ عز الدين:

فألحق الجزء بالكلي منحصراً إذ دينه الجنس للأديان كلهم

هذا البيت ما وجدت فيه للكلام فسحة لأمور، وبيت بديعيتي:

ألحق بحصر جميع الأنبياء به فالجزء يلحق بالكلي للعظم

النبي ﷺ صالح أن يكون هنا كلياً، العلوّ مقداره وعظمه، فقولي عن الأنبياء: فالجزء يلحق بالكلي للعظم، لا يخفى ما فيه من المبالغة والمغالاة في وصف الممدوح ﷺ، هذا مع تحرير هذا النوع الذي يدق عن أفهام كثيرة، وإيضاحه مع التورية باسمه، وسهولة تركيبه وانسجامه، وما أعلم له في هذا الباب نظيراً، وما أوضحه وزاده طلاوة وحسناً إلا تشريفه بالمديح النبوي.



ذكر الفرائد

وشم وميض بروق من فرائده وانظم حنانيك عقداً غير منفصم

الفرائد: نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة، لأن المراد منه أن يأتي الناظم، أو الناثر، بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها، بحيث أن تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها، كقوله تعالى: **﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾**[1] قوله تعالى: الرفث، فريدة لا يقوم غيرها مقامها، وكقوله تعالى: **﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾**[2] فقوله سبحانه وتعالى: أهش بها على غنمي، فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها، ومنه قول عنترة في معلقته:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

فعمي صباحاً، فريدة في مكانها. وروي أن أبا ذر أتى النبي ﷺ فقال: عم صباحاً، فقال النبي ﷺ: إن الله قد أبدلني ما هو خير منها. فقال: ما هي؟ قال: السلام.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي:

ومن له جاور الجزع اليبيس ومن بكفه أورقت عجزاء ذي سلم[3]

---

(١) البقرة، ٢/١٨٧.

(٢) طه، ١٠/١٨.

(٣) الجزع: الخرز الأسود والأبيض من العقيق ـ العجزاء: العصا أو بقية الشجرة ـ وذي سلم: في نسخة: من سلم.

الفريدة في بيت الحلي هي العجزاء، والعجزاء هي العصا المعقدة.

والعميان ما نظموا هذا النوع. وبيت الشيخ عز الدين:

كم حصحص الحق إذ وافت فرائده وفي الوطيس بدا ثبتاً بلا برم [1]

الفريدة في بيت الشيخ عز الدين هي لفظة الوطيس، وأما برم فما أبرم فيها أمراً.

وبيت بديعيتي أقول فيه، وأنا مستمر على خطابي لمن رام مديح النبي ﷺ، فإني قلت في البيت الذي قبله:

ألحق بحصر جميع الأنبياء به فالجزء يلحق بالكلي للعظم

وقلت بعده في الفرائد:

وشم وميض بروق من فرائده وانظم حنانيك عقداً غير منفصم [2]

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي شم وحنانيك ومنفصم والوميض صالح لذا، والله أعلم بالصواب.



---

(١) حصحص الحق: ظهر وبان ـ الوطيس: احتدام المعارك ـ الثبت: الشجاع الذي يثبت في المعركة ـ البرم: التذمر.

(٢) شم: أمر من شام: طلب ـ الوميض: اللمعان ـ حنانيك: رحمك الله ـ منفصم: منقطع

ذكر الترشيح

يس زادت على لقمان حكمته   وبان ترشيحه في نون والقلم

هذا النوع، أعني الترشيح: هو أن يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن، حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك، كقول التهامي في مرثيته المشهورة:

وإذا رجوت المستحيل فإنما   تبني الرجاء على شفير هار (١)

فلولا ذكر الشفير، لما كان في الرجاء تورية برجا البئر، ولكان من رجوت الأمر، لقوله أولاً: وإذا رجوت المستحيل. قلت: وهذا النوع تقدم ذكره، في باب التورية المرشحة، وقد تقدم أيضاً أن التورية أربعة أنواع: مجردة ومرشحة ومهيأة ومبينة، فالمرشحة هي التي يذكر فيها لازم من لوازم المورى به قبل لفظ التورية أو بعده، وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر لازم المورى به، وتقدم هذا في باب التورية المرشحة، ولكن ذكروا في تكرير الترشيح هنا فائدة لم يكن لمكررها حلاوة، وهي إذا قيل: ما الفرق بين التورية والترشيح، وقد جعلت مثاليهما واحداً؟ قلت: الفرق بينهما من وجهين: أحدهما من أنواع البديع ما لا يحتاج إلى ترشيح، وهي التورية المجردة المحضة، والثاني أن الترشيح لا يختص بالتورية دون بقية الأبواب، بل يعم المطابقة والاستعارة وغيرهما، في كثير من الأبواب، ألا ترى إلى قول أبي الطيب المتنبي:

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه   يا جنتي لرأيت فيه جهنما

---

(١) الرجاء: للبئر، الناحية. والأمل ـ الشفير: الحرف، والجنب، والناحية ـ الهار: الموشك على السقوط والخراب.

فإن قوله: يا جنتي، رشحت لفظة جهنم للمطابقة، ولو قال مكانها: يا منيتي، لم يكن في البيت مطابقة البتة، وأما ترشيح الاستعارة، فكقول بعض العرب:

إذا ما رأيت النسر عزى ابن دأية   وعشش في وكريه طارت له نفسي

فإنه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهما في البياض، وشبه الشعر الأسود بابن دأية، وهو الغراب، لاشتراكهما في السواد، واستعار التعشش من الطائر للشيب، لما سماه نسراً، ورشح به إلى ذكر الطيران الذي استعاره لنفسه من الطائر، فقد ترشح باستعارة الى استعارة، ولولا خشية الإطالة لذكرت ترشيح التشبيه، وترشيح غيره من الأنواع.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي يقول فيه عن النبي ﷺ:

إن حل أرض أناس شد أزرهم   بما أباح لهم من حط وزرهم[1]

لفظة شد، في البيت، للشيخ صفي الدين، رشحت لفظة حل، للمطابقة، ولو أبقاها على حالها في معنى الحلول، لم يكن في البيت مطابقة البتة.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله:

في الفتح ضم من الأنصار شملهم   جبراً لكسر بترشيح من الرحم

الترشيح في بيت الشيخ عز الدين ظاهر، فإنه رشح الفتح للتورية بصريح الضم، ورشح الضم للتورية بذكر الكسر.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

يس زادت على لقمان حكمته   وبان ترشيحه في نون والقلم

فذكر لقمان رشح يس للتورية، وذكر نون والقلم رشح لقمان للتورية، والفرق بين قولي: وبان ترشيحه في نون والقلم، وبين قول الشيخ عز الدين: بترشيح من الرحم، ظاهر، وأما سهولة التركيب وعذوبة الانسجام وتمكين القافية، فلم أحتج معهما إلى إقامة دليل، والله تعالى أعلم.

---

(١) الأزر: القوة والظهر - الوزر: الحمل الثقيل.

ذكر العنوان

به العصا أثمرت عزاً لصاحبها		موسى وكم قد محت عنوان سحرهم

هذا النوع، أعني **العنوان**: هو أن يأخذ المتكلم في غرض له، من وصف أو فخر أو مدح أو ذم أو عتاب أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة وقصص مبالغة، كقول أبي تمام لأحمد بن أبي داود:

تـثـبـت أن قـولاً كـان زوراً		أتى النعمـان قـبلك عـن زيـاد
فـأثـر بـين حـي بـنـي جـلاح		لـدى حـرب وبين بني مصـاد
وغـادر في صـدور الـدهـر قتلي		بـنـي بـدر عـلى ذات الأصـاد

فأتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة، حين وشى به الواشون إلى النعمان، فجر ذلك حروباً انطوت عليها قطعة من الدهر، وذكر في البيت الثالث عنواناً آخر أشار فيه إلى ما جرى بين بني عبس وبين بني بدر، على غدير ذات الأصاد.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته: :

والعاقب الحبر في نجران لاح له		يوم التباهـل عقبى زلة القـدم[1]

الشيخ صفي الدين أشار بعنوانه إلى عبد المسيح، عالم النصارى، حين قال لهم

---

(١) العاقب: الذي يأتي بعد الحبر في الرتبة الدينية، والحبر هو الرئيس الديني للنصارى الذي يعتبرونه نائباً للسيد المسيح عليه السلام ـ نجران: دير في المـدينة المنـورة ـ التباهـل: الحلف بالأبنـاء والتباهل هو الذي دعا إليه النبي محمد ﷺ المسيحيين إثباتاً لصحة دعـوته وإظهـاراً لضعف دعواهم.

النبي ﷺ يوم التباهل. **﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾**[1] وكان قد خرج النبي ﷺ، محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن عليهما السلام، وفاطمة تمشي خلفهما سلام الله عليهم أجمعين، فحين رآهم العاقب قال للنصارى: لا تباهلوا محمداً فإني أرى معه وجوهاً لو أقسم على الله أن يزيل بها الجبال لأزالها، فانصرفوا وقبلوا الجزية.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

بشرى المسيح أتت عنوان دعوته ... وقبله كـل هـاد صـادق القـدم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

هبه العصا أثمرت عزاً لصاحبها ... موسى وكم قد محت عنوان سحرهم

هذا البيت عنوانه ظاهـر لم يحتج فيـه إلى شرح، ولكن التـورية في العنـوان وترشيحها، بلفظة محت، لا يخفي ما فيها من المحاسن، لأنها اسم النوع الذي هو القصد هنا، وأما قولي: به العصا أثمرت، فهي مناسبة ليس لها في الحسن مناسب.



(١) آل عمران، ٣/٦١.

ذكر التسهيم

كذا الخليل بتسهيم الدعاء به أصابهم ونجا من حر نارهم

هذا النوع مأخوذ من الثوب المسهم، وهو الذي يدل أحد سهامه على الآخر الذي قبله، لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص به، لمجاورة اللون الذي قبله. ومن المؤلفين من جعل التسهيم والترشيح شيئاً واحداً، والفرق بينهما: أن الترشيح لا يدل على غير القافية، والتسهيم تارة يدل على عجز البيت، وتارة يدل على ما دون العجز، وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر، تارة بالمعنى وتارة باللفظ، كأبيات أخت عمرو ذي الكلب، فإن الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها:

فأقسم يا عمرو لو نبهاك. يقتضي أن يكون تمامه: إذا نبها منك داء عضالا، دون غيره من القوافي، لأنه لو قال، مكان داء عضالاً: ليثاً غضوباً، أو أفعى قتولاً، أو ما ناسب ذلك، لكان الداء العضال أبلغ، إذ كل منهما منمكن مغالبته والتوقي منه، والداء العضال لا دواء له، هذا مما يعرف بالمعنى، وأما ما يدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده:

إذا نبها ليث عرّيسة مقيتاً مفيداً نفوساً ومالا[1]

وكذلك قولها:

وخرق تجاوزت مجهولة بوجناء حرف تشكي الكلالا[2]

فكنت النهار به شمسه

(١) العريسة: الأكمة، أو الشجر الملتف يكون مأوى للأسد.

(٢) الخرق: الأحمق ـ الوجناء: من النوق، الشديدة القوية ـ الحرف: من النوق: المهزولة.

يقتضي أن يتلوه: وكن دجا الليل فيه الهلالا. ومنه قول البحتري:

أحلت دمي من غير جرم وحرمت		بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي قد حللت بمحلل

ومن هنا يعرف المتأدب أن تمامه: وليس الذي قد حرمت بحرام.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله:

كذاك يونس ناجى ربه فنجى		من بطن حوت له في اليم ملتقم [1]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي، في بديعيته يقول فيه عن النبي ﷺ:

تسهيمه في الوغى حسم لمتصل		تسليمه في الرضا وصل لمحتشم

قلت: الشيخ عز الدين رماه التسهيم في العكس، فتشوش إذ صار كل من النوعين يتجاذبه، وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

كذا الخليل بتسهيم الدعاء به		أصسابهم ونجا من حر نارهم

لفظة التسهيم، في هذا البيت، انحصر فيها ثلاثة أنواع أحدها تسمية النوع، والثاني الاستعارة البديعية، والثالث التورية المرشحة، فإن لفظة التسهيم رشحت التورية، بذكر الإصابة، وتحرير النوع ظاهر في دلالة الأول على الثاني.



---

(١) اليم: البحر ـ ملتقم: مبتلع.

ذكر التطريز

شملي بتطريز مدحي فيه منتظم   يا طيب منتظم يا طيب منتظم

هذا النوع، أعني **التطريز**: هو أن يبتدىء المتكلم، أو الشاعر، بذكر جمل من الذوات غير منفصلة، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قرره وقدره، في تلك الجملة الأولى، وعدد الجمل التي وصفت بالذوات عدد تكرر واتحاد لا عدد تغير، كقول ابن الرومي:

قرون في رؤوس في وجوه   صلاب في صلاب في صلاب

ومثله قوله:

كأن الكأس في يدها وفيها   عقيق في عقيق في عقيق[1]

ومثله قول ابن المعتز:

فثوبي والمدام ولون خدي   شقيق في شقيق في شقيق

وأبدع من الجميع وألطف، قولي من قصيدتي المصغرة:

لفيظك والمقيلة مع نظيمي   سحير في سحير في سحير

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التطريز:

فالجيش والنقع تحت الظل مرتكم   في ظل مرتكم في ظل مرتكم

---

(١) فيها: فمها.

قلت: هذا البيت لا يخلو أن يكون للعقادة فيه بعض تراكم.

والعميان ليس في بديعيتهم تطريز. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي، رحمه الله تعالى، في بديعيته قوله:

الـدين والنقـع تـطريـز لمحتـرم في نصر محترم في نصر محترم

هذا البيت لم أفهم منه غير لفظة التطريز، الذي هو اسم النوع.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

شملي بتطريز مدحي فيه منتـظم يـا طيب منتظم يـا طيب منتـظم

هذا البيت بهجة التطريز ظاهرة على أركانه، وقد جمعت فيه بين التطريز الذي هو المراد، والتورية، واللف، والنشر، والترشيح، والاستعارة، ومراعاة النظير، والسهولة، والانسجام، والجناس التام، والله أعلم.



ذكر التنكيت

وآلـه البحـر آل إن يقس بنـــدى　　　كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم[1]

هذا النوع، أعني التنكيت، يستحق لغرابته أن ينتظم في أسلاك البديع، ويغار عليه أن يعد مع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع، وقد تقدم الكلام على سفالة هذه الأنواع.

والتنكيت: عبارة عن أن يقصد المتكلم شيئاً بالذكر دون أشياء كلها تسد مسده، لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود، ترجح اختصاصه بالذكر. وعلماء هذا الفن أجمعوا على أنه لولا تلك النكتة التي انفرد بها، لكان القصد إليه دون غيره خطأ ظاهراً عند أهل النقد، وجاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾[2] فإنه سبحانه خص الشعرى بالذكر، دون غيرها من النجوم، وهو رب كل شيء لأن من العرب من عبد الشعرى، وكان يعرف بابن أبي كبشة، ودعا خلقاً إلى عبادتها، فأنزل الله تعالى: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ التي ادعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم، وفي النجوم ما هو أعظم منها. ومنه قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[3] فإنه سبحانه وتعالى خص تفقهون دون تعلمون، لما في الفقه من الزيادة على العلم، والمراد الذي يقتضيه معنى هذا الكلام: الفقه في معرفة كنه التسبيح من

---

(١) آله: أهله وأقاربه ـ آل: سراب ـ إن: لا.

(٢) النجم، ٤٩/٥٣.

(٣) الإسراء، ٤٤/١٧.

الحيوان البهيمي والنبات والجماد، الذي تسبيحه بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده ومخترعه. ومن الأمثلة الشعرية قول الخنساء:

يـذكـرني طلوع الشمس صخـراً وأذكــره بـكــل غــروب شـمس

فخصت هذين الوقتين بالذكر، وإن كانت تذكره كل وقت، لما في هذين الوقتين من النكتة المتضمنة للمبالغة، في وصفه بالشجاعة والكرم، لأن طلوع الشمس وقت الغارات على العدا، وغروبها وقت وقود النيران للقرى.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته، على التنكيت:

وآلـه أمـنــاء الله من شـهــدت لقـدرهم سورة الأحـزاب بالعـظم

الشيخ صفي الدين خصص سورة الأحزاب هنا بالذكر، لأن فيها تصريحاً بمدح آل البيت عليهم السلام، بقوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[1] ولولا هذا الاختصاص كانت كغيرها من السور.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي، رحمه الله:

ففي بــراءة تـنـكـيت بـمــدحـتــه معناه في الشرح يشفي داء ذي البكم[2]

ذكر الشيخ عز الدين، في شرحه، أن النكتة المقصودة في بيته، في سورة براءة، هي قوله تعالى: ﴿**ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾[3] وبيت بديعيتي أشير فيه إلى النبي ﷺ:

وآلـه البحـر آل إن يقس بنـدى كفـوفهم فافهمـوا تنكيت مدحهم

التنكيت، في هذا البيت بديع وغريب في بابه، فإنني خصصت الندى بالذكر عند مقايسته بالبحر، في قولي: إن البحر عند ندى كفوفهم كالآل، والآل هو الذي يحسبه الظمآن ماء، ولو قلت: انهار كفوفهم أو جداول كفوفهم لسد كل واحد منهما مسده بزيادة زائدة، ولكن في الندى نكتة ليست فيهما، وهي الغلو في أن البحر يصير عند هذا الندى سراباً، وهذا الذي أوجب تخصيص الندى بالذكر دون غيره، وقد اجتمع في هذا البيت التنكيت الذي هو القصد هنا، والتورية، والغلو، ومراعاة النظير، والجناس، والله أعلم.

---

(١) الأحزاب، ٣٣/٣٣.

(٢) البكم: العجز عن التكلم خِلقة.

(٣) التوبة: ٩/٤٠.

ذكر الإرداف

وفي الوغى رادفوا لسن القنا سكنا   من العدا في محل النطق بالكلم

نوع الإرداف: قالوا إنه هو والكناية شيء واحد. قلت: وإذا كان الأمر كذلك كان الواجب اختصارهما. وإنما أئمة البديع، كقدامة والحاتمي والرماني، قالوا: إن الفرق بينهما ظاهر، والإرداف: هو أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه، كقوله تعالى: ﴿واستوت على الجودي﴾[1] فإن حقيقة ذلك جلست على المكان، فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى لفظ هو رديفه، وإنما عدل عن لفظ الحقيقة، لما في الاستواء الذي هو لفظ الإرداف، من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من لفظ جلست وقعدت، ومن الأمثلة الشعرية على الإرداف قول أبي عبادة البحتري يصف طعنة:

فأوجرته أخرى فأحللت نصلها   بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومراده القلب، فذكره بلفظ الإرداف، والفرق بين الإرداف وبين الكناية أن الإرداف قد تقرر أنه عبارة عن تبديل الكلمة بردفها، والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزم، لأن الإرداف ليس فيه انتقال من لازم إلى ملزوم، والمراد بذلك انتقال المذكور إلى المتروك كما يقال: فلان كثير الرماد، ومراده نقله إلى ملزومه، وهي كثرة الطبخ للأضياف.

---

(١) هود، ١١/٤٤.

وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى على الإرداف قوله:

بقتبه أسكنوا أطـراف سمـرهم   من الكماة محل الضغن والأضم [1]

الشيخ صفي الدين زاحم البحتري في بيته، إلى أن نزع قلبه من صدره، بل جل قصده في إردافه هنا القلب، وكان الواجب العدول عنه لشهرته في هذا الباب عند أهل البديع.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي:

للطعن والضرب إرداف يحل بـه   في موضع العقل يحكيه ذوو الحكم

وبيت بديعيتي، قلت قبله عن آل النبي ﷺ، مشيراً إلى الغلوّ في كرمهم:

وآلـه البحـر آل أن يقس بنـدى   كفـوفهم فافهمـوا تنكيت مدحهم

وأردفته بقولي في الشجاعة:

وفي الوغى رادفوا لسن القنا سكناً   من العدا في محل النطق بالكلم

أنظر أيها المتأمل في بديع هذا الإرداف الغريب الـذي ميزتـه على أقرانـه من البحتري إلى الشيخ عز الدين، بحسن مراعاة النظير الذي أسكنت به الألسنة بالأفواه، بقولي: في محل النطق بالكلم، مع التورية بتسمية النوع، والله سبحانه أعلم.



(١) القتبة: جمع قَتِب وهو الضيق الخلق السريع الغضب من الرجال - الكماة: جمع كمي وهو الفارس المغوار - السمر: الرماح - الضغن: البغض والكره - الأضم: الحقد.

ذكر الإيداع

وأودعوا للثرى أجسامهم فشكت ... شكوى الجريح إلى العقبان والرخم(١)

هذا النوع، أعني الإيداع، يغلب عليه التضمين، والتضمين غيره، فإنه معدود من العيوب، والعيب المسمى بالتضمين هو أن يكون البيت متوقفاً في معناه على البيت الذي بعده، كقول النابغة:

وهم وردوا الجفار على تميم ... وهم أصحاب يوم عكاظ إني
شهدت لهم مواطن صادقات ... أنبئهم بود الصدر مني

والإيداع الذي نحن بصدده: هو أن يودع الناظم شعره بيتاً من شعر غيره، أو نصف بيت أو ربع بيت، بعد أن يوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة، بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له. وأحسن الإيداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول، ويجوز عكس البيت المضمن، بأن يجعل عجزه صدراً أو صدره عجزاً، وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها وينظم لها المودع صدوراً، لغرض اختاره وبالعكس. وقد تقدم وتقرر أن الأحسن، في هذا الباب، أن يصرف الشاعر ما أودعه في شعره عن معناه الذي قصد صاحبه الأول، ويجوز تضمين البيتين بشرط أن ينقلهما من معناهما الأول إلى صيغة أخرى، كما حكي أن الحيص بيص قتل جرو كلب وهو سكران، فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق في رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير، فإذا فيها مكتوب:

يا أهل بغداد إن الحيص بيص أتى ... بخزية ألبسته العار في البلد

---

(١) العقبان والرخم: من الطيور الجوارح.

أبـدى شجاعتـه بـالليـل مجتـرئـاً ... على جريّ ضعيف البطش والجلد[1]
فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت ... دم الأبليق عند الواحـد الأحد [2]
أقـول للنفس تـأسـاء وتعـزيـة ... إحـدى يـدي أصـابتني ولم تـرد
كـلاهما خلف من بعـد صاحبـه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

البيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابنها، فقالت ذلك تسلية. ومنهم من أودع شعره بيتين، وكل بيت منهما لشاعر، كقول القاضي شهاب الدين محمود:

وبتنا على حكم الصبابة مطعمي ... زفيري وأشجاني وشربي المدامع
وخلي يعـاطيني كؤوس مـلامـة ... وينشـدني والهم للقلب صـادع
أتـطمـع من ليلى بـوصـل وإنمـا ... تقـطع أعناق الـرجـال المـطامـع
فـبت كـأنـي سـاورتني ضئيـلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

البيت الأخير للنابغة، قلت غاية الأوائل أن ينقلوا المعنى الأول في الإيداع إلى معنى آخر، إن كان في بيتين أو بيت واحد أو نصف بيت، ولكن الفرقة التي مشت تحت العلم الفاضلي، وتحلت بالقطر النباتي وهلم جراً، لم يرضوا بنقله مجرداً من التورية أو ما يناسبها من أنواع البديع، ومما يؤيد قولي هذا قول القاضي جلال الدين القزويني، في التلخيص، وأحسنه ما زاد على الأصل بنكتة، كالتورية والتشبيه، وممن أبدع في نقله إلى التورية علامة هذا الفن، الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى بقوله:

أتـاني عليّ البـانيـاسيّ منشـداً ... فيـا لـك من شعـر ثقيـل مـطوّل
مكـر مفـر مقبـل مـدبـر معـاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومثله قوله في مليح اسمه حبيب وهو:

حبيب حبيب القلب أخلى منيزلا ... به كان في عرس المسرة ينجلي
فيا صاحبي الذكر قـد لذ بـالبكا ... قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وما يشك من عنده ذوق أن المقطوعين في الإيداع تميز المحاسن التورية، وغريب النقل إلى غرض كل من الناظمين وكذلك تقطيع أعناق الرجال، في إيداع الشهـاب محمود، فإنهم نقلوه إلى الصفع، وجاءت توريته في غاية الحسن، وهذا هو المذهب

---

(١) جُرَيّ: تصغير جرو وهو ولد الكلب.

(٢) الأبليق: هكذا في الأصل ونظنها من الأخطاء الطباعية والأصح: الأبيلق: وهو تصغير الأبلق الذي في لونه الأسود بقع بيضاء، وكان قد صغّر جرو في البيت الذي قبله. فيصير جُرَيٌّ أُبيلقٌ، والله أعلم.

الذي انتهت غايات المتأخرين إليه، ومن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضاً وهو:

أقول لمعشر جلدوا ولا طوا ... وباتوا عاكفين على الملاح
ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

وقولي: ومذ كلمت قلبي سيوف لحاظها ... شكوت إليها قصتي وهي تبسم
فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها ... ولم تر قبلي ميتاً يتكلم

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

دنوت إليها وهو كالفرخ راقد ... فيا خجلتى لما دنوت وإذلالي
فقلت امعكيه بالأنامل فالتقى ... لدى وكرها العناب والحشف البالي[1]

وقولي طاول الليل بالذؤابة قبس ... وتثنى عجباً بلطف وكيس[2]
فحلا لي السهاد مذ طال ليلي ... يا خليليّ من ذؤابة قيس

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

تصدى إلى أيري فقلت له اتئد ... وحقك لو عاينته وهو ثائر[3]
رأيت الذي لاكله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأنشدني، من لفظه لنفسه الكريمة، مولانا المقر الأشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة، كان، تغمده الله برحمته، ما اختلف هو والشيخ جمال الدين بن نباتة في إيداعه واتفقا في معناه، والمعنى في البيتين المذكورين قبل. وأما الترشيح فعندي أن التورية في بيتي المقر الناصري أرجح، وهما قوله:

أقول وقد أبى عن أخذ أيري ... وسالت من محاجره دموع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

---

(١) امعكيه: ادلكيه ـ وكرها: فرجها، شبهه بوكر الطير ـ العنابُ: البظر: شبهه بالعناب: الثمر المعروف ـ الحشف: التمر أو التمرة من قضيب الرجل على التشبيه.

(٢) الكَيس: اللباقة.

(٣) اتئد: تمهل ـ ثائر: منتصب.

الذي ترجح عندي أن قوله: وجاوزه أعقد من قول الشيخ جمال الدين: لا كله، والذي أقوله: إن كلا منهما في بابه بديع وغريب، وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

لم أنس موقفنا بكاظمة والعيش مثل الدار مسود
والدمع ينشد في مسائله هل بالطلول لسائل ردّ

ومثله قولي:

قف واستمع طرباً فليلى في الدجا باتت معانقتي ولكن في الكرى
وجرى لدمعي رقصة بخيالها أترى درى ذاك الرقيب بما جرى

ومن إيداعاتي الغريبة قولي من إعجاز الملحة:

تنكر الحال علينا عندما سال عليه العارض المسلسل
فعنه سلني إن ترد تعريفه فإنه منكر يا رجل

ومما انفرد به الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى تضمين أعجاز الملحة، والذي يؤيد انفراده حسن تخلصه من الغزل، وهو ماش على التضمين، إلى مدح قاضي القضاة، ولم يزل مستمراً على غرر المدائح اللائقة بالقاضي إلى حسن الختام.

وضمن الشيخ زين الدين بن الوردي نبذة من اعجاز الملحة، ولم يفرغها في غير قوالب الغزل، فإن التخلص من الغزل إلى المدح من المستحيلات في هذا الباب، ولكن الشيخ جمال الدين بن نباتة كان في ذلك العصر نسيج وحده، ومن المعلوم أن الجماعة مثل الشيخ زين الدين بن الوردي، والشيخ صلاح الدين الصفدي، والشيخ برهان الدين القيراطي، وغيرهم ممن عاصره، ما منهم إلا من تطفل على موائد حلاواته النباتية. وقد عنَّ لي أن أورد هنا نبذة من التضمين للشيخين، وأجعل كلًا من أبيات الشيخين وقفاً محبساً على أصحاب الذوق السليم. قال الشيخ جمال الدين في المطلع:

صرفت فعلي في الأسى وقولي بحمد ذي الطول الشديد الحول[1]

وقال الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى في المطلع:

يا سائلي عن الكلام المنتظم هو الذي في لفظ من أهوى قسم

هذا المطلع من إيداع الذي قصر فيه باع الشيخ زين الدين بن الوردي، فإنه صدر

(١) الحَوْل: القوة.

مطلعه بالصدر وهو جائز، ولكنه غير المراد، فإن الشيخ جمال الدين تقدمه بتضمين الإعجاز ونسج إيداعه على هذا المنوال، ومن أغزال الشيخ جمال الدين البديعة في هذا الباب قوله:

أفدي غزالاً مثلوا جماله ... في مثل قد أقبلت الغزاله
ما قال مذ ملك قلبي واسترق ... كقولهم ربّ غلام لي أبق(1)
للقمرين وجهه مطالع ... فهي ثلاث ما لهن رابع
لأحرف الحسن على خديه خط ... وقال قوم إنها اللام فقط
منفرد بالوصل في دار الهنا ... مثاله الدار وزيد وأنا
لا يختشي تلاعب الظنون ... والأمر مبني على السكون
في خده التبري هان نشبي ... وقيمة الفضة دون الذهب(2)
فاصرف عليه ثروة تسام ... فما على صارفها ملام
وإن رأيت قدّه العالي فصف ... وقف على المنصوب منه بالألف
والعارض النونيّ ما أنصفته ... وإن تكن باللام قد عرّفته
واهاله من حرف نون قد عرف ... كمثل ما تكتبه لا يختلف
يأتي بنقط الخال في الإعجام ... وتارة يأتي بمعنى اللام
للحظه المسكر فعل يطرب ... مفعوله نحو سقى ويشرب
ولا تلم فيه عويشقاً تلف ... ولا سكيران الذي لا ينصرف
جسمي وذاك الخصر والجفن الدنف ... هن حروف الاعتلال المكتنف(3)
فيا مليحاً عنه أخرت القمر ... اما لا هوان وإما لصغر
كرر فما أحلى بسمعي السامي ... قولك يا غلام يا غلامي
وارفق بمضناك فما سوى اسمه ... ولا تغير ما بقي من رسمه
وقد حكى العذار في الوقوف ... فاعطف على سائلك الضعيف
وافخر بمعنى لحظك المعشوق ... في كل ما تأنيثه حقيقي
يا لك لحظاً بسعاد أزرى ... وجاء في الوزن مثال سكرى
يا ناصباً أوصاف ذياك الصبي ... تم الكلام عنده فلتنصب
هيهات بل دع عنك ما أضنى وما ... وعاص أسباب الهوى لتسلما

---

(1) استرقّ: استعبد ـ أبق: هرب.
(2) التبر: الذهب ـ نَشَبي: مالي، الثابت والمنقول.
(3) الدنِف: المريض ـ المكتنف: الذي أصاب. المصيب.

وكرر الأمداح في علي ... قاضي القضاة الطاهر النقي
بكل معنى قد تناهى واستوى ... في كلم شتى رواها من روى
بادر بنا ذاك الحمى العالي وصف ... إذا اندرجت قائلاً ولا تقف
دونك والمدح زكياً معجبا ... نحو لقيت القاضي المهذبا
فالجود والعلم عليه أرسي ... وهكذا أصبح ثم أمسي
واهرع إلى قارٍ قراه نافع ... وافزع إلى حام حماه مانع[1]
يقول للضيف نداه جب وجل ... ومثله ادخل وانبسط واشرب وكل
وإن ظفرت عنده بموعد ... تقول كم مال أفادته يدي
لله ما ألينه عند العطا ... وما أحد سيفه إذا سطا
إن قال قولاً بين الغرائبا ... وقام قس في عكاظ خاطبا
وإن سخا أتى على ذي العدد ... والكيل والوزن ومذروع اليد
معطل السمع عن العذال ... فما له مغير بحال
الفضل جنس بيته المهنا ... ونوعه الذي عليه يبنى
سام به أهل العلا جميعاً ... وارفع ولا رد ولا تقريعا[2]
وإن ذكرت أفق بيت قد نما ... فانصب وقل كم كوكب تحوي السما
بيت عظيم المجد والعلاء ... عند جميع العرب العرباء[3]
إذا اجتليت في العطا جبينه ... أو استثرت للرجا يمينه

منها والبيت مضمن بكماله:

تقول قد خلت الهلال لائحاً ... وقد وجدت المستشار ناصحا
كم بالغنى عنه تولى راجل ... وواقف بالباب أضحى سائل
قال له الشرع امض ما تحاوله ... واقض قضاء لا يرد قائله
وأنت يا قاصده سر في جدد ... واسع إلى الخيرات لقيت الرشد[4]
ولا تقل كان غماماً ورحل ... كان وما انفك الفتى ولم يزل
باب سواه اهجر عداك عيب ... وصغر الباب وقل بويب
أود به أنسى أحاديث المطر ... فليس يحتاج لها إلى خبر

---

(١) قارٍ: الذي يقري الضيوف أي يطعمهم - والقِرى: إطعام الضيف.

(٢) التقريع: اللوم والتوبيخ.

(٣) العرب العرباء: العرب الخلّص، الأقحاح.

(٤) الجدد: نوع من السير السريع ويكون في الأرض المستوية.

خــذ بحــر شعــر جبتـه للذكــر — وغصت في البحـر ابتغـاء الــدر
حتى مــلا عينـي نـداه عينــا — وطبت نفســاً إذ قضيت الـدينــا
دونــكهــا مــعســولــة الآداب — ممـزوجـة بملحـة الإعــراب[1]
مضى بهــا الليــل مضيّ الأنجم — وبــات زيــد ساهــراً لم ينـم
فـافتح لهـا بـاب القبـول تجتلى — وإن تجـد عيبــاً فسـد الـخللا
لا زلت مسمــوع الثنـا ذا منن — جـائـلـة دائـرة فـي الألـســن
مــا لــعــداك رايــة تــقــام — فـليس إلا الـكـســر والـسـلام

وقال الشيخ زين الدين بن الوردي:

في صـدغـه للحسن آيـات تخط — وقــال قــوم إنـهــا الــلام فـقط

قلت: الشيخ جمال الدين تقدمه في هذا البيت بالإيداع، وهنا بحث لطيف أبحثه مع حذاق الأدب، قال الشيخ جمال الدين بن نباتة: «لأحرف الحسن على خديه خط» ومراده بذكر الأحرف هنا مخالفة القوم له، على أنها ليست بأحرف وإنما هي حرف اللام فقط. وقال الشيخ زين الدين: «في خده للحسن آيات تخط» فلم يبق لقول من خالفه بقوله. وقال قوم إنها اللام فقط موضع ولا محل، وأين الآيات التي تخط من اللام، ولعمري إن هذا الإيداع، على هذا التقدير، يصير بينه وبين العجز من بيت الملحة بعض مباينة، وكان الأليق للشيخ زين الدين الإعراض عن إيداع هذا البيت بعد الشيخ جمال الدين، فإنه لم يترك لغيره مجالاً فيه، والله أعلم. وقال الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى:

زمــانــه غض فــلا يخشى فـرط — إذ أَلِفُ الوصل متى يدرج سقط
بـسيـف جفـنــه قـتـلت نـفسـي — فــإنــه مــاض بـغـيــر لـبس[2]
فيـا غـزال إن أبنت مــا اعتـدى — فــأسقط الحــرف الأخيــر أبــدا
قلت لمــذكـر لحي خــلّ الفنـد — واسع إلى الخيرات لقيت الرشد

وهذا الإيداع أيضاً نسخه الشيخ زين الدين من قول الشيخ جمال الدين، وسبكه في غير قالبه، وأين هذا من قول الشيخ جمال الدين في إشاراته إلى قاصد ممدوحه:

وأنت يـا قاصـده سـر في جـدد — واسع إلى الخيرات لقيت الرشد

---

(١) معسولة الآداب: حلوة الآداب. وكأن آدابها مزجت بالعسل لحلاوتها.

(٢) ماضٍ: قاطع ـ اللبس: الشك والريبة.

قال الشيخ زين الدين:

وإن يكن عـدلـك في المؤنث فقـل لهـا خـافي رجـال العبث

منها وأجاد إلى الغاية:

قـوامـه أشبـه شيء بـالألـف كمثـل مـا تكتبـه لا يختلف

ومثله في الحسن قوله:

يـا خصره من ردفه فز بـالمنـح ولا تسـل أخف وزنـاً أم رجـح

تركيب هذا البيت غاية في هذا الباب، لأنه قدم ذكر الألف في الأول، وقال في عجز بيت الملحة كمثل ما تكتبه لا يختلف، بخلاف قوله في ذلك البيت آيات، وقوله في عجز بيت الملحة. وقال قوم إنها اللام فقط وقال:

عـذاره الـرقـيـم فـز بـلثـمـه ولا تغيـر مـا بقي من رسمـه[1]

ولكن مرسوم الشيخ جمال الدين أمثل، وأين قول الشيخ جمال الدين: «وارفق بمضناك فما سوى اسمه»، حتى يقول بعد التوطئة: «ولا تغير ما بقي من رسمه». من قول الشيخ زين الدين: «عذاره الرقيم فز بلثمه». وقال الشيخ زين الدين بعد بيته الأول:

تـقـول فيـه خضـرة يسيـره كـمـا تـقـول نـاره مـنـيـره
دينـار وجهـه بـه شحـحـت وكـم دنينيـر بـه سمـحـت[2]
يـا ليتـه يعـطف بـالـوصـال والعـطف قد يـدخل في الأفعـال
لا مـا حلا لي في هـواه العذل لشبهـه الفعـل الـذي يستقبـل

منها وأجاد:

عـينـاه أفـنت أكـثـر الـعـشـاق وهـكـذا تفـعـل في الـبـواقـي
فـي ثـغـره جـواهـر غـوالـي جـلوتـهـا مـنـظومـة الـلآلـي
صـورتـه كـالـبـدر فـوق الغصن فـانـظر إليهـا نـظر المستحسن
وخـل عنـك يـا عـذول العـذلا وإن تجـد عيبـاً فسـد الخللا

وهذا البيت أيضاً منسوخ من إيداع الشيخ جمال الدين، والبون بينهما بعيد، فإن

---

(١) الرقيم: المنقش. والرقيم، الكتاب او اللوح نقش فيه.
(٢) شح: بخل.

الشيخ جمال الدين اعتذر للممدوح في آخر القصيدة، عن التقصير، كما جرت عادة الشعراء بقوله:

فافتح لها باب القبول تجتلى　　　وإن تجد عيباً فسد الخللا

هذا، مع مطابقة الفتح بالسد في هذا الباب، وهذا غاية، وأما اعتذار الشيخ زين الدين للعاذل، وقوله له عن محبوبه: «وإن تجد عيباً فسد الخللا» فالمحبوب عند محبه أجل من هذا القدر، والله أعلم، وختام الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله قوله:

حتى رثى لي وألان القولا　　　والحمد لله على ما أولى

ولعمري إني اختصرت من إيداع الشيخ زين الدين بن الوردي جانباً لم أرضه له.

ومن الإيداعات التي برز فيها الشيخ زين الدين بن الوردي، قصيدته التي امتدح بها النبي ﷺ وضمن فيها أعجاز قصيدة أبي العلاء المعري وبعض صدورها، وهي القصيدة الرائية التي امتدح بها أبو العلاء المعري ابن القصيصي، ونقلها الشيخ زين الدين بن الوردي إلى مستحقها ﷺ، وقد عنَّ لي أن أجمع هنا بين الأصل والفرع، لتظهر مزية الشيخ زين الدين، فإنه أظهر في إيداعه العجائب وأتى بالغرائب، ومطلع الشيخ زين الدين خال من الإيداع، وهو:

أدر أحاديث سلع والحمى أدر　　　والهج بذكر اللوى أو بانة العطر(١)

ومطلع الشيخ أبي العلاء المعري:

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر　　　لعل بالجزع أعواناً على السهر

قال الشيخ زين الدين بعد المطلع:

وقف على الجزع واذكرني لساكنه　　　لعل بالجزع أعواناً على السهر

وقال في إيداع صدر مطلع أبي العلاء:

إذا تبسم ليلاً قل لمبسمه　　　يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر

قال أبو العلاء يخاطب البرق:

وإن بخلت على الأحياء كلهم　　　فاسق المواطرَ حياً من بني مطر

---

(١) سلع والحمى واللوى وبانة العطر: أسماء أماكن في الجزيرة العربية.

وقال أبو العلاء، في قصر الليل على العاشق ليلة الوصل:

يــود أن ظــلام الليــل دام لــه وزيــد فيـه سـواد القلب والبصـر

نقله الشيخ زين الدين إلى المديح، وأجاد إلى الغاية، بقوله عن النبي ﷺ:

تشــرف الـركن إذ قبلت أســوده وزيـد فيـه سـواد القلب والبصـر

قال أبو العلاء:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط في الخصر

فنقله الشيخ زين الدين إلى المديح النبوي، فقال يخاطب النبي ﷺ:

عذبت ورداً فلم تهجر على خصر والعذب يهجر للإفراط في الخصر [1]

قال أبو العلاء يخاطب محبوبته:

قلدت كـل مهـاة عقـد غـانيـة وفزت بالشكر في الآرام والعفر [2]

نقله الشيخ زين الدين إلى المديح النبوي، وما أحق المادح والممدوح به، فقال:

إن الغزالة لمـا أن شفعت نجت وفـزت بالشكـر في الآرام والعفر

قال الشيخ أبو العلاء:

أقـول والـوحش تـرميني بـأعينهـا والطير تعجب مني كيف لم أطر

نقله الشيخ زين الدين وقال:

ضمنت مـدح رسول الله مبتهجـاً والطير تعجب مني كيف لم أطر

قال أبو العلاء:

في بلدة مثل ظهر الضب بت بها كأنني فوق روق الظبي من حذر [3]

نقله الشيخ زين الدين وقال:

ولي ذنـوب متى أذكـر سـوالفهـا كأنني فوق روق الظبي من حذر

(١) الإفراط: الزيادة ـ الخصر: الاختصار.

(٢) المهاة: البقرة الوحشية ـ الغانية: الفتاة الحسناء ـ الأرآم: جمع رئم وهو الظبي الأبيض ـ العِفر: جمع أعافر وهو نوع من الظباء الضعيفة العدو.

(٣) الضب: من الزواحف شبيه بالحرذون ـ الروق: القرن ـ الظبي: الغزال.

قال أبو العلاء يخاطب صاحبيه:

لا تـطويا السيـر عني يوم نـائبـة ... فـإن ذلـك ذنب غيـر مغتـفـر

قال الشيخ زين الدين بعد قوله: ولي ذنوب:

ومطمعي أنها لا شرك [إلا] بشركها ... فـإن ذلـك ذنب غيـر مغتـفـر

قال أبو العلاء:

يا روع الله سوطي كم أروع بـه ... فؤاد وجناء مثل الطائر الحـذر[1]

نقله الشيخ زين الدين وقال:

ولي فؤاد متى تفخر سوى مضر ... فؤاد وجنـاء مثل الـطائـر الحـذر

قال أبو العلاء في المخلص، بعد روع الوجناء:

بـاهت بمهرة عـدنانـاً فقلت لهـا ... لولا القصيصيُّ كان المجد في مضر

قال الشيخ زين الدين لله دره:

والله لـو أن أهل الأرض قـاطبـة ... مثل القصيصي كان المجد في مضر

قال أبو العلاء مشيراً إلى ممدوحه، وأساء الأدب:

وقـد تبين قـدري أن معـرفتي ... من تعلمين سيـرضيني عن القدر

نقله الشيخ زين الدين بن الوردي إلى المديح النبوي ﷺ، وقال بحق:

يا نفس لا تيأسي يوم المعاد فلي ... من تعلمين سيـرضيني عن القدر

قال أبو العلاء، وكذب عن القصيصي في قوله:

ولو تقدم في عصـر مضى نزلت ... في وصفه معجز الآيـات والسور

نقله الشيخ زين الدين إلى المديح النبوي، وقال رحمه الله حيث قال:

وأين شعري من الهادي الذي نزلت ... في وصفه معجزات الآي والسور

---

(١) السوط: الكرباج، قطعة من الجلد تستعمل للضرب ـ راع: أخاف ـ الوجناء: من النوق: الشديدة القوية.

قال الشيخ أبو العلاء يخاطب ممدوحه:

وافقتهم في اختـلاف من زمانكم ... والبدر في الوهن مثل البدر في السحر[(١)]

نقله الشيخ زين الدين إلى المديح النبوي، وقال يخاطب النبي ﷺ وسبى العقول بقوله:

وأنت في القبر حي ما اعتراك بلى ... والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

قال أبو العلاء يخاطب ممدوحه:

أعـاذ مجـدك عبـد الله خـالقـه ... من أعين الشهب لا من أعين البشر

والبيت نقله الشيخ زين الدين إلى المديح النبوي بكماله، ولكن كان فارس ميدانه وقائد عنانه، وكأنه كان معداً لقصيدته حتى يبرزه في محله من مديح النبي ﷺ، وهو:

لله قـولـي لـعـبـد الله والـده ... قولاً إلى فص علياه على قدر[(٢)]

أعـاذ مجـدك عبـد الله خـالقـه ... من أعين الشهب لا من أعين البشر

قال أبو العلاء يخاطب ممدوحه:

سـافرت عنـا فظل النـاس كلهم ... يراقبون إيـاب العيد من سفـر[(٣)]

نقله الشيخ زين الدين إلى المديح، فقال يخاطب النبي ﷺ:

كم راقبت أمم منك القدوم كما ... يـراقبـون إيـاب العيـد من سفـر

قال أبو العلاء يخاطب الممدوح:

لـو غبت شهرك مـوصولاً بتـابعـه ... وأُبت لانتقل الأضحى إلى صفر[(٤)]

قال الشيخ زين الدين يخاطب النبي ﷺ:

سل تعط واشفع تشفع ما ترده يكن ... لو شئت لانتقل الأضحى إلى صفر

---

(١) الوهن: من الليل بُعَيد منتصف الليل ـ السحر: قبيل الفجر.

(٢) إلى فص علياه: إلى أصلها.

(٣) الإياب: الرجوع.

(٤) الأضحى: عيد الأضحى عند المسلمين. وهو العيد الذي يقدم فيه الحجيج الأضحيات قربة إلى الله تعالى.

قال أبو العلاء في ختام قصيدته:

ولا تـزال بـك الأيـام ممتعـة ... بـالآل والحال والعليـاء والعمر[١]

قال الشيخ زين الدين في ختامه:

وارتجي بك من ذي العرش عافية ... في الآل والحال والعلياء والعمـر

رحم الله الشيخ زين الدين، هذه القصيدة معدودة من محاسنه، ولولا خشية الإطالة لاستوعبتها بكمالها، فإنها بديعة في باب الإيداع. انتهى.

وأما اعجاز قصيدة امرىء القيس اللامية المعلقة، فإن جماعة من أهل الأدب ثابروا على تضمينها وتضمين البعض منها، وسبكوها في قوالب مختلفة الأنواع.

كتب إليَّ مولانا قاضي القضاة، صدر الدين بن الآدمي الحنفي سقى الله ثراه، من دمشق المحروسة إلى حماة المحروسة، في صدر رسالته:

أحن إلى تلك السجايا وإن نأت ... حنين أخي ذكرى حبيب ومنـزل
وأهـدي إليها من سـلامي معطراً ... بمسكٍ سحيق لابريـا القرنفـل[٢]
وأذكـر ليلات بكم قـد تصـرّمت ... بـدار حبيب لا بـدارة جلجـل[٣]
شكوت إلى صبري اشتياقي فقال لي ... تـرفق ولا تهلك أسى وتجمـل
وقـلت لـه إني عـليـك معـول ... وهل عند رسم دارس من معول[٤]

فأجبته وصدرت الرسالة بقولي:

سـرت نسمـة منكم إليَّ كـأنهـا ... نسيم الصبا جاءت بـريا القـرنفل
فقلت لليلي مـذ بدا صبـح طرسهـا ... ألا أيها الليل الطويل ألا انجـلِ
جنت مـا حلا ذوقـاً فقلت تقربي ... ولا تبعـدينـا عن جنـاكِ المعلل
ورقت فأشعار امرىء القيس عندها ... كجلمود صخر حطه السيل من عل
فقلت قفـا نضحك لـرقتهـا على ... قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

---

(١) الآل: الأهل والعشيرة.

(٢) ريا القرنفل: رائحة القرنفل وهو نبات طيب الرائحة.

(٣) تصرّم: انقضى.

(٤) الرسم: الأثر ـ الدارس: الممحو، غير الواضح ـ معول: فائدة.

وتطارح الشيخ جمال الدين، والشيخ صلاح الدين قبلنا، في جانب كثير منها، ولكن الشيخ جمال الدين تنازل فيها إلى الغاية فقال:

رأى فرسي إصطبل عيسى فقال لي ... قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وأما الشيخ صلاح الدين فإنه كتب إلى الشيخ جمال الدين، في معنى العتب المفرط:

أفي كل يوم منك عتب يسوءني ... كجلمود صخر حطه السيل من عل
وترمي على طول المدى متجنياً ... بسهميك في أعشار قلب مقتل (١)
فأمسي بليل طال جنح ظلامه ... عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
وأغدو كأن القلب من وقدة الجوى ... إذا جاش فيه حميه غلي مرجل (٢)
تطير شظاياه بصدري كأنها ... بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (٣)
وسالت دموعي من همومي ولوعتي ... على النحر حتى بل دمعي محملي
إذا عاين الأخوان ما بي من الأسى ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل
ترفق ولا تجزع على فائت الوفا ... فما عند رسم دارس من معول
ولي فيك ودّ طال ما قد شددته ... بأمراس كتان إلى صم جندل (٤)
ولي خطرات فيك منها جوانحي ... صبحن سلافاً من رحيق مفلفل
كأن أمانيها كؤوس مدامة ... غذاها نمير الماء غير محلل (٥)
سلوت غوايات الشبيبة والصبا ... وليس فؤادي عن هواها بمنسلي
وأجلو محيا الودّ فيك لأهله ... متى ما ترق العين فيه يسهل
فكر على جيش الجناية عائداً ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل (٦)
تجد خفرات الأنس منها كواعباً ... ترائبها مصقولة كالسجنجل (٧)

---

(١) لمتجني: الذي يبدأ الجناية ـ السهمان: هما النظرتان ـ الأعشار: الأجزاء.

(٢) جاش: تحرّك صعوداً وهبوطاً، ثار ـ المِرجل: القدر يطبخ فيها.

(٣) الشظايا: القطع ـ الأنابيش: جذور الأشجار وبقاياها ـ العنصل: نبات معمر من الفصيلة الزنبقية له ورق كورق الكراث.

(٤) الصم: الصلاب ـ الجندل: الصخور.

(٥) نمير الماء: الصافي منه والعذب.

(٦) المنجرد: الحصان القصير الشعر ـ قيد الأوابد: كناية عن السرعة، الأوابد: الوحوش ـ الهيكل: الضخم.

(٧) خفرات: شديدات الحياء ـ الكواعب: جمع كاعب وهي الفتاة نهد ثدياها ـ الترائب: عظام الصدر ـ السجنجل: المرآة. رومية معربة.

وخل الجفا وارجع إلى معهد الوفا   وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجمل [١]
حلا ودك الماضي وإن لم تعد أعد   لدى سمرات الحي ناقف حنظل [٢] .

فأجابه الشيخ جمال الدين متهكماً في المطلع، والتهكم فيه غاية لا تكاد تخفى على حذاق الأدب، بقوله:

فـطمت ولائي ثم أقبلت عـاتبـاً   أفـاطم مهـلاً بعض هـذا التـدلـل
بـروحي ألفـاظ تعـرض عتبهـا   تعـرض أثنـاء الـوشـاح المفصـل
فـأحييت وداً كان كـالرسم عـافياً   بسقط اللوى بين الدخول فحومل [٣]
تعفي ريـاح العذر منـك رقـومـه   لما نسجتها من جنوب وشمأل [٤]
نعم قوَّضت منك المودة وانقضت   فيـا عجبـاً من رحلهـا المتحمـل
أمولاي لا تسلك من الظلم والجفا   بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل [٥]
ولا تنس مني صحبة تصدع الدجا   بصبـح وما الإصبـاح مني بأمثـل
صحبتك لا ألوي على صاجب عطا   بجيد معم في العشيرة مخول)
وحـاولت من إدناء ودك مـا نـأى   فأنزلت فيه العصم في كل منزل
يقلب لي وجدي به سـوط سائق   وإرخاء سرحـان وتقريب تتفـل [٧]
وكم خـدمـة عجلتهـا ومحبـة   تمتعت من لهـوٍ بها غيـر معجل
وكم أسـطر مني ومنـك كـأنهـا   عذاري دراري في ملاء مذيل [٨]
وقلب خليـل ينشـد الـودّ همـه   ألا أيها الليل الطويل ألا انجـلِ

---

(١) الصرم: القطيعة ـ أزمع: نوى وعزم على الأمر.
(٢) سمرات: جمع سمرة وهي شجرة الطلح ـ الحنظل: نبات شديد الحرارة. ـ الناقف: الذي يكسر الحنظل، وناقف الحنظل يبقى سائل الأنف، كثير الدمع لشدة حرارة الحنظل.
(٣) العافي: الممحو غير الواضح ـ الرسم: الأثر ـ سقط اللوى والدخول وحومل: أسماء أماكن في الصحراء العربية.
(٤) الرقوم: النقوش ـ الجنوب والشمأل: الريح.
(٥) الخبت: الوادي العميق المحدود ـ القفاف: التلال والوهدات ويروى: حقاف وهي الرمال المرتفعة ـ العقنقل: الوادي العظيم المتسع والكثيب من الرمل.
(٦) المعم: ذي الأعمام ـ المخول: ذي الأخوال.
(٧) الإرخاء: السير السريع/السرحان: الذئب ـ التقريب: السير البطيء ـ التتفل: ولد الثعلب أو الثعلب عينه.
(٨) الملاء: الثوب الفضفاض تلتف به المرأة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها ـ المذيل: المطرزة أذياله.

وكم ناصح كذبت دعواه إذ غدت | عليّ وآلت حلفة لم تحلل [1]
ولحية لاح غاظها ضحكي على | أثيث كقنو النخلة المعثكل [2]
ترى بعر الأرام في عرصاتها | وقيعانها كأنه حب فلفل
نزعت لسكري ساحباً من صبابتي | على إثرها أذيال مرط مرحل [3]
إلى أن تبدى عذره متمطياً | وأردف اعجازاً وناء بكلكل [4]
فلاطفته في حالتيه ولم أقل | فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
وضن بأسطار كأن يراعها | أساريع ظبي أو مساويك إسحل [5]
ويقرع سمعي من معاريض لفظه | مداك عروس أو صلاية حنظل [6]
وعدنا لود يملأ القلب عوده | بشحم كهداب الدمقس المفتل
أعدت صلاح الدين عهد مودة | بكل مغار الفتل شدت بيذبل [7]
فدونك عتبي اللفظ ليس بفاحش | إذا هي نصته ولا بمعطل [8]
وعادات حب هن أشهر فيك من | قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

والذي أقوله: المهيع الذي اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس، ومشى عليه في تضمين هذه المعلقة، يعد من المعلقات في بابه، فإنه ضمنها في مداعبة رجل من أصحابه، كان كبير الأنف وأتى بما لا اختلج في صدر متأدب، ولا سمع بعده المرقص والمطرب، وهو قوله:

تأنف عن وصف الغزال تغزلي | بلحية أنف ذي عقاص ومرسل

أنظر أيها المتأدب ما ألطف تأنف هنا، وألطف منه قوله بلحية أنف، فإن العقاص

---

(١) آلى: حلف.
(٢) اللاحي: اللائم - الأثيث: الملتف - قنو النخلة: العنقود - المتعثكل: المتشابك.
(٣) المرط: الإزار - المرحّل: الموشى.
(٤) أردف أعجازاً: أتبع المؤخره - ناء: بعد - الكلكل: الصدر.
(٥) أساريع الظبي: أصابعه واحدها أسروع - المساويك: جمع مسواك: وهو عود تنظف به الأسنان - الإسحل: الشجر الذي تتخذ منه المساويك.
(٦) المداك: المسك المدقوق دقاً وتستعمله العرائس عادة أو هو الحجر الذي يسحق به - صلاية الحنظل: الحجر الأملس الذي يكسر عليه، وهو نبات شديد الحرارة.
(٧) مغار الفتل: محكم الجدْل وهو الحبل المتين - يذبل: إسم جبل في الصحراء.
(٨) نصّته: أبرزته وأظهرته - المعطل: الذي لا حليَ فيه.

جمع عقيصة وهو ما جمع من الشعر، والمرسل الشعر المسرح، ومراده أن لحية هذا الأنف غزيرة الشعر مسرحة وقال مشيراً إليها:

من البقّ فيها جملة قد تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل[1]
فيا قبح شعر فوق أنف معرقص أثيث كقنو النخلة المتعثكل[2]

الأثيث الكثير والمتعثكل الذي دخل بعضه في بعض لكثرته وتدلى وهكذا قنو النخلة الذي شبه به الصاحب فخر الدين هذا الأنف، ولعمري إن هذا الإيداع من السحر في نقله إلى هذه الصفة الغريبة وقال بعده:

وقالوا اختبا في شعره فكأنه كبير أناس في بجاد مزمل

هذا التشبيه بالنسبة إلى كبر الأنف نوع من الغلوّ، وهو من المخترعات في بابه، فإن امرأ القيس شبه به جبل ثبير فقال:

كأن ثبيراً في عرانين ويله كبير أناس في بجاد مزمل

والعرانين جمع عرنين وهو الأنف، والوبل ما عظم من المطر، والبجاد كساء مخطط من الشعر الأبيض والأسود، فنقله الصاحب فخر الدين في إيداعه إلى الأنف، لما فيه من الشعر الأبيض والأسود الذي انتسج في أنفه كالبجاد، ولما اختفى في ذلك الشعر، بكبير أناس في بجاد مزمل أي ملتف، وقد تقدم قولي إنه من المخترعات.

مقلص كلتا الجانبين كأنه لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وهذا التشبيه أيضاً من العجائب، فإن هذا الأنف لم يبرح سائلاً، فشبهه الصاحب برجل ناقف حنظل، فإن ناقف الحنظل كثير الدمع لشدة حرارته. وقال:

ترى القمل والصيبان في عرصاته وقيعانه كأنه حب فلفل[3]
وفي جوفه شعر طويل كأنه بأرجائه القصوى أنابيش عنصل
فيا لك شعراً فوق أنف معظم يلوح كهداب الدمقس المفتل
وكم قلت إذ أرخى ذوائب أنفه علي بأنواع الهموم ليبتلي
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

(١) البق: نوع من الحشرات التي تشبه القمل ولكنها أكبر منه.
(٢) المعرقص: المجعد كثيراً.
(٣) العرصات: واحدتها عرصة وهي ساحة الدار ـ والقيعان: مفردها قاع: وقاعة الدار ساحتها أيضاً.

الصاحب فخر الدين رحمه الله ضمن هنا عجزاً وبيتاً كاملاً بنصف بيت واحد، وفي هذا من الروية والقوة ما يزيد على الوصف، وأما قوله بعدما أرخى هذا الرجل ذوائب أنفه: ألا أيها الليل الطويل ألا انجل، فإن هذا نوع من السحر بل السحر بعينه، ومن المبالغة المفرطة في هذا الباب قوله:

كأن الفسا إن قيس مع ريح أنفه ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل[1]
ترى شعرات الأنف سدت خدوده ... لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقد درست بالأنف آثار وجهه ... فهل عند رسم دارس من معوّل[2]
كأني بمولانا على وصف أنفه ... تولى بأعجاز وناء بكلكل
وجرد شعر الأنف منه وجاءنا ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

هذا الذي وقع عليه الاختيار من اختراع الصاحب فخر الدين، تغمده الله برحمته ورضوانه، ولعمري إنه من الاختراع الذي لم يسبق إليه، ولا حام فكر من قبله عليه. انتهى.

وكان الأمير مجير الدين بن تميم يجنح إلى نوع الإيداع كثيراً، وأتى فيه بالعجائب والغرائب، وقال من شغفه بالتضمين:

أطالع كل ديوان أراه ... ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى ... فشعري نصفه من شعر غيري

ومن تضامينه:

أفدي الذي أهوى بفيه شارباً ... من بركة راقت وطابت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله ... فأرتني القمرين في وقت معا

وله أيضاً:

وشبابة قد كنت أهوى سماعها ... وقد صرت منها بعدما تبت أنفر[3]
وها أنا قد فارقتها غير نادم ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

---

(١) الفسا: الريح الذي يخرج من دبر الأنسان.

(٢) درس: امّحى ـ المعوّل: الفائدة أو ما يعوّل عليه.

(٣) الشبابة: آلة موسيقية قديمة يستعملها الرعاة عادة وهي عبارة عن قصبة فيها خمسة ثقوب أو سته توضع=

وأورد العميان في شرح بديعيتهم بيتين ذكروا أن تضمينهما لبعض المتقدمين من المغاربة، وهما على طريقتهم، ولكن أعجباني، وهما:

وفرع كان يوعدني بأسر ... وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لا خوف فاسكن ... كلام الليل يمحوه النهار

ومن التضامين البديعة قول زكي الدين بن أبي الأصبع، وقد جعل مطلع أبي الطيب عجزين لبيتين، فلم يلحق فيهما، فإنه نقلهما من فخامة التحمس إلى زخارف الغزل، بقوله:

إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها ... تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدها ومدامعي ... مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

ومن تضامين ابن تميم:

عاينت في الحمام أسود واثياً ... من فوق أبيض كالهلال المسفر(١)
فكأنما هو زورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال في الفانوس:

يقول لي الفانوس حين أتوا به ... وفي قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدي ثم اكشفوا الثوب تنظروا ... ضنى جسدي لكنني أتستر

وله: أزهر اللوز أنت لكل زهر ... من الأزهار يأتينا إمام
لقد حسنت بك الأيام حتى ... كأنك في فم الدهر ابتسام

وقال: لو كنت إذ أبصرتها دوارة ... للشمس في أمواهها لألاء(٢)
لرأيت أعجب ما ترى من بركة ... سال النضار بها وقام الماء

وقال غيره، وسبكه في غير هذا القالب:

لو كنت في الحمام والحنا على ... أعطافه ولجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة ... سال النضار بها وقام الماء

عليها الأصابع وينفخ فيهامع تحريك الأصابع فيسيل منها نغمٌ مطرب، وقد تكون مصنوعة من الحديد أو النحاس أو ما إلى ذلك وتعرف أيضاً بالقصبة.

(١) واثياً: مصاباً بالوثء وهو وصم يصيب لحم اليد ولا يبلغ العظم. المسفر: المكشوف.

(٢) أمواه: جمع: ماء.

وقال: يـا مـن يـقـول بـأن رشــــف لـمى الحبـائب لم يـرق
وغـدا يـعـنـفـني بـه دع عـنـك تعـنـيـفـي وذق

وقال: لمـا رأيت البـدر في سـاعـدي ونـرجس الأنجم قـد صـوّحـا[1]
أفنيت رشفـاً فيـه ريق الـدجـا من قبل أن ترشف شمس الضحا

وقوله: صهبـاء ريقتـه رشفت سـلافهـا وتغلبت فعجـزت أن أتكـلمـا
وإذا سئلت أقـل لمن هو سـائل إني لأعلم مـا تقـول وإنمـا[2]

ومن محاسن الشيخ سراج الدين الوراق قوله:

تـوارت من الواشي بليـل ذوائب لـه من جبين واضحٍ تحته فجـر
فـدل عليهـا شعـرهـا بـظلامـه وفي الليلة الظلماء يفتقـد البـدر

نقله الشيخ شمس الدين بن الصائغ إلى المداعبة، وزاده تورية، بقوله:

تطلبت حجراً في الظلام فلم أجد ومن يك مثلي حية دأبه الحجر[3]
فناداني البـدر الأديب إلى هنـا وفي الليلة الظلماء يفتقـد البـدر

ويعجبني من تضمين ابن أبي الاصبع قوله، وهو منقول من الحماسة إلى الغزل:

لـه من ودادي مثل كفيـه صافياً ولي منه ما ضمت عليه الأنامـل
ومن قـده الـزاهي ونبت عـذاره صـدور رماح أشرعت وسلاسـل

وقوله: هذا الذي أنا قد سمحت بحبـه كـرمـاً بلؤلؤ دمعي المتـنـظم
لا تحـرمـوني ضـم أسمـر قـدّه ليس الكـريم على القنـا بمحـرم

ومن تضامين الشيخ محمود البديعة قوله:

من حـاتم عدّ عنـه واطـرح فبـه في الجود لا بسواه يضرب المثل
لو مثل الجود سرحاً قال حاتمهم لا ناقة لي في هذا ولا جمل[4]

---

(١) صوّح: جفّ ويبس.
(٢) وإنما لا أستطيع التكلما.
(٣) الحجر: بيت الحية ـ دأبه الحجر: دأبه طلب الحجر.
(٤) لا ناقة لي في هذا ولا جمل: مثل يضرب فيمنْ لا يعنيه شيء من الأمر.

ومن محاسن تضامين شمس الدين محمد بن العفيف البديعة قوله:

قالوا غداً تندم عن لثمه ... في خده إذ يغلب السكر
فقال لي مبسمه دعهم ... اليوم خمر وغداً أمر(1)

وقال: جلا ثغراً وأطلع لي ثنايا ... يسوق بها المحب إلى المنايا
وأنشد ثغره يبغي افتخاراً ... أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن تضامين مجير الدين بن تميم التي تطفل الناس عليها بعده قوله:

إن تاه ثغر الأقاحي إذ تشبهه ... لله حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسماً ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب(2)

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله:

وناطقة بالروح عن أمر ربها ... تعبر عما عندها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت ... فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشيخ صلاح الدين الصفدي قوله:

ملكت كتاباً أخلق الدهر رسمه ... وما أحد في دهره بمخلد
إذا عاينت كتبي الجديدة جلده ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقال: قل للرقيب يسترح من عذلي ... ما أصبح المعشوق عندي مشتهى
وارتد قلبي عن سيوف لحظه ... وكل شيء بلغ الحد انتهى

وقال مضمناً ومكتفياً:

رشفت ريقك حلواً ... فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل ... وأوّل الغيث قطر

ومن تضامين الشيخ عز الدين الموصلي:

وعلق يرى للترك فيه تحمس ... يقود عليه أحدب ويعاشره(3)
إذا جاءه اللوطي يطلب وصله ... ثنى طرفه نحو الحسام يشاوره

---

(1) اليوم خمر وغداً أمر: قالها امرؤ القيس عندما بلغه مقتل والده وقد كان خلياً لا هم له يشرب الخمرة ويلهو، فصار مهتماً بالثأر لأبيه.

(2) حكيت: شابهت ـ الشنب: بياض الأسنان ورقتها.

(3) العِلق: الصعلوك من الناس، أو المخنث المتشبه بالنساء ـ يقود عليه: يجلب له الزبائن وهي من القوادة أي القياده إلى الفحش ـ يعاشره: يجامعه، يلوطه.

وله أيضاً:

جـاد لنـا كـالشـادن الـربـيب | لـحـظتـه بـالـنـظر الـمـريـب
فقـال في السكـرة عنـد نـومـه | يـا رب سلمهـا من الـدبيب[1]

وقال: نـادمت قومـاً لا خلاق لهم ولا | ميـل إلى طـرب ولا سـمـار
يستيقـظون إلى نهيق حميـرهـم | وتـنـام أعينـهـم عـن الأوتـار

وقال: لحديث نبت في العذار حلاوة | وطـلاوة هـامت بهـا العشـاق
فـإذا نهاني المـرد قلت تمهلوا | فـإليكم هـذا الحـديث يساق[2]

ومن تضامين الشيخ برهان الدين المعمار التي أجاد فيها قوله:

عزمت على رقبى محاسن وجهه | بـأنوار آيات الضحى حين أقبلا
فلمـا بـدا يفتـر عن نـظم ثغـره | بدأت ببسم الله في النظم أوّلا[3]

وكتب الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري، إلى الشيخ سيف الدين الآمدي:

لئن تقـدم قـوم عصـر سيـدنـا | فكم تقـدم خيـر المـرسلين نبي
وإن يكن علمـه فـرعـاً لعلمهم | فإن في الخمر معنى ليس في العنب
وإن أتـت قبـله كـتـب مـؤلـفـة | فالسيف أصدق إنبـاء من الكتب

ومن الغايات في هذا الباب، قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب:

لله يوم الوفـا والناس قـد جمعوا | كالروض تطفوا على نهـر أزاهره
ولـلوفـاء عمـود مـن أصـابعـه | مخلق تمـلأ الـدنيـا بشـائـره

ومما جاد به الشيخ برهان الدين القيراطي، في تضمينه:

قـل في اخضرار عـذاره وقـوامـه | خلع الـربيع على غصـون البـان
وانشـر من الأغـزال في أردافـه | حللاً فـواصلهـا على الكثبـان[4]

ومن غايات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في هذا الباب قوله:

قـل للهـلال وغيم الأفق يستـره | حكيت طلعـة من أهـواه بـالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد | ذُكِّرت ثم على ما فيك من عوج

---

(١) الدبيب: سريان الخمرة في المفاصل بعد شربها.
(٢) المرد: جمع أمرد وهو الشاب لم تنبت لحيته بعد.
(٣) يفتر: يبتسم حتى تبدو أسنانه.
(٤) الأرداف: جمع رِدف وهي المؤخره ـ الكثبان: جمع كثيب: تلة الرمل.

ومن تضامين علاء الدين بن أيبك الدمشقي البديعة قوله:

أقـول وقـد ظمئت ووجـه حبي ... لـه عـرق على ورد الخـدود
أرى مـاء وبـي ظمـأ شـديـد ... ولـكن لا سبيـل إلى الـورود

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله:

لقد قال لي إذ رحت من خمر ريقه ... أحث كؤوساً من ألـذ مقبـل[1]
بلثم شفـاهي بعد تقبيـل مبسمي ... تنقـل فلذات الهـوى في التنقل

وظريف في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن المنيجي:

ولمـا خلونـا والمسـرة بيننـا ... وقد عز شرب الراح فينا عن الشرب[2]
تعوّض كلٌّ بـالحشيش عن الطلا ... ومن لم يجد ماء تيمم بالترب[3]

ومن تضامين شهاب الدين بن أبي حجلة البديعة قوله:

يحكي سنا الفانوس من بعد لنا ... بـرقاً تـألق مـوهنـاً لمعـانـه
فـالنار مـا اشتملت عليه ضلوعـه ... والمـاء مـا سمحت بـه أجفـانـه

وقال فيه:

أنا في الدجا ألقى الهوى وبمهجتي ... حـرق يذوب لهـا الفؤاد جميعـه
وكـأنني في الليـل صب مغـرم ... كتم الهـوى فوشت عليـه دموعـه

وقال وأجاد:

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي ... وحـظيت بعـد الهجـر بـالإينـاس
وكسا العذار الخد حسناً فاسقني ... واجعـل حديثـك كله في الكاس

ومن تضامين الشيخ برهان الدين القيراطي:

تـجـمـعـت مـن نـطـف ذاتـه ... حتى بـدا فـي قـالـب فـاسـد
ولـيس عـلى الله بـمـسـتـنـكـر ... أن يجمـع العـالم فـي واحـد

---

(١) المقبّل: مكان التقبيل وهو الفم.
(٢) المسرّة: الفرحة ـ الشَّرب: الذين يشربون الراح وهي الخمرة.
(٣) الحشيش: نوع من المسكرات يدخن تدخيناً والطلا: الخمرة.

وقال مضمناً في قطائف:

لقد نطقت زهر الثنا بقطائف | تخيرتها فاختر لنفسك ما يحلو
تقول اسمعوا مني مدائح مرسلي | وكلي إن حدثتكم السن تتلو

وله في باذهنج وأجاد:

بروحي أفدي باذهنجاً موكلاً | بإطفاء ما ألقاه من حرق الجوى[1]
إذا فتحت في الحر منه طوابق | أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

وقال فيه:

أيا باذهنجا صح فيه لنا الهوا | صفاتك ما وفى بهن خطاب
وما شئت إلا أن أدل عواذلي | على أن عشقي في هواك صواب

وقال فيه الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة وأجاد:

هجا الشعراء جهلاً باذهنجي | لأن نسيمه أبداً عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه | إذا صح الهوى دعهم يقولوا

ويعجبني من قصائد الشيخ برهان الدين القيراطي قوله:

وموسوس عند الطهارة لم يزل | أبداً على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لذقنه | ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

ومن غاياته في هذا الباب قوله:

ولما بدا والليل أسود فاحم | قد انتشرت في الخافقين غياهبه[2]
أضاء بدر الثغر عند ابتسامه | دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه[3]

وقال بدر الدين حسن الزغاري وأجاد:

وبي سامري مربى في عمامة | قد اكتسبت من وجنتيه احمرارها
موردة دارت بوجه كأنما | تناولها من خده فأدارها

---

(١) الباذهنج: شجر طيب الرائحة.
(٢) الخافقين: الأفقين ـ الغياهب: الظلمات.
(٣) الجزع: نوع من الخرز الأسود.

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلي:

وسامري أعار البدر منه سنا ... سموه نجماً وهذا النجم غرار
تهتز قامته من تحت عمته ... كأنه علم في رأسه نار

ومن تضامين محيي الدين بن قرناص الحموي:

أفديه أغيد زارني تحت الدجا ... وعليه من فرعيه ليل ساجي
والفرق بين الشعر فوق جبينه ... عريان يمشي في الدجا بسراج

وقال أيضاً:

سقى الله روضاً قد تبدى لناظري ... به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده ... وكلّ إناء بالذي فيه ينضح

وقوله في كاحل:

دعوا الشمس من كحل الجفون فكفه ... تسوق إلى الطرف الصحيح الدواهيا(٤)
فكم أذهبت من ناظر بسواده ... وخلت بياضاً خلفها ومآقيا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة:

ومتى امتطيت من الكؤوس كميتها ... أمسيت تمشي في المسرّة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها ... لم تلق إلا راغباً أو راهبا

وقال ابن الوردي: تعجبت من اشتهار بيتين ما أحكمهما بانيهما، ولا اعتنى بمعانيهما وهما:

مقامات الغريب بكل أرض ... كبنيان القصور على الثلوج
يذوب الثلج تنهدم البنايا ... وقد عزم الغريب على الخروج

فخلصتهما من مقامات الغريب بكل أرض، وأوقدت فكرتي فذاب الثلج، وانهدمت البنايا المستحقة للنقض، وجعلتهما أسمى من السماء، ونقلتهما من كثافة الأرض، فقلت:

مليح ردفه والساق منه ... كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيباً ... فقد عزم الغريب على الخروج

---

(٤) الدواهيا: المصائب.

قلت، وقد سألني بعض حذاق الأدب عن بيت ابن مطروح، الذي لم تصل أفواه البلغاء إلى لثم أعتابه، ولا الحضور إلى جنابه، ولا وجدوا طاقة للدخول من با به، فضمنته تضميناً لو سمعه ابن مطروح لطرح نفسه خاضعاً، وسلم إليّ مفاتيح بيته طائعاً، وهو قوله:

لبسنا ثياب العناق مزررة بالقبل

فقلت:

ولما خلعنا العذار فككنا طويق الخجل
لبسنا ثياب العناق مزررة بالقبل

ومن تضامين الشيخ زين الدين بن الوردي ما ذكره في ديوانه، أنه كان له صاحب يدعي بالمجد، حصل له أذية مفرطة من زوجته، وأبيها وجدها، فكتب إليه الشيخ:

زوجة مجد الدين والداها في ثلب عرض المجد أشبهاها[1]
إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

ومن تضميني الذي ما حام فكر من ضمن اعجاز الملحة عليه، ولا سبقني جواد من فحول العربية إليه قولي مداعباً:

نصبت أيري إذ نحوت نيكه وهو يريد رفعها لي ابتدا
وبعد ذا للجر قد أضفته وفي المضاف ما يجر أبدا

وأنشدني من لفظه الكريم، قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر، من هذا الباب بيتين كان مولانا قاضي القضاة علاء الدين يترنم بهما:

تيه فلان الدين مع فقره أقوى دليل أنه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه قعاقع ما تحتها طائل[2]

وقال أيضاً في المجون:

وشاعر فاسق أتى امرأة من خلف إذ سامه المليح قِلى
وقال إذا عاتبوه معتذراً تلجي الضرورات في الأمور إلى[3]

---

(١) ثلب: تجريح. وعيب.

(٢) القعاقع: الكثير التصويت على غير طائل، والطائل: النتيجة والفائدة والمعنى.

(٣) إلى: إلى الممنوعات.

ومن تضاميني الغريبة:

حشت عزمي شوقاً إليكم ... فلم أطق مكثة بأرض
وحيث لم أحظ بالتلاقي ... فغايتي أن ألوم حظي

وقولي:

يقول معذبي حسن تخير ... سواي فقلت قد عز اصطباري
وكم في الناس من حسن ولكن ... عليك لشقوتي وقع اختياري

وأنشد المقر المرحومي محمد بن منهال ناصر الدين، عين الموقعين بدمشق المحروسة، بيتين لابن الوردي، والأصل للحريري صاحب المقامات:

لوجنة صيادكم نسخة ... حريرية ملحة في الملح
يقول لنبت العذار اجتهد ... ومدّ الشباك وصد من سنح[1]

فنظمت في ذلك المجلس بيتين اعترفت لهما القصور العوالي بالقصر، وما شك أحد أن أبا بكر مقدم على عمر:

غدا طير أفراحنا سانحا ... يحوم على ورد عذب القدح
فقلنا لدر الحباب اجتهد ... ومد الشباك وصد من سنح

ومن تضاميني الغريبة ما ضمنته قول عنترة في معلقته:

وإذا سكرت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرمي

فقلت:

جاد النسيم على الربا ... بندى يديه وقال لي
أنا ما أقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلي

وبيت الشيخ صفي الدين في هذا النوع:

إذا رآه الأعادي قال قائلهم ... حتام نحن نساري النجم في الظلم

الشيخ صفي الدين ضمن في بيته الشطر الأول من مطلع المتنبي، وشطره الثاني: «وما سراه على خف ولا قدم».

(١) سنح: ظهر وتعرّض أو مرّ من اليمين إلى الشمال.

وبيت العميان:

واسمح بنفسك وابذل في زيارته ... كرائم المال من خيل ومن نعم

والعميان ضمنوا الشطر الثاني من بيت الشريف الرضي، وشطره الأول: «ماض من العيش لو يفدى بذلت له».

وبيت الشيخ عز الدين:

إيداعه الفضل في الأصحاب شرفهم ... بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

والشيخ عز الدين ضمن الشطر الثاني من بيت المتنبي، من قصيدته لتي ضمن فيها الشيخ صفي الدين الشطر الأول وهو قوله:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة ... بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على المديح النبوي تابع لقولي، وهو:

وآله البحر آل أن يقس بندى ... كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم
وفي الوغى رادفوا لُسنّ القنا سكناً ... من العدا في محل النطق بالكلم
وأودعوا للثرى أجسامهم فشكت ... شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

وأنا أيضاً ضمنت في بيتي شطراً ثانياً من ميمية المتنبي، والشطر الأول: «ولا تشك إلى خلق فتشمته»، ووجه الاستحقاق هنا سافر لمستجلي محاسن هذا النوع، والله أعلم.



ذكر التوهيم

والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا والسمر قد قبلتهم عند موتهم(١)

قلت: هذا النوع، أعني التوهيم، وتقدمه باب الترشيح، كان الأليق بهما أن ينتظما في سلك باب التورية ويذكر التوهيم مع إيهامها والترشيح مع المرشحة، وقد تقرر كل من النوعين وتقدم في بابه، والذي مشى عليه الشيخ صفي الدين هنا هو إيهام التورية وهو قوله:

حتى إذا صدروا والخيل صائمة من بعد ما صلت الأسياف في القمم

فذكر صيام الخيل، هنا، يوهم السامع أن السيوف صلت من الصلاة، ومراده الصليل وهو صوت الحديد، وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾(٢) بعد قوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾(٣) فإن ذكر الشمس والقمر، هنا، يوهم السامع أن المراد بالنجم أحد النجوم، والمراد به النبت الذي لا ساق له.

قال ابن أبي الأصبع: وقد يأتي التوهيم للمطابقة، كقول أبي تمام رحمه الله تعالى:

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

فإنه أوهم بالمطابقة بين الأحمر والأخضر، وليس يطابق، إذ الأحمر لا يطابق

---

(١) السمر: الرماح ـ التقبيل: الطعن في الثغر ـ ويحتمل أن يكون السمر النساء، والتقبيل: الاتجاه نحو القبلة.

(٢) الرحمٰن، ٥٥/٦.

(٣) الرحمٰن، ٥٥/٥.

الأخضر، وفرّع منه ضرباً آخر فقال: هو أن يأتي المتكلم بكلمة توهم، بما بعدها من الكلام، أن المتكلم أراد تصحيفها ومراده خلاف ذلك، كقول أبي الطيب:

وإن الفئام التي حوله ... لتحسد أرجلها الأرؤس

فإن الأرجل أوهمت السامع أن لفظة الفئام بالقاف، ومراد الشاعر الفئام بالفاء، وهي الجماعات الكثيرة، هكذا روي هذا البيت، والمبالغة تقتضيه فإن القيام بالقاف يصدق عليه أقل الجمع. انتهى.

وبيت عز الدين الموصلي:

يا سائراً مفرداً أعربت لحنك في ... توهيم منع رضاع الشاه من حلم

قلت: هذا البيت المبارك عجزت عن حلّ معناه، إذ ليس له تعلق بما قبله، ولا بما بعده، ولا بمدح النبي ﷺ، ولم أزل في حيرة إلى أن وقفت على شرح المصنف، فوجدته قد قال: الحلم مشتق من الحلمة، وهي رأس الثدي، ويحصل في جلد الشاة دود، فتقول العرب: حلمت وحلم أديمها، أي وجد الدود في جلدها، ثم قال: ومعنى البيت، أني أخاطب سائراً في الطريق منفرداً بنفسه عن الناس، لا يرغب في مرافقة أحد، فقلت: له وأنت تتوهم بترك اجتماعك بالناس معنى لا تظهره، كما يوهم الراعي بمنع رضاع الشاء، أن جلودها حلمت، وحلم بين حلم الشاة وحلم الأديب. قلت والله ما ازددت إلا حيرة في تفسير هذا الشرح، والذي أقوله: إن الشرح والنظم في العقادة، وعدم الفائدة، كفرسي رهان.

وبيت بديعيتي تقدم قبله وهو:

وأودعوا للثرى أجسامهم فشكت ... شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

وقلت بعده في التوهيم:

والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا ... والسمر قد قبلتهم عند موتهم

فذكر الموت في البيت يوهم السامع أن نساءهم السمر قد أدارتهم إلى جهة القبلة، كما هو المعهود. والتوهيم هنا في التقبيل وفي السمر، والمراد بالسمر الرماح، وبالتقبيل الطعن في الأفواه التي تنزل هنا منزلة التقبيل، واستعارة التقبيل للرماح في غاية الحسن، فإنهم شبهوا سنان الرمح باللسان، وشبهوا مواقع الطعن بالثغور. ويعجبني هنا قول ابن المزين في الرمح:

أنـا أسمـر والـرايـة البيضـاء لي ... لا بـالسيوف وسـل من الشجعان
لم يحـل بي عيش الغداة لأنني ... نـوديت يـوم الجمـع بـالمـرّان[1]
وإذا تفـاخمت الكمـاة بجحفـل ... كلمتـهم فـيـه بكـل لـسـان[2]



(١) المران: الرماح اللدنة الصلبة واحدتها مرانة.
(٢) تفاخمت: علت قدراً ـ الكماة: الأبطال الشجعان ـ الجحفل: الجيش الجرار ـ كلّم: جرّح ـ اللسان: من الرمح سهمه.

ذكر الألغاز

وكــل مــا ألــغــزوه حله لــســن مــذ طــال تعقيــده أزرى بفهمهم

هذا النوع، أعني **الألغاز**: يسمى المحاجاة والتعميه، وهي أعم أسمائه، وهو أن يأتي المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة، من غير ذكر الموصوف، ويأتي بعبارات يدل ظاهرها على غيره، وباطنها عليه، وأبدع ما فيه أنه لم يسفر في أفق الحلى غير وجه التورية، وأما تعسف الفرقة التي ليس لها إلمام بالتورية في الألغاز، فأمرهم مسلم إليهم، وأما علماء هذا الفن فإنهم ما ترروا سير ما قررناه، فمن ذلك قول أبي العلاء في ابرة:

سعت ذات سم في قميصي فغادرت بـه أثراً والله شـاف من السم[1]
كست قيصراً ثوب الجمـال وتبعاً وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وقول ابن حراز في خيمة:

ومضـروبة من غيـر ذنب أتت به إذا ما هدى الله الأنـام أظلت[2]

قلت: لغز أبي العلاء ولغز محيي الدين، لم تسفر فيهما الوجوه الحسان إلا من وراء ستور التورية، ومنه قول ابن حراز فيمن اسمه عثمان:

حــروفــه مــعــدودة خــمــســة إذا مـضى حـرف تـبقـى ثمـان

ومن ألطف الألغاز في القلم:

وذي خـضــوع راكــع ســاجــد ودمــعــه مـن جـفـنـه جـاري
مــواظب الــخــمس لأوقــاتـهــا مـنقــطع فـي خـدمـة البـاري

---

(١) السُم: الثقب، وذات السُم: الإبرة. والسُّم: مادة تسبب الموت.

(٢) المضروبة: التي ضربت من الحيوانات فشارفت على الموت، والخيمة.

وقول ابن عبد الظاهر في شربه في كوز الوزير:

وذي أذن بلا سمع لـه قلب بلا قلب
إذا استولى على حب فقل ما شئت في الصب

ومن لطائف ما وقع في باب الألغاز أن شيخ الشيوخ بحماة كتب إلى والده ملغزاً في باب، بقوله:

ما واقف بالمخرج يذهب طوراً ويجي
لست أخاف شره ما لم يكن بمرتج[1]

فكتب إليه والده في الكتاب:

ذهاب ومجيءٌ وخوفٌ وشر، هذا باب خصومة والسلام.

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزاً في باب:

أي شيء تراه في الدور والكتب مجازاً هذا وذاك محقق
هو زوج وتارة هو فرد وهو في أكثر الأحايين يطرق
وطليق في نشأتيه ولكن بحديد من بعد ذلك يوثق[2]
وهو في القلب يستوي وتراه بان تصحيفه لمن يترمق[3]
فأجبني عنه بقيت مطاعاً لست في حلبة الفضائل تسبق

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في باذهنج، وأجاد:

أهواؤنا المختلفة قد أصبحت مؤتلفه
في شامخ بأنفه على العوالي أنفه
وذي جناح لم يطر وكل طير ألفه
جناحه طول المدا يبدي علينا رفرفه
في الريح ضاع قول من على هواه عنّفه
عليله الصحيح كم .شفى قلوباً دنفه
وروحه لطيفة وذاته منحرفه

(١) أرتج: الباب، أقفله.

(٢) يوثق: يربط، ويقيد.

(٣) التصحيف: تغيير نقط الحروف ـ المترمق: المحدد النظر.

عن قبلة الدين أرى حب الهوا قد صرفه
ولم تكن مع الهوا أعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه كيف يشاء صرفه
ما زال غير شاكر ساكنه مذ ألفه
وكلما أسرف في بذل شكرنا سرفه
أنفاسه كم أودعت مجلسنا تلطفه
كم رنحت من غصن وقامة مهفهفه(١)
معتله هو الصحيح عند من قد عرفه

وقال محيي الدين ملغزاً في قمري:

ما معمى ورأسه في عداد المطير
كم له من مترجم كم له من مسحر
كم خواف له بدت لالتماع المبصر(٢)
كله معجم وإن زال بعض اسمه قري

وقال المقر المرحومي الأميني، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة، ملغزاً في فاختة(٣):

وما طائراً يهوى الرياض تنزهاً ويسرح في أفنانها ويغرد
هجاء اسمه خمس حروف تعدها وخمساه حرف إن تأملت مفرد
وبعدهما تصحيف باقيه إن ترد بياناً له أفعى تبين وتشهد
وفيه أخ إن تهت عنه فأخته تدل على ما قد عنيت وترشد

هذا اللغز ورد إلى الديار المصرية، وحله بقية السلف الشيخ زين الدين بن العجمي، وأجاب عنه بقوله:

أيا من له مجد أثيل وسودد غدا دون مرقاه سماك وفرقد(٤)
تفيد يسار المقترين يمينه ويسراه من يمنى الغمامة أجود

---

(١) رنح: أسكر، وأمال.
(٢) الخوافي: أربع ريشات في جناح الطائر تختفي إذا ضم الطائر جناحه، واحدتها خافية.
(٣) الفاختة: نوع من الحمام المطوق، يباعد بين جناحيه وإبطيه ويتمايل في مشيه.
(٤) الأثيل: الأصيل المتجذر ـ السؤدد: الرفعه ـ مرقاه: ارتقاؤه ـ السماك والفرقد: نجمان، وهنالك سماكان وفرقدان.

ونقل الشيخ جمال الدين الدميري في كتابه «حياة الحيوان» لغزاً في بجع:

ما طائر في قلبه يلوح للناس عجب
منقاره في وسطه والعين منه في الذنب

وكتب علامة العصر الشيخ بدر الدين الدماميني، إلى المجدي فضل الله بن مكانس، ملغزاً في قدح، فقال: ما اسم حبيب إلى النفوس، شبيه بالبدر حليف للشموس، إن قلب كان لقلبه من العين مكان المناسبه، أو سقط قلبه مع الفعل كان ضداً للأقوال الكاذبه، وإن صحف بعد العكس أنبأ عن الذكاء وهذا غاية الشرح، وإن غير ثانياً علم رب الكلام المحرر أنه دال على الطرح، حاشيتاه مع التصحيف آلة للصيد، معينة على المكر والكيد، وإن قطع طرفه كان صراح باقيه قواماً، وإن عكس على الطرف صار بتصحيفه مداما، وإن زال أوله كان العكس عقاباً بالمتعاطي إثمه، أو صحف اشتاقت الشفاه إلى تقبيله ولثمه، وربما كان الحد عند تصحيفه الآخر منافياً لاسمه، مبايناً في الحقيقة لحده ورسمه.

فكتب الجناب المجدي الجواب وألغز في ورد بقوله: يقبل الأرض التي أطالت بالجفاء حرمانه، وتداركته بعد إجراء دموعه فعظمت في الحالين شانه، وانتهى المملوك إلى اللغز الذي تمتع بملحه، وشرب بقدحه، فابتهل شكراً، ومالت أعطافه بالقدح الفارغ سكراً، فوجده كما قال مولانا حبيباً إلى النفوس، مجتهداً في التوصل بما حازه إلى الرؤوس، وكتب في الجواب لغزاً، وخالف نفسه إذ قالت لا ينبغي مجاراة هذا الجواد لزاً[1]. [وهو] ما عاطل يتحلى به المجالس، ويتفكه به في المجالس، تحمر وجناته من الشرب، وتحمد آثاره في البعد والقرب، إن قلبته وجدته تاجاً، وإن تركته على حاله زادك ابتهاجا، يعذب بالنار وغيره الجاني، ويريك إن بدلت أوله برد الأماني، يستخرج وهو داخل، ويرى دمعه من نار قلبه هاطل، لا تبرح به في غبطه، ولا تجد فيه مع انهماله نقطه، فإن حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمراً بالشراب، وإن فعلت كذا في ثانيه رأيت ما بقي مولداً للمحبة بين الأحباب، وورٌ إن حذفت آخره كمن وري، وغص في بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج دراً، والمملوك يسأل الصفح فإنه لولا المحبة ما أجاب، ولا طرق بعد فقد أبيه هذا الباب.

فكتب إليه الشيخ بدر الدين الجواب: يقبل الأرض وينهي ورود الجواب، الذي شفى القلوب بوروده، واللغز الذي نسي بوروده، بان الحمى وطيب وروده، فوجده روض

---

(١) اللز: الإلتصاق، والسرعة.

سؤالك عن أنثى طروب ولم تزل ... على عودها في الروض تشدو وتنشد
وتجذبني بالطوق عند نشيدها ... لنحو التصابي لا أطيق أفند
ومذ بان منها الطرف أمست لعكسها ... تخاف الردى ممن لها يترصد
وإن حذفت ثاني الأخير فإنه ... على العكس خاف بل يلوح ويشهد
فأولها مع ما يليه وحرفها ... لنا فاه بالمعنى الذي فيه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لناطق ... واف لمن بالعكس في ذاك يجحد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ ... وفي مفرق الجوزا لواؤك يعقد[1]

وقال ملغزاً في درة:

أي شيء من الجمادات يلفى ... وتراه من بعد ذا حيوانا
وترى ذلك الجماد عزيزاً ... غالياً منه رصعوا تيجانا[2]
وترى الروح منه في حيوان ... ذي جناح ويألف الطيرانا
وإذا ما شدا على العود يوماً ... فوق دف يحرك الأغصانا
أو بدا في مقفص فابن برد ... عند أسجاعه يصير مهانا
كله طائر وفي ثلثيه ... لك ذو أربع مع العكس بانا
كله عاطل به تتحلى ... كل خود وتستقل الجمانا[3]
وتراه عند الملوك عظيماً ... وبتصحيفه حقيراً مهانا
عكسه في تصحيفه زد بنقص ... فالمعمى هنا فكن يقظانا
وإذا لم تدر التصاحيف ذره ... للذي فيه فهو يدري البيانا
وبتحريفه تؤدب من شئـ ... ـت إذا كان يجهل العرفانا
ثلثاه در نفيس وفي فيـ ... ـه إذا جاء يصحب المرجانا
لكن الثلث عنده نصف وحش ... ذب عنا تصحيفه ما اعترانا
وهو في البر نافر وإذا ما ... حضروه قد يألف الإنسانا
فافترسه بالحل إن كنت ليثاً ... فهو لغز عن فضله قد أبانا

وعلى ذكر القمري والفاختة، أوردت هنا ما ألغزته في القفص، وهو قولي:

أي مغنى أعواده بيت شدو ... مرقص مطرب وبالقلب صفق
ولمجموعه النباتي حسن ... فزت من بعضه بسجع المطوق

(١) الباذخ: عظيم الشأن ـ اللواء: الراية.
(٢) عزيزاً: عزيز الوجود: نادره. رصّع: زخرف وزين.
(٣) العاطل. الذي لا حلي له ـ الخود: الحسناء ـ استقل: رأى الشيء قليلاً ـ الحجان: اللؤلؤ.

بلاغة عدم العاتب والعائب، وترعرع زهره حيث أمطرته من الأنامل المجدية خمس سحائب، فلو شاهده ابن الوردي لاحمرّ خجلاً، أو صاحب زهر الأدب لتلوّن وجلاً، ثم تأمل حل اللغز فوجده قد كشف المشكل وجلى، واعترف أنه لم يمر بذوقه أطيب من ذلك الحل ولا أحلى، وتحقق أن مولانا أوسع المملوك في مقام الأدب بفضله إيناساً، وتناول منه قدحاً أعاده بألفاظه المسكرة كاساً، وانتهى المملوك إلى اللغز المخدومي، فقال:

مولاي مجد الله يا من فضله | يروي وجود كفوفه يروي الصدى
ألغزت في اسم عاطل حليته | فينا بدرّ اللفظ أو قطر الندى[1]
إن أورد التحريف في أثنائه | قد كان للشاني هلاكاً أو ردى.[2]

وقال مجيباً له أيضاً عن الورد:

لله لغزك يا مولى فضائله | قد عطر الكون منها طيب أنفاس
أتى بورد فحياني على قدحي | به وأبهجني ما بين جلاسي
وقد أسا جرح كسرى حين أقبل لي | روحي الفداء لذكر الورد والآس

فاستحلى المملوك بالتحريف ورده، وود لو اقتطف من أغصان حروفه ورده، ورده إلى ذل القصور عارياً عن ملابس عزه، وأنشد قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه:

إذا منعتك أشجار المعالي | جناها الغض فاقنع بالشميم[3]

فراح على بهرج هذا الرأي الكاسد، واقتنع بالشميم على رغم أنف الحاسد، وعلم أن تلك الورود لا تخرج إلا من تلك الخضره، وأن هذه الفاكهة لا تخرجها إلا أغصان أقلام لها باليد المخدومية بهجة ونضره، وتمشى المملوك من هذا اللغز في بساتين الوزير على الحقيقه، ورأى كل ورقة فاحمرت الوجنات الحمر فتحير أهي وردة أم شقيقه[4]، وتفكه به معجباً بثمار غرسه، منشداً لمن كرر النظر في صحيفتي طرسه:

إن كنت تزعم ما في خده عجباً | فانظر إلى الورد في خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه الوردي بالعنبر الورد، وعوّذته عند تبديل الثلاثة بالواحد

---

(١) العاطل: الذي لا حلي له.

(٢) الشاني: الشانيء: المبغض ـ الهلاك: الموت ـ الردى: الموت.

(٣) الشميم: ما يشتم من الرائحة.

(٤) الشقيقة: واحدة الشقائق، وهي أزهار حمراء قانية فيها بقع سوداء تعرف بشقائق النعمان.

الفرد، وتأملت بقصور راحتي نكتة برد الأماني، فانعقد لسحر البيان لساني، وتيقنت أنه لا يقوى على فهم هذا البرد إلا كل حديد النظر، ووجدت تصحيف هذه الكلمة، يا شمس الفضائل للعقول قمر، وعلمت أن الفكر لا يجاري من بديهته من بحر الفضائل رويه، وأن الخاطر لا يقوى على سلطان هذا اللغز لأن شوكته قوية، وقلت للذهن رد[1] بعضه لتنتهل شراباً سائغاً، وزد تصحيفه ليكون في التعريف بمعناه مبالغاً، وتمتعت من ورده بالمشموم، ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم، فاستقطر البين ماء الورد من حدقي ولمولانا الصفح عن مقابلة هذا الدر بالسقط[2]، وتمر هجر بهذا الحشف الملتقط[3].

قلت وعلى ذكر القدح والورد، حسن أن نورد هنا لغزاً في المدام وقفت عليه، للشيخ صلاح الدين الصفدي بخطه:

وما شيء حشاه فيه داء ... وأوله وآخره سواء
إذا ما زال آخره فجمع ... يكون الحد فيه والمضاء[4]
وإن أهملت أوله ففعل ... له بالرفع والنصب اعتناء

قلت: لا بد للمدام من ماء من حيث الممازجة.

ووقفت بالديار المصرية على لغز للشيخ زين الدين بن العجمي، ألغزه في الماء فأعجبني؛ وهو قوله: سألتك أعزك الله عن سائل لا حظ له في الصدقة، ولم يكن متصل النسب بالأشراف، وتراه كثير الرجفان. من غير أن يخاف، كم رد سائله نهراً، وعفر وجه قائده في التراب قسرا، مذكر كثير الحيض، لطيف الانبساط سريع الفيض، مطلق التصرف وعليه الحجر[5]، وطال ما قبل العشاء أبدى لنا الفجر، يتشعب ويتكسر، ويتعوج ويتدور، وتبدو له خمسون عيناً وأكثر، يحمل القناطير المقنطرة، ويعجز عن حمل إبره، سريع الاستحالة، قل أن يثبت على حاله، بعيد الغوص ليس له قرار، ويعاجل صفاء وراده بالاكدار، ويسكن في تخوم الغبرا[6]، وينم على أحوال السماء نثرا، بعيد الغوص رقيق القلب على كل عديم، وكيف لا وهو المولى الحميم، يجود بأفخر الحلى، ولا يردّ

---

(١) رِدْ: أمر من وَرَدَ.

(٢) السقط: من كل شيء الرديء.

(٣) الحشف: التمر الرديء. وتمر هجر أحسن أنواع التمر وهجَر مدينة اشتهرت بتمرها.

(٤) الحدّ: قصاص مفروض من الله سبحانه وتعالى مقابل جنايات معينة. والمضاء: التنفيذ

(٥) الحَجْر: المنع من التصرف والحركة.

(٦) الغبرا: الأرض.

من نداه مؤملا، كم عمر سبيلا، وقطع طريقاً وأخاف سبيلا، وكم طغى واحترق، وأظهر الجفاء وهو كثير الملق(١)، صقيل يجلو الصدا، ويظهر على شدة البرد تجلدا، قد جمع فيه الخوف والرجا، والكدر والصفا، فسبحان من جمع فيه هذه الأضداد، وأرسله رحمة للعباد.

ويعجبني فيه قول أبي الفضل بن الخازن:

وخل صفاء زرته بعد هجعة ... فألفيت شخصي في حشاه مصورا (٢)
وأودعته سري فأفشاه للورى ... فيا حسن ما أفشى الغداة وأظهرا (٣)
أبوه حليف للثريا وأمه ... به حامل في بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح ... يباري الرياح الذريات إذا جرى
تزر عليه الريح ثوباً موردا ... وتكسوه شهب الليل ثوباً مدثرا (٤)

قلت: وعلى ذكر الماء يحسن أن نورد هنا لغزاً في القربة. كتب الشيخ بدر الدين الدماميني إلى المقر الأميني، أمين الدين الحمصي، كاتم السر بدمشق صاحب، ديوان الإنشاء بالشام لغزاً في قربة تزاحم سرب الأدب على الشرب منها، ولو عاش صريع الدلاء ودّ أن يكون راوية عنها، وهو قوله:

أكاتب سر الملك والفاضل الذي ... ثناه على الأفكار فرض مرتب
يحدث عن سهل رواة كلامه ... إذا ما أتاه اللغز يرويه مصعب
فديتك ما ذات أطالعكم بها ... ويبحث في الأسفار عنها وتطلب
تشدوكم في الأرض قارٍ أمالها ... وصدق إذا ما قيل تملى وتكتب (٥)
وما هي في التحقيق راوية وكم ... لها خبر في الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها ... زماناً وفي وقت لها يتجنب
وتبلغ منها للحياض حقيقة ... ولكن رأينا قلبها وهو طيب
يزيد مريدوها إذا ما تصوفت ... ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا(٦)

---

(١) الملق: الكذب والمراءاة.

(٢) الهجعة: سكون الليل وهدوؤه ـ الحشا: الجوف والداخل.

(٣) أفشى السر: كشفه وأذاع به ـ الورى: الناس.

(٤) تزر عليه: تلبسه ـ المدنر: الذي رسمت على أطرافه الدنانير.

(٥) القاري: مطعم الضيوف ـ تملى: تملأ ـ تُكتَبُ: يقال كتبت القربة إذا ربطت بابها وشددتها بالوكاء.

(٦) الزوايا: اماكن العبادة التي اشتهرت في تونس في فترة من الفترات وكان أشهرها الزوايا السنوسية ـ أطنب: زاد وتوسّع.

لهـا أربـع لكن بسـاق رأيتهـا | على السعي في الأحياء بالنفع تدأب[1]
وما نال إثمـاً في تعاطيه بعدمـا | رأينـاه من تلك العتيقـة يشـرب
وشم فمها المفتوح كم راح سائلاً | وما نطقت حـرفاً عن القصد يعرب
وترضع أحيـاناً ومـا حان رضعهـا | وكم من فتى في حملها راح يرغب
وتحمـل مـا فيه الحيـاة لـربهـا | فيا حبذا منها البسيط المركب[2]
وتـرسله فاعجب لـه من مسلسل | غدا مرسلاً عنه الرواية تعجب[3]
وكم من خليع شمتـه إذ تعتقت | يمـد إليهـا الـراح لهـواً ويـطرب
وكم قـد تعبدنـا بتحريف لفظها | ولم أر بـالتحـريف من يتقـرب
وتصحيفهـا يا جبهـة الدهـر بلدة | حواها من الأقطار شرق ومغـرب
وتـوجد في الأفـلاك عـاليـة لهـا | ويألفها بعض الجـواري ويصحب
ويا من لرق الفضل أصبح مالكاً | فمـا لي إلا نحـو عليـاه مـذهب
تلفت للغـز نحو بـابـك قـد أتى | وكـل غـدا من ظـرفـه يتعجب

وقال بعضهم ملغزاً في قربة السباحة:

وذات فم طـوراً تسبـح ربهـا | ولم تكتسب أجراً بتسبيحها قط
معـانقة الصبيـان مضمـرة الهـوى | كـأن بقـايـا قـوم لـوط لهـا رهط

قلت: أما لغز الشيخ بدر الدين في القربة فنسيج وحده، وما ذاك إلا أنه لم يحتج فيه إلى عقادة من تمذهب بغير مذهبنا، ولم يسبكه في غير قوالب التورية، وقد أذكرني لغزاً ألغزته في قصب السكر بطرابلس المحروسة، وقد أنشدني بعض المخاديم وهو المقر المرحومي الشهابي الدنيسري لغزاً في قصب السكر أيضاً، وهو:

وحـاملة دراً حكى الخمـر لـذة | ونشـراً يـروى شـربـه ويقـوت
تعيش إذا لم يبـد منها فـإن بدا | فمهجتهـا في اثـر ذاك تفـوت
فلم تر عيني مرضعـاً في مثالهـا | من الخلق تسقي درهـا وتمـوت

وقال بعد الإنشاد: ولا أعلم في هذا الباب مثل هذا اللغز، لأنه سالم من التعقيد

---

(١) أربع: أي أربع سوقٍ.

(٢) ربها: صاحبها.

(٣) المرسل من الحديث: ما سقط من اسناده الصحابي ويرويه التابعي بقوله: قال رسول الله صلعم. دون ذكر الصحابي الذي أخذه عنه.

والتصحيف والتحريف والعكس والحذف والابدال، فنظمت هذا اللغز في يوم الإنشاد وهو:

وعسالة تبدو بغير أسنة ولا طعن فيها وهي داخلة الصدر[1]
ممشقة هيفاء حلو مذاقها به يطرح المران في المهمه القفر[2]
منعمة لفاء مهضومة الحشا تكاد بأن تنقد من رقة الخصر
وتحلو على البيض الرشاق شمائلاً إذا ما تثنت في غلائلها الخضر[3]
يلذ قبيل العصر في الظهر رشفها ويبرد لماها من أليم الجوى يبري
وإن سقيت ماء سقتك سلافة بطيب مزاج وهي طيبة النشر[4]
وينبت حلو الثغر حلو نباتها فيرشف أرياقاً ألذ من الخمر
وإن لمعت في ثغرها وتبلجت دع ابن جلا يقرع ثناياه في الثغر[5]
على عودها كم للرباب مواقع وموصولها يغني عن الناي والزمر
وإن قطعوا موصولها شببت به أولو الذوق تشبيباً شفى غلة الصدر
وترفع بعد النصب والكسر جرها فتجزم ما للفارسي من الذكر
وهمزاتها همزات وصل وقطعها إذا ما أميلت جائز لك يا مقري[6]
وفي أول الأعراف تروي من الظما وتضرم نيران الجوى وهي في العصر
ومن حلها إن أفرغت في قوالب يقول الورى هذا هو السكر المصري
ومن أجل ذا عنها ابن سكّرة روى وأما النباتي قال من ههنا قطري
كذا ابن الجلاوي قلبه معها يرى كسيراً وكم قد أوردته لظى الجمر
فيا من حلا ذوقاً وحل بدائعي وفي عقد الألغاز يا نافث السحر
تأملت بعد الحل كيف تنوعت حلاوتها حتى رقت منبر الشكر
بنية فكر من حماة تغربت وغربتها والله قد أشغلت فكري

---

(١) العسّالة: الخلية. والجعبة التي توضع فيها السهام.

(٢) المرّان: الرماح اللدنة الصلبة واحدتها مرانة ـ المهمه: الأرض الواسعة.

(٣) الغلائل: واحدتها غلالة وهي الرقيق من الثياب.

(٤) السلافة: الخمره ـ النشر: الرائحة التي تنتشر منها.

(٥) تبلج: : بان ووضح ـ ابن جلا: الحجاج بن يوسف لقب به لقوله:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

(٦) المقري: المقرىء وهو علم تقريباً على قارىء القرآن. والإمالة: تقريب الفتحة والألف في اللفظ من الكسره والياء.

ومن شط ذاك النهر يا بحر قد أتت | فلا تنهروها فهي في جيرة البحر
سعت من أبي بكر لأحمد خدمة | وأحمد من أولى الورى بأبي بكر
فلا زلت في حل وظعن مؤملاً | لكل غريب جاء حتى من الشعر

قلت: وبعد قصب السكر يحلو أن نورد هنا شيئاً مما ألغزوه في العسل، فمن ذلك ما كتب به الشيخ شرف الدين عيسى العالية، إلى سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة بدر الدين بن الدماميني، وهو:

يا أيها المولى الرئيس ومن له | ألّفت مدحاً كالجواهر نظمه
اسمع سمعت الخير أمراً محكماً | يمضي على الألغاز جمعاً حكمه
قالوا من الأطيار حقاً أصله | أكرم به لغزاً يروقك طعمه
لكنه ما حاز منقاراً ولا | ريشاً وأجنحة ولست أذمه
من أين يعرف ما اسم شيء ربما | أكلته في بعض المجاعة أمه

فأجابه الشيخ بدر الدين بقوله:

يا فاضلاً نثر المحاسن نظمه | وللغزه قد ذل عجزاً خصمه
وتطرزت حلل البديع بمنطق | منه علا بين الأفاضل رسمه
شرف لأعراض البدائع سابق | ومن الفضائل قد توفر قسمه
ألغزت في اسم عاطل حليته | بنفيس در صح فينا يتمه[1]
فإذا أضفت القلب منه لأصله | قلنا بهذا الفعل قد وضح اسمه
وإذا عكست الأصل منه فهو إن | أعربت لحن ليس يجهل حكمه
قد كانت الأذهان منه خلية | فحوت به شهداً لذيذاً طعمه
ورأى ابن سكرة حلاوة طعمه | فقضى بتقطير المرارة وهمه
ورأى بعين لغزك الحلو الجنى | حلو المذاق فحار فيه فهمه
وأعاذه بعلى أمير النحل إذ | أضحى علياً في الفصاحة نظمه
فاصفح بفضلك عن جواب سافل | يا طالعاً في خير أفق نجمه

قلت: وعلى ذكر العسل يحلو أيضاً أن نورد هنا ما ألغزه مولانا المقر المرحومي القاضي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي في سكر نبات، وكتب به إليّ، وهو:

---

(١) العاطل: الذي لا حلي له ـ النفيس: الثمين ـ اليتيم: من الدر، الذي لا ثاني له.

يا قاضي الأدب احكم لي فذا أدبي حلا مذاقاً ووقع لي بتحسين
واقبل شهادة ما أهديته تر من تصحيف معكوسه ثانٍ يزكيني

ورسم لي بحل اللغز والجواب فألغزت مع الحل لغزاً زائد الحلاوة في قطر، وهو:

أهديت لغزاً حلا ذوقاً مكرره فانحل مذ حلّ في قلبي بتمكين
وفزت منه بشكر في مصحفه وجاء منه بشانٍ قلت يكفيني
تصحيف معكوسه من غير تزكية وحكمه ثابت عندي بتبيين
حماة منبته لكن بمصر له مزية تزدري نبت الرياحين
فحل منه لنا لغزاً مجانسه يحل أحشاء أرضينا فيرضيني
يرادف اسم رباب فهو يطربني هذا وتصحيفه في العيد يأتيني
حلو رقيق بلا حشو لذائقه لأن قطر النباتي عنه ينسيني
فلا برحت برغم الكسر تجبرني وكلما مرَّ لي عيش تحليني

قلت: وعلى ذكر القطر، يحلو أن نورد هنا شيئاً من بديع ما ألغزوه، في الكنافة والقطائف، فمن ذلك ما ألغزه الشيخ برهان الدين إبراهيم القيراطي في النوعين وهو قوله:

هذان لغزان قد حلا ببابك يا قاضي البرية ما هذان خصمان
اسمان كل خماسي إذا كتبت حروفه فهما لا شك حرفان
تباينا في الورى شكلاً إذا نظرا وصورة وهما في الأصل مثلان
هما إلى الصين منسوب مقرهما أن أحضرا في مكان بين أخوان
لذا كنى وهو بين الناس ليس له من كنية ما انتحى في ذلك اثنان
في البر يلقى وإن فتشت عنه تجد في لجة البحر ملقي خمسه الثاني
نبت أرى النار قد أبدت له ورقاً فاعجب له ورقاً ينمو بنيران
يحيا إذا ما سقاه القطر وابله وجاده بسحاب منه هتان[1]
ذو رقة فإذا صحفته ظهرت كشافة منه فاستره بكتمان
هذا وكم من بدور فيه قد طلعت في آخر الشهر لم تمحق بنقصان[2]
فقدها خيط فجر أبيض عجل بالبرق يسطو عليها سطوة الجاني

---

(١) الهتان: الشديد المطر متتابعه.

(٢) محق: البدر صار في المحاق وهي المنزلة التي ينزلها القمر قبل أن يبدأ بالإثارة، أو الهلال قبل رؤيته.

واللغز الآخر في اسم ذات ألسنة لم يبد منها لنا بالنطق حرفان
يا حسنها ألسنا أضحت حلاوتها يحلو المديح لها من كل مِلسان[1]
بالطي والنشر في حال قد اتصفت والطي والنشر فيما قيل ضدان
كم سُكرت ففتحنا بالدخول بها أبوابها فتلقتنا بإحسان
حسناء أجمع أهل العقد كلهم والحل منها عليها بعد عرفان
وصالها حل بالإجماع في زمن فيه الوصال حرام عند أعيان
ثلثا ثلاثة أخماس لها وجدا شيئاً يجيء بإيضاح وتبيان
وما ذكرت من الأخماس قد نطقت صدقاً بذكر اسمها من غير بهتان[2]
وخمسها جبل لكن بقيتها في مكة يرتجى فوزاً بغفران
ما ملّ راوٍ من القالي أماليه عنها وما خاطرُ القالي لها شاني[3]
في الجوف منها قلوب جمة جمعت ولا يكون بجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف جهراً ويوصف مع هذا بإتقان
بالحل أنعم سقى القطر المواطىء من إقدام سعيك من إرواء ظمآن

وكتب مولانا قاضي القضاة، صدر الدين بن الآدمي الحنفي رحمه الله، إلى علامة العصر سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين بن الدماميني، رحمه الله، ملغزاً في لوزينج وأجاد إلى الغاية، وهو:

يا من له في علوم النظم أي يد فاق الخليل بها فضلاً وتمكينا
ما اسم دوائره في نظمها ائتلفت والثلم في صدرها مستعمل حينا
أجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت هذا ويقطع مطوياً ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعيد منتظر من حله فرجاً لا زال سعدك بالإقبال مقرونا[4]

فحله المشار إليه رحمه الله، وأجاد إلى الغاية، والجواب:

يا مرسلاً من شهي النظم لي كلما منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدراً من حلاوته وجوهر النظم لم يبرح يحلينا

(١) المِلسان: الفصيح.
(٢) البهتان: الافتراء والكذب.
(٣) شاني: شانىء مبغض ـ والقالي. صاحب الأمالي والمبغض أيضا.
(٤) السعد: الحظ ـ مقرونا: مقترناً ملازماً.

حليت لغـزك إذ أبهـمتـه فـلذا | يا فاتني رحت بالإعجاب ـ مفتـونا
هـذا وكم قـد رأينـا في دوائـره | للكف قبضاً يزيـد العقل تمكينـا
وليس إضمـاره مستحسنـاً فـأين | بالكشف عنه لمن وافـاك تحسينا
وكن لنا هادياً صوب الصواب ودم | فينـا أميناً رشيـد العقـل مأمـونـا

والله تعالى يمن على أفواه شاكريه بما هو أشهى من اللوزينج وأحلى، ويحلي أعناق المتأدبين من كلمه بما هو أنفس من الدر وأغلى.

وكتب الشيخ بدر الدين، المشار إليـه، أيضاً لغـزاً في دواة وجهزه إلى المقـر المرحومي الأميني المقدم ذكره، وهو هذا:

كتبـت وأعـذاري إليـك تقـرر | ونظمي بها يا كاتب السـر يجهر
أتتك بأبيـات المعـاني فرضتهـا | وحكت حبير اللفظ وهو محرر[1]
وحليت أهل العصر إذ كنت خاتماً | لهم فعليـك الآن يعقـد خنصـر
وما أنت إلا البحر جـاش عبابه | ولكن رأينـا منك علمـاً يجسر[2]
فمـا كلمة أفديك دام اعتـلالهـا | وفيهـا دواء إن عـراهـا تـغيـر
ويحفظها ذو السر وهي التي وشت | وذلـك من عـاداتهـا ليس يتـرك
ومـا مسهـا إلا وجـادت بنفسهـا | وصحف ترى المقصود بالنفس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها | على الـرأس عباسيـة حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها | ويحسن مـرآهـا إذا مـا تحبـر
مـؤنثـة كم ذكـرتنـا بلونـهـا | عهود الصبا والشيء بالشيء يذكر
وكم قد أرانا ريقهـا من مسلسل | يلذ بـه في الـذوق ورد ومصـدر
وكم لاقت الأحبـار منها محاسناً | فعادت لها الجهال بالعي تحصر[3]
مسـودة إن ترض فـالعيش أخضر | وإن غضبت فالموت لا شك أحمر
ويعـذب للسمر الـرقاق رضـابهـا | فتنهـل منهـا مـورداً لا يكـدّر
لقد أحكمت والنسخ ما زال دأبها | بـذلك قـد جاء الكتـاب المسطر
ومـا هي إلا ذات متـربـة غـدت | وكم ذي غنى عن قصدها ليس يفتر[4]

---

(١) حبير اللفظ: المحبر، المكتوب.

(٢) جاش: هاج واضطرب ـ عبابه: وسطه ولجته.

(٣) الأحبار: مفردها حبر وهو الرئيس الديني للنصارى ـ العي: عدم القدره على التكلم ـ تحصر: تمنع من الكلام.

(٤) المتربة: الحاجة والفقر ـ يفتر: يضعف.

ولسنا نراها غير سائلة ولم تفه بسؤال فاعترانا التحير[1]
فانعم بحل اللغز يا خير منعم فأنت به والله أجدى وأجدر
فلا زالت الأقلام تسعى لشكركم على رأسها طول المدى لا تقصر

فكتب المقر المرحومي الأميني الجواب بعد أيام، وهو قوله:

مواقع أقلام لها الفضل ينشر وروضة آداب بها القلب يجبر
تحرر معنى حسنه نسيج وحده فيا حبذا الاسكندري المحرر
تشق على الأفهام شقة شأوها فكم من بليغ عن مداها يقصر[2]
أتت سهلة الألفاظ ممنوعة الذرا حماها من العلياء لا يتسوّر[3]
تشير إلى الحبلى التي عز وضعها فأحشاؤها فيها الأجنة تقبر
ينامون لا تغشاهم سنة الكرى فإن هب فرد ظل يسعى ويحضر
وإن أرشفته من زلال رضابها تهادى بها نشوان يمشي ويعثر
وأما إذا اعتموا السواد فكلهم خطيب له فوق الأنامل منبر
وينطق عن علم وطول نباهة وعما رآه في المنام يعبر
تطاول سمر الخط أني تشامخت سمواً ومع هذا على الطول تقصر
وكل بني الآداب تلفى بيوتهم تقام بها بين الأنام وتعمر
فأكرم بما قد ولدته وأنشأت وربت ويكفيها بذلك مفخر
نجية وجهي إن جلست ووجهها تجاهي وجاهي عندها ليس يحقر[4]
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت وأني استقالت فهي في ذاك تعذر
فلا زلتم أهل الجمال وخيركم لدى النقص مثلي فهو حظ موفر
بمدحكم الأقلام يضحك سنها بحق وأفواه الدواة تقطر

ويعجبني من الألغاز، في التورية، قول شهاب الدين الغزاوي، في قوس، وهو:

ما عجوز كبيرة بلغت سناً طويلاً وتتقيها الرجال
ولها في البنين سهم وقسم وبنوها كبار قدر نبال

ومن غريب ما أعجبني في هذا الباب قول القائل في كمون وهو:

---

(١) سائلة: من الأجسام التي تشبه الماء، والتي تطلب العطاء ـ فاه: تكلم، نطق.
(٢) شق: صعب وصار شاقاً ـ الشأو: المدى والغاية.
(٣) تسوّر: تسلّق ـ الذار: القمم والأعالي.
(٤) النجية: التي تحادث وجهاً لوجه ولكن عن بعد.

يا أيها العطار اعرب لنا   عن اسم شيء قل في سومك[١]
تنظره بالعين في يقظة   كما ترى بالقلب في نومك

ومثله قول شمس الدين الهيتي في ورق، وهو:

وشيء بلا جرم يصلب تارة   ويقطع حيناً في حضور وأسفار[٢]
ومن قدم قد بيض الله وجهه   على أنه ما انفك يوماً عن القار[٣]

ومن لطائف الشيخ شمس الدين بن الصاحب في هذا الباب قوله في سهم:

لله مملوك إذا   ما قام في الشغل اعترض
لكنه في لحظة   محصل لك الغرض

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله ملغزاً في قلم:

مولاي ما اسم لنا حل دنف   وما به علة ولا سقم
لسان قوم فإن حذفت وإن   صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال ملغزاً في علي:

أمولاي ما اسم جلي إذا   تعوض عن حرفه الأوّل
لك الوصف من شخصه سالماً   وإن قلعت عينه فهو لي

ويعجبني في هذا الباب قول ابن المرجاني ملغزاً في مشط وهو:

يا إماماً سألته حل لغز   شط منه مزار أهل الذكاء[٤]
أهمل الثلث باعتناء وقلب   تره جاء قائد الشعراء

ويعجبني قول الشيخ صلاح الدين ملغزاً في قريشة:

أي شيء يروق للناس أكلاً   ذو بياض وأصله من حشيشه
خمسه أثقل الجمادات وزناً   فتعجب له وباقيه ريشه

---

(١) السوم: التثمين والتسعير.
(٢) الجرم: الجسم والجسد.
(٣) القار: الزفت وبزيادة الياء: مطعم الضيوف.
(٤) شط المزار: بعد المسكن والمقام.

ويعجبني لغز ابن منقذ في الضرس، وهو:

وصاحب لا أملُّ الدهر صحبته ... يسعى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت ... عيني عليه تفارقنا إلى الأبد

ومن الغايات التي لم تدرك، في هذا الباب، قول القاضي صدر الدين بن الآدمي رحمه الله ملغزاً في كشتوان:

ما رفيق وصاحب لك تلقا ... ه معيناً على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلي ... وتراه في غاية الإبهام[1]

واستظرف قول بعض مواليا ملغزاً في بدرة:

محبوبتي وجهها يغني عن المقباس ... واسمها ينقذ العاشق من الإفلاس[2]
إن تعكسوا تجدوا ضدين في الأجناس ... هذا نفور وهذا يقبل الإيناس

وسألني جماعة من فضلاء أهل الأدب بالديار المصرية أن أنظم لهم لغزاً في كرمة، وأطلق لهم عنان القلم في ذلك فقلت:

أخبروني عن فاضل بأصول ... وفروع يسمو على كل فاضل
أسبغ الله ظله فهو ظل ... سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنوني ... تحته إن أتاني الموت عاجل
كم إلينا قد مد كفاً ندياً ... فصير العيش أخضراً في المنازل
نقط الطل فوقه وضحته ... عند توقيعها به وهو عاطل[3]
ما تبدى لنا بعين ولكن ... حرفته وصحفته الأفاضل
فرأينا للترك فيه اسم عين ... بفتور الأجفان جاءت تغازل
إن تذكره أحرف الكل تبدي ... كرماً والندى من الكف هاطل
أو تؤنثه يقبل الهاء في الحا ... ل ومن بعد ذا يرى وهو حامل
ويقل شطره لمن عابه مه ... لك هم بالعكس عندي حاصل[4]
هو حلو وفيه مرّك يبدو ... عند تحريف عكسه المتماثل

---

(١) الإبهام: الغموض، والأصبع الكبرى لليد.

(٢) المقباس: الذي ينار به الضوء ويؤخذ منه القبس من النور.

(٣) الوضحة: الجبهة من الوضوح ـ عاطل: غير محلى.

(٤) مه: اسم فعل أمر بمعنى اكفف، للزجر

وبـلا أون يـرى فـعـل أمـر　　واقلب الفعل منه فـالأمر حـاصل
وهـو خـشب مـسنـدات ولـكن　　حاز نجلاً يـبدو رقيق الغلائـل(١)
ومن العـز جسمـه الغض يـدمى　　وتـراه من بعـد ذا وهـو ذابـل
وإذا مـا فـرطـت فـيـه تـراه　　لم يحل عنك وهو نعم الخصائل
ذو بـيـاض وحمـرة ولّـدا لي　　فرحاً راح سارياً في المفاصل
فـتـراه يـومـاً عـقـود بـلخش　　نـظمت سلكهـا بغيـر أنامـل(٢)
وتـراه يـبـدو عـقـود جمان　　ما لهـا غيـر ثغـر حبي ممـاثـل
وتـراه طـوراً سـلافـة راح　　ولـدر الحباب فيهـا حـواصـل(٣)
وعـلى عـوده يـغـنـي عـليـنـا　　أعجمي بـه تهـيـج البـلابـل
لـك مـنـه فـواكـه وشـراب　　كـل غض إليـك تلقـاه واصـل
وحـلاواتـه بـهـا كـل قـلـب　　كسـروه والكسر للقلب حـامـل
وتـرى وصله بـمـصـر قـليـلاً　　وهـو بـالشـام لا يـزال يـواصـل
وتـراه بـذات عـرق مـقـيـمـاً　　في نـعـيـم وظـلـه غـيـر زائـل
وإذا قلت في المخيم بـالـغـو　　ر رأينـاك فيـه أصـدق قـائـل
ولـقـد جـاءنـا بعتب لـطـيف　　عنـد تصحيفـه لمن هـو هـازل
كيف لا والكتـاب عـن جنتيـه　　قـد أتى مخبراً بكـل الفصـائـل
فـتـفـكـه مـن حـلـه بـقـطـوف　　دانـيـات لكـل آت وراحـل(٤)
وأقـم تـحـت ظـله فـهـو لـغـز　　ظله ظـاهـر على كـل قـائـل
ثم دم لـلألغاز في الحـل والعقـــــد غني إذا أتى اللغـز سـائـل

قلت: ومما ألحقوه بالألغاز، ما حكي عن بعض ولاة الطوف ببغداد: جاؤوا إليه بغلامين غلب عليهما السكر، فقال لأحدهما من أبوك؟ فقال:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قِدْرُه　　وإن نـزلت يومـاً فسوف تعـود(٥)
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره　　فمنهم قـيـام حـولهـا وقـعـود

---

(١) النجل: الابن ـ الغلائل: الثياب الرقيقة الناعمة.
(٢) اللخش: لم نعثر لها على معنى وربما كانت إسماً للخرز أو الجواهر.
(٣) الحباب: فقاقيع الماء ـ الحواصل: جمع حوصلة وهي بالنسبة للطائر كالمعدة بالنسبة الإنسان.
(٤) الحل: الحلال ـ القطوف الدانية: القريبة المتدلية.
(٥) القِدر: وعاء يستعمل للطبخ.

فأطلقه وعظم في عينه، وقال: هذا أبوه من بيت كبير، وقال للآخر: من أبوك؟ فقال:

أنا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها[١]
تأتيه بالرغم وهي صاغرة ... يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالي: ما أشك أن هذا أبوه كان ملكاً شجاعاً، فأمر بإطلاقهما فلما انصرفا كان في المجلس رجل نبيه فقال للوالي: الشاب الأول كان أبوه فوّالاً، والثاني كان أبوه حجاماً. فأعجب الوالي منه ذلك، فقال:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يغنيك مضمونه عن النسب[٢]
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

وبيت الشيخ صفي الدين على الألغاز في بديعيته:

حرّان ينقع حر الكر غلته ... حتى إذا ضمه برد المقيل ظمي[٣]

الشيخ صفي الدين ألغز هنا في السيف فإنه يروى في حر الكر بالدماء، وإذا أدخل القراب الذي كنى به عن برد المقيل، كان ظامئاً.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته:

إن المنافق لغز قلبه زغل ... وهو المعمى كمثل الأرزة الرزم[٤]

قلت: الشيخ عز الدين، غفر الله له، لم يأت في بيته بغير الجناس المقلوب، في لغز وزغل، وأما التعمية بالأرزة الرزم، فما علمت ما المراد منهما حتى نظرت في شرحه، فوجدته قد قال: الرزم القائم والأرزة شجرة الصنوبر، فما ازددت في التعمية غير تعمية.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

وكلما ألغزوه حله لَسِنٌ ... مذ طال تعقيده أزرى بفهمهم

---

(١) دان: خضع.

(٢) مضمونه: معناه ويروى: محموده.

(٣) الحّران: الشديد العطش ـ نقع: روى ـ الكر: المعركة ـ الغلة: شدة العطش. ـ ظمي: ظمىء: عطش.

(٤) الزغل: الخبث والانطواء عليه ـ الأرزة: شجرة من فصيلة الصنوبريات وهي شعار اللبنانيين وتتوسط علمهم. ومن الناس الأرزة: المنقبض ـ الرزم: الثابت القائم على الأرض. .

قد تقدم، وتقرر أن أحسن التعمية في اللغز ما أسفر بعد الحل عن تورية بديعة في بابها، وهذا البيت أيضاً بديع في هذا الباب، فإن اللغز في الرمح والتورية في لسن، لأن لسان الرمح لسان القائل في التورية للتكليم، وفي التعقيد المشترك بين تعقيد اللغز وتعقيد الرمح، وأما المناسبة بين الحل والتعقيد، والإزراء بالفهم بعد ذكر الألغاز، فمحاسنها لا تخفى على حذاق الأدب. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.



ذكر سلامة الاختراع

وقـده بـاختـراع سـالم الـف | يبدو بترويسه من رأس كل كمي[1]

هذا النوع، أعني **سلامة الاختراع**: هو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق إليه، كقول عنترة في وصف الذباب:

وخـلا الذبـاب بها فليس بنـازحٍ | غـرداً كفعـل الشـارب المتـرنم
هـزجاً يحـك ذراعـه بـذراعـه | قدْحَ المكب على الزنـاد الأجذم

هذا المعنى إذا تأمله المتأدب، وتخيله في فكره يجده غريباً في بابه، فإنه قال: إن هذا الذباب لما خلا بهذه الروضة التي أعاد الضمير إليها في قوله: بها، صار هزجاً مترنماً يحك ذراعه بذراعه من الطرب الذي اعتراه، فشبهه عنترة برجل أجذم قاعد يقدح زناداً بذراعيه، والأجذم المقطوع اليد، والتقدير في البيت قدح الأجذم المكب على الزناد. انتهى.

ومنه قول ابن الرقاع، في تشبيه قرن الخشف:

يـزجي أغن كـأن إبـرة روقـه | قلم أصاب من الدواة مـدادها[2]

وعدّوا قول ابن الرومي من المخترعات التي لم يسبق إليها، فإنه قال في تشبيه الرقاقة حين يبسطها الخباز:

---

(١) الترويس: الرأس المحدد. والألف: الرمح، وترويسه، سهمه ـ الكمي: البطل الشجاع.
(٢) يزجي: يرسل ويحث ـ الأغن: الذي في صوته غُنّه ـ الروق: القرن.

لم أنس بالأمس خبازاً مررت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر[١]
مـا بين رؤيتها في كفـه كـرة وبين رؤيتها قـوراء كـالقمـر[٢]
إلا بمقـدار مـا تنـداح دائـرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر[٣]

وأجمعوا على أن قول أبي الطيب من الاختراعات التي لم يسبق إليها، وهو قوله:

حلفت وفياً إن رُدِدْت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

قلت: أما أبو الطيب فإنه شن الغارات على معاني المتقدمين كثيراً، وما خفي ما أورده عليه الحاتمي في الحاتمية، وكان قد عنّ لي أن أورد، في هذا الشرح المبارك، له ولمن تقدمه ولمن تأخر عنه جملة مستكثرة مما وقع لهم من معانيهم، من سلامة الاختراع بالنسبة إلى اطلاعي، وخفت أن يقع اختياري على معنى أعده لصاحبه من سلامة الاختراع، فيأتي من تبحر في اطلاعه على معنى له لغيره ممن تقدمه، فأضربت عن ذلك وجنحت إلى ذكر ما وقع لي في نظمي، من سلامة الاختراع التي لم أسبق إليها، ولا حام طائر فكر غيري عليها، فمن ذلك قولي من قصيدة رائية:

وحمرة الخد أبدت خيط عارضـه فخلت كأس مدام وهو مشعور[٤]
ومـذ بدت نسمـات الثغـر بـاردة بـدا بإغضـاء ذاك الجفن تكسيـر

وقلت منها في وصف القلم:

لـه يـراع سعيـد فـي تقلبـه إن خط خطاً أطاعته المقـادير

ومنها:

وأشقـر يـده البيضـاء غـرتـه له إلى الرزق فوق الطرس تيسير[٥]
بـل أسمر عينـه السوداء يلحـظها وهدب أجفانها تلك المشاعيـر[٦]

---

(١) يـدحـو: يـدوّر. الـرقـاقـة: الـرغيف ويـروى: مـا أنسى لا أنسى خبـازاً مـررت بـه.

(٢) قوراء: لم تستكمل دورتها بعد.

(٣) انداح: استدار.

(٤) مشعور: مكسور دون انفصال أجزائه وتبعثرها.

(٥) الطرس: ما يكتب عليه.

(٦) المشاعير: الخطوط الدقيقه.

ومثله قولي من القصيدة:

كـذا محابـره سـود العيـون فـإن | دنت أيـاديـه فهي الأعين الحـور

ومنه قولي من قصيدة ميمية:

حـيـن قـابـلـت خده بـدمـوعـي | أثـرت خلت ثـوب خـز منمنم(1)

ومنه قولي في وصف حماة من قصيدة طائية:

ينـظم بـالشـطين در ثمـارهـا | عقوداً لها العاصي رأيناه كالسمط(2)
وقد مد ذاك النهـر ساقـاً مدملجاً | وراح بنقش النبت يمشي على بسط (3)
لـوينا خـلاخيل النـواعير فـالتوت | وأبدت لنا دوراً على ساقة الشط

وقلت من قصيدة أخرى:

وعاص رحيب الصدر قد خر طائعاً | ودولابـه كالقلب يخفق في الصدر

وقلت من قصيدة أخرى:

وهـززت فيـه كـل عـود أراكـةٍ | أضحى بهـاتيـك الثغـور مـطيبـا

والمعنى المخترع قولي بعده:

ودخلت كـل خباء زهـر قد غـدا | بـدموع أجفـان الغمام مـطنبا(4)

ومن اختراعاتي التي لم أسبق إليها، وسارت الركبان بها قولي في المدائح المؤيدية:

فرج على الملجون نـظم عسكرا | وأطاعه في النـظم بحر وافـر (5)
فـانبت منـه زحـافـه في وقعـة | يا من بأحوال الوقـائع شـاعر(6)
وجميـع هاتيـك البغـاة بـأسـرهم | دارت عليهم من سـطاك دوائـر

والمعنى المخترع فيها قولي:

وعلى ظهـور الخيل مـاتوا خيفـة | فكـأن هـاتيـك السـروج مقـابـر

---

(1) الخز: الحرير ـ المنمنم: المزركش.
(2) العاصي: نهر العاصي وهو نهر ينبع من لبنان ويصب في سوريا ـ السمط: العقد.
(3) المدملج: الذي يلبس الدملج وهو من الأساور والحلى.
(4) مطنباً: مرفوعاً. أو مشدوداً بالطنب وهي حبال وأعمده الخيمة.
(5) الملجون: الورق اللزج.
(6) انبت: انقطع ـ الزحاف: في المصطلح العروضي تغيير يلحق ثاني السبب من التفعيلة.

ومنها في سلامة الاختراع قولي:

وإذا مددت يراع رمحك ماله إلا قلوب الدارعين محابر[1]
ونعال خيلك كالعيون ومالها إلا جماجم من قتلت محاجر

ومنه قولي متغزلاً في مليح مشطوب:

بالصدع أبدى شطبة من شكله محوّط[2]
سألته عن أمرها فقال زاد اللغط[3]
قلتم بدا لي عارض مشكل منقط
جئت شطبت فوقه وقلت هذا غلط

ولي من قصيدة بديعة مشتملة على وصف متنزهات حماة المحروسة:

والنبت يضبطها بشكلٍ معرب لما يزيد الطير في التلحين[4]

والمعنى المخترع قولي بعده:

والغصن يحكي النون في ميلانه وخياله في الماء كالتنوين

وقلت في مطلع قصيدة:

ألف القد مدها لي بعزه وعليها من عطفة الصدغ همزه

وقلت من قصيدة فائية:

وعارضه في الوضع لامٌ وصِدغه إذا مدها من فوقه تتكوف[5]

ولعمري، إن الشرح قد طال، ولولا خشية الإطالة لذكرت من هذا الباب قدراً وافياً، بالنسبة إلى ما أدى إليه اجتهادي، وقلت: إني مخترعه، وبشهادة الله إني ما تطفلت بالنسبة إلى علمي على معنى لغيري، اللهم إلا أن تكون أحكام المواردة قد حكمت عليّ فالحكم لله العلي الكبير.

---

(١) الدارعين: لابسي الدروع ـ المحابر: جمع محبرة وهي الدواة.
(٢) الشطبة: أثر الجرح ـ محوّط: مرقيّ بالرقى لإبعاد الضرر عنه.
(٣) اللغط: القيل والقال.
(٤) التلحين: من الألحان بمعنى الزقزقة والتغريد ومن اللحن وهو الخطأ اللغوي وكذلك: معرب: مبين واضح وحسب قواعد الإعراب.
(٥) تتكوّف: تتجمع وتستدير.

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على سلامة الاختراع قوله:

كادت حوافرها تدمي جحافلها ... حتى تشابهت الأحجال بالرثم[1]

جحفلة الفرس شفته العليا، والرثم بياض شفتيه، وكأنه يقول: إن هذه الفرس لسرعة جريانها اتصلت أحجالها إلى شفتها فتشابها في البياض.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله في بديعيته قوله:

سلامة لاختراعي في علا هممي ... اسمي وفعلي كحرف عند رسمهم

وقال في الشرح: إسمي علا، وفعلي علا، والحرف المشبه بهما على هذا المعنى على الذي هو معدود من حروف الجر، قلت: لو ألحق الشيخ عز الدين ما قاله هنا بالألغاز لكان أقرب وأليق، فإن سلامة الاختراع وغرابة المعنى عنه بمعزل.

وبيت بديعيتي تقدمه قولي في الألغاز بالرمح بقولي:

وكلما ألغزوه حله لسن ... مذ طال تعقيده أزرى بفهمهم

ولم أخرج عن الرمح بل قلت مخترعاً فيه اختراعاً بعد من المرقص والمطرب، بعد بيت الألغاز، وهو:

وقده باختراع سالم ألف ... يبدو بترويسه من رأس كل كمي[2]

تقدم قولي: أنه كان عنّ لي أن أورد هنا، من سلامة الاختراع للمتقدمين والمتأخرين، جمل مستكثرة ولم يصدني عن ذلك إلا الخيفة ممن تبحر علي في المطالعة، فيورد ما أثبت من المعنى المخترع لزيد، أنه مسبوق إليه من عمرو، فأردت أن أخلص من هذا الاعتراض، وأورد هنا نبذة من مخترعات ابن حجاج، فإنه منوال ما نسج عليه غيره، وقد تقدم قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في ديباجة كتابه المسمى «بتلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج»، وأما أشعار أبي عبد الله الحسيني بن حجاج، فإنه أمة غريبة تبعث وحدها، وذرية تبلغ بإتقان اللهو رشدها، فمن ذلك قوله:

يا ديمة الصفع صبي ... على قفا المتنبي

---

(١) الجحفلة: شفة الحيوان ذي الحافر- الأحجال: مفردها حَجْل وهو بياض يكون في قوائم الخيل- الرثم: بياض الشفة عند الخيل.

(٢) الألف: الرمح ـ الترويس: السهم ـ الكمي: البطل الشجاع.

وأنت يا ريح بطني … على عذارينه هبي
ويا قفاه تقدم … واقعبد قليلاً بجنبي
وإن صفعتك ألفا … فلا تقولن حسبي
وقد تعشقت معنى … طرطورك المتعبي[1]
يا لحية هي عن أهل شيخنا النذل تنبي
قومي ادخلي جوف بطني … فقد وقعت بقلبي
وأنت عندي مكان … السواد من عين صلبي

ومنه قوله: كأنما باب سور مبعرها … عنقود كرم مزبب العنب[2]
كأنما الأير فوق عصعصها … راكب حمارة على قتب

ومنه قوله: جارية قد سمطت فيشتي … بوهج حمى سرمها الصالب[3]
أخذت في الليل مجس استها الحامي وقد نامت إلى جانبي
أوجب إخراج دم فاسد … من عين قيفال استها الضارب[4]
لبظرها الأسود دنية … تصلح للقاضي أبي السائب
خطبت بالأمس عليها استها … فأنعمت للخاطب الراغب
وبات أيري رافضي الخصى … يعطي قفا مبعرها الناصب

وقال أيضاً: قوموا افتحوا باب سرمها ولجوا … فكل عضو من استها شرج
قوموا فعين استها لرؤيتكم … بالليل فوق الفراش تختلج
إن لم يسعكم ممر عصعصها … فثم بالطول تحته أزج
وفي استها خاتم للولبه … طوق محلى وفصه سبج[5]
إذا الخصي صافح استها خريت … تحتي وبالبيض تعمل العجج

وقال أيضاً: بأبي من تمكنت من فؤادي … فأنا الدهر كله في اجتهاد
قدها في القياس من قوم يأجوج ولكنّ بظرها قوم عاد

---

(١) الطرطور: من حلى النساء: قلنسوة دقيقة طويلة ويقال: طنطور بالنون.
(٢) المبعر: مكان خروج البعر والبعر هو فضلات الحيوانات أو روثها.
(٣) الفيشة: الحشفة من الأير- السرم: طرف المعى الغليظ أو مكان خروج البراز- الصالب: الحمى الشديدة الحرارة.
(٤) القيفال: وريد في الجانب الوحشي من العضد.
(٥) السبج: خرز أسود.

وقفت لي فبستها من قعود ... بوسة بردت غليل فؤادي[1]
ولها شعرة ولا زبد البحـ ... ـر بياضاً وعصعص كالمداد
وحر أشمط العذارين الحي ... فيه سمت النساك والعباد
بظرها فوقه كدنية الحا ... كم يوم انحداره في السواد
ما توهمته وحقك إلا ... بعض أصحابنا بني حماد
يوم حاملتها فلما أحست ... في خراها بمثل شرط الفصاد[2]
جذبت لحيتي وقالت أيا شيخ ... ترى أنت كافر بالمعاد
أنت ممن يبغي خلافاً على اللـ ... ـه ويسعى في أرضه بالفساد
قلت كفي إنا وجدنا على هـ ... ـذا أيور الآباء والأجداد
عرفيني وخبريني متى كا ... نت سيوف الخصي بلا أغماد

ومن غاياته في هذا الباب قوله:

مولاي يدعوك شيخ لا وقار له ... حتى القيامة سكران ومخمور
ما فيه للشيب إكرام فيزجره ... عن الخمور ولا للسنّ توقير
يقول بالأمرد المصقول عارضه ... مقسماً فيه تأنيث وتذكير
وبالفتاة التي تنور مدخلها ... بعد العشا لشوى الخصيان مسجور[3]
وبالعجوز التي في أصل عنبلها ... غداة بعث المخاصي ينفخ الصور
زبال زرع استها يسقى بدالية ... وبظرها واقف في الزرع ناطور[4]
لها حر أشمط قد شاب مفرقه ... عليه بظر طويل فيه تدوير
كأنه شاعر قد جاء من حلب ... شيخ على رأسه المحلوق طرطور[5]

هذا الاستطراد في البيت الأخير استطرد فيه إلى أبي الطيب، وهو في غاية اللطف والظرف، وقد تقدمت إشارته إلى طرطوره في الأبيات المتقدمة البائية، ومن اختراعاته في هذا الباب قوله:

أحب من الكس تقبيله ... إذا كان في شفتيه لعس[6]

(١) البوسة: القبلة.

(٢) الشرط: البضع والجرح ـ الفصاد: عمليه إخراج الدم الفاسد من العروق.

(٣) مسجور: محمىّ.

(٤) الزبال: ما تحمله النملة ـ الدالية: الناعورة ـ البظر: نتوء في فرج المرأة.

(٥) الطرطور: القلنوسة.

(٦) الكس: فرج المرأة ـ اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة.

ويـعـجـبـنـي مـنـه أنـى إذا نقـرت أنفـه بقمـدي عـطس[1]
وواسعـة السرم تشكـو استهـا إذا مسهـا النيـك ضيق النفس
فتـاة لـدرب استهـا حـارس يـعلق مـن خـصيتيـه جـرس

ويعجبني قوله من قصيدة:

في إستهـا سدرة إذا نفضـوهـا جمعوا لي من تحتها كف نبق[2]
وهـو نبق بـلا نـوى أسـود اللو ن إذا لكتـه تحمض شـدقي[3]



(١) القمد: الطويل الضخم العنق.
(٢) النبق: ثمرة شجر الدر أو دقيق يخرج من لب جذع النخلة.
(٣) لاك: مضغ.

ذكر التفسير

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى   كم فسروا من بدور في دجى الظلم

هذا النوع، أعني التفسير، من مستخرجات قدامة، وسماه قوم التبيين، وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره، إما في البيت الآخر، أو في بقية البيت، إن كان الكلام يحتاج إلى التفسير في أوله. والتفسير يأتي بعد الشرط وما هو في معناه، وبعد الجار والمجرور، وبعد المبتدأ الذي يكون تفسيره خبره، بشرط أن يكون المفسَّر مجملاً والمفسِّر مفصلاً. فمن بديع التفسير الذي وقع في بيت واحد قول بعض المغاربة:

صالوا وجادوا وضاؤوا واحتبوا فهم   أسد ومزن وأقمار وأجبال

فإنه أحسن الترتيب في عجز البيت كله، وجعل المفسَّر في الصدر، بحيث أتى كل قسم مستقلاً بنفسه.

ومثال ما وقع من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط، قول الفرزدق:

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم   طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم
لألفيت منهم معطياً ومطاعناً   وراءك شزراً بالوشيج المقوّم[1]

والفرزدق ما راعى حسن الترتيب في بيته، فإن عندهم عدم الترتيب مع حسن الجوار، وقرب الملائم، لا ينقص حسن الكلام البليغ. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿يوم

(١) ألفيت وجدت ـ الشزر: النظر بطرف العين ـ الوشيج المقوم: الرمح المستقيم.

تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم﴾[1]؛ ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك: **﴿وأما الذين ابيضت وجوههم﴾** [2].

ومن الأمثلة الواقعة بعد الجار والمجرور في باب التفسير، قول شرف الدين القيرواني:

لمختلفي الحاجات جمع ببابه فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى وللمذنب العقبى وللخائف الأمن

ومما جاء من التفسير بعد المبتدأ، قول ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوم[3]

قالوا إن هذا أبلغ ما وقع في التفسير من الأمثلة الشعرية، فإنه راعى فيه الترتيب أحسن مراعاة.

ومن بديع هذا النوع قول محمد بن وهيب في المعتصم:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر

ومثله في الحسن قول محمد بن شمس الخلافة:

شيئان حدِّثْ بالقساوة عنهما قلب الذي يهواه قلبي والحجر
وثلاثة بالجود حدِّثْ عنهم البحر والملك المعظم والمطر

ومن معجز التفسير، ما جاء في الكتاب العزيز، وهو قوله تعالى: **﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾**[4] فذكر سبحانه الجنس الأعلى أولاً، حيث قال: كل دابة فاستغرق أجناس كل ما دب ودرج، ثم فسر سبحانه هذا الجنس، بعد ذلك، بالأجناس المتوسطة والأنواع، حيث قال: فمنهم ومنهم ومنهم، مراعياً للترتيب، وذلك أنه قدم ما يمشي على غير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة وتعجب السامع، وما يمشي بغير آلة أعجب مما يمشي

---

(١) آل عمران، ١٠٦/٣.
(٢) آل عمران ١٠٦/٣.
(٣) رجوم: ظنون لا دليل على صحتها.
(٤) النور، ٤٥/٢٤..

بآلة، فلذلك كان تقديمه ملائماً لمقصود الآية الشريفة، ثم ثنى بالأفضل فأتى بما يمشي على رجلين وهو الآدمي والطير لتمام خلق الإنسان وكمال صورته ولما في الطير من عجيب الطيران الدال على الخفة مع ما فيه من الكثافة الأرضية، وثلّث بما يمشي على أربع لأنه أحسن الحيوان البهيمي وأقواه، فتضمنت هذه الكلمات، التي هي بعض آية، عدة من المحاسن، وهي صحة التفسير وصحة التقسيم مع مراعاة الترتيب والإشارة وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق. والفرق بين التفسير والإيضاح: أن التفسير تفصيل الإجمال، والإيضاح رفع الإشكال، لأن المفسَّر من الكلام لا يكون فيه إشكال.

وبيت صفي الدين على التفسير قوله:

هم النجـوم بهم يهـدى الأنـام وينجاب الظلام ويهمي صيب الديم[1]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

ذكـر الإمـام وابـنيـه يـفـسـره عليّ والحسنان أكرم بـذكـرهم

الشيخ عز الدين ما أفادنا في التفسير هنا شيئاً.

وبيت بديعيتي أقول فيه، عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى كم فسروا من بدور في دجى الظلم

هذا هو التفسير الذي لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه، في الشطر الأول من البيت، إلا بتفسيره من الشطر الثاني على الترتيب. وأما ذكر الإمام عليّ كرم الله وجهه، وذكر ولديه عليهما السلام في بيت الشيخ عز الدين رحمه الله، فإنه غير محتاج إلى تفسير والله أعلم.



(١) انجاب: انكشف ـ يهمي: يمطر بغزارة ـ الديم: الغيوم.

ذكر حسن الاتباع

ذكراه يطربهم والسيف ينهل من   أجسامهم لم يشن حسن اتباعهم[1]

هذا النوع، أعني حسن الإتباع، هو أن يأتي المتكلم إلى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه، بحيث يستحق بوجه من الوجوه الزائدة التي توجب للمتأخرين استحقاق معنى التقدم، إما باختصار لفظه، أو قصر وزن، أو عذوبة لفظ، أو تمكين قافية، أو تتميم نقص، أو تحلية من البديع توجب الاستحقاق، كاتباع أبي نواس جريراً في قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

فنقل أبو نواس المعنى من الفخر إلى المدح بقوله:

وليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

فزاد على جرير زيادات، منها: قصر الوزن، وحسن السبك، وإخراج كلامه من الظن إلى اليقين، وأيضاً فإن ذكر العالم، أعم من ذكر الناس في بيت جرير.

وعدوا من الشواهد الحسنة في حسن الاتباع، قول منصور النميري، في زينب أخت الحجاج وأترابها، وهو:

وهن اللواتي إن برزن قتلنني   وإن غبن قطّعن الحشا حسرات

---

(١) شان: عاب.

فأحسن اتباعه ابن الرومي بقوله:

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقـع السهـام ونـزعـهن ألـيـم

قلت: وقع السهام ونزعهن، بعد ويلاه، في بيت ابن الرومي، تركت بيت النميري أطلالاً بالية.

وقال أبو عبادة البحتري:

أخجلتني بندى يديك فسودت مـا بيننـا تلك اليـد البيضـاء
صلة غدت في الناس وهي قطيعة عجبـاً وبـرٌّ راح وهـو جـفـاء

وأحسن أبو العلاء وقال:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط في الخصر

لأنه استوعب معنى البيتين في صدر بيته، وأخرج العجز مخرج المثل السائر، مع الإيجاز والإيضاح وحسن البيان.

وقال عنترة:

إني امرؤ من خير عبس منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل[1]

فأحسن اتباعه منصور الفقير في شريف نسبه، وكان شرفه من جهة أبيه لا من جهة أمه، بقوله:

إن فـاتـنـي بـأبـيـه فـلم يفـتـني بـأمـه[2]
ورام شـتـمـي ظـلـمـاً سكت عن نصف شتمـه

فإن هذا الفقيه أحسن غاية الإحسان، من وجوه: أحدها الإيجاز، فإنه عمل معنى عنترة الذي جاء به في بيت تام من الكامل، في بيت من المجتث، وأتى بالمطابقة المعنوية فأما قوله سكت عن نصف شتمه، ففيه من التأدب الديني مع رسول الله ﷺ، والاحتراس، ما يزيد على الوصف.

وقال ابن الرومي:

تخذتكم درعاً حصيناً لتدفعوا نيـال العـدا عني فكنتم نصـالهـا

---

(١) المنصل: السيف.
(٢) لم يفتني: بالقرابة.

وكنت أرجي منكم خير ناصر | على حين خذلان اليمين شمالها
فإن كنتم لا تحفظون مودتي | ذماماً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا وقفة المعذور عني بمعزل | وخلوا نبالي للعدا ونبالها

فأحسن ابن سنان الخفاجي اتباعه بقوله:

أعددتكم لدفاع كل ملمة | عوناً فكنتم عون كل ملمة
وتخذتكم لي جنة فكأنما | نظر العدو ومقاتلي من جنتي(١)
فلأنفضن يدي يأساً منكم | نفض الأنامل من تراب الميت

ويعجبني هنا قول القائل:

وأخوان حسبتهم دروعاً | فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاماً صائبات | فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوبٌ | لقد صدقوا ولكن من ودادي

وقال ابن الرومي:

سد السداد فمي عما يريبكم | لكن فم الحال عني غير مسدود

وأحسن زكي الدين بن أبي الأصبع اتباعه فقال:

هبني سكت فما لسان ضرورتي | أهجى لكل مقصر عن منطقي

وقال سليك بن سلكة:

وتبسم عن ألمى اللثاة مفلج | خليق الثنايا بالعذوبة والبرد(٢)
وما ذقته إلا بعيني تفرُّساً | كما شيم برق في السحابة من بعد(٣)

وقال نصيب:

كأن على أنيابها الخمر شجها | بماء الندى في آخر الليل عابق(٤)
وما ذقته إلا بعيني تفرساً | كما شيم في أعلى السحابة بارق

---

(١) أي منكم عرف العدو كيف يقتلني ـ والمقاتل: الأمكنة التي إذا اصيب فيها الإنسان قتل.
(٢) ألمى: أسمر ـ اللثاة: مفردها لثة وهي مكان انغراز الأسنان في الفم ـ مفلّج: بين أسنانه فسحات متساوية.
(٣) التفرّس: التثبت بالنظر ـ شيم: انتُظر.
(٤) شجها: الخمرة مزجها بالماء ـ العابق: اللبّق الظريف.

وأحسن بشار بن برد اتباعهما بإيجازه، وقال:

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر ... إلا شهادة أطراف المساويك[1]

وقال السموأل:

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

فأحسن بشار اتباعه، بزيادة محاسن، فقال: أفناهم الصبر إذ أبقاهم الجزع.

وقال الأسود ابن يعفر:

يسعى بها ذو توأمين كأنما ... قنأت أتأمله من الفرصاد[2]

وأحسن أبو نواس إتباعه، بزيادة من المحاسن، وقال:

تبكي فتذري الدمع من نرجس ... وتلطم الورد بعناب

استوفى أبو نواس المعنى في نصف بيت، وأخذه الوأواء الدمشقي من أبي نواس، وزاد عليه زيادة عجيبة، بقوله:

وأمطرت لؤلؤاً من نرجس فسقت ... ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقال مسلم بن الويد:

تجري محبتها في قلب عاشقها ... مجرى المعافاة في أعضاء منتكس[3]

فأحسن أبو نواس اتباعه فقال:

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض الملوك باليمن:

منع البقاء تقلب الشمس ... وطلوعها من حيث لا تمسي
تجري على كبد السماء كما ... يجري حمام الموت في النفس

نقل أبو هلال العسكري في «الصناعتين» عن الصولي أنه قال: حدثني أبو بكر بن هارون بن عبد الله المهلبي، قال: كنا في حلقة دعبل الشاعر، فجرى ذكر أبي تمام،

---

(١) المساويك: مفردها مسواك وهو غصن شجر يستاك به أي تنظف به الأسنان.

(٢) قنأ: احمّر كثيراً ـ الفرصاد: التوت أو صبغ أحمر، أو نوى العنب.

(٣) المعافاة: البرء ـ المنتكس: الذي يعود إليه المرض بعد تماثله للشفاء.

فقال دعبل: كان يتبع معانيَّ فيأخذها، فقال له رجل في مجلسه: مثل ماذا أعزك الله؟ فقال: قلت:

وإنّ امـرأ أسـدى إليَّ بشـافـعٍ　　إليـه ويرجـو الشكـر مني لأحمق

فأخذه أبو تمام، وقال:

وإذا امـرؤ أسدى إليـك صنيعـة　　من جـاهـه فكـأنهـا من مـالـه

فقال الرجل: أحسن والله! فقال دعبل: كذبت والله، قبحك الله. فقال الرجل: إن كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك فقد أجاد فصار أولى به منك على الحالين، فغضب دعبل وقام.

وقال بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته　　وفاز بالطيبات الفاتك اللهج[1]

فأحسن اتباعه سلم الخاسر، وقال:

من راقب الـنـاس مـات غمـاً　　وفـاز بـالـلذة الـجـسـور

فلما سمع بشار هذا البيت قال: قد ذهب ابن الفاعلة ببيتي.

وممن زاد على المتقدمين بحسن سبكه وعذوبة لفظه، ابن المعتز رحمه الله بقوله:

ولاح ضـوء هلالٍ كـاد يفضحـه　　مثل القلامة قد قدت من الظفر[2]

وهو مأخوذ من قول الأول:

كـأن ابـن لـيـلتـه جـانـح　　إلى مسقط الأفق من خنصـر[3]

وقال أبو لعتاهية:

كم نعمـة لا تستقـل بشكـرهـا　　لله في طي الـمكـاره كـامـنـه

فأحسن أبو تمام اتباعه فقال:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت　　.ويبتلي الله أدنى القـوم بـالنعم

---

(١) الفاتك: الشجاع - اللهج: المثابر.

(٢) القلامة: قصاصة الظفر - قُدّ: قُطِع.

(٣) ابن ليلته: الهلال مضت عليه ليلة واحدة بعد المحاق - الخنصر: الأصبع الصغير.

فزاد عليه، إلا أنه أتى بعكس المعنى، وما يعرف للمتقدمين معنى شريف، إلا نازعهم إياه المتأخرون وطلبوا الشركة معهم فيه، إلا قول عنترة: وخلا الذباب بها فليس بنازح[1]. فإنه ما نوزع في هذا المعنى، على جودته، وقد رامه بعض المجتهدين فافتضح، وتقرّر ذلك في بيت سلامة الاختراع.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي، على حسن الاتباع قوله:

ينازع السمع فيها الطرف حين جرت فيرجعان إلى الآثار في الأكم[2]

بيت الشيخ صفي الدين مأخوذ من قول القائل: :

وطرف يفوت الطرف في جريانه ولكن للأسماع فيه نصيب

والعميان ما نظوا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

والجزع حن إليه بعد فرقته حسن اتباع لتلك الأربع الحرم

ذكر الشيخ عز الدين، في شرحه، أنه اتبع الفرزدق في قوله، في مديح الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليهما السلام، وهو هذا:

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته والركن يعرفه والبيت والحرم

وبيت بديعيتي تقدمه قولي، في حق الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى كم فسروا من بدور في دجى الظلم

ثم إني قلت بعده، في حسن الاتباع عن الصحابة:

ذكراه يطربهم والسيف ينهل من أجسامهم لم يشن حسن اتباعهم

هذا المعنى سبقني إليه الشيخ شرف الدين بن الفارض، وكنت في صغري أترنم به وهو قوله:

فلي ذكرها يحلو على كل صيغة .ولو مزجوه عذلي بخصام

الشيخ شرف الدين قرر: إن ذكر محبوبه يحلو، ولو كان في محل خصام من

---

(١) نازح: مغادر.

(٢) الأكم: المكان الملتف الأشجار المرتفع.

العذال، وقولي أبلغ في حق الصحابة رضي الله عنهم، لأن ذكر النبي ﷺ، يطربهم والسيوف تنهل من أجسامهم، وأين الطرب في هذا المقام؟ من يحلو في ذلك المقام؟ وأين المخاصمة بالألسن من التكليم بألسنة السيوف؟ والزيادة التي ما على حسنها من مزيد، قولي: لم يشن حسن اتباعهم، فإن شدة الحرب وتكليم النفوس، ما شان حسن السيوف وذهاب الأنفس، ما شان حسن اتباعهم للنبي ﷺ يوماً من الأيام. والتورية، في حسن الاتباع الذي هو المراد من تسمية النوع، محاسنها لا تخفى على المنصفين من أهل الأدب، والله أعلم.



ذكر الموارده

كـأنمـا الهـام أحـداق مسهـدة ... ونـومهـا واردتـه في سيـوفهم[1]

هذا النوع، أعني الموارده: هو أن يتوارد الشاعران على بيت، أو بعض بيت، بلفظه ومعناه: فإن كان أحدهما أقدم من الآخر وأعلى رتبة في النظم حكم له بالسبق، وإلا فلكل منهما ما نظمه كما جرى لامرىء القيس وطرفة بن العبد في معلقتيهما، وهو قول امرىء القيس:

وقـوفاً بهـا صحبي عليَّ مـطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل

قال طرفة: أسى وتجلد. فلما تنافسا في ذلك وأحضر طرفة بن العبد خطوط أهل بلده في أي يوم نظم هذا البيت، كان اليوم الذي نظما فيه واحداً. وقد يقع مثل ذلك أو دونه في بيت يخالف وزن البيت الأصلي.

وبيت الشيخ صفي الدين على الموارده قوله:

تهوى الرقاب مواضيهم فتحسبهـا ... حـديدهـا كان أغـلالاً من القدم

وبيت الشيخ صفي الدين ذكر في شرحه أنه نظم بيتاً من جملة أبيات، وهو:

تهـوى مواضيـك الرقـاب كـأنمـا ... من قبـل كان حـديـدهـا أغـلالا

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتاً لا يعلم قائله وهو:

تهـوى الرقـاب مواضيـه فتحسبها ... تود لو أصبحت أغـلال من أسرا

فأسقط البيت الذي له، فلما تعددت عليه الأنواع في نظم البديعية، ووصل إلى

---

(١) الأحداق: جمع حدقه وهي استدارة العين ـ والهام: الجباه.

الموارِدة، ألجأته الضررورة إلى نظمها، ليكون البيت المنظوم منتظماً في سلك شواهد بديعيته، بحيث لا تخلو من هذا النوع.

وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله:

بيت المدائح تستوفي علاه ولو تواردت في مديح غير منصرم

الشطر الأول من هذا البيت، ذكر الشيخ عز الدين، في شرحه، أنه توارد هو وأبو الطيب المتنبي عليه.

والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم. ومعنى الموارِدة في بيت بديعيتي أني كنت مدحت تمر بغاء الأفضلي الشهير بمنطاش، ورياحين الشبيبة غضة، ونشوة الابتداء تحث على دور كاسات الأدب، وكان المشار إليه إذ ذاك كافل المملكة الحموية، بقصيدة رائية سارت ببديع محاسنها الرُكبان، واحتوت على معان لم أسبق إليها، وتمثلت في غصون نظمها بين يدي شيخي، وهو مولانا قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي القضامي الحنفي رحمه الله، وقد علق بخاطري منها أبيات، فأنشدته في ذلك الوقت ما علق بخاطري، وهو قولي منها:

له مطالعة في الحرب حين يرى دم العدا فوق طرس الأرض قد سطرا
إن راسل القوم انشا في رسائله سجعات ضرب بها الهامات قد نثرا
كتابه السيف والخطي له قلم والرسل أسهم حتف توضح الخبرا[1]
إن كان قد نظم الأعدا مكيدتهم فقل لهم إنه من قبلهم شعرا
لأنه ببديع الحسن لف لنا شملاً ولكن لأرقاب العدا نشرا
وخط من فوق ألواح الصدور لهم باباً من الخوف في أحشائهم وقرا
وصار يكتب بالهندي ويعجم بالـ ـخطي فعل شجاع قد قرا ودرى[2]
تراه بالرمح بدراً حاملاً غصناً وبالتريسة غصناً حاملاً قمرا[3]
إن جس عوداً لضرب مال سامعه والخيل يرقصها إن حرك الوترا

وصار[4] كلما أنشدته بيتاً من هذه الأبيات يترنم كثيراً، ويرسم لي بإعادته حتى انتهيت إلى قولي:

---

(١) الخطي: الرمح.
(٢) الهندي: السيف، ويكتب بالهندي: يفرض بالسيف ـ يعجم: يزيل الإبهام، ويختبر ـ قرا: قرأ.
(٣) التريسة: الترس وهو ما يتقى به السيف.
(٤) في الأصل: صرت.

كـأنمـا الهـام أحـداق أضـرّ بهـا سهد وأسيافه في الحرب طيب كرى

فلما سمع هذا البيت لم يترنم كما ترنم للأبيات التي قبله، وقال: أبو الطيب هو أبو عذرة هذا المعنى ولكن أحسنت الاتباع، بقولك: أضربها سهد، وبقولك في الشطر الثاني: طيب كرى، فإن فيهما زيادتين حسنتين، فالتزمت له بيمين أنني ما ملكت ديوان المتنبي يوماً من الأيام، ولا طالعته عند الغير، وما كنت في ذلك الوقت أطالع غير ديوان الشيخ جمال الدين بن نباتة، وديوان الشيخ صفي الدين الحلي، فتعجب مولانا قاضي القضاة من ذلك وبالغ في الجبر والثناء، ولكني أسقطت البيت من القصيدة، خوفاً من قدح حاسد، فلما وصلت بديعيتي إلى نوع المواردة ألجأت الضرورة إلى نظمه في سلك أنواعها.

وبيت المتنبي الذي حصلت المواردة به قوله:

كـأنّ الهـام في الهيجـا عيـون وقـد طبعت سيوفـك من رقاد[1]

وبيت بديعيتي:

كـأنمـا الهـام أحـداق مسهـدة ونـومهـا واردتـه في سيـوفهـم

والترشيح أيضاً هنا ظاهر في قولي: مسهدة، والترشيح، في تورية المواردة، بتسمية النوع وزيادة المعنى، غير خاف على أهل الأدب.



(١) الهام: جمع هامة وهي الجبهة من الإنسان.

ذكر الإيضاح

هـذا وتـزداد إيضـاحـاً مخـافتهم　　في كـل معترك من بـطش ربهم

هذا النوع، أعني الإيضاح: هو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس، فلا يفهم من أول وهلة، حتى يوضحه في بقية كلامه، كقول الشاعر:

يـذكـرنيـك الخيـر والشـر كله　　وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل[1]
فـألقـاك عن مكـروههـا متنـزهـاً　　وألقاك في محبوبها ولك الفضـل

معنى البيت الأول ملتبس، وما ذاك إلا أنه يقتضي المدح والذم ولكنه أوضحه بقوله:

فـألقـاك عن مكـروههـا متنـزهـاً　　وألقاك في محبوبها ولك الفضـل

وقد يكون الإيضاح في الوصف الذي لا يتعلق به مدح ولا هجاء، وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شيء واحد يحصل فيه الإشكال، فيوضح ذلك الإشكال بما يفهم منه كشف اللبس عن الحد الأول، كقول ابن حيوس:

ومقـرطق يغني النـديم بـوجهـه　　عن كأسه الملأى وعن إبريقه[2]
فعـل المـدام ولـونهـا ومـذاقهـا　　فـي مقـلتيـه ووجـنتيـه وريقـه

فإنه لو اقتصر على البيت الأول أشكل الأمر من جهة الوجه، فإنه وإن كان حسناً لا يغني النديم عن الخمر، فأزال اللبس في البيت الثاني وأوضحه، وقد تقدم وتقرر الفرق بين الإيضاح والتفسير.

---

(١) الخنى: القول الفاحش.

(٢) المقرطق: لابس القرطق وهو ثوب فارسي مزركش.

وبيت الشيخ صفي الدين قوله:

قادوا الشواذب كالأجبال حاملة أمثالها ثبتة في كل مصطدم[1]

العميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

للخير والشر إيضاحاً به فبذا أمر وعن ذاك نهيٌ حب نصحهم

والذي أقوله: إن الشيخ عز الدين غفر الله له لم يتضح في بيته غير الإشكال.

وبيت بديعيتي تقدم قولي قبله في وصف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، بحسن الاتباع والصبر والإقدام، إلى أن قلت في الموارِدة:

كأنما الهام أحداق مسهدة ونومها واردته في سيوفهم

ثم إني قلت بعده في الإيضاح:

هذا وتزداد إيضاحاً مخافتهم في كل معترك من بطش ربهم

الإطناب والمبالغة، في وصف الصحابة رضي الله عنهم، قد تقدم بالشجاعة التي هي فوق الوصف، فلما قلت في هذا البيت: إن مخافتهم تزداد إيضاحاً في كل معترك، ظهر اللبس فأوضحته بقولي: من بطش ربهم. والتورية بتسمية النوع، الذي هو المطلوب هنا، محاسنها لم تفتقر إلى الإيضاح، والله الموفق.



(١) الشواذب: جمع مفرده الشاذب وهو المتنحي عن وطنه ـ ثبْتة: شجاعة ـ المصطدم: مكان الاصطدام أو ساحة المعركة.

ذكر التفريع

ما العود إن فاح نشراً أو شدا طرباً   يوماً بأطرب من تفريع وصفهم

هذا النوع، أعني التفريع، وهو ضد التأصيل، هو أن يصدّر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي، بما خاصة، ثم يصف ذلك الاسم المنفي بأحسن أوصافه المناسبة للمقام، إما في الحسن وإما في القبح، ثم يجعله أصلاً يفرع منه جملة، من جار ومجرور، متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك، ثم يخبر عن ذلك الاسم بأفعل التفضيل، ثم يدخل من على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما، ويعلق المجرور بأفعل التفضيل، فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما النافية، لأن حرف النفي قد نفى الأفضلية. فتبقى المساواة بين ذلك أن تقول: ما الزهر إذا بكى الغمام فضحك، بأحسن من أخلاق زيد. فالمساواة بين الزهر والأخلاق ههنا ثابتة، بالشروط المذكورة، ومن الأمثلة الشعرية قول الأعشى:

ما روضة من رياض الحسن معشبة   غناء جاد عليها مسبل هطل[1]
يضاحك الزهر منها كوكب شرق[2]   مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها طيب رائحة   ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل[3]

(١) غناء: ملتفة الشجر ـ جاد: هطل ـ المسيل: من المطر: النازل من السحاب بغزارة ـ هطل: صيغة مبالغة من هطل.
(٢) شرق: واضح الإشراق ـ مؤزر: يلبس الإزار ـ مكتهل: كبير السن.
(٣) الأصل: الأصيل أو وقت الغروب.

وقد يجيء الفرع والأصل في بيت واحد، كقول أبي تمام:

ما ربع مية معموراً يطيف به ... غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب[1]
ولا الخدود وإن أدمين من خجل ... أشهى إلى ناظري من خدها الترب

فذكر في البيت الأول الأصل والفرع، وكذلك في البيت الثاني، فالأصل هو الاسم المنفي مع ما ذكر من أوصافه، والفرع هو أفعل التفضيل مع ما يتعلق به.

ويعجبني في هذا الباب قول إبراهيم بن سهل الاشبيلي، من قصيدة، وهو:

وما وَجْدُ أعرابية بان دارها ... وحنت إلى بان الحجاز ورنده[2]
إذا آنست ركباً تكفل شوقها ... بنار قراه والدموع بورده
وإن أوقدوا المصباح ظنوه بارقاً ... يحيي فهشت للسلام ورده
بأعظم من وجدي بموسى وإنما ... يرى أنني أذنبت ذنباً لوده

ومن إنشاء القاضي شهاب الدين محمود، في هذا الباب، قوله: وما أم طفل قذفها الزمن العنيد، في بعض البيد، في أرض موحشة المسالك، قليلة السالك، قد لمع سرابها، وتوقدت هضابها، وصرخ بومها، ونفر ظليمها[3]، وحضر سمومها[4]، وغاب نسيمها، فلما خافت على ولدها من الظمأ الهلاك، أجلسته إلى جنب كثيب هناك، ثم ذهبت في طلب الماء للغلام، لئلا يقضي عليه الأوام[5]، فانتهى بها المسير إلى روضة وغدير، وآثار مطي بوارك، تدل على أن الطريق هنالك، فعادت إلى ولدها مسرعه، وكل أعضائها إليه عيون متطلعه، فلما شارفت جنب الكثيب، رأت ولدها في فم الذيب:

بأكثر مني حسرة وتلهفاً ... وأعظم مني حرقة وتأسفا
وأغزر دمعاً عندما قيل لي الذي ... كلفت به أضحى على البعد مزمعا

وذكر صاحب الإيضاح، للتفريع، قسماً ثانياً لم يذكره غيره، ولا نسج على منواله أصحاب البديعيات فألغيته أيضاً، والشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع اخترع قسماً ثالثاً،

---

(١) غيلان: إسم ذي الرمة الشاعر.
(٢) بان: بعُد ـ البان: شجر طيب الرائحة طويل الأغصان طريها ـ الرند: شجر طيب الرائحة يشبه الآس وينبت في البادية.
(٣) الظليم: ذكر النعام.
(٤) السموم: الريح الحارّة.
(٥) الأوام: شدة العطش والنشفان.

ولكن وجدت هذا النوع الذي نحن بصدده أحلى في الأذواق، وأوقع في القلوب، وعلى سننه مشى أصحاب البديعيات، فألغيت أيضاً ما اخترعه ابن أبي الأصبع رحمه الله.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع في وصف الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين:

ما روضة وشع الوسمي بردتها يوماً بأحسن من آثار سعيهم[1]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله:

ما الدوح تفريعه بالزهر متسق نظماً بأطيب من تعريف ذكرهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

ما العود إن فاح نشراً أو شدا طرباً يوماً بأطيب من تفريع وصفهم

هذا البيت فيه نوع التفريع، الذي هو القصد هنا، والتورية بتسميته، والاستخدام، ومرعاة النظير، وفيه الانسجام، والتمكين، والله أعلم.



(١) وشّح: زين وزخرف ـ الوسمي: مطر الربيع.

ذكر حسن النسق

من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم   من ذا يسابقهم في حلبة الكرم

هذا النوع، أعني حسن النسق، ويسمى التنسيق، من محاسن الكلام، وهو أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر، والأبيات من الشعر، متتاليات متلاحمات تلاحماً مستحسناً مستبهجاً، وتكون جملها ومفرداتها منسقة متوالية، إذ ا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه، كقول شرف الدين القيرواني:

جاوِرْ علياً ولا تحفل بحادثة   إذا ادّرعت فلا تسأل عن الأسل[1]
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد   ملء المسامع والأفواه والمقل

فالحظ حسن النسق، وصحة هذا التركيب فيه، واستيعاب هذا التقسيم، ووضوح هذا التفسير.

ومنه قول أبي نواس:

وإذا جلست إلى المدام وشربها   فاجعل حديثك كله في الكاس
وإذا نزعت عن الغواية فليكن   لله ذاك النزع لا للناس

حسن النسق، هنا، لأمرين بين فنين متضادين، في هذين البيتين، وهما المجون والزهد، حتى صارا كأنهما فن واحد.

---

(١) ادّرع: لبس الدرع ـ الأسل: الرماح.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي قوله:

والذئب سلم والجني أسلم والثـــــعبان كلم والأموات في الرحم[1]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

فالضيق أذهب والتوفيق سبب والتنـــــسيق رتب في تصـديق حكمهم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضوان الله عليهم بقولي:

من ذا ينـاسقهم من ذا يـطابقهم   من ذا يسابقهم في حلبة الكـرم



(١) سلم: رضي ـ الجني: واحِد الجن ـ أسلم: انقاد وتدين بالإسلام. ـ الثعبان: الحية ذكراً كانت أو أنثى ـ كلّم: تكلم وردّ الجواب. ـ الأموات في الرحم: الأجنة. والبيت في مدح النبي صلعم.

ذكر التعديد

تعديد فضلهم يبدي لسامعه علماً وذوقاً وشوقاً عند ذكرهم

هذا النوع، أعني التعديد، ذكره الإمام فخر الدين الرازي وغيره، وسماه قوم الإعداد، وهو عبارة عن إيقاع أسماء منفردة على سياق واحد، فإن روعي في ذلك ازدواج، أو مطابقة، أو تجنيس، أو مقابلة، فذلك الغاية في حسن النسق. مثاله قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾[1] ومن الأمثلة الشعرية قول أبي الطيب المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله:

يا خاتم الرسل يا من علمه والعدل والفضل والإيفاء للذمم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت عز الدين في بديعيته قوله:

تعديد أوصافهم في المدح يعجزنا أهل التقى والنقا والمجد والهمم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بقولي:

تعديد أوصافهم يبدي لسامعه علماً وذوقاً وشوقاً عند ذكرهم

---

(١) البقرة، ٢/١٥٥.

ذكر التعليل

نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا لأنه مر في آثار تربهم

هذا النوع، أعني **التعليل**: هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع، أو متوقع، فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، لكون رتبة العلة تتقدم على المعلول، كقوله تعالى: ﴿**ولولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم**﴾[1] فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب، وكقوله ﷺ: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسِّواك عند كل صلاة، فخوف المشقة على الأمة، هو علة في التخفيف عنهم من الأمر بالسواك عند كل صلاة.

ومن أمثلته الشعرية قول البحتري:

ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح، هو علة في شكوى الشاعر.

ومنه قول ابن هانىء الأندلسي:

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى لما صح عندي علة للتيمم

وفي رواية: لما كنت أدري، وعلى كلتي الروايتين، ففي الغلوّ قبح وإساءة أدب، كيف أنه لم يدر علة للتيمم إلا بما ذكر، وقد علمت صحة التيمم من نص الكتاب والسنة.

ولقد أحسن ابن رشيق القيرواني، في تعليل قوله ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، حيث قال:

---

(١) الأنفال، ٨/٦٨.

سألت الأرض لم جعلت مصلى ... ولم كانت لنا طهراً وطيبا
فقالت غير ناطقة لأني ... حويت لكل إنسان حبيبا

فتخلص مما وقع فيه ابن هانىء، لكونه سأل الأرض عن العلة، وتلطف في استخراج علة مناسبة لا حرج عليه في إيرادها. وقد يتقدّم المعلول على العلة في هذا الباب، وعلى هذا المنوال نسج ابن رشيق.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التعليل قوله:

لهم أسام سوامٍ غير خافية ... من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم[1]

وبيت العميان:

لم تبرق السحب إلا أنها فرحت ... إذ ظللنه فأبدت حسن مبتسم

وبيت الشيخ عز الدين قوله:

تعليل طيب نسيم الروض حين سرى ... بأنه نال بعضاً من ثنائهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة:

نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا ... لأنه مر في آثار تربهم



(١) أسامٍ: جمع مفرده إسم ـ سوام: جمع مفرده سامي: عالي المكانة.

ذكر التعطف

تعطف الخير كم أبدوا لمذنبهم والخير ما زال في أبواب صفحهم[1]

التعطف شبيه بالترديد في إعادة اللفظة بعينها في البيت، والفرق بينهما أن التعطف شرطه أن تكون إحدى كلمتيه في مصراع، والأخرى في مصراع آخر.

قلت: وهذا النوع أيضاً من الأنواع التي تقدمت، وقررت أن ليس تحتها كبير أمر، وأن رتبة البديع أعلى من هذه الأنواع السافلة، ولكن تقدم قولي: إن القوم كلما طلبوا الكثرة تغالوا في الرخيص، والشروع في المعارضة ملزم، وقد استشهدوا على هذا النوع أعني التعطف، بقول أبي الطيب المتنبي:

فساق إليَّ العَرْفَ غير مكدّر وسقت إليه المدح غير مذمم

وبيت الشيخ صفي الدين على هذا النوع الرخيص قوله:

وصحبه من لهم فخرٌ إذا افتخروا ما أن يقصر عن غايات فضلهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

تعطفوا برضا أحبابهم وعلى أعدائهم عطفوا بالصارم الخذم[2]

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضي الله عنهم بقولي:

تعطف الخير كم أبدو لمذنبهم والخير ما زال في أبواب صفحهم

وقلت بعده مشيراً إليهم.

---

(١) الصفح: العفو والغفران.

(٢) الصارم: السيف القاطع ـ الخذِم: القاطع.

يحمون مستتبعين العفو إن ظفروا ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

ذكر الاستتباع

الاستتباع: هو استفعال من تتبع الرجل، إذا اقتفى أثره. وفي الاصطلاح: هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر، فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن، كقول أبي الطيب المتنبي:

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

فإنه مدحه بالشجاعة، على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لإصلاح الدنيا، حيث جعلها مهنأة بخلوده ومثله قوله:

إلى كم ترد الرسل فيما أتوا به كأنهم فيما وهبت ملام

فمدحه بالشجاعة إيماء، وألغز في رد الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون بمرسلهم، واستتبع في آخر البيت مدحه بالكرم، لعصيان الملام في الهبات.

ويعجبني هنا قول أبي بكر الخوارزمي:

سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكأنما ألفاظه من ماله

فإنه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم.

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا لنوع قوله:

الباذلو النفس بذل الزاد يوم قرى والصائنو العرض صون الجار والحرم[1]

(١) القرى: إطعام الضيوف، ويوم القرى: يوم المسغبة أو يوم الحاجة.

وبيت العميان:

تجري دماء الأعادي من سيوفهم ... مثل المواهب تجري من كفوفهم

وبيت الشيخ عز الدين:

يستتبعـون ببـذل العلم بـذل نـدى ... ويحفظون المعالي حفظ عرضهم

وبيت بديعيتي:

يحمون مستتبعين العفو إن ظفروا ... ويحفـظون وفـاهم حفظ دينهـم



ذكر الطاعة والعصيان

طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم ... له العلوّ فجانسه بمدحهم

هذا النوع، أعني **الطاعة والعصيان**، استنبطه أبو العلاء المعري في شرحه الذي سماه «معجز أحمد» عند نظره في شعر أبي الطيب، وهو قوله:

يرد يداً عن ثوبها وهو قادر ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

وسماه الطاعة والعصيان، وقال: إنما أراد أبو الطيب أن يقول: يرد يداً عن ثوبها وهو مستيقظ، بحيث تطيعه المطابقة في قافية البيت، بقوله: راقد، فلم يطعه الوزن في ذلك، ولما عصاه الوزن عدل إلى لفظة: قادر، وجعلها مكان مستيقظ، لما فيها من معنى اليقظة وزيادة، فأطاعه التجنيس المقلوب، بين قادر وراقد، وعصته المطابقة، بين راقد ومستيقظ، فلم يخل بيته عن معنى بديعي، وقيل إن هذا النوع لم يسمع له مثال قبل أبي العلاء، ولا بعده في سائر كتب البديع، لقلة وقوعه وتعذر اتفاقه، وإنما وقع للمتنبي نادراً.

قلت: أنا تابع، في هذا النوع، مذهب علامة هذا العلم، وهو الشيخ زكي الدين ابن أبي الأصبع تغمده الله برحمته ورضوانه، فإنه كشف عن وجه الإشكال، وأرشد من كان متعلقاً بحبال المحال، فإن القوم أضربوا عن هذا النوع وهو ظاهر، لأن الشيخ زكي الدين قال: إضرابهم عن النظر فيه، إما لحسن ظنهم بالمعري وموضعه من الأدب، واعتقادهم فيه العصمة من الخطأ والسهو، وإما أن يكون مر عليهم ما مرَّ عليه في هذا البيت، إذ ليس في البيت شيء أطاع الشاعر ولا شيء عصاه، ودليل ذلك قول المعري: إن المتنبي أراد مستيقظاً، ليحصل بينها وبين لفظة راقد طباقاً، فعصته لفظة مستيقظ

لامتناعها من الدخول في هذا الوزن، وهذا محال، لأن المتنبي لو أراد أن يقول: يردُّ يداً عن ثوبها وهو ساهر، لحصل له غرضه من الطباق، ولم يعصه الوزن، وإنما المتنبي قصد أن يكون في بيته طباق وجناس، فعدل عن لفظة ساهر إلى قادر، لأن القادر ساهر وزيادة، وحصل بين راقد وقادر الطباق المعنوي، وجناس العكس، لأن الطباق أنواع: منها المعنوي. كما أن الجناس أنواع: منها العكس، ومذهب المتنبي ترجيح المعاني على الألفاظ، ولا سيما وبالعدول عن الطباق اللفظي، حصل في البيت الطباق والجناس معاً، وما كان فيه الطباق والجناس معاً أفضل مما ليس فيه سوى الطباق. ولو عدل المتنبي إلى ما ذكره المعري، لفاته هذا الفضل، والله أعلم.

وقد ثبت من هذا البحث، أن بيت المتنبي لا يصلح أن يكون شاهداً على هذا الباب، لأنه لم يعصه فيه شيء ولم يطعه غيره، وكذلك بيت الشيخ صفي الدين في بديعيته وهو قوله:

لهم تهلل وجه بالحياء كما مقصوره مستهل من أكفهم[1]

فإنه ذكر، في شرحه، أنه أراد الجناس، بين الحياء والحيا، ولما عصاه الوزن وتعذر التجنيس عدل إلى لفظة مقصوره، وهي ردف لفظة الحيا، فأطاعه الجناس المعنوي بإشارة ردفه إليه. اهـ.

قلت: والذي قرره الشيخ صفي الدين أيضاً محال، ولو قال:

لهم تهلل وجه بالحياء كما لنا الحيا مستهل من أكفهم

لحصل له ما أراد من الجناس، وخلص من ثقل مقصوره، وحصل لبيته طلاوة في الأذواق، وخلا من العقادة، وتحقق المتأمل أن عصيان الوزن هنا محال، وكذلك بيت الشيخ عز الدين وهو:

أطاعه وعصاه المؤمنون ومن ناواه ذا الفرق بين الانس والنعم[2]

فإنه ذكر، في شرحه، أنه أراد الطباق بين المؤمنين والكافرين، فعصاه الوزن وتعذرت المطابقة، فأتى بلفظة ناواه، فأطاعته المطابقة وعصاه الوزن.

قلت: والذي قرره الشيخ عز الدين أيضاً ههنا محال، ولو قال:

أطاعه وعصاه المؤمنون وجمع الكافرين ولم يحفل بجمعهم

---

(١) المقصور: الذي يقتصر عليهم منه ـ مستهل: نازل أو بادىء.

(٢) ناواه: ناوأه: عصاه وعمل ضده ـ النعم: الأنعام وهي الحيوانات.

لحصل له ما أراد من المطابقة بين المؤمنين والكافرين، وخلص من ثقل ناواه وتجشم الانس والنعم التي زلزلت أركان بيته، وأما قوله: أطاعه وعصاه، فهذه المطابقة تحصيل الحاصل، لأنها تسمية النوع الذي هو المراد هنا، وجل القصد: أن عصيان الوزن في بيت أبي الطيب، وبيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين محال.

وبيت بديعيتي أقول فيه، عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

طـاعاتهم تقهـر العصيان قـدرهم　　　لــه العلو فجــانســه بمــدحهم

هذا البيت أردت أن أجانس فيه بين العلوّ والغلوّ، فلم يطع فيهما الوزن، فلما عصى ذلك عدلت إلى لفظة مجانسة، فحصل الجناس المعنوي بإشارة ردفه إليه، فهذا البيت مشتمل على الطاعة والعصيان حقيقة، فإن الناظم أراد فيه جنـاس التصحيف، فعصاه الوزن وأطاعه الجناس المعنوي. والعميان ما نظموه في بديعيتهم، والله أعلم.



ذكر المدح في معرض الذم

لا عيب فيهم سوى إكرام وفدهم　　　في معرض الذم إن رمت المديح فقل

هذا النوع، أعني المدح في معرض الذم، من أنواع ابن المعتز، وهو أن ينفي صفة ذم ثم يستثني صفة مدح، كقولك: لا عيب في زيد سوى أنه يكرم الضيف. وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاما﴾[1].

ومن الشواهد الشعرية قول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم　　　بهن فلول من قراع الكتائب[2]

ومنه قول الشاعر:

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم　　　تعاب بنسيان الأحبة والوطن

ومنه أيضاً قول الشاعر:

ولا عيب في هذا الرشا غير أنه　　　له معطف لدن وخد منعم[3]

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي:

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم　　　يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

---

(١) الواقعة، ٥٦/٢٦.
(٢) فلول: كسور ـ قراع: قتال ـ الكتائب: مجموعات من الجيوش.
(٣) الرشا: الغزال ـ اللدن: الطريء.

وبيت العميان في بديعيتهم:

لا عيب فيهم سوى أن لا ترى لهم ... ضيفاً يجوع ولا جاراً بمهتضم[1]

قلت: بين قول الشيخ صفي الدين، عن الضيف أنه يسلو عن الأهل والأوطان والحشم، وبين قول العميان عن الضيف، أنه لا يجوع، بون بعيد.

وبيت الشيخ عز الدين:

في معرض الذم إن رمت المديح فهم ... لا عيب فيهم سوى الإعدام للنعم

وبيت بديعيتي:

في معرض الذم إن رمت المديح فقل ... لا عيب فيهم سوى إكرام وفدهم



(١) مهتضم: مغموط الحق أو لحق به الجور.

ذكر البسط

هم معشر بسطوا جوداً سقاه حيا   فأخضر العيش في أكناف أرضهم[1]

هذا النوع، أعني **البسط**، من مستخرجات ابن أبي الأصبع، والبسط بخلاف الإيجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام، لكن شروطه زيادة الفائدة، كقول النبي ﷺ: الدين النصيحة، فقيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم. فبسط هذه اللفظة الجامعة، ليفرد الأئمة بالذكر من جملة المسلمين، ولم يكن الاقتصار على الأئمة لأجل نقص المعنى، إذ تمامه لا يكون إلا بذكر عامة المسلمين، فأتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى، بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر.

ومن الأمثلة الشعرية المستحسنة على البسط، قول البحتري في الخيري وهو المنثور الأصفر:

قد نفض العاشقون ما صنع الـ   ـهجر بألوانهم على ورقه

فإن حاصل هذا الكلام الإخبار بصفرة الخيري، فبسط اللفظ الذي لو اقتصر عليه لما حصل به المراد، لما في البسط من حسن إدماج الغزل في الوصف، بغير لفظ التشبيه ولا قرينة، إذ مفهوم اللفظ أن صفرة المنثور تشبه ألوان المهجورين.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته:

سهل الخلائق سمح الكف باسطها   منزه قوله عن لا ولن ولم

---

(١) الحيا: المطر ـ الأكناف: النواحي. مفردها كنف.

والعميان ما نظموه في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته:

ذو بسط كف وخلق زانه خلق ... أثنى عليه إلٰه العرش بالعظم

وبيت بديعيتي، أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

هم معشر بسطوا جوداً سقاه حيا ... فأخضر العيش في أكناف أرضهم



ذكر الاتساع

نور القبائل ذو النورين ثالثهم ... وللمعالي اتساع في عليهم

هذا النوع، أعني الاتساع، يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه، وبحسب ما نحتمل ألفاظه من المعاني، كقول امرىء القيس:

إذا قامتا تضوَّع المسك منهما ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فإن هذا البيت اتسع النقد في تأويله، فمن قائل: تضوع المسك منهما بنسيم الصبا، ومن قائل: تضوع المسك منهما تضوَّع نسيم الصبا، ومن قائل تضوع المسك منهما، بفتح الميم، يعني الجلد بنسيم الصبا، وهو أضعف الوجوه، والوجه الثاني مذهب ابن أبي الأصبع، وهو أنور الوجوه. ومن ذلك فواتح السور التي أقسم الله بها، فإنهم اتسعوا في تأويلها، ولم يترجح من ذلك إلا أنها أسماء للسور.

وبيت الحلي في بديعيته قوله:

بيض المفارق لا عار يدنِّسهم ... شم الأنوف طوال الباع والأمم[1]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

---

(١) شم الأنوف: أي رافعو الرؤوس كناية عن العزة ـ طِوال الباع: طِوال ما بين اليدين إذا مدتا. وهذا كناية عن القوة والقدرة ـ بيض المفارق كناية: عن نقاء العرض والنسب أو الشرف ـ الأمَم: قريب التناول

بان اتساع المعالي في الصحابة كالـــــــــــفاروق ثم شهيد الدار ذي الحرم[1]

وبيت بديعيتي، أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

نـور القبائـل ذو النـورين ثـالثهم   وللمعـالـي اتسـاع فـي عليـهم



(١) الفاروق: لقب عمر بن الخطاب الخليفة الثاني للمسلمين بعد أبي بكر ـ شهيد الدار: هـو عثمان ابن عفان الخليفة الثالث.

ذكر جمع المؤتلف والمختلف

جمعت مؤتلفاً فيهم ومختلفاً   مدحاً وقصرت عن أوصاف شيخهم

هذا النوع أعني **جمع المؤتلف والمختلف**، ذكر المؤلفون فيه أقوالاً كثيرة غير سديدة، ومثلوه بأمثلة غير مطابقة، ولم يحرره ويطابقه بالأمثلة الصحيحة اللائقة غير الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع، والذي تحرر عنده: أن هذا النوع عبارة عن أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر، بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر، فيأتي لأجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية، كقوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً﴾[1] فحصلت المساواة في الحكم والعلم، فساوى بينهما في أهلية الحكم، ثم رجح سليمان فقال: ففهمناها سليمان، ثم راعى حق الوالد فقال: وكلا آتينا حكماً وعلماً، فحصلت المساواة في الحكم والعلم. وكقول الخنساء في أخيها. وقد أرادت مساواته بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة مدح لا ينقص به حق الولد:

جارى أباه فأقبلا وهما   يتعاوران ملاءة الفخر[2]
وهما وقد برزا كأنهما   صقران قد حطا على وكر
حتى إذا نزت القلوب وقد   لزت هناك العذر بالعذر[3]

---

(١) الأنبياء، ٢١/٧٨و٧٩.

(٢) تعاور: تداور أي كل واحد يلبسها مرة ـ الملاءة: الثوب الفضفاض.

(٣) نزا: طاش، والقلب: طمح ـ لزّت: ألصقت.

وعـلا طبـاق الأرض أيهـمـا قـال المجيب هنـاك لا أدري
بـرقت صفيحـة وجـه والـده ومضى على غلوائـه يجـري
أولـى فـأولـى أن يـسـاويـه لـولا جـلال السـن والـكـبـر

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله في بديعيته قوله:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا سوى الإخاء ونص الذكر والرحم

قلت: الحلي أساء الأدب في نظم هذا البيت، وكان يجب أن يؤدب على نظمه، فإنه بخس فيه حق صحابة رسول الله ﷺ، وكذب في الثلاثة التي استثناها، وقال: إن الصحابة رضي الله عنهم عدموها وقوله: هم هم في جميع الفضل، لا يفهم منه مدح، لأنه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت، ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيراً إلى هذا البيت:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا ما قاله الرافضي النذل في الكلم[1]

وعلى هذا الترتيب الفاسد. فما اجتمع في بيت الصفي غير المختلف، لأن المؤتلف عنه بمعزل.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم، وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله:

جمـع لمؤتلف فيهـم ومخـتلف في العلم والحلم مع تقديم ذي قدم

وبيت بديعيتي يجب أن لا يستشهد على هذا النوع بغيره، فإني قلت فيه، عن الصحابة رضي الله عنهم:

جمعت مؤتلفـاً فيهم ومختـلفـاً مدحاً وقصرت عن أوصاف شيخهم



(١) الرافضي: لقب للذي يرفض خلافة أبي بكر وعمر، يجمع على الروافض وهو منسوب إليهم. النذل: الخسيس من الناس الدنيء.

ذكر التعريض

تعـريض مدح أبي بكـر يقـدّمني　　　في سبق حُليِّهم مـع مـوصليهم

هذا النوع، أعني التعريض: نوع لطيف في بابه، وهو عبارة عن أن يكني المتكلم بشيء عن آخر، لا يصرح به، ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه، كقول القائل: ما أقبح البخل، فيعلم أنك أردت أن تقول له: أنت بخيل. وكقول بعضهم للآخر: لم تكن أمي زانية، يعرض بأن أمه زانية، والتعريض نوع من الكناية، ومن أمثلته الشعرية قول الحجاج، يعرض بمن تقدمه من الأمراء:

لـست بـراعـي إبـل ولا غـنـم　　　ولا بجـزار على ظهـر وضم[1]

والشواهد على هذا النوع كثيرة، ولكن أردت أن أجعل العمدة فيه على بيتي المنتظم في سلك بديعيتي، فإنه من الأمثلة البديعة، وليس في هذا النوع له مثال، ولكن نبدأ ببيت الشيخ صفي الدين رحمه الله، لأجل الترتيب، وهو:

ومن أتى سـاجـداً لله سـاعتـه　　　ولم يكن ساجداً في العمر للصنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي، رحمه الله، قوله:

تطويل تعـريض شانئهم يعـظمهم　　　والرفض أقبح شيء موجب الأضم[2]

---

(١) الوضم: الخشبة التي يقطع عليها الجزار اللحم.

(٢) الشانيء: المبغض والكاره ـ الأضم: الحقد والعداوه.

وبيتي، الذي أطنبت في وصفه، هو قولي بعد:

جمعت مؤتلفاً فيه ومختلفاً   مدحاً وقصرت عن أوصاف شيخهم
تعريض مدح أبي بكر يقدمني   في سبق حليّهم مع موصليهم



ذكر الترصيع

نعم ترصع شعري واعتلت هممي　　　وكم ترفع قدري وانجلت غممي

هذا النوع، أعني الترصيع: هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت، أو فقرة النثر، بلفظة على وزنها ورويها، وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد، ومن أمثلته الشريفة في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾[1] ومثله قوله تعالى: ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾[2] ومنه قول الحريري في المقامات: يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

وإن كان مع الترصيع زيادة بديع، كطباق أو مقابلة أو جناس، كان ذلك زيادة حسنة. ومن أمثلته الشعرية قول أبي فراس:

وأفعالنا للراغبين كرامة　　　وأموالنا للطالبين نهاب

ومنه قول الشاعر:

فيا يومها كم من مناف منافق　　　ويا ليلها كم من مواف موافق

والمبرز في هذا النوع هو الذي يخلي نظم بيته من الحشو، والحشو فيه عبارة عن تكرار الألفاظ التي ليست من الترصيع، بحيث لا يأتي في صدر بيته بلفظة إلا ولها أخت تقابلها في العجز حتى في العروض والضرب، كقول ابن النبيه:

فحريق جمرة سيفه للمعتدى　　　ورحيق خمرة سيبه للمعتفي[3]

فهذا البيت وقع الترصيع في جميع ألفاظه فإن المقابلة فيه حاصلة بين حريق

---

(١) الانفطار، ٨٢/١٤.

(٢) الغاشية، ٨٨/٢٥.

(٣) السيب: الكرم والعطاء ـ المعتفي: طالب المعروف.

ورحيق، وبين جمرة وخمرة، وبين سيفه وسيبه، وبين المعتدي والمعتفي، وأبو فراس بيته خال من ترصيع العروض والضرب. والشاهد الثاني كرر فيه ناظمه حرف النداء، فدخل عليه الحشو.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الترصيع قوله:

من حاسر بغرار العضب ملتحف وسافر بغبار الحرب ملتثم[1]

صفي الدين فاته في هذا البيت ترصيع العروض والضرب وقد تسامحوا فيهما ولكن الغاية ما قررته في نظم هذا النوع، وأيضاً فإن الشيخ صفي الدين غير عاجز عن ذلك، فإن أتى في بيته بالحشو مع عدم ترصيع العروض والضرب، وناهيك أن العميان تبصروا له ونظموه في بديعيتهم، وهو:

فهجر ربعي لذاك الربع مغتنمي ونثر جمعي لذاك الجمع معتصمي

هذا البيت استشهد به العميان على الترصيع الواقع في جميع ألفاظ البيت، ولكن ذاك في مقابلة ذاك اعتذر عنهما الشيخ شهاب الدين أبو جعفر الشارح، وقال: إن معناهما مختلف، فإن الإشارة الأولى للربع، والثانية للجمع، وعلى كل تقدير فللنظر فيهما مجال.

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

كم رصعوا كلماً من در لفظهم كم أبدعوا حكماً في سر علمهم

الشيخ عز الدين رصع، حتى في العروض والضرب، ولكن كرر في بيته لفظة كم، ودخل عليه الحشو وهو من وفى، والكمال لله.

وبيت بديعيتي أقول فيه بعد قولي في بيت التعريض:

نعم ترصع شعري واعتلت هممي وكم ترفع قدري وانجلت غممي

التنبيه على محاسن هذا البيت، كالتنبيه على محاسن بيت ابن النبيه، وفي حقوق هذا النوع في نظمه، وأما الجماعة المذكورون معه، فما منهم إلا من بخسه بعض حقه، لما أدخله في بيته. وقد تميز بيتي على بيت ابن النبيه أيضاً في ترصيع نظمه بزيادة جوهرتين، فإني قابلت فيه خمسة بخمسة، ولبن النبيه وبقية القوم قابلوا أربعة بأربعة، والزيادة على ابن النبيه أيضاً في تسمية النوع الذي هو الترصيع، ولعمري إنها تورية ما رصع في العقود نظيرها، وهذا البيت مشتمل على الترصيع، والتورية، والجناس اللاحق، واللزوم، والتمكين، والموازنة، ومراعاة النظير، والسهولة والانسجام، والله أعلم.

---

(١) الحاسر: كاشف الرأس ـ غرار العضب: حد السيف القاطع ـ السافر: كاشف الوجه.

ذكر السجع

سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي وصرت كالعلم في العرب والعجم

السجع: مأخوذ من سجع الحمام، واختلف فيه، هل يقال في فواصل القرآن أسجاع أو لا؟ فمنهم من منعه ومنهم من أجازه، والذي منع تمسك بقوله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته﴾[1] فقال: قد سماه فواصل، وليس لنا أن نتجاوز ذلك.

والسجع ينقسم أربعة أقسام: المطرف، والموازي، والمشطر، والمرصع. القسم الأول: **المطرف**، وعلى منواله نسج نظام البديعيات، وهو أن يأتي المتكلم في أجزاء كلامه، أو في بعضها بأسجاع غير متزنة بزنة عروضية، ولا محصورة في عدد معين، بشرط أن يكون روي الأسجاع روي القافية، كقوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾[2] وكقولهم: جنابه محط الرحال، ومخيم الآمال. ومن الأمثلة الشعرية قول أبي تمام:

تجلّى به رشدي وأثرت به يدي وفاض به ثمدي وأورى به زندي[3]

الثاني: **الموازي**، وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي، كقوله تعالى: ﴿سرر مرفوعة وأكواب موضوعة﴾[4]. ومنه قول النبي ﷺ: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً. ومنه قول الحريري في المقامات: ألجأني

---

(١) فصّلت، ٤١/٣.

(٢) نوح، ٧١/١٤.

(٣) الثمد: : الماء - وأورى: اشتعل - والزند: عود تقتدح به النار.

(٤) الغاشية، ٨٨/١٣.

حكم دهر قاسط، إلى أن أنتجع أرض واسط. وقوله: وأودى بي الناطق والصامت، ورثى لي الحاسد والشامت. ومن أمثلته الشعرية قول أبي الطيب المتنبي:

فنحن في جذل والروم في وجل   والبر في شغل والبحر في خجل

القسم الثالث: **المشطر**، وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الأخير، وهذا القسم مختص بالنظم، كقول أبي تمام:

تـدبيـر معتصم بـالله منتقـم   لله مـرتقب فـي الله مـرتعب

الرابع: **المرصع**، وقد تقدم الكلام عليه.

قلت: وإذ كنت منشيء ديوان الإنشاء الشريف، أنشأت جميع ما يحتاجون إليه من الفوائد التي أخذتها عن علماء هذا الفن، فإن قصر الفقرات يدل على قوة المنشيء، وأقل ما يكون من كلمتين، كقوله تعالى: **﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر﴾**[1] وأمثال ذلك كثيرة في القرآن العزيز، لكن الزائد على ذلك هو الأكثر. وكان بديع الزمان يكثر من ذلك، كقوله: كميت نهد[2]، كأن راكبه في مهد، يلطم الأرض بزبر[3]، وينزل من السماء بخبر. لكن قالوا: التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر، لتشوقه إلى ما ورد منه متزايداً على سمعه. وأما الفقر المختلفة، فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى بقدر غير كثير، لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة، وإن زادت القرائن على اثنتين، فلا يضر تساوي القرينتين الأوليين، وإن زادت الثانية على الأولى يسيراً، والثالثة على الثانية، فلا بأس، ولا يكون أكثر من المثل. ولا بد من الزيادة في آخر القرائن.

مثاله في القرينتين: **﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إدّاً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا﴾**[4] فالثانية أطول من الأولى، ومثاله في الثالثة قوله تعالى: **﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا* إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً * وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً﴾**[5] ومن قواعد الإنشاء، أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها في المعنى، لأن اللفظ إذا كان

---

(١) المدثر، ٧٤/١-٤.
(٢) الكميت: الأحمر الذي يميل إلى السواد ـ والنهد: السريع.
(٣) الزُبر: الحديد وهي قطع توضع في أسفل حافر الحصان(النضوة).
(٤) مريم، ١٩/٨٨ - ٩٠.
(٥) الفرقان، ٢٥/١١ - ١٣.

من القرينة بمعنى نظيره من الأخرى كان معيبا، كقول الصاحب بن عباد يصف منهزمين: طاروا واقين بظهورهم صدورهم، وبأصلابهم نحورهم. فالظهور بمعنى الأصلاب والصدور بمعنى النحور. ومنه قول الصابي: يسافر رأيه وهو لا يبرح، ويسير وهو ثاو لا ينزح. ويبرح وينزح بمعنى واحد، ويسافر ويسير كذلك.

ومن فوائد الإنشاء التي يطول بها باع المنشىء، أن السجع مبني على الوقف، وكلمات الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها، لأن الغرض أن يجانس المنشىء بين القرائن ويزاوج، ولا يتم له ذلك إلا بالوقف، إذ لو ظهر الإعراب، لفات ذلك الغرض، وضاق ذلك المجال على قاصده، ألا ترى أنهم لو بينوا الإعراب، مثل قولك: ما أبعد ما فاتَ، وما أقرب ما هو آتٍ، للزم أن تكون التاء الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض الاتفاق؟ ومن ذلك أن السجع مبني على التغيير، فيجوز أن تغير لفظة الفاصلة لتوافق أختها، فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد. فمن ذلك: الإمالة، فقد يكون في الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو، فتمال التي هي من ذوات الواو وتكتب بالياء حملاً على ما هو من ذوات الياء، لأجل الموافقة، نحو قوله تعالى: ﴿والضحى * والليل إذا سجى﴾[1]. أميلت والضحى وكتبت بالياء حملاً على ما هي من ذوات الياء، لأجل الموافقة، وكذلك: ﴿والشمس وضحاها﴾[2] أميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملاً على ما هي من ذوات الياء. ومن ذلك، حذف المفعول، نحو قوله تعالى: ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾[3]، الأصل وما قلاك، حذفت الكاف لتوافق الفواصل. ومن ذلك، صرف ما لا ينصرف، كقوله تعالى: ﴿قواريرا * قواريرا﴾[4] صرفه بعض القراء السبعة، ليوافق فواصل السورة الكريمة. ولو تتبع المتأمل ذلك في الكتاب العزيز، لوجده كثيراً.

ومما جاء من الحديث[5]، قوله ﷺ: أعيذه من الهامة والسامة، ومن كل عين لامة. والأصل: عين ملمة، لأنه من ألم، ولكنه لأجل الموافقة قيل: لامه، ومنه قوله ﷺ: ارجعن مأزورات غير مأجورات. الأصل: موزورات بالواو، لأنه من الوزر، ولكن ليوافق مأجورات. ومنه قوله ﷺ: دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم. الأصل: ما وادعوكم، ولكن حذف الألف ليحصل الاتفاق مع تركوكم.

---

(١) الضحى، ٩٣/١و٢.

(٢) الشمس، ٩١/١.

(٣) الضحى، ٩٣/٣.

(٤) الإنسان ٧٦/١٥و١٦.

(٥) أي من السجع.

وسمعت أن بعض علماء الإنشاء صنع مؤلفاً في أحكام الفواصل. ومن ذلك أن المراد من علم الإنشاء: البلاغة في المقاصد. والبلاغة هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده، مع إيجاز بلا إخلال، وإطالة من غير إملال. والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد. وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الألفاظ، فيقال لفظ فصيح ومعنى بليغ. والفصاحة خاصة تقع في المفرد، يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة، وأنت تريد المفرد، فإنه يقال للقصيدة كلمة، كما قالوا: كلمة لبيد. ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف، والفصاحة أعم من البلاغة، لأن الفصاحة تكون صفة للكلمة والكلام، يقال: كلمة فصيحة وكلام فصيح. والبلاغة لا يوصف بها إلا الكلام، فيقال: كلام بليغ، ولا يقال: كلمة بليغة. واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال: متكلم فصيح بليغ.

فمن الإنشاء الفصيح البليغ، قول ابن عباد، وقد قيل له: ما أحسن السجع! فقال: ما خف على السمع. فقيل: مثل ماذا؟ قال: مثل هذا. ومنه، ما كتب به عبد الحميد، عند ظهور الخراسانية بشعار السواد: فاثبتوا ريثما تنجلي به هذه الغمرة، وتصحو هذه السكرة، فينصب السيل، وتمحى آية الليل. ومنه قول أبي نصر العتبي: دب الفشل في تضاعيف أحشائهم، وسرى الوشل[1] في تفاريق أعضائهم، فجيوب الأقطار عنهم مزروره[2]، وذيول الخذلان عليهم مجروره. ومنه قول الصابي: نزغ به شيطانه، وامتدت في الغي أشطانه[3]. ومنه قول بديع الزمان: كتابي إلى البحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره، والليث وإن لم ألقه، فقد تصوّرت خلقه، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره. ومنه قول القاضي الفاضل رحمه الله: ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب، وعقاب في عقاب، وهامة لها الغمامة عمامه، وأنملة إذا خضبتها أيدي الأصيل كان الهلال لها قلامه.

ويعجبني في هذا الباب، من إنشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم سرية: لا زال في مقاصده أخف من وطأة ضيف، وفي مطالبه أخفى من زورة طيف، وفي تنقله أسرع من سحابة صيف، وأروع للعدا من سلة سيف. ومثله في الحسن قوله في صدر مثال شريف سلطاني: أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها، والأسنة قد ظمئت إلى موارد القلوب وتشوقت إلى الارتواء من قلبها، والسيوف قد أضرمت الحمية

---

(١) الوشل: الوهن والضعف.

(٢) مزرورة: مقفلة.

(٣) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل

للدين نار غضبها، وعداها حر الإشفاق على ثغور المسلمين فأعرضت عن برد الثغور وطيب شنبها، والحماة ما منهم إلا من استظهر بإمكان قوته وقوة إمكانه، والأبطال ما فيهم من يسأل عن عدد العدو بل عن مكانه.

قلت: ما أوردت كثيراً من الإنشاء ههنا إلا لأن يطيب للتأمل تنقله من شطوط البحور، إلى التنزه في رياض المنثور. فمن ذلك ما أنشأته في تقليد مولانا المقر الأشرف المرحومي القاضوي الناصري، محمد بن البارزي الشافعي، بصحابة دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة، وهو قولي: وقد أوصلناه إلى رتبة استحقاقه من رتب المعالي، ورقيناه إلى درجات الكمال، علماً أن الكمال ما خرج عن بيته العالي، فإنه المنشىء الذي ما للصاحب دخول إلى ديوانه، ولا لابن عبد الظاهر بلاغته وقوة سلطانه، ولا للشهاب محمود أن يباهي كماله في طارفه وتليده، ولا للقاضي الفاضل شرف البارزي وتمييزه ولو بالغ في كثرة شهوده، ما نثر في كمام طرسه[1] زهره إلا وأرانا ذيول زهر المنثور، ولا قرع أبواب المصطلح إلا فتحت ودخل بيتها بغير دستور، ولا تسنم منبراً إلا أجاد بألفاظ كان مزاجها من تسنيم، وقالت البلغاء للفصاحة المحمدية ما ثم إلا الرضا والتسليم.

ومنه ما أنشأته في تقليد ولده، وهو مولانا المقر الأشرف الكمالي عظم الله شأنه، بصحابة دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة، وهو قولي: فإنه من البيت الذي وهبه الله شرف العلم ورحم منه كل ميت، فقل لكل من مشايخ الإسلام ناشدتك الله هل تنكر هبة الله لهذا البيت، وما خفي أن إمامكم الأعظم أول من راعى حقوقه وبادر إلى رفع مثاله، وشرع في رفع قواعده وتشييد كماله، ولهم هذا الفرع الذي زكت أصوله وسقيناه ماء القرب فأتمر، وقد أنبته الله نباتاً حسناً والنبات الحموي حسنه لا ينكر. غاب نيره الأكبر فأبدر بعده وهذا البدر في كماله ما أبهاه، ولجأ إلى الله ثم إلينا فزاده الله كمالاً وعلمنا أن الكمال لله، وسلكناه في حياة والده فكان لمشيختنا الشريفة نعم المريد، وأخذ عنا الأدب فجاد نظمه وها هو في البيوت البارزية بيت القصيد، والكتابة دون كماله ومحاسنه تجل أن تقابل بمثال، وإن كان الكمال زها بحاشيته فحاشيتنا زهت بهذا الكمال، وكان والده عقداً فرّط فيه الزمان ولكن استدرك فارطه، وقد نظمناه في عقد سلكنا الشريف إلى أن صار به نعم الواسطه. وامتدت ألسن الأقلام إلى ثغور المحابر فقبلتها، وانشرحت صدور الأوراق وعلق فيها عنابر سطور فحملتها، وقالت لحمر أقلامه: أهلاً بالعربيات التي ليس لها إلا الأيدي الجهينية غرر، ومرحباً بعد النوبة بقهوة الإنشاء

---

(١) الطرس: ما يكتب عليه.

فإن شباب الزمان قد عاد وزهر المنثور قد زهر، وجاء الإمام الذي إن كتب تقليداً قالت البلغاء هذا الإمام الذي يجب تقليده، وهذا هو الخليفة على السر الشريف وأمينه ومأمونه ورشيده. إن تحمس في إنشائه قال الجبان لا أقعد الجبن عن الهيجا، أو استطرد إلى وصف روض ممرج زاد هرجاً ومرجا، أو ترسل غرامياً فما حديقة زهير عند زهر منثوره، أو كتب عنا تهديداً سال جامد الصخر، ولو سمعت الجوزاء حديثه لسقطت مع الحصى عند خريره، فإنه المنشىء الذي ما اعتقل رمح فمه بيمينه وهزه هزه، إلا قال كل منشىء دخلت أصبع قلمي من دواتي تحت رزه[1]، ولا حرك من دوح أقلامه فرعاً إلا تساقط بين الأوراق ثمرات شهيه، فلو أدركها الصاحب لقدمها وأخر الفواكه البدرية، ولو ناسبه الفتح لقابله المؤمنون بالقتال، وكان والده قد اعترف بكماله وهذا التقليد لثبوت ذلك الاعتراف أسجال[2]، فإنه الأمين الذي إن تصرف في مزررتنا[3]، الشريفة، فقد ثبت أن توثيق العرا[4] لبيته العالي، أو أملى في ديواننا الشريف كانت أماليه أمالي المحب لا أمالي القالي[5] ولولا خشية الإطالة، لأوردت هذا التقليد الشريف بكماله. لأنه في صناعة الإنشاء لنسيج وحده.

ومنه ما أنشأته عن مولانا السلطان الملك المؤيد، سقى الله ثراه من غيث الرحمة جواباً عن مكاتبة الملك الناصر صاحب اليمن، وهو: لا زال جناس مجده سعيد الحركة بين اليمن واليمن، وسيفه اليماني لم يرض بمجانسة سيف بن ذي يزن، والأمة بأحمدها تهنأ بجنات عدنٍ[6] في عدن، ولا برحت صنائعه بصنعاء محبرة حتى في سطور الطروس، وأقلام الثناء سود اللمم بمدحه ولو تركت لاعتراها شيب الرؤوس، وتحياته المكرمة مخصوصة منا بشرف التسليم، وبدور مودته سافرة في ليالي سطورها بين بديعي التكميل والتتميم، أصدرناها وشاهد المودّة قد وضع رسم شهادته وكتب، وأثبت مقدمات الإخلاص فحكم له قاضي المحبة بالموجب، وأودعناها من السلام ما تعمه رحمة الله وبركاته، ومن طيب الثناء ما يتأرج بين ادراك ذلك المندل[7] الرطب نفحاته، ومن خالص المودة ما يضم به بعد حسن المخلص من طيب أعرافه حسن الختام، ومن سجعات

---

(١) رزه: ورقه الصقيل.

(٢) أسجال: إثباتات.

(٣) المزررة: مكان الأزرار.

(٤) العرا: جمع عروة وهو فتحة الزر.

(٥) القالي: أبو علي صاحب الأمالي المشهورة، والقالي: الهاجر الكاره.

(٦) عدْنٍ: خلدٍ ونعيم. وعَدَن بالمكان أقام فيه.

(٧) المندل: بفتح الميم: عود طيب الرائحة.

الأشواق كل مصونة ليس لها غير سواد النقس لثام. وتبدى لعلمه ورود المثال العالي بطيب تلك المعادن التي ودّ النسيم أن يقيدها ويحتبس، ولقد رافقها الاكتساب اللطيف ولكن سرق من طيب عرفها وتكلم بنفس، فأكرم به مثالاً أرانا خفر الملك على كل قرينة لها من حجب البلاغة ستور، وخدامها من سود سطورها وبيض طروسها عنبر وكافور[1]، ورد صحف الصفاء صقيلة فتمثل فيها، وأظهر من أوراقه ثمرات المودة ونحن بيد القبول نجنيها، وقدم من ذلك الحرم الأحمدي فكان أكرم وافد قوبل منا بالإكرام، وفتح أبواب الدخول إلى السلام فسلمنا وقلنا لخواصنا ادخلوها بسلام. ولقد ثملنا بكأس إنشائه وهو بحضرتنا الشريفة دائر، وعلمنا أن هذا الإنشاء لا يصدر إلا من فاضل والفاضل لا ينسب إلا إلى الناصر، وتغزلنا في محاسنه بحيرة اليمن بعد تغزلنا بحيرة العلم، وراعنا تحمس بلاغته فقلنا هذا لا يصدر إلا من رب سيف وقلم، وود كل دوح أن يملأ طروس أوراقه بريحان سطوره، وتطفل كل روض أريض[2] عند وروده على زهر منثوره، وقالت فصاحته وتلك البلاغة التي جاءت بسحر البيان، هل يفتى لنا بصدق المحبة فقال لهما القلب: قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان، فهذا نفس طيب عرفنا معدن طيبه فلم نقل من أين، وهذه سلافة إنشاء دارت سلطانياتها فأنشأت أهل الخافقين[3]، وهذا سحر صدقت عزائمه في العطف والقبول بين الملكين، وأبطل هذا السحر الحلال ما حرم ببابل من سحر الملكين[4]، واشتمل على نظم ونثر رأينا شعار السلطنة عليهما عيانا[5]، كأن البلاغة قالت لهما قديماً سنجعل لكما سلطانا[6]؛ فيا له من مثال تدرع زرد ميماته فقلنا لا طعن فيك لطاعن، وتشرع طباق بديعه فكانت على أكتاف النيل من أثره مساكن، وأطرب بأنفاس علمنا أنها من يراع ما برح بالسعادة موصولاً، وطاف في حضرتنا الشريفة بكاس يمانية كان مزاجها زنجبيلا[7]. ولقد أكثر هذا المقال في كتابه المبين من إيناس الخطاب، وقضت به الوحشة أجلها فقلنا لكل أجل كتاب.

وهذا الجواب أيضاً، لولا خشية الإطالة لاستوعبته بكماله، فإن اليمن ما دخل إليها من الديار المصرية نظيره، والله أعلم.

---

(١) الأريض: والأروض: الروض الذي كسى الأرض بالنبات.

(٢) الخافقين: المشرق والمغرب.

(٣) الملكين: هما هاروت وماروت اللذان ورد ذكرهما في قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين... .يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هروت ومروت﴾ البقرة، ١٠٢/٢.

(٤) العيان: الظاهر للعين، الواضح.

(٥) السلطان: السلطة والقوة.

(٦) الزنجبيل: نوع من الشراب كالخمرة أو هو الخمرة ذاتها.

ومنه ما أنشأته عن مولانا السلطان الملك المؤيد، سقى الله ثراه، جواباً عن مكاتبة وردت من صاحب تونس، وهو المتوكل على الله أبو فارس عبد العزيز رحمه الله، وهو: لا زالت سيوف عزائمه في الجهاد ماضية الضرب، ولا برح جوده وإقدامه متطابقين في السلم والحرب، نخصه بسلام هو لنا والشوق برد وسلام، وسقاية وداد ماء زمزم تسنيم قبولها إلا تعالى ذلك المقام، وتحيات تنطق بها عند مواظبة الخمس [1] ألسنة الأقلام، وثناء يقلد بخالص عقوده جيد الزمان، وينسى قلائد العقيان، ومحبة يقمر صدقها في ذلك الأفق الغربي ويشمس، وتزيل وحشة من سلا عن غيرها في المغرب وتونس. . . واستطردت مفاوضتكم إلى الوصية بحاج المغرب فبادرنا إلى قبول ذلك، فإن هذا قد يتبرك من النجب السائرة به بالمبارك، وقد أعدناه مصحوباً بالسلامة وحُداته[2] تطرب بنغمتها الحجازية، وتهيم اشتياقاً عند تشبيبها بذكر الطلعة المتوكلية، وأعدنا جواب ذلك على يد رسولكم الذي لم يقابل منا بغير القبول، ليكون خالص ودنا متمسكاً بالكتاب والرسول.

ومنه ما كتبته جواباً عن مكاتبة وردت من الجناب العالي، الناصري محمد بن أبي يزيد بن عثمان، وهو: لا زالت تحياته مخصوصة منا بشرف التسليم، وسيره العثماني محفوظاً في بيعة المودة بالتقديم، وشعراء الإخلاص في كل بيت من معاني محبته تهيم، وفروض الجهاد بسيوفه المسنونة في كل وقت تقام، وبلاده الإسلامية محروسة بالجناب المحمدي عليه السلام، وهمزات عوامله بصدور الكفار موصوله، وألسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف أرياق دمائهم مبلولة، ولا برح يجاهد في سبيل الله براً ويتخذ في البحر سبيله، فإنه من الذي علا بمحمد مقامه، وانسجم بالخلف العثماني نظامه، واقتدى بمشيختنا المؤيدية والنجح في هذا الاقتداء له شريك، وساعدته تورية السعادة لما تمسك بقول من قال: ولا بد من شيخ يريك، ولم يبق بعد الاقتداء بهذه المشيخة إلا الفتوحات المقبوله، والمشاركة في القبول على ما يرضي الله ورسوله، صدرت هذه المفاوضة إلى الجناب المحمدي تأرّج بطيب السلام عليه، وتنسم نسيمات القبول من أخبارها الطيبة ما تنقله إليه، وحملناها ثناء أطلقنا عنان كميت القلم وهو غرة في جبهته، وتوجهت رؤوس الأقلام قبل ركوعها إلى قبلته، [ومن الإنشاء الملوكي ما أطلق به فصيح القلم لسانه وخضر الشباب على عوارض نفسه ومحاسن سجعاته، وقال الفاضل الناصر هذا الإنشاء الذي ما خرس لسان قلمه ولا شابت لمة دواته] وتبدى لعلمه الكريم ورود ما أهداه من

---

(١) الخمس: يعني الصلواة الخمس: الصبح والظهرين والمساءين.

(٢) الحداة: جمع حادي، وهو الذي يسوق الإبل بالحداء وهو نوع من الغناء.

ثمرات المودة يانعاً في أوراقه، مختالاً في شعار الإخلاص فعلمنا أنه عنوان لعهده وميثاقه، وقد أتحف من نبات الإيناس ما غرس بأكناف النيل فحلا نباته، ودنت قطوف أنسه وظهر في فروع المحبة ثمراته، فاقتطفنا زهر المنثور من رياضه عند الورود[1]، وتغزلنا في رقم سطوره على بياض طروسه بين العوارض[2] والخدود. وطالعنا مجموع محاسنه الذي لم ينس فعلمنا أنه للملوك تذكرة، وتبصرنا فيما أدهش من حكمه فرأينا المدهش في التبصرة، وقلنا هذه لمعة لو أدركها السراج لقصر لسانه وقال: سراج الملوك حرمته قوية، أو القاضي السعيد لقال: ما لسناء الملك بهجة عند هذه الأنوار المحمدية... وقد تيقظت عيون عزمنا الشريف للجهاد وعن قريب تهجر مقل السيوف أجفانها، وتتجرد لقتال المشركين وقد تكنى لها النصر بأبيه فأيد سلطانها، وإذا قدحت سيوف الدولتين في عباب البحر على الكفار ناراً، تلا لسان النصر: ﴿**لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا**﴾[3]. [ومن إنشاء الفاضل عن الناصر هنا ما يحسن أن يشنف به سمعه الكريم، فإنه عن أبي الفتوحات الذي مشى على هذا الصراط المستقيم] وهو: إذا كان الله قد أعطانا البلاد وهي آلة المقيم الراتب[4]. وأعطاهم المراكب وهي آلة الظاعن[5] الهارب، فقد علمنا لمن عقبى الدار، ومن ينقله الله تعالى انتقال قوم نوح من الماء إلى النار. فالجناب يوطن نفسه على حسن المآل في الحالين، ويعلم أنه من المكرمين في الدارين[6]، وقد تلمظت[7] ألسن سيوفنا شوقاً لحلاوة نصره، وتحركت عيدان رماحنا طرباً عند سماع ذكره، ونفضت جوارح سهامنا ريش أجنتها لاقتناص تلك الغربان، وهامت فرساننا المؤيدية إلى منازل الأحباب لتريه من أعدائه مقاتل الفرسان، فإنه المجاهد الذي حظ بني الأصفر في البحر الأزرق من بيض سيوفه أسود، وكم أذاقهم الموت الأحمر، وكمال التدبيج يقول أهلا بعيش أخضر يتجدد، وتتولد نصرتنا عنده برفع راية الفرح في كل وقت عليه مبارك، ويتأيد بعز نصرنا المؤيدي حتى يقول له لسان الحال: أعز الله أنصارك، فتقديمه العثماني من جهة الاستحقاق قد ثبت عندنا وتقرر، وهو اليوم إمام المجاهدين الذي ما صلت سيوفه في محراب القتال إلا قال مرقي النصر الله أكبر. والله

(١) الورود: المجيء.

(٢) العوارض: جمع عارض وهو صفحة الخد.

(٣) نوح: ٧١/٢٦.

(٤) الراتب: الدائم الثابت، وعند المحدثين: ما يأخذه الموظف من أجرٍ شهريٍ لقاء عمله.

(٥) الظاعن: الراحل.

(٦) الدارين: الدنيا والآخرة.

(٧) تلمظ: السيف: خرج واهتز.

يجريه على أجمل العوائد من هذا النصر، ليصير الكافرون في زلزلة من قارعة سيوفه بهذا العصر.

ومنه ما كتبته جواباً عن مولانا السلطان الملك المؤيد، سقى الله عهده، عن مثال كريم ورد من قرى يوسف صاحب العراقين، وهو: أعز الله أنصار المقر الكريم العالي الجمالي اليوسفي، لا زالت زوراء العراق في أيامه القويمة مستقيمة الجانبين، وحلتها الفيحاء عالية المنار وشمل الدين بها مجتمعاً في الجامعين، وعراق العرب والعجم بارزين من محاسنه اليوسفية في حلتين، فلامية العرب تقول:

ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب يعـاش به إلا لـديّ ومـأكـل

ولامية العجم تقول:

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت بشـدة البـأس منـه رقـة الغـزل

فأكرم بهما لامين دارا على وجنات الطروس لكمال المحاسن اليوسفية، وفتحت لها الميمات أفواه الشكر لأنها من الأحرف المؤيدية، أصدرناها إلى المقر وسواجعها تغرد بالثناء بين أوراقها، وألسن الأقلام قد أودعت صدور طروسها سر أشواقنا عند انطلاقها، فإنها الصدور التي تعرب من نفثاتها عن ضمائر الأشواق، وإذا أطلقت من فض الختم خففت أجنحتها بذلك الثناء على الإطلاق، ونبدي لكريم علمه ورود البشير بالقرب اليوسفي، وقد حل بالأسماع قبل رؤيته تشنف، وهبت نسمات قبوله فأطفأت ما في القلوب من التلهف، وضاع نشرها[1] اليوسفي، فقال شوقنا اليعقوبي: إني لأجد ريح يوسف، وتأملنا كريم مثاله فوجدناه قد مد أطناب المحبة وخيم على معاني المودة، وحام عليه صادي الأشواق فوجده منها قد أعذب الله في مناهل الصفاء ورده، وأومض البرق في الظلمات من رقم سطوره فما شككنا أنه نظم برده، فهو مثال يوسفي ولكن ظهر السر الداودي من فصل خطابه، وصدقنا رسوله لما جاءنا بكريم كتابه، والتفتت من كناس سطوره آرام الإيناس فاقتنصنا منها ما هو عن العين شارد، وألفت القلوب على الولاء فضربت الأعداء من جماد الجسد في حديد بارد ، وأمست الدجلة والنيل لامتزاجهما بسلاف المحبة كالماء الراكد، وهذه ألفة خولتنا في نعم الله وزمام الأخوة منقاد إلينا، وقد تعين على المقر أن يقول: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا، وسرتنا الإشارة الكريمة بالتمكين من أرض الأعداء ومطابقة الطول بالعرض، وعلمنا أن هذا الاسم الكريم قد

---

(١) ضاع نشرها: انتشر ريحها الطيب.

شملته العناية قديماً بقوله تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾[1] وأما قرا عثمان فمقل سيوفنا ما غمضت عنه في أجفانها، وأنامل أسنتنا ما ذكرت نوبته إلا شرعت في جس عيدانها، وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران إليه، وإن كان معنى سافلاً فلا بد لأجل الغرض اليوسفي أن نخيم عليه، وننزل سلطان قهرنا بأرضه ونغرس فيها عوامل المران[2]، وإن كانت من الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يهمل إلا لاشتغال الدولتين بالدخول في تطهير الأرض من الخوارج، وإيقاع الضرب الداخل بعد جس العيدان في كل خارج، وقد آن سله لئلا يكون بين المحب والمحبوب رقيباً، ولا بد أن يجانسه العكس ويرى ذلك قريباً، ويدهمه من أبي النصر أبناء حرب شرف في أنساب الوقائع جدهم، ورد الجموع الصحيحة إلى التكسير فردهم، وإذا كثرت الخدود وتوردت بالدماء غردت بورق الحديد الأخضر مردهم[3]، وإذا امتدوا إلى أمد تلالهم حصنهم سورة الفتح قبل القتال، فإنهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والإقبال، وإذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن لهم حصونهم عند ذلك الصرف مانعة، ولم يسمع لساكنها مجادلة إذا صدموا بالحديد وتلت تلك الحصون الواقعة[4]، وإن كانت المنايا غابت عنه مدة، كلمته ألسنة سيوفهم وقالت حصرت، وإذا طرق بروجه منهم طارق رأى سماء تلك البروج قد انفطرت، وما خفي عن كريم علمه ما جمعه الناصر من الجموع التي مزقها الله أيدي سبأ، وكم سائل سأل وقد رآهم في النازعات عن ذلك النبأ.

وقد أشار بعض شعراء دولتنا الشريفة إلى ذلك بقصيدة كامل بحرها مديد، ولكن القصد هنا من أبيات تلك القصيدة:

يا حامي الحرمين والأقصى ومن	لـولاه لم يسمـر بمكـة سـامـر
والله إنّ الله نـحـوك نـاظـر	هـذا ومـا في العـالمين مناظـر
فـرج على اللجون نـظم عسكرا	وأطـاعه في النـظم بحر وافـر[5]
فـانبت منـه زحـافـه في وقعـة	يا من بأحـوال الوقـائع شـاعر[6]
وجميـع هاتيـك البغـاة بـأسـرهم	دارت عليهم من سـطاك دوائـر
وعى ظهـور الخيل مـاتـوا خيفـة	فكـأن هـاتيـك السـروج مقـابـر

(١) يوسف ١٢/٢١.

(٢) المرّان: جمع مرّانة وهي الرمح اللدن في صلابة.

(٣) المرد: جمع أمرد وهو الشاب لم تنبت لحيته بعد.

(٤) الواقعة: القتال، المجادلة، الحديد، الطارق، النازعات، النبأ: أسماءلسور من القرآن الكريم.

(٥) اللجون: البطيء الثقيل المشي، أو الورق اللزج: الملجون. وقد وردت في ما سبق «الملجون».

(٦) انبت: انقطع ـ الزحاف: من علل الشعر، وهو تغيير يلحق ثاني السبب من التفعيلة. . .

وما خفي عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا بعد الناصر فاشتروا الضلالة بالهدى، ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق[1] بهم المكر السيء فأجابهم الصدا، ولم يكن لحرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فتره[2]، حتى أظهرنا تلون الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان النصرة، وأخذوا سريعاً شبان حرب ما شابت عوارضهم إلا بغبار الوقائع، وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المقامع[3]، وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين، ولم يظهر لمحراب بهجة إلا بهاتين القبيلتين، ولوصلت السيوف لغيرهما ما قبلت، أو صرفت العوامل[4] للإعراب عن سواهما ما عملت، وقد فهمنا كريم الالتفات إلى أن تدار كؤوس الإنشاء بيننا ممزوجة بصافي المودة، وعلمنا أنها أحكام صحيحة في شرع الأخوة. وهذه الأحكام عندنا عمدة، وتالله لقد سابق القصد اليوسفي بسهام مراده إلى الغرض، وقضى حاجة في نفس يعقوب لي عنها عوض، ولم يبق إلا اتصال شمل الأوصال بكل رسالة سطور الأخوة في رقاعها محققة، وتصديق ما يقصه في الجواب فإن القصة اليوسفية ما برحت مصدقه، والله تعالى يمتع الأسماع والأبصار بمشاهدة مثلته وطيب أخباره، ويفكهنا من بين أوراقها بشهي ثماره.

ومما أنشأته بالديار المصرية، وحصل إجماع الأمة على أنه من الأفراد، تقليد مولانا قاضي القضاة جلال الدين شيخ الإسلام البلقيني، نور الله ضريحه، بعد عزل الهروي، ويوم قراءته بالجامع المؤيدي أرخه المؤرخون، وذكروا أنه لم يتفق بملك مصر يوم نظيره، وهو: الحمد لله الذي أبان فضل العرب على العجم في الكتاب والسنة، وأظهر جلال سراجهم المنير فأوضح بحسن تدريبه طريق الجنة، وأزال ظلم الجهل بنور هذا الجلال فله الحمد على هذه المنة، ونكرر حمده على نصرة أصحاب الشافعي وعود جيرته إلى منازلها العالية، ونشكره على نيل الغرض بسهام ابن إدريس فمن جهل أحكام القضاء أمست عليه قاضية، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نستعين بحسن أدائها عى القضاء والقدر، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي من قابل شريعته المطهرة بدنس الجهل فقد كفر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أزالوا بفصاحتهم

(١) حاق: أحاط وطوّق.

(٢) فترة: وهن وضعف.

(٣) المقامع: جمع مِقمعة وهي خشبه أو حديدة في طَرفها سلك معدني أو خيط يضرب بها الحيوان والإنسان ليُقمَع ويذل.

(٤) العوامل: مصطلح نحوي يعني الكلام الذي يسبب رفعاً أو نصباً أو جراً في غيره من الكلام. كالفعل مثلاً يعمل الرفع في الفاعل والنصب في المفعول به، والمبتدأ يعمل الرفع في الخبر بينما الإبتداء يعمل الرفع في المبتدأ إلخ..

العربية كل عجمه، وتميزوا على العجم بقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾[1] وهذا التمييز نصبه مرفوع على كل أمة، صلاة نسن بها سيوف السنّة على من تسربل بدروع ضلاله، ونقيم حدودها على من بدل حديث النبي ﷺ وجهل أسماء رجاله، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد، فالهناء بنصرة هذا الدين القيم بين هذه الأمة مشترك، وكيف لا وقد ظهر جلاله مقمراً وأنشدوا:

يا ليل طل أو لا تطل فليس نرعى قمرك

وقد حلا مكرر الحمد بنشر الأعلام المؤيدية على أئمتنا الأعلام[2]، وحلت أيضاً مواقع التورية بنصرة شيخ الإسلام، فهو الليث الذي كان لظما العلماء إلى إمامهم نعم الغوث والغيث، حتى تأيدوا بمؤيدهم وأعز الله أنصارهم بالشافعي والليث، حجبناه عن غيوم العزل، وقلنا وقد ساعدنا رأينا الشريف في إظهاره:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل[3]

وولى غيره فأنشد كل عالم أظلم ضوء نهاره:

ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأنذال والسفل

واعتلت كتب العلم فقالت وعيون سطورها باكية:

لعل إلمامة بالجذع ثانية يدب منها نسيم البرء في عللي

وأنشد لسان حال شيخ الإسلام وقطوف قربه دانية:

تقدمتني رجال كان شوطهم وراء خطوي لو أمشي على مهل

وأشار إلينا وقال وخواطرنا الشريفة باشارته راضية:

لعله إن بدا فضلي ونقصهم لعينه نام عنهم أو تنبّه لي

فتنبهنا له وقلنا لضده وقد أهبطناه من تلك الرتبة العالية:

فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً في الأرض أو سلماً في الجوّ فاعتزل

وكيف يطلب من نار خامدة هدى، أو يجعل السراب ماء، وإذا دعونا الري جاوبنا الصدى، ويأبى الله أن يطابق سحبان بباقل، أو يجاري فارس العلم براجل:

ومن يقل للمسك أين الشذى كذبه في الحال من شما

---

(١) الزخرف، ٤٣/٣.

(٢) الأعلام: الفطاحل الهداة.

(٣) العطل: عدم التزين ـ والخطل: خطأ الرأي.

وتالله لقد زادنا بحجبه في غيوم العزل علماً بعلو مقداره، وكان عزلاً أظلمت بسببه الدنيا إلى أن من الله على المسلمين بإبداره، وقالت الأمة ذلك ما كنا نبغي، واستوفى كل عالم شروط المحبة واستوعب، وعلمنا أن الحكم العدل حكم بتقديم هذا الإمام بالموجب، أنلنا وظيفته غيره فزلزلت الأرض زلزالها، وقلنا يخف على قلبنا فأخرجت الأرض أثقالها، وأظهرنا جلال العرب فأطلقوا أعنة بلاغتهم في ميادين الفصاحة، وما أحقهم هنا بقول الفاضل: وتناجدت أهل نجد فكل صاح يا صباحه، وعلمنا أن هذا فضل رفل به أبناء العرب في حلل التقديم، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وامتلأ صحن جامع القلعة بحلاوة هذه البشرى، وهلل مؤذنوه وذكروا طلعته الجلالية فكبروا وأنشدوا:

لـو أن مشتـاقـاً تكلف فـوق مـا فـي وسعـه لسعى إليـك المنبـر

وأزهرت هذه البشرى في ربيع ولكنه ربيع الأبرار الذي نزه الله روحه وريحانه عن كل نمام، وصان فيه المسلمين ممن يأكل أموال الناس بالباطل ويدلي بها إلى الحكام. ونشر الله أعلام كتب العلم وزاد الله بالسيف المؤيدي إسعافها. وكانت ستور الجهل قد أسبلت على التفاسير فأظهر السر للآي كشافها، أما القراءات فهي في قِرى[1] شيخ الإسلام وفضله فيها عاصم من الجهل ونافع[2]، وأما الحديث فهو مجلي مبهماته بنور جلاله الساطع. وأما العربية فقد ظهر بعد وعر العجم تسهيلها، وشرعت بيوت العرب لشواهدها وأكرم نزيلها. وأما المعاني فقد أظهر الله بيانها وجليت بها عروس الأفراح، واهتدينا بنور جلالها ففتحت لنا أبوابها بغير مفتاح. وأما المنطق فمقدمات منطقه العذب أرتنا نتائجه يقيناً، وأما العقليات فما رأينا لمن ناظره فيها في هذه المدة عقلاً ولولا الحياء لقلنا ولا دينا، وها هو قد نبه الفقه من سنة الغفلة بعدما أمرض الجهل عيونه وأرمد، والحاوي أظهر ما حواه من العلم بعدما كان هلك أسى وتجلد، والروضة أزهرت في حدائق هذه المسرة بين أوراقها فأينعت، ومدت الشافعية أصول دوحتها فتفرعت، وظهرت رفعة الرافعي في أفق كماله، ونوّر الله ضريح الشافعي بنور سراجه وبهجة جلاله.

[ولما كان] الجناب الكريم الجلالي هو الذي ناظرناه بالغير فقال نور الشريعة وهو أشهر من نار على علم:

---

(١) قِرى: طعام الضيف أو قراءة.

(٢) عاصم ونافع: من المقرئين الأفذاذ.

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

فعلمنا أنه حجة للشافعي الذي منه الاستقصاء وإليه منتهى السؤال، وما أبدر في أفق درس إلا أزال ظلم الشك بأنواره وأسفر أبداره عن التتمة والإكمال، وهو أبو العلماء الذي ولد من الأم أفراحهم، وأبو المهمات الذي شهر من العدة الكاملة في ميدان الفرسان سلاحهم، وإليه انتهت الغاية فإنه ما برح يأتينا في وجيز تقريبه بالعجاب، ويغنينا عن موضح القشيري فإنه يغذينا في إبانته باللباب.

اقتضت آراؤنا الشريفة أن نعيده إلى منال شرفه بعد التحجب وها هو قد ظهر، ويتسلسل في أيامنا الشريفة عند الرواة حديث ابن عمر، فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي المؤيدي السيفي، لا زالت الشافعية في أيامه الشريفة بجلالهم في ترشيح بهجة وابتهاج، وثبت الله القواعد وأقامها في ملكه عى التحرير ومشى الرعية فيها على أوضح منهاج، أن تفوض إلى الجناب المشار إليه وظيفة كذا وكذا. وقد وقع التمويه في الفروق بينه وبين الغير عند أهل التبصرة والهداية وهو نهاية المطلب، وعيون المسائل وتاج رؤوسها والمذهب، الذي تهذيبه في أدب القاضي كفاية، وهو البحر الذي ما دخلنا بسيطه المبسوط، إلا قالت التورية إنه في البسيط كامل، ولا نظرنا إلى حليته الجلالية إلا غنينا عن المصباح بنوره الشامل، وقد ميزناه على مناظريه لما أقروا له بالتعجيز، وقرت عيون ابن البارزي نور الله ضريحه بهذا التمييز، وألغينا ذكر علوم يجل قدره عن نسبتها إليه، ولكن ثغور سيناتها تبسم عند ذكره وأفواه ميماتها تكثر الثناء عليه، فليتلق ذلك فإنه العزيز عندنا والمنتقى لهذا التشريف الذي هو ديباجة رقمه، وإذا ذكرنا الأصول فأصوله محفوظة، وهو المعتمد عليه في التمهيد والمستصفى ببديع علمه، ولو عاش ابن الحاجب ما تغزل في رفع حاجبه وخفض له جانبه، وعلم أن جلالنا عين الإسلام فلم نرفع على العين حاجبه، والوصايا كثيرة ولكن جواهر ذخائرنا تلتقط من إملائه وأماليه، وهو جامع مختصراتها ومظهر زوائدها ببيانه ومعانيه، لا زال حديث فضله يتسلسل مع الرواة ويسند، ولا برح أجل من أوضح الرسالة في مسند محمد وأحمد.

[ورسم] لي في الأيام الشريفة المؤيدية، سنة تسع عشرة وثمانمائة، أن أنشىء رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق إليها، ولا حام طائر فكر عليها، وأحضر مولانا المقر الأشرف القاضوي الناصر محمد بن البارزي الجهني الشافعي، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية، تغمده الله بالرحمة والرضوان، قطعة من إنشاء القاضي الفاضل بوفاء النيل وقرئت على المسامع الشريفة المؤيدية، وحذرت من التعرض إلى شيء من ألفاظها ومعانيها فأنشأت رسالة حكم لأبي بكر بها على كل فاضل بالتقديم، وإن

كان لسان القلم قد طال فأنا أقطه[1] ههنا تأدباً مع عبد الرحيم، وقد وصلنا ههنا شمل القطعتين، ليتفكه المتأمل في جنى الجنتين، ويتنزه نظره في حدائق الروضتين، ويطرب لسجع حمام الدوحتين.

[قال القاضي الفاضل]: نعم الله سبحانه وتعالى من أصوبها بزوغاً، وأضفاها سبوغاً، وأصفاها ينبوعاً، وأسناها منفوعاً، وأمدها بحر مواهب، وأضمنها حسن عواقب، النعمة بالنيل المصري الذي يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره، ويربي النبات حجره، ويجري على سواد الأرض بفضته البيضا، ويهنأ بيده الخضبية نقب الجرب من الحربى، ويحيي مطلعه أنواع الحيوان، ويجني ثمرات الأرض صنوان وغير صنوان، وينشر مطوي حريرها وينشر مواتها، ويوضح معنى قوله تعالى: وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وكان وفاء النيل المبارك في تاريخ كذا وكذا، فأسفر وجه الأرض وإن كان قد تنقب، وأمن يوم بشراه من كان خائفاً يترقب، فرأينا الإبانة عن لطائف الله سبحانه وتعالى وقد حققت الظنون، ووفت بالرزق المضمون، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، وقد أعلمناك لتوفي حقه من الإذاعة، وتبعده من الإضاعه، وتتصرف فيه على ما يصرفك من الطاعه، وتشهر ما أورده البشير من البشرى بإبانته، وتمده بإيصال رسمه إليه على عادته.

[فقلت بعد الفاضل]: ونبدي لعلمه ظهور آية النيل المبارك الذي عاملنا الله فيه بالحسنى وزياده، وأجراه لنا في طرق الوفاء على أجمل عاده، وحلق أصابعه ليزيل الإبهام فأعلن المسلمون بالشهاده، كسر بمسرى فأصبح كل قلب بهذا الكسر مجبوراً، وأتبعناه بنوروز[2] ما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدي مكسواً، دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع[3] عليه، وقبل ثغور الإسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت بأعطاف غصونها إليه، وشبب خريره في الصعيد بالقصب، ومد سبائكه الذهبية إلى جزيرة الذهب، فضرب الناصرية واتصل بأم دينار، وقلنا إنه صبغ بقوة لما جاء وعليه الاحمرار، وأطال الله عمر زيادته فتردد الناس على الآثار، وعمته البركة فأجرى سواقي مكة إلى أن غدت جنة تجري من تحتها الأنهار، وحصن مشتهى الروضة في صدره وحنى عليه حنوّ المرضعات على الفطيم:

وأرشـفـه عـلى ظـمـإٍ زلالا ألـذ من المـدامـة لـلـنـديم[4]

---

(١) قطَّ: قصّ وقصّر.

(٢) النوروز: والنيروز: عيد الربيع عند الفرس وهو رأس السنة الفارسية.

(٣) القِلْع: الصدرية والرجل الذي لا يثبت على ظهر الخيل. وبفتح القاف وكسر العين: الذي لا يثبت في البطش ولا على السرج، والرجل البليد.

(٤) الزلال: الماء الصافي ـ وأرشف: سقى.

وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الأبيات، وسقى الأرض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات، وأدخله إلى جنات النخيل والأعناب فالق النوى والحب، فأرضع جنين النبت وأحيى لها أمهات العصف والأب[1]، وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتيمه العقيقية، ولبس الورد تشريفه وقال أرجو أن تكون شوكتي في أيامه قوية، ونسي الزهري بحلاوة لقائه مرارة النوى، وهامت به الشقراء فأرخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوا، واستوفت الأشجار ما كان لها في ذمة الري من الديون، ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكّر والليمون، وانجذب إليه الكباد[2] وامتد، ولكن قوي قوسه لما حظي منه بنصيب سهم لا يرد، ولبس شربوش الأترج[3] وترفع إلى أن لبس بعده التاج، وفتح منشور الأرض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج. فتناول معالم الشنبر[4] وعلم بأقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالإفراج، وسرح بطائق السفن فخفقت بمخلق بشائره، وأشار بأصابعه إلى قتل المحل فبادر الخصب إلى امتثال أوامره، وحظي بالمعشوق وبلغ من كل أمنية مناه، فلا سكن على البحر إلا تحرك ساكنه للمطالعة بعدما تفقه وأتقن باب المياه، ومد شفاه أمواجه إلى تقبيل فم الحور، وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور. ونزل بركة الحبش فدخل التكرور[5] تحت طاعته، وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته، وأظهر في مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه، وصار أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه، وطلب المالح رده بالصدر وطعن في حلاوة شمائله، فما شعر إلا وقد ركب عليه ونزل في ساحله، وأمست واوات دوائره على وجنات الأرض عاطفه، وثقلت أردافه على خصور الجواري فاضطربت كالخائفة، ومال إليه باسق النخل فلثم طلعه وقبل سوالفه، وأمست سود السفن كالحسنات في حمرة وجناته، وكلما زاد زاد الله في حسناته، فلا فقير سد إلا وحصل له من فيض نعمائه الفتوح، ولا ميت خليج إلا عاش به ودبت فيه الروح.

ولكنه احمرت عيونه على الناس بزيادة وترفع، فقال له المقياس عندي قبالة كل عين أصبع، فنشر النيل أعلام قلوعه وحمل وله من ذلك الخرير زمجره، ورام أن يهجم

---

(١) الأب: ورد ذكره في قوله تعالى، في سورة عبس: ﴿فأنبتنا فيها حبا * . . . . . وفكهة وأبّا﴾ (٨٠/٢٧ - ٣١). وهو «المرعى لأنه يؤب أي يؤم أو الفاكهة اليابسة تؤب أي تعد للشتاء» (تفسير شبر، ص ٥٤٩).

(٢) الكبّاد: عامية معناها الأترج ويقال له أيضاً الترنج وهو ثمر شبيه بالليمون.

(٣) الشربوش: لغة في الطربوش، والأترج: الكبّاد.

(٤) الشنبر: لم نعثر على هذه اللفظة في ما بين أيدينا وربما كانت بمعنى «القصب».

(٥) التكرور: لقب حاكم الحبشة في ذلك الوقت.

على عير بلاده فبادر إليه عزمنا المؤيدي وكسره، وقد اثرنا المقر بهذه البشرى التي عم فضلها براً وبحراً، وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالاً وصدراً، ليأخذ حظه من هذه البشرى البحرية بالزيادة الوافره وينشق من طيها نشرا، فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاساً عاطره. والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها في كل وقت مشنفاً، ولا برح من نيلنا المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا.

ومما انفردت بإنشائه: رسالة السكين، فإن الشيخ جمال الدين بن نباتة سبق إلى رسالة السيف والقلم، وتقدمه أبو طاهر إسمعيل بن عبد الرزاق الأصفهاني إلى رسالة القوس. وكتاب الإنشاء لا بد لهم من سكين فقلت: وينهى وصول السكين التي قطع المملوك بها أوصال الجفاء، وأضافها إلى الأدوية فحصل بها البرء والشفاء، وتالله ما غابت إلا وصلت الألام من تعثرها إلى الجفاء زرقاء[1]، كم ظهر للبيض منها ألوان، خرساء ومن العجائب أنها لسان كل عنوان، ما شاهدها موسى إلا سجد في محراب النصاب، وذل بعد أن خضعت له الرؤوس والرقاب. كم أيقظت طرف القلم بعدما خط، وعلى الحقيقة ما رؤي مثلها قط، وكم وجد بها الصاحب في المضائق نفعا، وحكم بحسن صحبتها قطعاً، ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين، لأنها بالناب والنصاب معلمة الطرفين، وأنملة صبح تقمعت بسواد الدجى، فعوذتها بالضحى والليل إذا سجى، ولسان برق امتد في ظلمات الليل، فتنكرت أشعة الأنجم وما عرف منها سهيل[2]، هذا وتقطيعها موزون إذ لم يتجاوز في عروض ضربها الحد، ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد.

من أجل ذا تدخل في مضائق ليس للسيف فيها قط مدخل، وكلما تفعله ترجزه والرمح في تعقيده مطول. إن هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف، وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف. تنسى حلاوة العسال[3] فلا يظهر لطوله طائل، وبغني عن آلة الحرب بإيقاع ضربها الداخل. إن مرت بكلها المحلى تركت المعادن عاطله، ولم يسمع للحديد في هذه الواقعة مجادله. شهد الرمح بعدالته أنها أقرب منه إلى الصواب، وحكم لها بصحة ذلك قبل أن تستكمل النصاب. ما طال في رأس القلم شعرة إلا سرحتها بإحسان، ولا طالعت كتاباً إلا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان.

---

(١) رزقاء: نافعة.

(٢) سهيل: نجم يظهر في أواخر شهر تموز يقولون إن خروجه دليل على نضوج الفواكه وانقضاء القيظ، وفي المثل: إذا طلع سهيل رفع كيل ووضع كيل يضرب في تبدل الأحكام.

(٣) العسّال: الرمح. وهو في الأصل الذي يستخرج العسل.

تعقد عليها الخناصر لأنها عِدَة وعدّة، وتالله ما وقعت في قبضة إلا أطالت لسانها وتكلمت بحدّه. إن أدخلت إلى القراب كانت قد سبكت[1] على الدخول، أو أبرزت من غيمه كان على طلعتها قبول. تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس، وبإقامتها الحد حافظت الأقلام على مواظبة الخمس[2]. وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف في بحر غمده كالغريق، ولو سمع بها قبل ضربه ما حمل التطريق. فلو عارضها أبو طاهر لعرك من قوسه الأذنين، وقال له جحدت رسالتك يا ذا القرنين. فإن جذبت إلى مقاومتها وكان لك يد تمتد، وصلت السكين إلى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك إلى هذا الحد. وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. ولو لمحها الفاضل لحقق قوله إن خاطر سكينه كل، أو أدركها ابن نباتة ما أقر برسالة السيف وفل، وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك، وأخلص الطاعة لباريك، وما قصد المملوك الإيجاز في رسالة السكين ونظمها، إلا لتكون مختصرة كحجمها، لا زالت صدقات مهديها تنحف بما يذبح نحر فقري، وتأتي بما يشفي وإيهام التورية يقول ويبري.

قلت: الذي أوردته ههنا من إنشائي وإنشاء الغير، كان من الواجب، لأن الباب الذي تحتم عليّ شرحه وبيانه وإيضاحه، باب التسجيع، وهو عبارة عن علم الإنشاء، وقد تقدم تقرير السجع وأقسامه، وعلم أنها أربعة أقسام، وهي المطرّف والموازي والمشطر والمرصع، وذكرت فيه الفوائد التي منها أحكام الفواصل، وأوردت المباحث في الإنشاء الذي فيه نظر بالنسبة إلى الحالة التي هي المطلوب، وأوردت من بديع الإنشاء وغريبه، هذه النبذة التي هي من إنشائي وإنشاء الغير، ولولا خشية الإطالة لأوردت من ذلك ما يذبل عنده زهر المنثور، ويقرط[3] في قلائد النحور، ومن أراد البحث عن صحة ذلك فعليه بمصنفي المسمى «بقهوة الإنشاء»، فإنه خمسة مجلدات، منها مجلد أنشأته بالبلاد الشامية، قبل أن أستقر منشيء دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الإسلامية، وثلاثة مجلدات أنشأتها عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه، ومجلد أنشأته عن الملك المظفر والملك الظاهر والملك الصالح، وعن مولانا السلطان الملك الأشرف، وعن مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفاً وتعظيماً. انتهى.

---

(١) سبكت: جبلت عليه وفُطِرت فهو خُلق منها.

(٢) الخمس: يعني الصلوات اليومية ـ والمواظبة عليها: المداومة.

(٣) يُقرِّط: يجعل أقراطاً ـ القلائد: جمع قلاده وهي الحلية تلبسها المرأة في عنقها ـ والنحر: موضع القلادة(العنق وما يليه من الصدر).

والفرق بين التسجيع والتجزئة، اختلاف زنة أجزائه ومجيئه على قافية واحدة، من غير عدد معين محصور. وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التسجيع قوله:

فعال منتظم الأحوال مقتحم   الأهوال ملتزم بالله معتصم

وبت العميان:

من لي بمستلم لليد معتصم   بالعيش لا مسئم يوماً ولا سئم(١)

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

كم قاتل بصحيح الجمع مقتحم   وقائل لنظيم السجع ملتزم

قلت: الذي يظهر لي أن الشيخ عز الدين لم يمش في نظم بديعيته مشي محقق، لأنه تقرر عنده وعند الجماعة في شروحهم: أن التسجيع هو أن يأتي المتكلم في أجزاء بيته أو كلامه أو في بعضها، بأسجاع غير متزنة، والشيخ أتى في شطر بيته الأول بأسجاع قابل كلاً منها في الشطر الثاني بوزنه، مثل: قاتل وقائل، وصميم ونظيم، وجمع وسجع، ومقتحم وملتزم، وهذا هو الترصيع بعينه. فإن الترصيع من شرطه أن تقابل كل لفظة من البيت بوزنها ورويها وليته نقل هذا البت إلى الترصيع فإن بيته في الترصيع ناقص بالذي أظهره، مع قصر باعه فيه من الحشو، وهو:

كم رصعوا كلِماً من درٍّ لفظهم   كم أبدعوا حِكماً في سر علمهم

مع أنه نظر في بيت الشيخ صفي الدين الحلي، وهو:

فعال منتظم الأحوال مقتحم   الأهوال ملتزم بالله معتصم

ورأى اختلاف الوزن بين ملتزم ومعتصم.

وبيت بديعيتي أقول فيه:

سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي   وصرت كالعلم في العرب والعجم



(١) المسئم: الممل المتعب ـ والسئم: الملول التعِب.

ذكر التسميط

تسميط جـوهـره يلقى بـأبحـره ورشف كوثره يروي لكل ظمي[1]

هذا النوع، أعني التسميط: هو أن يجعل الشاعر كل بيت، بسمطه، أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد، بخلاف قافية البيت، كقول مروان بن أبي حَفصة:

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلـوا

والفرق بين التسميط والتسجيع، كون أجزاء التسميط غير ملتزم أن تكون على روي البيت، وكون أجزائه متزنة فيكون عددها محصوراً، والفرق بين التفـويف وبينه تسجيع بيت التسميط. قال ابن أبي الأصبع: ما خالفوا بين قافية البيت وأسجاع التسميط إلا لتكون القافية كالسمط، والأجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد، لأن السمط يجمع حب العقد، والمراد بأجزاء التسميط بعض أجـزاء التقطيـع ويسمى تسميط التبعيض، ومن التسميط نوع آخر يسمى تسميط التقطيع، وهو أن تسجع جميع أجزاء التفعيل على روي يخالف القافية، كقول ابن أبي الأصبع:

وأسمـر مثمـر من مـزهـر نضـر من مقمر مسفر عن منـظر حسِن

فجاءت جميع أجزاء التفعيل من هذا البيت، من سباعيها وخماسيها، مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذي هو قافية البيت.

---

(١) التسميط: في اللغة أن تجعل الجواهر سماطاً أو عقداً ـ والرشف: الشرب على مهل ـ والكوثر: النهر العذب الماء الصافي ـ والظمي: الظامىء: العطشان.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التسميط:

فالحق في أفق والشرك في نفق والكفر في فرق والدين في حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

تسميط ذي أدب تنظيم ذي أرب تحقيق ذي غلب بالنصر ملتزم(١)

وبيت بديعيتي أشرت فيه إلى نظمي ونثري، ترفعاً بمدح النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، بقولي:

سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي وصرت كالعلم في العرب والعجم

وقلت بعده مشيراً إلى النظم:

تسميط جوهره يلفى بأبحره ورشف كوثره يروي لكل ظمي

التورية في التسميط هنا منتظمة في سلك الجواهر، وقد تقرر أن السمط هو الذي يجمع حب العقد، ولهذا قلت: تسميط جوهره، والمناسبة البديعية حاصلة بقولي: يلفى بأبحره، فمحاسنه غير خافية بعد ذكر الجوهر، ومثل ذلك الرشف للكوثر والري للظامىء، وتمكين القافية ظاهر. والله أعلم.



(١) الأرب: الحاجة، والبغية والأمنية، والمهارة.

ذكر الالتزام

لأن مــدح رســول الله ملتــزمي فيه ومدح سواه ليس من لزمي[1]

هذا النوع الذي سماه قـوم: **الالتزام، ولـزوم ما لا يلزم**، ومنهم من سمـاه: **الاعنات، والتضييق**، وهو في الاصطلاح أن يلتزم الناثر في نثره، أو الناظم في نظمه، بحرف قبل حرف الروي أو بأكثر من حرف، بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف، وقد جاء في الكتاب العزيز في مواضع تجل عن الوصف، كقوله تعالى: **﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾**[2] وكقوله تعالى: **﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون﴾**[3] ومثله قوله تعالى: **﴿والليل وما وسق والقمر إذا اتسق﴾**[4]، وأما الشعراء فأبو العلاء كان أكثرهم في هذا النوع التزاماً، حتى إنه صنع كتاباً وسماه «اللزوميات» جاء فيه بأشياء بديعة، إلا أن فيه من عثرات لسانه كثيراً، كقوله:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكـان البسيـطة أن يبكـوا
يحـطمنـا صـرف الـزمـان كـأننـا زجـاج ولكن لا يُعـادُ لنـا سبـك

ومنه قوله:

لا تـطلبـن بـآلـة لـك رفعـة قلم البليـغ بغيـر حظ مغـزل
سكن السماكان السماء كـلاهما هــذا لــه رمــح وهــذا أعــزل

(١) ملتزمي: ألتزم به، واجبي - واللزم: الواجب.
(٢) التكوير، ٨١/١٦.
(٣) القلم، ٦٨/٢و٣.
(٤) الإنشقاق، ٨٤/١٧ و١٨.

ومنه قوله:

يقولون في البستان للعين لذة ... وفي الراح والماء الذي غير آسن[1]
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها ... ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على لزوم ما لا يلزم قوله:

من كل مبتدر للموت مقتحم ... في مارق بغبار الحرب ملتحم[2]

وبيت العميان:

وميل سمعي لنيل القرب من شيمي ... وسيل دمعي بذيل الترب كالديم[3]

وبيت الشيخ عز الدين قوله:

لي التزام بمدحي خير معتصم ... بربه وارتباط غير منفصم

وبيت بديعيتي أقول فيه:

لأن مدح رسول الله ملتزمي ... فيه ومدح سواه ليس من لزمي



(١) أسن: الماء: فسد وتغير لونه وطعمه وريحه. أو ركد.
(٢) المبتدر: الذي يبادر إلى الأمر ويندفع إليه ـ المارق: من الدين الخارج عنه، ومن الغبار الخارج منه.
(٣) الشيم: جمع شيمة: وهي الخلق الحسن، والخصلة النبيلة.

ذكر المزاوجة

إذا تـزاوج ذنبي وانـفـردت لــه بـالمـدح منّ ونجّـاني من النقم

هذا النوع، سمّوه المزاوجة والازدواج، وهو في اللغة مصدر زاوجَ بين الشيئين، إذا قارب بينهما، وفي الاصطلاح قال السكاكي ومن تبعه: هو أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول البحتري:

إذا ما نهى الناهي فلج لي الهوى أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر[1]

ومنه قوله:

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها[2]

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله:

ومن إذا خفت في حشري فكان له مدحي نجوت وكان المدح معتصمي

وبيت العميان:

إذا تبسم في حـرب وصـاح بهم يبكي الأسود ويرمي اللسن بالبكم[3]

---

(١) لجّ: ألح ـ وأصاخ: أنصت وسمع كلامه وأطاعه ـ والواشي: النمّام الذي ينقل الكلام بين اثنين وأكثر بهدف إفساد ذات البين.

(٢) احتربت: تحاربت ـ والقربى: الأقرباء.

(٣) اللُّسنَ: الفصحاء ـ البَكَم: العي والخرس.

وبت الشيخ عز الدين:

إذا تزاوج خوف الذنب في خلدي ذكـرت أن نجاتي في مـديحهم

وبيت بديعيتي أقول فيه:

إذا تـزاوج ذنبي وانفـردت لـه بالمدح منّ ونجّاني من النّقم [1]



(١) منَّ: تفضَّلَ ـ النقم: الانتقام.

ذكر التجزئة

ورّيت في كلمي جزيت من قسمي　　　أبديت من حكمي جليت كل عمي

التجزئة: هي أن يأتي المتكلم ببيت ويجزئه جميعه أجزاء عروضية، ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزءاً بجزء، أحدهما على روي يخالف روي البيت، والثاني على روي البيت، كقول الشاعر:

هندية لحظاتها خطية　　　خطراتها دارية نفحاتها(١)

وبيت الشيخ صفي الدين:

ببارق خذم في مارق أمم　　　أو سابق عرم في شاهق علم(٢)

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين قوله:

ذي فضل أندية ذي عدل تجزئة　　　فالذئب في ظلم يمشي مع الغنم

الشيخ عز الدين سها في هذا البيت عن رتبة التجزئة في الشطر الثاني، بالنسبة إلى التقرير، في شرط الرتبة.

وبيت بديعيتي أشير فيه إلى ما أبديته من المحاسن في المديح النبوي، بقولي:

وريت في كلمي جزيت من قسمي　　　أبديت من حكمي جليت كل عمي

---

(١) هندية: نسبة إلى الهنديه ـ خطية: نسبة إلى الرماح الخطيه أي تفعل فعلها ـ ودارية: نسبة إلى داريا.

(٢) البارق: السيف ـ الخذَم: القاطع ـ المارق: الخارج من الشيء ـ الأمم: المأموم وهو المضروب على أم رأسه ـ السابق: الفارس ـ العرم: السّريع الطعن الشرس.
الشاهق: الشديد الإرتفاع ـ والعلم: الجبل.

ذكر التجريد

لي المعاني جنود في البديع وقد جردت منها لمدحي فيه كل كمي[1]

التجريد، عرفه صاحب التلخيص بأن قال: هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله، وفائدته المبالغة في تلك الصفة، كقولك: مررت بالرجل الكريم، والنسمة المباركة. فجردت من الرجل نسمة متصفة بالبركة، وعطفتها عليه كأنها غيره، وهي هو.

ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر:

أعانق غصن البان من لين قدّها وأجني جنيَّ الورد من وجناتها

فإنه جرد من قدها غصناً ومن وجنتيها ورداً.

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته قوله:

شوس ترى منهم في كل معترك أسد العرين إذا حر الوطيس حمي[2]

والشيخ صفي الدين جرد في بيته أسد العرين من الشوس.

وبيت العميان في بديعيتهم:

من وجه أحمد لي بدر ومن يده بحر ومن لفظه در لمنتظم

---

(١) الكمي: الفارس المغوار.

(٢) الشوس: والأشاوس: الشجعان - العرين: بيت الأسد - الوطيس: المعركة.

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

من لفظه واعظ بالنصح جرد لي   يا نفس توبي وللتجـريد فـالتزمي

وبيت بديعيتي في المديح النبوي قولي:

لي في المعاني جنود في البديع وقد   جردت منها لمدحي فيه كل كمي



ذكر المجاز

وهو المجاز إلى الجنات إن عمرت ‌ ‌ ‌ ‌ أبياته بقبول سابغ النعم

المجاز: هو عبارة عن تجوز الحقيقة، فإن المراد منه أن يأتي المتكلم بكلمة يستعملها في غير ما ضعت له في الحقيقة في أصل اللغة، هذا رأي السكاكي وأصحاب المعاني والبيان، وقال البديعيون: المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة، بحيث يأتي المتكلم إلى اسم موضوع لمعنى فيخصه، إما أن يجعله مفرداً بعد أن كان مركباً، أو غير ذلك من وجوه الاختصاص.

والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة، كالاستعارة والمبالغة والإرداف والتمثيل والتشبيه ، وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد. وهذه الأنواع، وإن كانت من المجاز، فكونها متعددة لخلوها عن معنى زائد عن تجوز الحقيقة ، كالاستعارة والتشبيه وبقية ما ذكره من الأنواع، فلما لم يكن له غير تجوز الحقيقة اختصاراً ، أفرد باسم المجاز إذ لا يليق به غيره.

وعمل الشريف الرضي كتاباً سماه «مجاز القرآن» ومات قبل استيفائه، ومن أمثلته الشعرية قول العتابي:

يا ليلة لي بحوّارين ساهرة ‌ ‌ ‌ ‌ حتى تكلم في الصبح العصافير

قوله: ساهرة، مجاز.

وبيت الشيخ صفي الدين قوله:

صالوا فنالوا الأماني من مرادهم ‌ ‌ ‌ ‌ ببارق في سوى الهيجاء لم يشم

المجاز في بيت الشيخ صفي الدين في لفظة بارق.

والعمبان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين قوله:

أحيى فؤادي مجازي نحو حجرته وقد دهشت لجمع فيه مزدحم

وبيت بديعيتي تقدمه قولي: إني تجردت لمدح النبي ﷺ، وقلت بعده في المجاز:

وهو المجاز إلى الجنات إن عمرت أبياته بقبول سابغ النعم



ذكر الائتلاف

وهو أربعة أنواع هي :

١ ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى :

تـألف اللفظ والمعنى بمـدحتـه　　　والجسم عندي بغير الروح لم يقم

هذا النوع ذكره قدامة، أعني ائتلاف اللفظ مع المعنى، وترجمه منفرداً ولم يبين معناه وشرحه الآمدي وأطال، ولم توف عبارته بإيضاحه. وأوضحه ابن أبي الأصبع وقال: مختصر عبارة هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى، إن كان اللفظ جزلاً كان المعنى فخماً، أو رشيقاً رقيقاً كان المعنى غريباً، كقول زهير بن أبي سلمى :

أثـافيّ سفعاً في معـرس مـرجـل　　　ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم[1]

فلمـا عرفت الـدار قلت لـربعهـا　　　ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

فإن زهيراً قصد تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى غريب، لكن المعنى غير غريب، فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ، ولما جنح في البيت الثاني إلى معنى أبين من الأوّل وأغرب، ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة.

وبيت الحلي في بديعيته قوله :

كـأنمـا حلق السعـدي منتثـراً　　　على الثرى بين منقض ومنقصم

(١) الأثافيّ: حجارة الموقد ـ السفع: تغير اللون ـ المعرّس: المنزل، أو مكان التعريس وهو التجمع والمعرسّ: هو الدار أو مكان الخيمة، وهنا مكان القدر أو الموقد ـ والمرجل: القدر يطبخ به ـ النؤي: نهير صغير يحفر حول الخيمة ليمنع دخول ماء المطر إليها ـ الجذم: البقيه والأثر ـ تثلم: تشقق وتكسّر وخرب.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته تبارك الله منشي الدرّ في الكلم

بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع عامر، وبيت الشيخ صفي الدين خراب لأنه غير صالح للتجريد، ولم يظهر له معنى حتى يأتي بالمشبه به في البيت، وعلى هذا التقدير لم يحصل في بيته ائتلاف بين اللفظ والمعنى.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

تآلف اللفظ والمعنى بمدحته والجسم عندي بغير الروح لم يقم

٢ ـ ائتلاف اللفظ مع الوزن:

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا فما يكون مديحي غير منسجم

هذا النوع، أعني **ائتلاف اللفظ مع الوزن**، قال قدامة: هو أن تكون الأسماء والأفعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن إلى نقصها في البنية، ولا إلى الزيادة، ولا إلى التقديم والتأخير. ومنهم من قال: هذا النوع لا مثال له بصورة معينة، لأنه عبارة عن أنه لا يضطر إلى ما لا يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ، كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

وفي رواية: أخو أمه: فإن اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك، فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ، ولو قال: وما مثله إلا مملك أبوه يقارب خاله، لسهل مأخذه وقرب تناوله.

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته قوله:

في ظل أبلج منصور اللواء له عدل يؤلف بين الذئب والغنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

أؤلف اللفظ مع وزن بمدحة مو لانا وذم عدوّ بين الشلم

قلت: ثقل الهمزة في لفظة أؤلف، والوقوف لتحرير الوزن عند قوله: بمدحة مولانا، كان سبباً في عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن في بيت الشيخ عز الدين.

وبيت بديعيتي قلت فيه، عن النبي ﷺ بعد قولي فيه في ائتلاف اللفظ مع المعنى:

تـألف اللفظ والمعنى بمـدحتـه ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم

وقلت بعده:

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فمـا يكون مـديحي غيـر منسجم

٣ ـ ائتلاف المعنى مع الوزن:

والـوزن صح مـع المعنى تألّفه ... في مدحه فأتى بالـدرّ في الكلم

هذا النوع، أعني **ائتلاف المعنى مع الوزن**: هو أن تـأتي المعاني في الشعر صحيحة، لا يضطر الشاعر في الوزن إلى قلبها عن وجههـا، ولا إلى خروجهـا عن صحتها، كقول عروة بن الورد:

فـإني لـو شهـدت أبـا سعـاد ... غـداة غـد بمهجتـه يفـوق[١]

فـديت بنـفسـه نـفسي ومـالي ... ومـا آلـوه إلا مـا يـطيـق[٢]

فإنه أراد أن يقول: فديت نفسه بنفسي ومالي، فألجأته ضرورة الوزن إلى قلب المعنى. ومهما كان الشعر سليماً من مثل هذا، كان الشعر الذي ائتلف معناه مع وزنه.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله:

مـن مثـله وذراع الشـاة حـذره ... عن سمه بلسان صادق الرتم[٣]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

تـؤلف اللفظ والمعنى مـدائحـه ... فللمعـاني ترى الألفـاظ كالخـدم

قلت: بيت الشيخ صفي الدين، في هذا النوع، قاصر عن بيت الشيخ عز الدين، فإن الشيخ عز الدين أتى أولاً بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النـوع وتمكين القافية، فإن لفظة رتم، في بيت الشيخ صفي الدين غير ممكنة، وأيضاً فإن الـوزن والمعنى في بيت الموصلي في غاية الائتلاف.

وبيت بديعيتي قلت فيه:

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فمـا يكون مـديحي غيـر منسجم

---

(١) يفوق: يجود.

(٢) آلى: أقسم وحلف اليمين.

(٣) الرتم: الكلام الخفي.

وقلت بعده في ائتلاف المعنى مع الوزن:

والـوزن صح مـع المعنى تـألفـه   في مدحه فأتى بالـدر في الكلم

٤ ـ ائتلاف اللفظ مع اللفظ:

واللفظ باللفظ في التأسيس مؤتلف   في كل بيت بسكان البديع حمي

هذا النوع، أعني **ائتلاف اللفظ مع اللفظ**: هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع، ويأخذ عدة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف، كقول البحتري في الإبل النحيلة:

كـالقسي المعـطفـات بـل الأسـ   ـهـم مـبـريـة بـل الأوتـار[1]

فإن تشبيه الإبل بالقسي كناية عن هزالها، فلو شبهها بغير ذلك كالعرجون والدال جاز، ولكن المناسبة والائتلاف بين الأسهم والأوتار والقسي حسنت التشبيه.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته:

خاضوا عباب الوغى والخيل سابحة   في بحر حرب بموجِ الموت ملتطم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الموصلي في بديعيته:

ساروا وجدوا النوى واللفظ مؤتلف   من لسنِ دمعي بلفظٍ جِدُ منسجم[2]

الذي فهمته من هذا النوع معنى الشطر الأول، وأما الشطر الثاني فما حصل بينه وبين هذا النوع ائتلاف.

وبيت بديعيتي قلت قبله:

والـوزن صح مـع المعنى تـألفـه   في مدحه فأتى بالـدر في الكلم

وقلت بعده، في ائتلاف اللفظ مع اللفظ:

واللفظ باللفظ في التأسيس مؤتلف   في كل بيت بسكان البديع حمي

---

(١) القسي: جمع قوس ـ المعطفات: المحنيات ـ الأسهم المبرية: المحددة الرؤوس.

(٢) جدّوا النوى: أسرعوا بالبعاد والسفر. وقد ورد الشطر الثاني من هذا البيت بلفظ«خد» بدل «جدٌ» التي أثبتناها وهي كما هو واضح، أصح وأقوم.

ذكر التمكين

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت　　　لكن مدائحه قد أبرأت سقمي

هذا النوع أعنى، التمكين: وهو ائتلاف القافية، منهم من سماه بالتمكين، ومنهم من سماه بائتلاف القافية: وهو أن يمهد الناثر لسجعه فقرة، أو الناظم لقافية بيته تمهيداً تأتي به القافية ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، غير نافرة ولا قلقة، ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه، بحيث أن منشد البيت، إذا سكت دون القافية، كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها. وأكثر فواصل القرآن على هذه الصورة، والذي عقد البديعيون عليه الخناصر في هذا الباب، قول أبي الطيب:

يا من يعز علينا أن نفارقهم　　　وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وقال ابن أبي الأصبع: لم نسمع لمتقدم شعراً متمكناً في قافية أشد من تمكين النابغة الذبياني، حيث قال:

كالأقحوان غداة غب سمائه　　　جفت أعاليه وأسفله ندي

زعم الغمام ولم أذقه بأنه　　　يروي بريقته من العطش الصدي

قلت: ويعجبني هنا قول صدر الدين بن عبد الحق، ولعمري إنه أمكن وألطف وأظرف، وهو:

ورب ظبي آنس　　　حشاشتي ملكته

أسقيته أسكرته　　　حركته نبهته

نادمته أعجبته　　　حدثته أطربته

مددته كشفته　　　بلا طويل نكته

وبيت الحلي على تمكين القافية قوله:

به استغاث خليل الله حين دعا رب العباد فنال البرد في الضرم[1]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

تمكين حبك في قلبي نسخت به محبة الكل من عرب ومن عجم[2]

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي ﷺ:

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت لكن مدائحه قد أبرأت سقمي



(١) الضرم: النار الملتهبة، والبيت عبارة عن قوله تعالى: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم﴾.
(٢) النسخ: الإبطال، ومنه الناسخ والمنسوخ في القرآن، الآيات التي جاءت لتبطل أحكام آيات جاءت قبلها.

ذكر الحذف

وقد أمنت وزال الخوف منحذفاً نحو العدوّ ولم أحقر ولم أضِم[١]

هذا النوع، أعني **الحذف**، عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفاً من حروف الهجاء، أو جميع الحروف المهملة، بشرط عدمَ التكلف والتعسف، وهذا هو الغاية، كما فعل الحريري في المقامة السمرقندية، بالخطبة المهملة التي أجمع الناس على أنها نسيج وحدها، وواسطة عقدها.[وقد عن لي] أن أوردها ههنا بكمالها، وأورد معها ما نسج المتأخرون على منوالها، وهي قوله:

الحمد لله الممدوح الأسماء، المحمود الآلاء، الواسع العطاء، المدعوّ لحسم اللأواء، مالك الأمم، ومصور الرمم[٢]، وأهل السماح والكرم، ومهلك عاد وإرم، أدرك كل سرّ علمه، ووسع كل مصر حلمه، وعمّ كل عالم طوله، وهدّ كل مارد حوله، أحمده حمد موحد مسلم، وأدعوه دعاء مؤمل مسلم، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الصمد، لا والد له ولا ولد، أرسل محمداً للإسلام ممهداً، وللملة موطداً، ولأدلة الرسل مؤكدا، وللأسود والأحمر مسدّدا، وصل الأرحام، وعلّم الأحكام، ووسم الحلال والحرام، ورسم الإحلال والإحرام، كرّم الله محله، وكمل الصلاة والسلام له، ورحم آله الكرماء، وأهله الرحماء، ما همر ركام[٣] وهدر حمام، وسرح سوام[٤]، وسطا حسام.

---

(١) أُضِم: مجزوم أضام. أي لم أصب بأذى أو أتضايق.

(٢) الرمم: واحدتها رمه وهي عبارة عن الهيكل العظمي البالي.

(٣) الركام: الغيوم المركوم بعضها فوق بعض.

(٤) السوام: الماشية.

اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء، واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء، واردعوا أهواءكم ردع الأعداء، وأعدوا للرحلة إعداد السعداء، وادّرعوا حلل الورع، وداووا علل الطمع، وسووا أود العمل، وعاصوا وساوس الأمل، وصوّروا لأوهامكم حؤول الأحوال، وحلول الأهوال، ومساورة الأعمال، ومصارمة المال والآل، واذّكروا الحمام وسرعة مصرعه[1]، والرمس وهول مطلعه[2]، واللحد ووحدة مودعه، والملك وروعة سؤاله ومطلعه، والمحوا الدهر ولؤم كرّه، وسوء محاله ومكره، كم طمس معلماً، وأمّر مطعماً، وطحطح عرمرما، ودمر ملكاً مكرما، همه سك المسامع، وسح المدامع، وإكداء المطامع، وإرداء المسمع والسامع، عم حكمه الملوك والرعاع، والمسود والمطاع، والمحسود والحساد، والأساود والآساد، ما موّل الآمال، وعكس الآمال، ولا وصل الأوصال، وكلم الأوصال، ولا سر إلا وسا[3]، ولؤم وأسا[4]، ولا أصح إلا ولّد الداء، وروع الأوداء.

الله الله، رعاكم الله، إلام مداومة اللهو، ومواصلة السهو، وطول الإصرار، وحمل الإصار، واطّراح كلام الحكماء، ومعاصاة إله السماء، أما الهرم حصادكم، والمدر[5] مهادكم، أما الحِمام مدرككم، والصراط مسلككم، أما الساعة موعدكم، والساهرة موردكم، أما أهوال الطامة[6] لكم مرصده، أما دار العصاة الحطمة المؤصدة[7]، حارسهم مالك، ورواؤهم حالك، وطعامهم السُّموم، وهواؤهم السَّموم[8]، لا مال أسعدهم ولا ولد، ولا عدد حماهم ولا عدد، ألا رحمه الله امرأً ملك هواه، وأكّم مسالك هداه، وأحكم طاعة مولاه، وكدح لروح مأواه، وعمل ما دام العمل مطاوعاً، والعمر موادعاً والصحة كاملة، والسلامة حاصله، ولا دهمه عدم المرام، وحصر الكلام، وإلمام الآلام، وحموم الحمام، وهدوء الحواس، ومراس الأرماس، آهاً لها حسرة ألمها مؤكد، وأمدها سرمد، وممارسها مكمد[9]، ما لولهه حاسم، ولا لسدمه[10] راحم، ولا له

(١) الحِمام: بكسر المهمله: الموت.
(٢) الرمس: القبر.
(٣) سا: ترخيم ساءَ: أحزن.
(٤) أسا: ترخيم أساء: أضر.
(٥) المدَر: الطين الذي لا يخالطه رمل.
(٦) الطامة: المصيبة الكبيرة، والقيامة.
(٧) الحطمة: نار جهنم ـ المؤصدة: المقفلة. التي لا يمكن الخروج منها.
(٨) السُّموم: الريح الحارة(ريح جهنم). والرياح الخمسينية.
(٩) مكمد: مكبوت الحزن، مهموم.
(١٠) السدم: الهم مع الندم، أو الغيظ مع الحزن.

مما عراه عاصم، ألهمكم الله أحمد الإلهام، وردأكم رداء الإكرام، وأحلكم دار السلام، وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام، وهو أسمح الكرام والمسلم والسلام.

قلت: رحم الله أبا القاسم الحريري، أتى في عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع، ولكن ألجأته ضرورة العاطل، في مواضع، إلى الإتيان بألفاظ تفتقر إلى الحل. وقد تعين هنا تفسيرها، لئلا يتعذر على الطالب مرام، ولا يحصل هذا الإشكال في مرآة الأفهام.

فاللأواء: الشدة. والأحمر والأسود: العرب والعجم، ووسم بمعنى علم. وهمر بمعنى صب والركام: السحاب المتراكم. والكدح: عمل الإنسان، من الخير والشر. والأود: المعوّج، والمساورة: المواثبة. وطحطح بمعنى هدّ وأهلك. والسَّكك ضيق الصماخ. والرعاع: السفلة. والأساود: الحيات. والأصار: جمع إصر، وهو الثقل. والساهرة: قيل إنها عرصات القيامة، وقيل إنها وجه الأرض. انتهى.

[وأوقفني] رجل من طلبة العلم بحلب المحروسة، يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف، سنة أربع عشرة وثمانمائة، على رسالة مشتملة على حِكَم ومواعظ، على طريق الفقهاء لا على طريق الأدباء، وسألني الكتابة عليها فامتنعت من ذلك، فتوصل إلى أن رسم لي مولانا المقر الأشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية، روَّحَ الله روحه، وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه، أن أكتب له على رسالته العاطلة تقريظاً عاطلاً، فقلت: هذا النوع من المستحيلات، فإن الخطب والوعظيات ثمرات، ألفاظها دانية القطوف. وأما التقريظ فالتوصل إلى تحصيل ألفاظه العاطلة غير ممكن، لأن كف المتناول من ذلك صفر، والطريق مخوف، فلم يحصل عن المرسوم رجوع، وعلمت، أن الصرف إلى غير الامتثال، ممنوع. [فكتبت] هذا التقريظ الذي ما سبقني ناثر إليه، ولا حام طائر فكره عليه، وهو:

طالع المملوك رسالة محمد وسلم، وأحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم. والله ما سمعها عالم إلا وهام، ولا ردع سحرها الحلال مسلماً إلا كره الحرام، وعاد عاملاً وأعد للصلاح حواصله، وصار له مع الله معامله. ما أحلى ما كرر عاطلها المحلى، وأهلاً لسهولة مسلكها وسهلا، ما لولد ساعة سعد أحكامها، ولا أهل العصر سكر إلا ما أدار كأس مدامها، ولا لعمارة عامر صرحها ورهطه، ولا للصرّ در كلؤلؤها وسمطه[1]، ولا لولد مطروح مع طرحها المحرر مطارحه، ولا صار لولادة رسالة مسموعة ولا لسرحها آرام

---

(١) السمط: عقد اللؤلؤ.

سارحه، ولا مسارح الماء الحلو لملحها إلا كالآل[1]، وما عامر ما أسه المعمار إلا أطلال، وما المطاعم الحلوة معها إلا مالحه، وما صوادح الكلام الصادح إلا حول دوحها صادحه، وما لطعم الراح مع حلاوة وردها راحه، ولا لسلسل الورد معها طلاوة ولو كلل الطلُّ[2] أدواحه، ولا لسلوك الدر در سلوكها، ولا للمسوك العاطرة عطر مسوكها.

ولم لا ومحكمها حرسه الله صار ملكاً ولحكمه أحكام، وكلام الملوك ملوك الكلام، لا إله إلا الله ما أسرار ولد آدم إلا حكمه، وما كلام الحكماء وما أحكموه إلا حرمه، وما أمة رسول الملك العلاّم إلا سادة الأمم، وما سماه صدورهم إلا مطالع أهل الحكم، أطال الله عمره وما ملها سامع، وأطلع هلال دالها[1] وسعد السعود لها طالع، وحصل للعالم لما هل هلالها سرور، وأكرموا محلها وأحلوها الصدور. أحكامها عمدة لأمة محمد، وما أعادها السامع إلا صار العود أحمد:

سلسلوا دورها لسمع كساه   درّها وهو عاطل كلِ حلّه
لا سماع إلا لها لا كلام   لسواها كرره كرره الله

وع ما حكاه، ولد همام أو رواه، واسمع مسامرة همام صعد طور الحكم وساعده الله، وحسم كل كلامه مادة العواطل، وسلسل لطروسه وسطوره سلاسل الدور ودور السلاسل، ولو سمعها ملك العواطل أمال رؤوس رماحه، وكلَّ حدُّ سلاحه، وسع معالم العلم ومعاهده صدره، وأدرّ لأهل الموارد الحلوة ولله دره، ما للكمال أصول سطوره الكامله، ولا ورد مع رسول كرسالة محمد مراسله، رحم الله امرأ أطاع أوامر حكمها، وسمع مرسوم رسمها، ودارس ما أحكمه ممهدها وأملاه، أمد الله عمره والحمد لله.

والحلي بنى بيت بديعيته، في باب الحذف، على العاطل، وهو:

آل الرسول محل العلم ما حكموا   لله إلا وُعدوا أعدل الأمم

والعميان ما نظموا نوع الحذف في بديعيتهم، وأنا والشيخ عز الدين تعذر علينا نظم الحذف عاطلاً، لأجل تسمية النوع في البيت، إذ فيه الذال والفاء ولا بد من التورية بتسمية النوع، كما شرط أولاً، فكل منا جنح في باب الحذف إلى جهة. أما الشيخ عز الدين فإنه ذكر أنه نظم بيته من الحروف النورانية المقطعة، وسمى الحذف في بيته إسقاطاً، فقال:

---

(1) الآل: السَّراب الذي ﴿يحسبه الظمآن ماءً﴾.

(2) الدال: جمع الدالة وهي الشهرة والسلطان.

أروم إسقـاط ذنبي بالصـلاة على   محمـد وعلى صـديقـه العلم[1]

وبيت بديعيتي حذفت منه الأحرف التي تنقط من تحت، وهو الذي نظمته بعد قولي:

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت   لكن مـدائحه قـد أبـرأت سقمي

فقلت:

وقد أمنت وزال الخوف منحـذفاً   نحـو العدوّ ولم أحقـر ولم أضم



(١) أروم: أتوخى وأقصد ـ الصدّيق: الخليفة الثاني أبو بكر وكان ملقباً بالصدّيق.

ذكر التدبيج

واخضر أسود عيشي حين دبجه   بياض خطي ومن زرق العداة حمي

نوع التدبيج من مستخرجات ابن أبي الأصبع، وهو عبارة عن أن يذكر الناظم أو الناثر ألواناً يقصد بها التورية والكناية بذكرها عن أشياء، من تشبيب أو مدح أو وصف أو غير ذلك من الأغراض. فمن التدبيج على طريق التورية قول الحريري، في المقامة الزورائية: فمذ اغبرّ العيش الأخضر، وازور المحبوب الأصفر، اسود يومي الأبيض، وابيض فودي الأسود، حتى رثا لي العدوّ الأزرق، فحبذا الموت الأحمر.

ومنه، ما كتبت به جواباً عن مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله إلى الجناب العالي الناصري محمد بن أبي يزيد بن عثمان. فإنه المجاهد الذي جعل حظ بني الأصفر، في البحر الأزرق من بيض سيوفه أسود، فأذاقهم الله به الموت الأحمر، وكمال التدبيج يقول أهلاً بعيش أخضر يتجدد.

ومن الأمثلة الشعرية في باب التدبيج قول ابن حيوس:

إن تـرد خبـر حـالهم عن يقين   فـالقهم في منـازل أو نـزال[1]

تلق بيض الوجوه سود مثار النقـــــع   خضـر الأكتاف حمـر النصال

ومثله قوله:

ببيـاض عـزم واحمـرار صـوارم   وسـواد نقع واخضـرار رحـاب[2]

---

(١) النزال: الحربُ.

(٢) الصوارم: السيوف ـ النقع: غبار الحروب.

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردي، من أبيات:

ولي صاحب بالمدح والهجو كسبه   يقول أتدري كيف أصنع بالخلق
إذا حمَّروا وجهي وما بيضوا يدي   ازرقّلهم رجني ولو خضروا عنقي [1]

ويعجبني قول الشيخ عز الدين في هذا الباب:

خضرة الصدغ والسواد من العيـــــن بياض المشيب قد أورثاني
واحمرار الدموع صفّر خدي   كل ذا من تلونات الزمان

قلت: تلونات الزمان، في باب التدبيج، غاية في الحسن.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في التدبيج قوله:

خضر المرابع حمر السمر يوم وغى   سود الوقائع بيض الفعل والشيم [2]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته:

خضر المرابع حمر البيض سود ردى   بيض الثنا فاستمع تدبيج وصفهمْ

قلت: ما يليق بالشيخ عز الدين ما اعتمده في بيت الشيخ صفي الدين، من أخذ لفظه ومعناه، والحق أنه تلون في باب التدبيج على الصفي، وتحرم على الحلي: وبيت بديعيتي قولي:

واخضر أسود عيشي حين دبجه   بياض حظي ومن زرق العداة حمي

---

(١) حمّر الوجه: أخجل صاحبه ـ بيضوا يدي: بالعطاء والهدايا ـ أزرّق لهم رجلي: أسرّع لهم الخطو.
(٢) السمر: الرماح ـ المرابع: الدور وأماكن النزول.

ذكر الاقتباس

وقلت يا ليت قومي يعلمون بما قد نلت كي يلحظوني باقتباسهم

الاقتباس: هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية، أو آية من آيات كتاب الله خاصة، هذا هو الإجماع. والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود. فالأول، ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي ﷺ ونحو ذلك. والثاني، ما كان في الغزل والرسائل والقصص. والثالث على ضربين: أحدهما، ما نسبه الله تعالى إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقّع على مطالعة فيها شكاية من عماله: **﴿إنّ إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾**[1] والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك، كقول القائل:

أوحى إلى عشاقه طرفه **﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾**[2]
وردفه ينطق من خلفه **﴿لمثل ذا فليعمل العاملون﴾**[3]

ومن الاقتباسات التي هي غير مقبولة، قول ابن النبيه في مدح الفاضل:

قمت ليل الصدود إلا قليلاً ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل وهجرت الرقاد هجراً جميلا
مسمعي كَلٌّ عن سماع عذول حين ألقى عليه قولاً ثقيلا
وفؤادي قد كان بين ضلوعي أخذته الأحباب أخذاً وبيلا[4]

(١) الغاشية، ٨٨/٢٦.

(٢) المؤمنون، ٢٣/٣٦.

(٣) الصافات، ٣٧/٦١، مع إبدال «ذا» ب «هذا».

(٤) وبيلاً: شديداً قاسياً.

قـل لـراقي الجفـون إن لعيني　　في بحـار الدمـوع سبحاً طـويلاً
مـاس عجباً كـأنه مـا رأى غصـــــنـاً طليحـاً ولا كثيبـاً مهيـلا
وحمى عن محبـه كـاس ثغـر　　كـان منه مـزاجها زنجبيـلا[1]
بـان عني فصحت في أثـر العيـ　　ـس ارحمـوني ومهلوهم قليـلا
أنـا عبـد للفـاضـل بن علي　　قـد تبتلت بـالثنـا تبتيـلا[2]
لا تـسميه وعـد بغيـر نـوال　　﴿ إنه كان وعده مفعولا ﴾[3]

ونعوذ بالله من قوله بعد ذلك:

جـل عن سائـر الخـلائق فضـلاً　　فـاختـرعنـا في مـدحـهِ التنـزيـلا

واعلم أن الاقتباس على نوعين: نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه، كقـول الحريري: فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب، حتى أنشد فأغرب. فإن الحريري كنى به عن شدة القرب، وكذلك هو في الآية الشريفة. ونوع يخرج به المقتبس عن معناه، كقول ابن الرومي:

لئن أخـطأت في مـدحيــــك مـا أخطأت في منعي
لقـد أنــزلت حـاجـاتي　　﴿بـوادٍ غيـر ذي زرع﴾[4]

فإن الشاعر كنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه، والمراد به في الآية الكريمة أرض مكة، شرفها الله وعظمها.

ثم اعلم أنه يجوز أن يغير لفظ المقتبس منه، بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك، فالزيادة وإبدال الظاهر من المضمـر، كقول الشاعر:

كـان الـذي خفت أن يكـونـا　　إنـا إلـى الله راجـعـونـا

فزاد الألف في راجعون على جهة الإشباع وأتى بالظاهر مكان المضمر في قوله: إنا إلى الله، ومـراده آية التعـزية في المصيبـة، وهي قولـه تعـالى: ﴿إنـا لله وإنـا إليـه

(١) الزنجبيل: من المشروبات الروحية. وهو قريب من الخمرة.
(٢) تبتل: انقطع لعبادته ومنه البتول مريم التي انقطعت لعبادة ربها.
(٣) مفعولاً: نافذاً ـ وسام: طلب. و«وعد» وردت بالرفع وكان حقها النصب «وعداً».
(٤) ابراهيم، ١٤/٣٧.

راجعون﴾[1]. والنقصان ما تقدم من قول الحريري: فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب، فإنه أسقط لفظة هو، إذ الآية الكريمة لفظها: ﴿كلمح البصر أو هو أقرب﴾[2]. والتقديم والتأخير، كقول الشاعر:

قال لي إن رقيبي سيء الخلق فداره
قلت دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره

هذا الاقتباس من الحديث، فإنه تقدم أن الإجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمن في الكلام من الحديث النبوي اقتباساً، وزاد هنا الطيبي في الاقتباس من مسائل الفقه، والشاعر قدم في لفظ الحديث وأخر، لأن لفظ الحديث: حفت الجنة بالمكاره، ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم في الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه، ولولا ذلك للزمهم الكفر في لفظ القرآن، والنقص منه، ولكنهم يأتون به على أنه لفظ القرآن، ومن أمثلته الشعرية قول الحماسي:

إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر
سيبقى لها في مضمر الحب والحشا سرائر تبقى يوم تبلى السرائر[3]

ومنه:

أهدى إليكم على بعد تحيته حيّوا بأحسن منها أو فردوها

ويعجبني هنا قول ابن سنا الملك في بعض مطالعه:

رحلوا فلست مسائلاً عن دارهم أنا باخع نفسي على آثارهم[4]

ومن لطائف هذا الباب قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في معشوقه المسمى بالنسيم:

إن كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم ﴿يا ليتني كنت اتخذت مع الرسولا سبيلا﴾[5]

ومثله في الحسن، قول شيخ شيوخ حماة المحروسة رحمه الله تعالى:

---

(١) البقرة، ٢/١٥٦.
(٢) النحل، ١٦/٧٧.
(٣) السرائر: الأولى: الأسرار، والثانية: النوايا أو مكان الأسرار وتبلى: تختبر وتجرّب.
(٤) باخع نفسه: قاهرها وقاتلها غيظاً وغماً.
(٥) الفرقان، ٢٥/٢٦. بزيادة «كنت» عليها.

يا نظرة ما جلت لي حسن طلعته حتى انقضت وأدامتني على وجل
عاتبت إنسان عيني في تسرعه فقال لي ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ (1)

ومثله: إن دمعت عيني فمن أجلها بكى على حالي من لا بكى
أوقعني إنسانها في الهوى يا أيها الإنسان ما غركا

ومثله: قسماً بشمس جبينه وضحاها ونهار مبسمه إذا جلاها
وبنار خديه المشعشع نورها وبليل صدغيه إذا يغشاها
لقد ادعيت دعاوياً في حبه صدقت وأفلح من بذا زكّاها
فنفوس عذّالي عليه وعذّري قد ألهمت بفجورها تقواها
فالعذر أسعدها مقيم دليله والعذل منبعث له أشقاها

ومنه قول القاضي محيي الدين بن قرناص:

إن الذين ترحلوا نزلوا بعين باصره
أنزلتهم في مقلتي فإذا هم بالساهره (2)

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباته رحمه الله تعالى:

وأغيد جارت في القلوب لحاظه وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى (3)
أجل نظراً في حاجبيه وطرفه ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

ومنه قول الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى:

رب فَلاح مليح قال يا أهل الفتوّه
كفلي أضعف خصري فأعينوني بقوّة (4)

ومنه قول المعمار:

ابن الجمالي مات حقا برّح بي موته وآذى
ورحت أقرأ عليه جهراً ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ (5)

---

(1) الأنبياء، ٢١/٣٧. وإنسان العين: بؤبؤها.
(2) الساهرة: من الأرض المنبسطة المطمئنة، وجهها.
(3) الأغيد: الفتاة التي تتمايل في مشيها (الغادة) ـ الوسنى: الناعسة.
(4) الكفل: الردف أو العجيزة.
(5) مريم، ١٩/٢٣.

ويعجبني في هذا الباب قول سيدنا الإمام القدوة، الحافظ الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي، تغمده الله برحمته، وهو:

خاض العواذل في حديث مدامعي لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[1]

وقلت:

ناحت مطوّقة الرياض وقد رأت تلوين دمعي بعد فرقة حبه
لكن به لما سمحت تباخلت فغدت مطوقة بما بخلت به

وهنا فائدة يتعين ذكرها في هذا الباب، وهي أن العلماء في هذا الباب قالوا: إن الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن، أما الناثر فهو الذي يقتبس كالمنشىء والخطيب، فمن ذلك قول الحريري: فطوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادّعى، ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾[2]، وعلم أن الفائز من ارعوى، ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى﴾[3]، وقوله: ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾[4]، وأميز صحيح القول من عليله. وكقول ابن نباتة الخطيب في الخطب التي في ديوانه: أما أنتم بهذا الحديث تصدقون، ما لكم لا تشفقون، ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾[5].

قلت: وأما عبد المؤمن الأصفهاني، صاحب أطباق الذهب، فإنه عنوان هذا الكتاب، وإمام هذا المحراب، فمن قوله في الأطباق: فمن عاين تلوين الليل والنهار لا يغتر بدهره، ومن علم أن بطن الثرى مضجعه لا يمرح على ظهره، فيا قوم لا تركضوا خيل الخيلاء في ميدان العرض، ﴿أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾[6]. وقوله: ولو علم الجذل صولة النجار، وعضة المنشار، لما تطاول شبرا، ولا تخايل كبرا، وسيقول البلبل المعتقل ليتني كنت غراباً، ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾[7]، وقوله:

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر إجلالا

---

(١) النساء، ٤/١٤٠.
(٢) النازعات، ٧٩/٤٠.
(٣) النجم، ٥٣/٣٩ و ٤٠.
(٤) يوسف، ١٢/٤٥.
(٥) الذاريات، ٥١/٢٣.
(٦) الملك، ٦٧/١٦.
(٧) النبأ، ٧٨/٤٠.

هم السلاطين في أطمار مسكنة — استعبدوا من ملوك الأرض أقيالا [1]
هذي المكارم لا ثوبان من عدن — خيطا قميصاً فعادا بعد أسمالا
هذي المناقب لا قعبان من لبن — شيبا بماء فعادا بعد أبوالا [2]

هم الذين جبلوا براء من التكلف، ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾[3] وقوله أهل التسبيح والتقديس، لا يؤمنون بالتربيع والتسديس، والإنسان بعد علو النفس، يجل عن ملاحظة السعد والنحس، وإن في الدين القويم، لشغلاً عن الزيج [4] والتقويم. الإيمان بالكهانة، باب من أبواب المهانة، فأعرض عن الفلاسفة، وغض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفه، فأكثرهم عبدة الطبع، وحرسة الكواكب السبع، فما للمنجم الغبي، وما للكاهن الأجنبي، وسرٍ حُجِبَ عن غير النبي، وهل ينخدع بالفال إلا قلوب الأطفال، وإن أمرأ جهل حال قومه، وما الذي يجري عليه في يومه، كيف يعرف حال الغد وبعده، ونحس الفلك وسعده، وإن قوماً يأكلون من قرصة الشمس [5] لمهزولون، وإنهم عن السمع لمعزولون، ما السموات إلا مجاهل والكواكب ضواها، وما النجوم إلا هياكل سبعة ومن الله قواها، كلٌ يسري لأمر معمى، ﴿وكل يجري لأجل مسمى﴾ [6].

وقوله: الحرص يسبل على وجوه الظلمة براقعا، والظلم يدع الديار بلاقعا[7]، يرضون طيب الحياة وينسون يوم النشور، ويفتكون فتك البزاة ويؤملون عمر النسور. فلا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار، ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾[8]. وقوله: اغتنم فودك[9] الفاحم قبل أن يبيض، فإنما الدنيا جدار يريد أن ينقض، فلا يغرنك قطفها النضيج هو ﴿غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج﴾[10]. وقوله في آخر مقالة من الأطباق: تلك أمة قد خلت ذكروا الله في الخلوات، ﴿فخلف من بعدهم خلف

---

(١) الأطمار: الثياب البالية ـ الأقيال: جمع مفرده قيل وهو الملك العظيم.
(٢) المناقب: الأعمال الجليلة ـ قعبان: مثنى قعب وهو القدح الضخم أو وعاء الحلب.
(٣) البقرة: ٢/٢٧٣.
(٤) الزيج: خيط البناء الذي يمد على الحائط لتضبيط المداميك.
(٥) فرصة الشمس: عينها.
(٦) الرعد، ١٣/٢ وفاطر، ٣٥/١٣، والزمر، ٣٩/٥.
(٧) بلاقع: مقفرة.
(٨) ابراهيم، ١٤/٤١.
(٩) الفود: جانب الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام. الشعر الذي عليه.
(١٠) الحدد، ٥٧/٢٠.

أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾[1]. وقوله: أصدق الأرواح روحان ممتزجان، وأخلص القلوب قلبان يزدوجان، يتصاحبون ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾[2]، وآخرون ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾[3]. وقوله لله دره: فيا هذا لا تحسد المتنعم على ترفه، ولا تغبط المتكبر على شرفه، وقل له إذا برزت الجحيم وقدم له الحميم، ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾[4]. وقوله: أليس من الخسران جزار يأكل الميت، ومكّيّ لا يزور البيت، فلا تكن كالجمل الطليح [5] يحمل لغيره أسفاراً، ولأنك ﴿كالحمار يحمل أسفاراً﴾ [6].

قلت: هذا القدر الذي أوردته هنا كافٍ في الاقتباسات التي تليق بمواعظ الخطب، فيتعلم بليغ الخطباء منها سلوك الأدب، ولم يبق إلا إظهار نور الاقتباس من مشكاة نور المترسلين، فإنهم ملوك هذا الشأن، ومن استضاء بسحر اقتباسهم قال إن هذا إلا سحر مبين. [ومن ذلك] قول مالك أزمة هذا الفن القاضي الفاضل من تقريظ ورأيت كل معتاض غيره لصناعة البديع لاهجاً بالبدعه خارجاً عن الشرعه، دارجاً في غير عشه، مخرجاً ميت القول من طرسه على نعشه، فهي المدام وما دون فهم عنها قدام، ووفود بلاغة لو وجهت إلى الجنة لقال رضوانها ﴿ادخلوها بسلام﴾ [7] وكل ابنة فكر ما طالعت فكره إلا صاح لسان طربه ﴿يا بشرى هذا غلام﴾[8] وكل غصن ألف وكل همزة حمام، وفيها وفيها، وأخاف أن أقول ولا أوفيها، وليت هذه المحاسن وليت الأسماع، وألقت القناع، وفي العمر مستمتع، وفي قوس الشبيبة منزع، ولكن ضاق فتر عن مسير، وجاء فضلها الأوّل في الزمن الأخير، وقد حان أن تخيب في البلاغة القدحان [9]، وأنى وإنه ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾[10].

وقوله: لا زالت الملوك تنزل لركوبه، والسيوف تضحك لقطوبه، وأسبغ عليه نعمه باطنة وظاهره، وكتب له في الدنيا حسنة وفي الآخرة، وغض عيون أعدائه فإذا هم

---

(1) مريم، ١٩/٥٩.
(2) آل عمران، ٣/١٩١.
(3) آل عمران، ٣/١٦٧.
(4) الدخان، ٤٤/٥٩.
(5) الطليح: المهزول المجهود.
(6) الجمعه، ٦٢/٥.
(7) الحجر، ١٥/٤٦.
(8) يوسف، ١٢/١٩.
(9) القدحان: جمع مفرده قِدح وهو ما كان يستقسم به أو قَدَح: وهو الإناء.
(10) يوسف، ١٢/٤١.

بالساهرة [1]. وقوله: وقف الخادم على الكتاب فارتقى إلى سماء المكرمات وكانت سطوره درجا، وأضاءت في خاطره فما استمدت مداداً ولكن أذكت سرجاً، ونهجت له طريق السعادة فللّه من كتاب لولا الغلو لقلنا من كتاب ﴿لم يجعل له عوجا﴾[2]. وقوله: ورد على الخادم الكتاب الكريم فشكره وقربه نجيا ورفعه مكاناً عليا، وأعاد عليه عصر الشباب وقد بلغ من الكبر عتيا. وقوله: كتبها الخادم وقد أخرجت السماء أثقالها، وفتحت من العز إليَّ أقفالها، وركضت الرعود لابسة من الغيم جلالها، وثوب الليل بالغمام غسيل، وسبج [3] الظلام بسيف البروق قتيل. وقد زادت السيول إلى أن صارت الخيام عليها فواقع، وهمهم الرعد قارئاً فاستقبلت قبابها بين ساجد وراكع، وكأن الصباح قد ذاب في الليل قطرا، وكأن البرق لما ساوى الغمام بين صدفي الليل والنهار قال: آتوني أفرغ عليه قطرا. وقوله: ونفذت بلاغته بسلطانها، ونفثت بسحر بيانها، وصلى القلم من يده في محراب، ومن طرسه على سجادة وجاء منه كتاب، لو كان البحر مداداً لما زاده، وكم كتاب لا يساوي مداده ﴿وأخذت الأرض زخرفها﴾[4] وحملت من الأسلحة أحرفها، وشنت الغارة على السمع والبصر، فسلم لها من سلم وبهت الذي كفر. وقوله: النوبة البغدادية الحديث فيها زائد وناقص، والخبر عنها مشوب وخالص، وابن أبي عصرون قوم يقولون قد وزر، وقوم يقولون كلا لا وزر. وقوله: وقفت على تلك الألفاظ المجنسة التي هي ذرية بعضها من بعض، وثمرات الجنة فكلما رزقت منها رزقاً قلت كقول أهلها: الحمد لله الذي أورثنا الأرض.

وقوله: ومما يجب أن يعانيه تربية الحمام التي سكنت في البروج فهي أنجم، وأعدت كنانتها للحاجات فهي أسهم، وقد كادت أن تكون من الملائكة فإذا نيطت بها الرقاع، صارت أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع. وقوله: وعملوا الأبرجة الخشبية، وزحفوا بها إلى الأبراج الحجرية، وخصوصاً إلى برج يعرف بالذباب، ولكن حماه ذباب السيف الإسلامي من الذباب، فلم يقدروا أن يستنقذوه، وضعفوا عنه فسلبهم أرواحهم ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه﴾[5]. وقوله: والإسلام مد إلى ترابه باعاً طويلاً، وألقى عليه الشرك من ألسنة السيوف قولاً ثقيلا، وحصون العدوّ قامت قيامتها فحالها اليوم كيوم

---

(١) الساهرة: من الأرض المنبسطة المطمئنه. وجهها.

(٢) الكهف، ١٨/١.

(٣) السبج: نوع من الخرز أسود اللون، وسبج الليل سواده.

(٤) يونس، ١٠/٢٤.

(٥) الحج، ٢٢/٧٣.

تكون الجبال كثيباً مهيلا. وقوله، مما كتب به عن السلطان الملك الناصر إلى أمير المؤمنين المستضيء بالله، وهو: سلام قولاً من رب رحيم ﴿وروح وريحان وجنة نعيم﴾[1]، مملوك العتبات الشريفة وعبدها، ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودها، ينهى أن الله سبحانه شرف ملة الإسلام على الملل، ودولة أمير المؤمنين على الدول، وقد أقام سيفه حساب الكفرة فأظهر تحريف حسابها، ونقلها من ظهور أسرتها إلى بطون ترابها، فهل ترى لهم من باقيه، أو تسمع لهم من لاغيه، وظلت أقحاف بني حام تحت غربان الفلاة غربانا، وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالاً وألوانا. وعزّت سيوف الإسلام فظلت أعناقهم لها خاضعين، وعوتبت منهم الأنفس والرؤوس فقالتا أتينا طائعين.

ومن اقتباسات القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر البديعة، قوله، من رسالته التي كتبها عن السلطان الملك الظاهر إلى شمس الدين آق سنقر الفارقاني، جواباً عن كتابه الذي أرسله بفتوح النوبة، لما توجه إليها من الديار المصرية، [وهو]: أدام الله نعمة المجلس ولا زالت عزائمه مرهوبه، وغنائمه مجلوبة ومحبوبه، وسطاه وخطاه هذي تكفي النوب[2] وهذه تفتح أرض النوبه، ولا برحت وطأته على الكفار مشتده، وآمالها لهلاك الأعداء كرماحه ممتده، ولا عدمت الدولة بيض سيوفه التي يرى بها الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة. صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس تثني على عزائمه التي دلت على كل أمر رشيد، وأتت على كل جبار عنيد، وحكمت بعدل السيف في كل عبد سوء ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[3] والله يشكر تفاصيل همم المجلس وجملها، وآخر غزواته وأولها، وإذا انسلخ نهار سيفه من ليل هذا العدو يعود سالماً إلى مستقره، ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾[4].

وقوله: في وصية العهد الشريف الذي أنشأه للسلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل، عن والده الملك المنصور قلاوون الصالحي رحمه الله، وهو: والشرع الشريف هو قانون الحق المتبع، ومأمون الأمر المستمع، به يتمسك من يمتار[5] ويمتاز، وهو جنة والباطل نار، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز.

[ومن ذلك] اقتباس العلامة أبي طاهر إسماعيل بن عبد الرزاق الأصفهاني، في

---

(١) الواقعه، ٨٩/٥٦.
(٢) النوب: الكوارث والمصائب.
(٣) فصلت، ٤٦/٤١.
(٤) يس، ٣٨/٣٦.
(٥) إمتار: وامترى: شكّ وجادل.

رسالة القوس وهو صورة مركبة، ليس لها من تركيب النظم، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم.

[ومن ذلك] ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة من الاقتباسات البديعية، في رسالة السيف والقلم، فرقى الأنامل على أعواده وقام خطيباً بمحاسنه في خلعة سواده، والتفت إلى السيف فقال: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم * ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾**[1] الحمد لله الذي علم بالقلم، وشرفه بالقسم، وخط به ما قدر وقسم، وصلى الله على سيدنا محمد القائل: جف القلم بما هو كائن، وعلى آله وصحبه ذوي المجد البين وكل مجد بائن، صلاة واضحة السطور، فاتحة أدراج الصدور، ما نقلت عن صحائف البحار غواديها، وكتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمة باريها.

أما بعد: فإن القلم منار الدين والدنيا، وقصبة سباق ذوي الدرجة العليا، ومفتاح باب اليمن المجرب إذا أعيى، وسفير الملك المحجب، وعذيق الملك المرجب[2]، وزمام أموره السائره، وقادمة أجنحته الطائرة، وأنملة الهدى المشيرة إلى ذخائر الدنيا والآخرة، به رقم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، وسنة نبيه ﷺ التي تهذب الخواطر الخواطل[3]. فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة، وحسبه ما جرى على يده الشريفة من منّه، إن نظمت فرائد العلوم فالقلم سلكها، وإن علت أسرة الكتب فإنما هو ملكها. هذا، وهو الجاري بما أمر الله به من العدل والإحسان، والمسود الناظر فكأنما هو لعين الرأي إنسان، طالما قاتل على البعد والصوارم في القرب، وأوتي من المعجزات نوعاً من النصر والرعب، لا يعاديه إلا من سفه نفسه، ولبس لبسه، وطبع على قلبه، وفل الجدال من غربه، وكيف يعادى من إذا كرع من نفسه[4]. فقل: **﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾**[5] وإذا ذكر شانئه فقل: **﴿إن شانئك هو الأبتر﴾**[6]. فعند ذلك نهض السيف عجلاً، وتلمظ لسانه للقول مرتجلا، وقال: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾**[7].

---

(١) القلم، ٦٨/١ و ٢.

(٢) العذيق: الذكي اللبق - والمرجّب: المبجّل، المعظم والمهيب.

(٣) الخواطل: جمع خاطل من الخطل وهو خطأ الرأي، والخواطر بمعنى الآراء.

(٤) النقس: المِداد.

(٥) الكوثر، ١٠٨/٣.

(٦) الكوثر، ١٠٨/١.

(٧) الحديد، ٥٧/٢٥.

الحمد لله الذي جعل الجنة تحت ظلال السيوف، وشرع حدها في ذوي العصيان فأغصتهم بماء الحتوف، وشيد بها مراتب الذين يقاتلون في سبيله صفا، كأنهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف، وصلى الله على سيدنا محمد هازم الألوف، وعلى آله وأصحابه الذين طالما محوا بريق الصوارم من سطور الصفوف، وسلم.

أما بعد فإن السيف زند الحق القوي وزنده الوري، به أظهر الله الإسلام وقد جنح خفاء، وجلا شخص الدين الحنيفي وقد جمح جفاء، وأجرى سيوله بالأباطح فأما الحق فمكث وأما الباطل فذهب جفاء، وحملته اليد الشريفة النبوية، وخصته على الأقلام بهذه المزيه، وأطلعته في ليالي النقع[1] والشك سراجا وهاجا، وفتح باب الدين إلى أن دخلت فيه الناس أفواجا، فهو ذو العزم الثاقب، وسماء المجد الذي زينت آثاره بزينة الكواكب، والحد الذي كأنه ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب، تحسم به أدواء الفتن المضلة، وتحذف همه الجازمة حروف العلة، ويحيى من سماء القتام بالضرب فقل: يسألونك عن الأهله، يجلس على رؤوس الأعداء قهرا، ويصرع أبناء الشجاعة قائلاً للقلم: ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا. وهل يفاخر من وقف الموت على بابه، وعضت الحرب الضروس بنابه، وقذف شياطين القراع بشهبه، ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه، ومنهاأن الله أنشأ برقه، وكان للمارد مصرعا، وللرائد مرتعا، ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعا﴾[2] فقام القلم في دواته وقعد، واضطرب على وجه القرطاس وارتعد، وانحرف إلى السيف وقال أيها المضر بطبعه، المغر بلمعه، الناقض حبل الأنس بقطعه، الناسخ بهجره من ظلال العيش فيأ، السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، الحبيس الذي طالما عادت عليه عوائد شره الكمين، الإبليس الذي لو أمر لي بالسجود لقال ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[3]، فاقطع عنك أسباب المفاخرة واستر من نابك في هذه المكاشره، فما يحسن بالصامت محاورة المفصح، والله يعلم المفسد من المصلح، أولست الذي قيل فيه:

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم؟!

فدع عنك هذا الفخر المديد، وتأمل قدري إذا كشف عنك الغطاء ﴿فبصرك اليوم حديد﴾[4].

---

(١) النقع: الغبار الذي يحجب الرؤية.

(٢) الروم، ٣٠/٢٤.

(٣) الأعراف، ١٢/٧.

(٤) حديد: قوي جداً. ق، ٢٢/٥٠.

قلت: ولولا خشية الإطالة لأوردت هنا رسالة السيف والقلم بكمالها، ولكن في هذا القدر من نور اقتباسه ما يهتدي به الأعشى، ويستغني بإنشائه عن سلافة الإنشا.

ومن غريب اقتباسات الشيخ جمال الدين أيضاً، ما كتب به مع منقد نحاس، [وهو قوله فيه]: طالما حمدت معاشرته ولذت في الليالي مسامرته، وأطلع من أفقه نجوماً سعيدة القران، وتلا على الريح والثلج **﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾** [1]. [ومن ذلك] بديع الاقتباس للشيخ زين الدين بن الوردي في خطبته في الكلام على المائة غلام. [وهو]: لعمري ما أنصفني من أساء بي الظن، وقال إني رضيت مع درجة العلم بهذا الفن، والصحابة كانوا ينظمون وينثرون، ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون. [ومن ذلك] قوله في توقيع عدالة بعض الشهود بحلب المحروسة، [وهو]: الحمد لله الذي شاد رتبة العدالة وحماها، وجعلها همة من شرفت نفسه فزكت **﴿وقد أفلح من زكاها﴾**[2] وعصمة من فرقة في قلوب الحكام من نار تدليسهم وقود، **﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾**[3]. [ومن ذلك] ما كتب به عنه وعن أخيه يوسف: وإذا عني الصاحب بالأخ رفقاً وإحساناً، تلونا **﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا﴾**[4]، والله يعلينا بعلوك، ويبلغنا مرجونا ببلوغ مرجوك، حتى يقول أولاد الصاحب عنا **﴿ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾**[5]. [ومن ذلك] ما كتب به بقية السلف، الشيخ زين الدين أبو بكر العجمي، على قصيدتي الكافية البرهانية، تقريظا أشرفت أقطار الأدب بنور اقتباسه، والاقتباس في التقريظ: فيا له من قصيد رد عيون أعيان هذه الصناعة من الحياء مطرقه، تالية على من قاسها بامرىء القيس **﴿فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه﴾**[6]. [ومن ذلك] ما كتب به الشيخ برهان الدين القيراطي إلى الشيخ جمال الدين بن نباتة: يقبل الأرض التي سقت السماء نباتها، وعمر الله بمعاني الحسن أبياتها.

[منها]: فلا غرو أن فصح بديع الزمان بلفظه البديع، وأزهرت الأوراق بمنثور رسائله التي كل فصل منها ربيع، وخجلت صفحة الخد المنمنمة بطراز العذار المرقوم، وقالت الكؤوس حين شبهت في إمالة الأعطاف بألفاظه وما منا إلا له مقام معلوم. [ومنها]:

---

(١) الرحمٰن، ٣٥/٥٥.
(٢) الشمس، ٩/٩١.
(٣) البروج، ٧/٨٥.
(٤) يوسف، ٦٥/١٢.
(٥) يوسف، ٨/١٢.
(٦) النساء، ١٢٩/٤.

فسبحان من أسرى بها في ليل نقسها إلى المحل الأقصى، وحباها بالفضل الّذي لا يحصى، وأنبت دوحتها في رياض الفصاحه، ونمق حدائقها التي لو فتح النرجس عينه في عينها لنسب إلى الوقاحة. فتبارك الذي جعل في سماء دوحته لشمس بلاغته بروجاً، وأعلى هممه التي لا ترضى الشهب جياداً والأهلة سروجا، حتى أقام يراع قلمه لسوق الأدب قصبه، وشاد من قصائده كل بيت إذا مر الحاسد ببابه قبل العتبه، وسارت كالسبعة السيارة مصنفاته، وعلت من قصره المشيد بسينات سطوره شرفاته، وفديت بالمباسم والقدود ميماته وألفاته، وزهت أمداحه المؤيدية فأصبت بيوته المرفوعة ذت العماد، وراقت محاسنها التي لم يخلق مثلها في البلاد، وفضحت لسهلها الممتنع أدباء العصر الذين جابوا الصخر بالواد. [ومنها]: طالما سرح الناظر في بستانها منظره، ورام ابن سكرة فتح الأبواب لمعارضة قطرها النباتي فوجدها مسكره، وعلم المتنبي أن هذا خاتم الأدباء لا محاله، والمترسل الذي نهض دونه بأعباء كل رساله، وأقام بتقديمها على غيرها براهين الاحتجاج، وقال الملحي عندما قابل بحرها الحلو ببحره ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾[1].

ومن ذلك ما نقلته من خط الصاحب فخر الدين بن مكانس، تغمده الله برحمته [وهو]: ورد علينا شخص من أهل القيروان ضرير، يسمى عبد الله الزغبي يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالي عن المعاني، فتردد إليّ في مجالس متفرقة، ثم بلغني أنه وشى إلى صاحبنا الشيخ زين الدين بن أبي بكر العجمي، عين كتاب الإنشاء الشريف، أني اهتضمت جانبه، وانتقصته وغضّيت منه بالنسبة إلى الأدب، وأنه يستعين بكلام الغير كثيراً فتأذى من ذلك. وتأذيت من كذب الناقل، فكتبت: ﴿ليس على الأعمى حرج﴾[2] بلغني، بلغ الله سيدنا ومولانا الإمام العالم العلامة الأديب الشاعر الناظم الناثر المحقق الأمة الكاتب الحجة زين الدنيا والدين قرة عين الكرام الكاتبين، أقصى ما ينتهي إليه تنافس المتنافس، وتبتهج به صدور الأولياء والرؤساء والمجالس، ولا زال زينة يحلى به العاطل، ويظل تحت جناح أدبه القائل، من غيبة ذلك الضرير، ما لا خشي الله فيه بظهر الغيب، ونقل إلى المسامع الكريمة ما لا يحتاج للاعتذار عنه لما فيه من الريب، ولكن لا غناء لسيف ذهن المملوك الكليل من التنصل، ولا بد من نهلة اعتذار على سبيل التعلل. وكان المملوك يترقب سبباً للمطارحة، فهذا المغتاب الآن صار عنده محموداً، إذ كان السبب لحسن التوسل إلى صناعة الترسل. [ومنها] فلو اختلف الأدباء على إمام لأهل هذه

---

(١) فاطر، ١٢/٣٥.
(٢) النور، ٦١/٢٤.

الصناعة مطهر من الأرجاس، لقال لهم لسان البلاغة مروا أبا بكر فليصل بالناس، فكيف يسوغ للمملوك أن يدعي غير هذا، وكيف ولِمَ ولماذا؟ أحسداً على الأدب فما أهجرني له من عصر الصبا بحمد الله وما أغناني، أو تفاخراً بالنظم فما أشغلني عنه بتدبير الممالك بما عناني. نعم، وإن كان جوهر الألفاظ مما يحسد عليه فما أزهدني والله في هذا العرض الفاني. [ومنها] والمسؤول من احسانه أمران: الجواب فإنه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشدة، والآخر رد كل فاسق عن الباب العالي فإن أبا بكر أول من تصلب في الرِدّه[1]. ويلغ المملوك أن هذا الضرير قصد بعض الأصحاب برمية كهذه فأصمى، وتردد إليه مرة أخرى **﴿فعبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾**[2].

[ومن ذلك] ما كتبت به إلى المقر الصاحبي الفخر المشار إليه بعد توجهي من خدمته إلى دمشق المحروسة، ومشاهدتي ما قدر الله عليها من الحريق والحصار من قبل الملك الظاهر، سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. وهذه الرسالة التي سارت بها الركبان، وجاء لبديع الاقتباس في معانيها بيان، [وهي]: يقبل الأرض التي من يممها أو تيمم ترابها حصل له الفخر والمجد، فلا برح هيام الوفود إلى أبوابها أكثر من هيمان العرب إلى ربا نجد، ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة ألفاظها، وتركض في ذلك المضمار، وتهيم بواديها الذي يجب أن ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الأشعار، وينهى بعد أشواق أمست العين بها في مجاري العين معثره، ولو لم يقر إنسانها بمرسلات الدمع لقلت في حقه **﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾**[3] وصول المملوك إلى دمشق المحروسة فيا ليته قبض قبل أن يكتب عليه ذلك الوصول، ودخوله إليها والله لقد تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول. [ومنها]: وتطرقت بعد ذلك إلى الحدادين ولقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد **﴿آتوني زبر الحديد﴾**[4]. ولقد كان يوم حريقها يوماً عبوساً قمطريرا، ضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا سلاسلا وأغلالاً وسعيرا. يا مولاي لقد لبست دمشق في هذه المآتم السواد، وطبخت قلوب أهلها وسلقوا من الأسنة بألسنة حداد، ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستنشقوا فلم ينشقوا رائحة الغاديه، وكم رؤي في ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة تصلى ناراً حاميه، وكم رجل تلا عند لهيب بيته **﴿تبت يدا أبي لهب﴾**[5] وخرج هارباً، وامرأته حمالة الحطب.

---

(١) الرِدّة: الارتداد عن الدين.

(٢) عبس، ٢/٨٠.

(٣) عبس، ١٧/٨٠.

(٤) الكهف، ٩٦/١٨.

(٥) المسد، ١/١١١.

[ومنها]: ونظرت بعد ذلك إلى القلعة المحروسة، وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا ﴿أزفت الآزفة﴾[1] وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يقولون ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾[2]. [ومنها]: وتطاول إلى السور المشرف، وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات، فما وقفنا على باب إلا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصاً لما أبداه من المشكلات، فلا وابيك لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال، لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد، وإلى المحاصرين وقد جاؤوا فارساً وراجلاً ليشهدوا القتال لقلت ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾[3]، وإلى كواكب الأسنة وقد انتثرت وإلى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت، وإلى كر الفوارس وفرها لقلت ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾[4]. [ومنها]: وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالإخلاص[5] وزدت لله شكراً وحمدا، وتأملت أهل الباب وهم يتلون لأهل البلد سورة الفتح وللمحاصرين ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً﴾[6] وكم طلبوا فتحه ولم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب ﴿باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾[7]. [ومنها]: هذا وكم من مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار، وكلما دعاه قوم لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار: ﴿يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾[8]. [ومنها]: فأعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم، فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾[9]. [ومنها]: وتوصلت إلى ظاهر كيسان، فأنفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رباها، وكابرت إلى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها ﴿صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾[10]. [ومنها]: هذا وكم خائف قبل اليوم آويناه بها إلى ربوة ذات قرار، وكم كان بها مطرب طير خرج بعدما كان يطرب على عود وطار.

(١) النجم، ٥٣/٥٧ و ٥٨.

(٢) ق، ٥٠/٢١.

(٣) الانفطار، ٨٢/٥.

(٤) الإخلاص: من سور القرآن الكريم، وتسمى: التوحيد. والصمد.

(٥) يس، ٣٦/٩.

(٦) الحديد، ٥٧/١٣.

(٧) غافر، ٤٠/٤١.

(٨) يوسف، ١٢/٨٤.

(٩) الكهف، ١٨/٤٩.

وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيرة، ولقد كان أهلها ﴿في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة﴾(١).

ومن ذلك، ما أنشأته قديماً في توقيع لمولانا قاضي القضاة، علاء الدين عالم المسلمين، أبي الحسن علي الحنبلي جمل الله الوجود بوجوده، بنظر البيمارستان(٢) النوري بحماة المحروسة. والذي أوردته في التوقيع، من الاقتباسات البديعة، قولي: وصفت مشارب الصفاء بعد الكدر ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهورا﴾(٣) وتلا من سعى لهم في ذلك وجزى بالخيرات، إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا، ودار شراب العافية على أهل تلك الحضرة بالطاس والكاس، وحصل لهم البرء من تلك البراني(٤) التي يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وتمشت الصحة في مفاصل ضعفائه وقيل لهم: جوزيتم بما صبرتم، وامتدت مقاصيرهم ﴿وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم﴾(٥).

[ومن ذلك]، ما اقتبسته في ديباجة عهد مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله، زاده الله شرفاً وتعظيما، وهو: الحمد لله الذي شد عضد هذه الأمة بمن أمسى به معتضدا، وأسعفنا من البيت النبوي بخليفة ما برح شيخ الملوك في تقديم بيته الشريف مجتهدا، وأقام العلم العباسي بعد أبي مسلم بأبي النصر فأكرم بحسن الختام وحسن الابتدا، وتكرر حمده على سلطان مؤيد أتحف به العلماء الأعلام، وظهر لجلالهم في أيامه الزاهرة بهجة فقال: هذا زمان مشايخ الإسلام، نحمده على حكمته التي اقتضت أن تكون الخلافة عمدة الأحكام يزول بها الالتباس، وهو القائل تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس﴾(٦).

[ومن ذلك] ما اقتبسته في عهد مولانا السلطان الملك الظاهر ططر، بقولي منه: فإن البغاة لاحتجاب السلطنة عنه سدا أسسته على الطغيان، فقيل لأهل البيعة قد فتح الله لأبي الفتح ﴿فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾(٧).

---

(١) الـ ٣٢/٥٦.
(٢) البيمارستان: فارسية معرّبة بمعنى العيادة والمستشفى.
(٣) الإنسان، ٢١/٧٦.
(٤) البراني: جمع مفرده برينة وهي إناء من فخار.
(٥) الزمر، ٧٣/٣٩.
(٦) صٓ، ٢٦/٣٨.
(٧) الرحمن، ٣٣/٥٥.

[ومن ذلك]، ما اقتبسته في مثال شريف مؤيدي، كان جواباً لقرا يوسف: وتبدّى لعلمه الشريف ورود البشير بالقرب اليوسفي، وقل حل بالأسماع قبل رؤيته تشنف، وهبت نسمات قبوله فأطفأت ما في القلوب من التلهف، وضاع نشرها اليوسفي فقال شوقنا اليعقوبي ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾[1] وهذه ألفة خولتنا في نعم الله وزمام الأخوة منقاد إلينا، وقد تعين على المقر أن يقول ﴿أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا﴾[2].

[واتفق لي] في تقليد قاضي القضاة، ولي الدين العراقي اقتباسات بديعية [منها]: وكم قال هذا المنصب رب قد أضعفني اليتم وصار الباطل قوياً فهب لي من لدنك ولياً. [ومنها]: وأعاذنا الله من ولاية قوم يسمعون بينة الحق وإذا اجتمعوا على الرشوات، تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات.

[ومن ذلك]، ما كتبته على ديوان المقر البارعي الكاملي الأديبي العمادي، إسماعيل ابن الصائغ الحلبي، أحد أعيان كتاب الإنشاء الشريف الذي عارض به ديوان الصبابة، للشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة رحمه الله، وهو: وقفت على هذا الكتاب الذي رفع عماد الأدب في هذا الجيل، وشرعت في ذكر محاسنه فقال لسان القلم واذكر في الكتاب إسماعيل. [ومنه]: وأما ابن حجة فقد ندب إلى الوقفة على عرفات هذا الفضل المعروف، والامتثال هنا واجب ولكن الكف صفر والطريق مخوف. هذا وقد ذوت من حدائق فكري زهرة الشباب، واختفى لساني كما قال ابن نباتة وأغلق عليه من شفتيه مصراعي باب، وخمد جمر القريحة وجمد ذلك الذهن السيال، ونأى عن خدمتي كافور الطروس وعنبر المداد وصواب المقال، ولكن هبت عليَّ نسمات الشبيبة من دوحة هذا المصنف الجليل، فقلت وقد شبت نار القريحة وأملت عليَّ هذا الوصف الجميل: الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل.

وهذا القدر الذي أوردته كاف هنا في الاقتباس من القرآن، فإني أخشى باب الملالة، ولكن عنَّ لي أن أفرد كتاباً وأسميه «رفع الالتباس عن بديع الاقتباس»، وقد تقدم وتقرر أيضاً أنه إن جاء في المنظوم فهو عقد وتضمين، وإن كان في المنثور فهو اقتباس. وقد أوسع بعض علماء هذا الفن المجال في ذلك، فذكر أن الاقتباس يكون في مسائل الفقه، وقال بعضهم: إذا قلنا بذلك فلا معنى للاقتصار على مسائل الفقه، بل يكون في غيره من العلوم. وعلى هذا التقدير تعين أن نورد هنا ما وقع من الاقتباس في الحديث

---

(١) يوسف، ١٢/٩٤.

(٢) يوسف، ١٢/٩٠.

النبوي وبقية العلوم، بحيث لا يخلو هذا الشرح الغريب من الغرائب، فإن الظاهر من كلامهم أن الاقتباس مقصور على القرآن والحديث. فمما وقع من الحديث النبوي قول الصاحب بن عباد:

أقــول وقــد رأيت لــه سحابــا ... مــن الهـجـران مـقـبـلة إلـيـنــا
وقــد سحت غــواديـهــا بـهـطـل ... حــوالـيـنــا الـصــدود ولا علـيـنــا

الصاحب اقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام، حين استسقى وحصل نزول مطر عظيم: اللهم حوالينا ولا علينا.

[ومنه] قول أبي الحسن علي بن المفرج المنجم، لما احترقت دار الوجيه بن صورة بمصر:

أقول وقد عـاينت دار ابن صورة ... وللنــار فيهــا مــارج يتضــرم[1]
كـذا كل مـال أصله من نهاوش ... فعمـا قليـل في نهـابـر يعـدم[2]
ومـا هـو إلا كـافـر طـال عمـره ... فجــاءتـه لمــا استبـطأتــه جهنم

اقتبس من قوله ﷺ: من أصاب مالاً من نهاوش أهلكه الله في نهابر. النهاوش: بالنون المظالم. والنهابر: المهالك، الواحد نهبور.

[ومنه] قول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي:

ومـنكــر قـتــل شهـيــدَ الهــوى ... ووجـهــه ينـبــىء عــن حــالــه
الــلون لــون الــدم مـن خــده ... والـريح ريـح المسك من خـالـه

اقتبس من قوله ﷺ، في وصف دم الشهيد: اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

ومن اقتباسات الحديث في النثر، قول الحريري في المقامات: إنما الأعمال بالنيات، وبها انعقاد العقود الدينيات. ومنه قوله: شاهت[3] الوجوه. وقبح اللكع[4] ومن يرجوه. اقتبس من قوله ﷺ يوم حنين، وقد رمى الكفار بكف من الحصى: شاهت الوجوه.

(١) المارج: الشعلة ـ يتضرم: يلتهب.
(٢) النهاوش: المظالم ـ النهابر: جمع مفرده نُهبُرة وهي الحفرة بين الآكام.
(٣) شاهت الوجوه: قبحت.
(٤) اللكع: اللئيم الخسيس.

ويعجبني من المنظوم، هنا، قول الشيخ شهاب الدين أبي جعفر بن مالك الأندلسي الغرناطي:

لا تعاد الناس في أوطانهم ... قلما يرعى غريب في الوطن
وإذا ما شئت عيشاً بينهم ... خالق الناس بخلق ذي حسن

اقتبس من قوله ﷺ، لأبي ذر: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن. وهذا الحديث صحيح.

ومن الاقتباس في مسائل الفقه، في المنظوم، قول بعضهم:

أقول لشادن في الحسن أضحى ... يصيد بلحظه قلب الكمي[1]
ملكت الحسن أجمع في نصاب ... فأدر زكاة منظرك البهي
فقال أبو حنيفة لي إمام ... يرى أن لا زكاة على الصبي
وإن تك مالكيّ الرأي. أو من ... يرى رأي الإمام الشافعي
فلأنك طالباً مني زكاة ... فإخراج الزكاة على الولي

ومثله قول أبي العلاء. أحمد بن سليمان المعري:

أيا جارة البيت الممنع جاره ... غدوت ومن لي عندكم بمقيل
لغيري زكاة من جمال فإن تكن ... زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي رحمه الله:

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه ... رماني بسهمَيْ مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه إنني أنا عبده ... وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد

ومنه قول القاضي عبد الوهاب المالكي:

يزرع ورداً ناضراً ناظري ... في وجنة كالقمر الطالع
فلم حرمتم شفتي قطفها ... والحكم أن الزرع للزارع

وله أيضاً:

ونائمة قبلتها فتنبهت ... وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحدّ[2]
فقلت لها إني فديتك غاصبٌ ... وما حكموا في غاصبٍ بسوى الرد[3]

---

(١) الشادن: الغزال تشبه به الحسناء ـ اللحظ: النظر ـ الكمي: الشجاع.
(٢) الحدّ: قصاص معلوم وهو القصاص الشرعي، منه حدّ الزنى وحدّ السرقه.
(٣) الردّ: إرجاع المغصوب وهو المأخوذ عنوة وبالقوة.

ومنه قول أبي الطيب المتنبي:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
ففي تغرمي الأولى من اللحظ مهجتي بثانية والمتلف الشيء غارمه[1]

المعنى أن النظرة الأولى أتلفت مهجتي، فلزم غرمها بنظرة ثانية، لأنه من أتلف شيئاً حكم عليه بغرمه، ولكن في التركيب قلق وعقادة.

[ومنه]: قول شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي رحمه الله تعالى:

طلبت زكاة الحسن منها فجاوبت إليك فهذا ليس تدركه مني
عليَّ ديون للعيون فلا ترم زكاة فإن الدين يسقطها عني

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل:

يا سيدي إن جرىء من مدمعي ودمي للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لا تخش من قود يقتص منك به فالعين جارية والقلب مملوك[2]

ومن الاقتباسات، في علم المنطق، قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني:

للمنطقيين أشتكي أبداً عين رقيب فليته هجعا
صادرها من أحبه فأبى أن نختلي ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائماً وما انفصلت مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الأبيات في غاية الحسن، ولكن أورد بعضهم إيراداً وقال: ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية، والمراد في مثل هذا أن يتعجب مما خرج عن القواعد. وهذه القضية موجودة مستعملة، وذلك قولهم: العدد إما زوج وإما فرد، فهذه القضية مانعة الجمع فإن الزوجية والفردية لا يجتمعان، ومانعة الخلو فإن العدد لا يخلو من أحدهما، فلا معنى للتعجب.

ومنه قول بعضهم:

مقدمات الرقيب كيف غدت عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا وإنما ذاك حكم منفصله

---

(١) غارم: كافل ضامن ـ والمتلف: المفسد.

(٢) القود: الثأر، والقصاص.

هذا تعجب مما يسوغ التعجب منه، لأن منع الجمع لا يكون في المتصلة؛ وإنما هو في حكم المنفصلة.

وأما الاقتباس، في علم الجدل، فمنه قول شمس الدين بن العفيف:

وما بال برهان العذار مسلماً ويلزمه دور وفيه تسلسل
وعندي أن الشمس بالصحو آذنت وسكري أراه من محياك يقبل

وأما الاقتباس، من علم النحو، فقد اتسع مجالهم فيه، حتى غلب على غالبهم التوجيه، فمنه قول أبي الطيب:

حولي بكل مكان منهم حلق تخطي إذا جئت في استفهامها بمن

أبو الطيب يقول إذا استفهمت عن مثل هؤلاء الأقوام لا تستفهم بمن لأن من لمن يعقل وهؤلاء عندي بمنزلة ما لا يعقل، فحقهم أن يستفهم عنهم بما. ومنه قوله:

إذا كان ما ينويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

يقول إذا هم بفعل أوقعه، قبل أن يمنع وينهى عنه. ويقال له: لا تفعل، أو ينفى فيقال: لم يفعل. ومنه قول ابن عنين في معزول:

فلا تغضبن إذا ما صرفت فلا عدل فيك ولا معرفه

ومنه قول ابن أبي الأصبع في ذلك:

أيا قمراً من حسن وجنته لنا وظلّ عذاريه الضحى والأصائل
جعلتك للتمييز نصباً لناظري فهلا رفعت الهجر فالهجر فاعل

قلت: ومن أغرب ما وقع في هذا الباب، أن شرف الدين محمد بن عنين مرض فكتب إلى الملك المعظم هذين البيتين:

أنظر إليّ بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي(١)
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه فاغنم ثنائي والدعاء الوافي(٢)

فجاءه الملك المعظم يعوده ومعه ألف دينار، وقال له: أنت الذي، وأنا العائد، وهذه الصلة.

---

(١) يولي: يعطى ـ الندى: العطاء ـ تلاف: أمر من تلافى أي اجتنب وتحاش ـ وتلافي: هلاكي.
(٢) الثناء: المدح ـ الوافي: الكثير.

ومنه قول البهاء زهير:

يا ألفاً من قده أقبلت ... بالله كوني ألف الوصل

ومنه قول الأمير أمين الدين علي السليماني:

أضيف الدجا معنى إلى لون شعره ... فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت ... على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قول شمس الدين بن العفيف:

يا ساكناً قلبي المعنى ... وليس فيه سواه ثاني
لأي معنى كسرت قلبي ... وما التقى فيه ساكنان

أما البيتان، فإنهما في غاية اللطف، ولكن أوردوا عليهما أيضاً إيراداً حسناً، وهو أن الساكنين إذا اجتمعا كسر أحدهما، وهو الأول وكلامه في البيتين أن المكسور غير الاثنين.

ومنه قول ابن الوردي:

شاعر أخرج نصفاً زغلاً ... عند خباز فلما أن عرف(1)
قال لم تصرف هذا قال مه ... يصرف الشاعر ما لا ينصرف

قلت: قد أتيت في معنى هذه النكتة، بما هو أبدع من بيت زين الدين بن الوردي، وما ذاك إلا أن مولانا المقر الأشرف القاضوي الناصري، محمد بن البارزي الجهني الشافعي، صاحب دواوين الإنشاء الشريف، رحمه الله، أحالني على شهاب الدين الذهبي بخمسين ديناراً، ومطل بها مدة، فكتبت إليه:

قد منعتم صرف الدنانير عني ... ولكم في الورى هبات كثيره
وأنا شاعر وفي شرع نظمي ... صرفها جائز لأجل الضروره

ويعجبني في هذا الباب إلى الغاية، قول الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى:

وأغيد يسألني ... ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعاً ... فقلت أنت القمر

وحكي أنه كان بالعراق غلامان، أحدهما اسمه عمر، والآخر أحمد، فعزل عمر عن عمله وولي أحمد مكانه بسبب ما وزنه، فقال بعض الشعراء في ذلك:

---

(1) الزغل: الغش.

أيـا عمـر استعـد لغيـر هـذا ... فـأحمد في الـولايـة مـطمئن
وكـل منكـمـا كـفـوء كـريـم ... ومنع الصرف فيـه كما يـظن
فيصـدق فيك معـرفـة وعـدل ... وأحـمـد فـيـه مـعـرفـة ووزن

ومنه قول الفاضل:

لي عندكم دين ولكن هـل لـه ... من طـالب وفؤادي المـرهـون
فكـأنني ألف ولام فـي الهـوى ... وكـأن مـوعـد وصلك التنـوين

ويعجبني، في الاقتباس من علم العروض، قول القائل:

وبقلبـي من الـجـفـاء مـديـد ... وبـسـيط ووافـر وطـويـل
لم أكن عـالمـاً بـذاك إلى أن ... قـطّع القلب بـالفـراق الخليـل

وهذا القدر كاف، في الاقتباس من القرآن والحديث النبوي ومسائل الفقه والمنطق وعلم العربية والعروض وغيره، وقد تقدم أن الاقتباس مقصور على القرآن والحديث في النثر، وأما في النظم فهو عبارة عن عقد وتضمين.

ونظام البديعيات لم يقتبسوا من غير القرآن، وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله:

هذي عصاي التي فيها مآرب لي ... وقد أهش بها طوراً على غنمي[١]

وبيت العميان:

ذو مـرة فاستـوى حتى دنا فـرأى ... وقيل سل تعط قد خيرت فاحتكم[٢]

وبيت الشيخ عز الدين:

فـأصبحوا لا تـرى إلا مسـاكنهم ... ولا اقتباس يرى من هذه الأطم[٣]

وبيت بديعيتي قولي:

وقلت يـا ليت قومي يعلمون بما ... قد نلت كي يلحظوني باقتباسهم[٤]

(١) أهُش: أهوّل، وأنهر. والبيت عبارة عن قوله تعالى على لسان النبي موسى ﷺ بعد سؤاله: ﴿وما تلك بيمينك ياموسى، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾.

(٢) مِرَّة: قوة ـ استوى: استقام والبيت إقتباس لقوله تعالى: ﴿علّمه شديد القوى ذو مِرّةٍ فاستوى﴾.

(٣) البيت إقتباس لقوله تعالى في معرض حديثه عن قوم عاد: ﴿فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم﴾الأحقاف، ٢٥/٤٦. والأطم: الحصون أو البيوت العالية، جمع آطام وأطوم.

(٤) البيت اقتباس لقوله تعالى: ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾يس، ٢٧/٣٦.

ذكر السهولة

يا رب سهل طريقي في زيارته ... من قبل أن تعتريني شدة الهرم

السهولة: ذكرها التيفاشي مضافة إلى باب الظرافة، وشركها قوم بالانسجام، وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب «سر الفصاحة»، فقال في مجمل كلامه: هو خلوص اللفظ من التكلف، والتعقيد والتعسف في السبك.

وقال التيفاشي: السهولة أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الأدب، وهي تدل على رقة الحاشية، وحسن الطبع وسلامة الروية.
ومن ألطف الأمثلة، [عليها] قول الشاعر:

أليس وعدتني يا قلب أني ... إذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى ... فما لك كلما ذكرت تذوب

ومنه قول أبي العتاهية:

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها
فلم تكن تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

ومذهبي: أن البهّاء زهير، قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه، فمن ذلك قوله:

ومدام من رضاب ... بحباب من ثنايا
كان ما كان ومنه ... بعد في النفس بقايا

ومثله قوله: إن أمري لعجيب ... ما يُرى أعجب منه
كلّ أرض لي فيها ... غائب أسأل عنه

ومثله قوله: شوقي إليك شديد ... كما علمت وأزيد
وكيف تنكر شيئاً ... به ضميرك يشهد

ومثله قوله: أوحشتني والله يا مالكي ... قطعت يومي كله لم أرك
هذا جفاء منك ما اعتدته ... فليتني أعرف من غيرك

ومثله قوله: سيدي قلبي عندك ... سيدي أوحشت عبدك
أترى تذكر عهدي ... مثل ما أذكر عهدك
أترى تحفظ ودي ... مثل ما أحفظ ودك
قم بنا إن شئت عندي ... مسرعاً أو شئت عندك
أنا في داري وحدي ... فتفضل أنت وحدك

ومنه قوله: هذا كتاب محب ... قد زاد فيك غرامه
أضناه فرط اشتياق ... فرقّ حتى كلامه
أما ترى كيف أضحى ... مثل النسيم سلامه

ومنه قوله:

كلمني والمدام في فمه ... قد نفحت من حباب مبسمه[1]
وماس كالغصن في تمايله ... سكران يشتط في تحكمه[2]
بالله يا برق هل تحدثه ... عن نار وجدي وعن تضرّمه[3]
وهل نسيم سرى يبلغه ... رسالة من فمي إلى فمه
عجبت من بخله عليّ وما ... يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرني ... رب خذ الحق من معلمه

وقال، ويكاد يسيل رقة وسهولة:

كتبت إليك أشكو في كتابي ... أموراً من فراقك أشتكيها
وفي سوق الهوان عرضت نفسي ... رخيصاً لم أجد من يشتريها
فهل وعد إلى سنة فإن لم ... يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقي فصولاً ... لمولانا علوُّ الرأي فيها

ومثله في الرقة والسهولة قوله:

ملكتموني رخيصاً ... فانحط قدري لديكم

---

(١) الحباب: المحبوب.

(٢) ماس: تمايل ـ يشتط: يجور.

(٣) الوجد: شدة الشوق ـ التضرّم: شدة الاشتعال.

فـاغـلق الله بـابـاً دخـلت مـنـه إلـيـكـم
حتى ولا كـيـف أنـتـم ولا الـسـلام عـليـكـم

وألطف منه قوله:

أنـا أدري بـأنـنـي قـل قسـمـي لـديـكـم
فـإلـى كـم تـطلعـي والـتـفـاتـي إلـيـكـم
كـان مـا كـان بيـنـنـا وسـلام عـلـيـكـم

وألطف منه قوله:

أمـا تـقـرّر انـا فـلـم تـأخـرت عـنـا
ومـا الـذي كـان حتى حللت مـا قـد عقـدنـا
ولـم يـكـن لـك عـذر ولـو يـكـون عـلـمـنـا
فـلا تـلـمـنـا فـإنـا قـلنـا وقـلنـا وقـلنـا

ومنه قوله:

قـال مـا تـرجـع عني قلت لا قـال مـا تـطلب مني قلت شيّ
فـانـثنى يحـمـر مني خجـلاً وثـنـاه التيـه عـنـي لا إلـيّ[1]
كـدت بين النـاس أن ألثـمـه آه لـو أفعـل مـا كـان عـليّ

ومنه قوله: قـالـوا كبـرت عن الصبا وقـطـعـت تلك الـنـاحيـه
فـدع الـصبـا لـرجـالـه واخـلـع ثـيـاب الـعـاريـه
ونـعـم كـبـرت وإنـمـا تـلك الشـمـائـل بـاقيـه
ويـميـلني نـحـو الـصبـا قـلب رقيـق الـحـاشيـه
فيـه من الـطرب الـقـديـــــم بـقـيـة فـي الـزاويـه

وقال، وزناً وقافية وسال برقته:

مـن لـي بـقـلب أشتـريـــــه من القلوب القـاسيـه
وإليـك يـا ملك الـمـلا ح وقفت أشكـو حـاليـه
إنـي لأطـلـب حـاجـة ليست عليـك بـخـافيـه
أنـعـم عـلي بـقـبـلة هـبـة وإلا عـاريـه[2]

---

(١) ثنى: ردّ - التيه: الخيلاء والتكبر.
(٢) عارية: إعارة.

وأعيدها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
وإذا أردت زيادة خذها ونفسي راضيه

ومنه قوله:
إن شكا القلب هجركم مهد الحب عذركم
لو أمرتم بما عسى ما تعديت أمركم
قصروا عمر ذا الجفا طوّل الله عمركم
شرفوني بزورة شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم شهركم لي ودهركم
قد نسيتم وإنما أنا لم أنس ذكركم
لو رأيتم محلكم من فؤادي لسركم
لو وصلتم محبكم ما الذي كان ضركم

ومن المرقص في هذا الباب قوله:

تعيش أنت وتبقى أنا الذي مت عشقا
حاشاك يا نور عيني تلقى الذي أنا ألقى
ولم أجد بين موتي وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالاً إلى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثاً يا رب لا كان صدقا
وما عهدتك إلا من أكرم الناس خلقا
لك الحياة فإني أموت لا شك حقا
يا ألف مولاي مهلاً يا ألف مولاي رفقا[1]
قد كان ما كان مني والله خير وأبقى

وبيت الشيخ صفي الدين في السهولة قوله:

وقلت هذا قبول جاءني سلفاً ما ناله أحد قبلي من الأمم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. ولا وجدته في بديعية الشيخ عز الدين الموصلي، إلا أن يكون في نسخة غير التي نقلت منها، وعلى كل تقدير فالشيخ عز الدين قدم العقادة في بيته على السهولة.

وبيت بديعيتي:

يا رب سهّل طريقي في زيارته من قبل أن تعتريني شدة الهرم

(١) الرّفق: اللطف والتمهل.

ذكر حسن البيان

حتى يبث بـديعي في محـاسنـه   حسن البيان وأشدو في حجازهم

حسن البيان: قالوا هو عبارة عن الإبانة عما في النفس، بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس، إذ المراد منه إخراج المعنى إلى الصورة الواضحة، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأسهل الطرق، وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الإيجاز، وطـوراً من طريق الإطناب، بحسب ما يقتضيه الحال، وهذا بعينـه هو البـلاغة وحقيقتهـا. وفي البيان: الأقبـح، والأوسط، والأحسن. فالأقبح، كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبي في يده، فأراد أن يقول أحد عشر، فأدركه العي، حتى فرق أصابعه وأدلع لسانه فأفلت الظبي. ومن هنا يعلم أنه ليس كل ايجاز بلاغة، ولا كل إطالة عياً، فإنه لا إيجاز في الأفهام أوجز من بيان باقل، لأن المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة. وقد ضرب به المثل بالعي في بيانه. وكان الأحسن أن يقول: أحد عشر. والأوسط: أن يقول: ستة وخمسة، أو عشرة وواحد.

والنور المبين في هذا الباب، بيان القرآن الكريم، كقوله تعالى، وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾[1]. وكقوله سبحانه وتعالى: وقد أراد أن يبين عن الوعد: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾[2]، وكقوله سبحانه، وقد أراد أن يبين عن الوعيد: ﴿إن يوم الفصـل ميقاتهم أجمعين﴾[3]، وكقوله تعالى، في الاحتجاج القاطع للخصم: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي

---

(١) الدخان، ٤٤/٢٥.

(٢) الدخان، ٤٤/٥١.

(٣) الدخان، ٤٤/٤٠.

خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾[١]. وكقوله تعالى، وقد أراد أن يبين عن العدل: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾[٢]، وأمثال هذا الباب كثيرة لمن يتتبعها في القرآن.

ومما جاء من ذلك في الشعر قول أبي العتاهية:

يضطرب الخوف والرجاء إذا حرك موسى القضيب أو فكرا

وكقول الآخر:

له لحظات في خفايا سريرة إذا كرّها فيها عتاب ونائل[٣]

فإن هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة، ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة، بعد الله سبحانه وتعالى، فإذا نظر أحدهما نظرة أوْ حرك القضيب مرة أو أطرق مفكراً، اضطرب الخوف والرجاء في قلوب الناس، فأبانا عن هذه المعاني بأحسن إبانة.

وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى:

وعدتني في منامي ما وثقت به مع التقاضي بمدح فيك منتظم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين قوله:

حسن البيان بحمد الله بين لي هدي النبي الرضي الواضح اللقم[٤]

وبيت بديعيتي قلت قبله، في السهولة:

يا رب سهل طريقي في زيارته من قبل أن تعتريني شدة الهرم

وقلت بعده، في حسن البيان:

حتى يبث بديعي في محاسنه حسن البيان وأشدو في حجازهم

---

(١) يس، ٣٦/٧٨ و ٧٩.
(٢) الأنعام، ٦/٢٨.
(٣) كرّها: كرّرها تكراراً.
(٤) اللقم: النهج والطريق.

ذكر الإدماج

قد عز إدماج شوقي والدموع لها   على بهار خدودي صبغة العنم[1]

هذا النوع، أعني الإدماج: هو أن يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني، ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده، كقول عبد الله بن عبيد الله لعبد الله بن سليمان بن وهب، حين وَزِر للمعتمد، وكان ابن عبيد الله قد اختلّت حاله فكتب لابن سليمان:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا   وأسعفنا في من نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها   ودع أمرنا إن المهم المقدم

فأدمج شكوى الزمان، وشرح ما هو عليه من الاختلال في ضمن التهنئة، وتلطف في التلويح، ورقق التخيّل لبلوغ الغرض، مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال. لا جرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله.

ومن لطيف الإدماج قول ابن نباتة السعدي:

ولا بد لي من جهلة في وصاله   فهل من حليم أودع الحلم عنده

ابن نباتة أدمج الفخر في الغزل فإنه جعل حلمه لا يفارقه البتة، ولا يرغب عنه بنفسه جملة، وإنما عزم على أن يودعه، إذ كان لا بد له من وصل هذا المحبوب لأن الودائع تستعاد، ثم استفهم عن الخل الصالح الذي يصلح لهذه الوداعة استفهاماً إنكارياً،

---

(١) العنم: شجر ذو ثمار حمراء، واحدته عنمة ـ والبَهار: الجَمَال أو تكون فارسية معربة بمعنى «الربيع».

فيكون مفهوم الخطاب: بقيا حلمه لعدم من يصلح للوداعة، ثم ادمج في ضمن الفخر الذي أدمجه في الغزل شكوى الزمان لقلة الأخوان، بحيث أنه لم يبق منهم من يصلح لهذا الشان، ومنه قول ابن المعتز في وصف الخيري:

قد نقض العاشقون ما صنع الـــــــدهـر بـألـوانـهم عـلى ورقـه

قصد وصف الخيري بالصفرة، وأدمج فيه وصف ألوان العشاق.

وبيت الحلي في الإدماج قوله:

لصدق قولك لو حب امرؤ حجراً لكان في الحشر عن مثواه لم يرم

هذا البيت فيه إدماج سؤاله حسن المحشر في زمرة النبي ﷺ، في طي تصديقه الحديث المأثور عنه.

وبيت العميان:

لهم أحاديث مجد كالريـاض إذا أهدت نواسم أحيت دارس السلم

قال الشيخ أبو جعفر الشارح: إن الناظم جعل لهم أولاً أحاديث مجد طيبة. وأدمج في ذلك وصف الرياض.

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي:

أدمجت شكواي من ذنبي بمدحته عساك تشفع لي يا شافع الأمم

الشيخ عز الدين ذكر أنه أدمج الشكوى من ذنبه، لكن نوع الإدماج البديعي لا أعلم أين أدمجه. والله أعلم.

وبيت بديعيتي:

قد عز إدماج شوقي والدموع لها على بهار خـدودي صبغـة العنم

هذا البيت أبدع من بيت ابن المعتز، وفيه زيادة وإدماج آخر. فإن ابن المعتز غاية قصده وصف الخيري[1] بالصفرة، وأدمج فيه ألوان العشاق. وأنا قصدت شرح الحال في غرة إدماج الشوق بواسطة جريان الدمع، وأدمجت في ذلك صفرة اللون وحمرة الدموع. هذا ومحاسن التورية بتسمية النوع غير خافية على أهل الإنصاف من حذاق الأدب. والله أعلم.

---

(١) الخيريّ: نوع من الحمام.

ذكر الاحتراس

فإن أقف غير مطرود بحجرته لم أحترس بعدها من كيد مختصم

الاحتراس: هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك ومثاله في كتاب الله عز وجل: ﴿أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾(1) فاحترس بقوله سبحانه وتعالى: من غير سوء، عن إمكان أن تدخل في البرص والبهق(2) وغير ذلك، ومثال ذلك في الشعر، قول طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمي

فقوله: غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محو معالمها، والفرق بين الاحتراس والتتميم والتكميل أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة تكمل حسنه، إما بفن زائد أو معنى، والتتميم يأتي لتتميم نقص المعنى ونقص الوزن معاً، والاحتراس إنما هو لدخل يتطرق إلى المعنى وإن كان تاماً كاملاً ووزن الشعر صحيحاً.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله:

فوفني غير مأمور وعودك لي فليس رؤياك أضغاثاً من الحلم(3)

احتراس الشيخ صفي الدين، في قوله: غير مأمور، فإن لفظة وفني في البيت فعل أمر، ومرتبة الآمر فوق مرتبة المأمور، فاحترس بقوله: غير مأمور.

(1) القصص، ٢٨/٣٢.

(2) البهق: بياض في الجسد غير البرص.

(3) أضغاث: جمع مفرده ضغث وهو الكلام لا خير فيه، وأضغاث أحلام: أحلام لا يمكن تأويلها لالتباسها واختلاطها.

والعميان ما نظموا هذا النوع. وبيت الشيخ عز الدين:

حبي له يتمشى في المفاصل قل   بالاحتراس تمشى البرء في السقم[1]

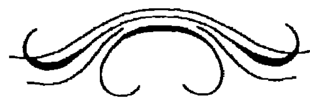
قلت: الشيخ صفي الدين احترس في بيته، بقوله: غير مأمور. واحتراس الشيخ عز الدين عجزت عن تحقيقه بل عن تحقيق معناه، فإن هذا البيت مأخوذ من قول أبي نواس، في وصف الخمرة:

فتمشت في مفاصلهم   كتمشي البرء في السقم

وبيت بديعيتي:

فإن أقف غير مطرود بحجرته   لم أحترس بعدها من كيد مختصم

فقولي: غير مطرود، هو الاحتراس الذي يليق بمقام المادح، بالنسبة إلى مقام النبي ﷺ، والتورية باسم النوع في قولي: لم أحترس بعدها، محاسنها توري. والتكميل، بقولي: من كيد مختصم، هو الذي زاد محاسنها بهجة وكمالاً.



(١) احتراس الشيخ عز الدين في قوله «بالاحتراس». إذ يكون معنى البيت قل إن حبي له يتمشى في المفاصل تمشي البرء في السقم، واحترس بقوله «بالاحتراس» لئلا يخيل للسامع أن هذا التمشي على كل حال. والله أعلم.

ذكر براعة الطلب

وفي براعة ما أرجوه من طلب　　　إن لم أصرح فلم أحتج إلى الكلم

هذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجاني، في كتاب «المعيار». وهو أن يلوّح الطالب بالطلب، بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الإلحاف[1] والتصريح، بل يشعر بما في النفس دون كشفه، كقول أبي الطيب المتنبي:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة　　　سكوتي بيان عندها وخطاب[2]

والفرق بين براعة الطلب وبين الإدماج، أن الإدماج أن يقدر معنى من المعاني، ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم أنه لم يقصده، وهذا مقصور على الطلب فقط، وهو أيضاً فرق بينه وبين الكناية. وبيت الشيخ صفي الدين قوله:

وقد علمت بما في النفس من أرب　　　وأنت أكرم من ذكري له بفمي[3]

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله:

براعة بان فيها منتهى طلبي　　　وأنت أكرم من نطق بلا ولم

وبيت بديعيتي:

وفي براعة ما أرجوه من طلب　　　إن لم أصرح فلم أحتج إلى الكلم

(١) الإلحاف: الرّمز أو ما خفي معناه من الكلام، التلميح.
(٢) الفطانة: سرعة البديهة. والذكاء، وقوة الذاكرة مجتمعة.
(٣) الأرب: الحاجة الماسة.

ذكر العقد

قد صح عقد بياني في مناقبه وإنّ منه لسحراً غير سحرهم

العقد ضد الحل، لأن العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم. ومن شرائط العقد أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر، ومتى أخذ بعض معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعاً من أنواع السرقات، ولا يسمى عقداً إلا إذا أخذ الناظم المنثور برمته، وإن غير منه طريقاً من الطرق التي قدمناها كان المتبقي منه أكثر من المغير، بحيث يعرف من البقية صورة الجميع، كما فعل أبو تمام، في كلام عزى به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الأشعث بن قيس، في ولده، وهو: إن صبرت صبر الأحرار، وإلا سلوت سلوّ البهائم. فعقده أبو تمام شعراً فقال:

وقال علي في التعازي لأشعثٍ وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاءً وحِسبة فتؤجر أم تسلو سلوّ البهائم[1]

وبيت الشيخ صفي الدين قوله:

ما شب من خصلتي حرصي ومن أملي سوى مديحك في شيبي وفي هرمي

المقصود، في هذا البيت، من العقد، قول النبي ﷺ: يشيب ابن آدم ويشب فيا خصلتان: الحرص وطول الأمل.

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين في قوله:

---

(١) حِسبة: أي تحتسب أجر الصبر عند الله سبحانه وتعالى.

عقد اليقين صلاتي والسلام على محمـد دائمـاً مني بـلا سـأم

قلت: أما الشيخ صفي الدين فإني لم أصادف في بيته من عقد الحديث النبوي محلاً، ولكن ذكر فيه حكاية حاله. وأما الشيخ عز الدين غفر الله له فإنه ذكر، في شرحه، أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال ﷺ: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. وفي حديث آخر: قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم. وفي الحديث: أكثروا من الصلاة عليَّ.

ومنه قوله تعالى: **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**[1]. وذكر أنه عقد الآية والحديث، ولم يظهر لي حل هذا العقد في أي موضع هو من البيت.

وبيت بديعيتي:

قـد صح عقـد بياني في مناقبه وإن منـه لسحـراً غيـر سحـرهم

العقد هنا قوله ﷺ: إن من البيان لسحراً. والله أعلم.



---

(١) الأحزاب، ٣٣/٥٦.

ذكر المساواة

تمت مساواة أنواع البديع به   لكن يزيد على ما في بديعهم

هذا النوع، أعني **المساواة**، مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وشرحه بأن قال: هو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى، بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال: كأن ألفاظه قوالب لمعانيه. ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك.

واعلم أن البلاغة قسمان: إيجاز وإطناب، والمساواة معتبرة في القسمين معاً. فأما الإيجاز فكقوله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾[1]. والإطناب في هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿**ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل**﴾[2]. وقال سبحانه وتعالى، في قسم الإيجاز من غير هذا المعنى: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾[3]. وقال عز من قائل، في الإطناب: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾[4] الآية.

ولا بد من الإتيان بهذا الفصل، لئلا يتوهم المتأمل أن الإطناب لا يوصف بالمساواة. ومن الشواهد على المساواة قول امرىء القيس:

فإن تكتموا الداء لا نخفه   وإن تبعثوا الحرب لا نقعد
وإن تقتلونا نقتلكم   وإن تقصدوا الذم لا نقصد

(١) البقرة، ١٧٩/٢.
(٢) الإسراء، ٣٣/١٧.
(٣) الأعراف، ١٩٩/٧.
(٤) النحل، ٩٠/١٦.

وقول زهير:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم[1]

وقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويـأتيـك بـالأخبـار من لم تـزوّد

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله:

وقـد مدحت بمـا تم البديـع بـه مـع حسن مفتتـح منـه ومختتم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

خـطت مسـاواة معنـاه وصـورتــه في الحسن شاهده في نون والقلم[2]

وبيت بديعيتي في المساواة قولي:

تمت مسـاواة أنـواع البـديـع بـه لكن يـزيد على مـا في بـديعهم



(١) الخليقة: العادة والخصلة، والخلق ـ خال: ظن.

(٢) ن والقلم: سورة القلم من القرآن الكريم.

ذكر حسن الختام

حسن ابتدائي به أرجو التخلص من نار الجحيم وهذا حسن مختتمي

هذا النوع ذكر ابن أبي الأصبع أنه من مستخرجاته، وهو موجود في كتب غيره بغير هذا الاسم، فإن التيفاشي سماه «حسن المقطع»، وسماه ابن أبي الأصبع «حسن الخاتمة». وهذا النوع الذي يجب على الناظم والناثر أن يجعلاه خاتمة لكلامهما، مع أنهما لا بد أن يحسنا فيه غاية الإحسان، فإنه آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فلا يحسن السكوت على غيره.

وغاية الغايات، في ذلك، مقاطع الكتاب العزيز في خواتم السور الكريمة. فمن المعجز في ذلك، قوله تعالى: **﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**[1]. أنظر أيها المتدبر هذه البلاغة المعجزة. فإن السورة الكريمة بدئت بأهوال يوم القيامة، وختمت بقوله تعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** [ومثله] قوله تعالى، في سورة عبس: **﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه، وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة﴾**[2]. ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وترى**

---

(١) الزلزلة، ٩٩/٧ و٨.

(٢) عبس، ٨٠/٣٤-٤٢.

الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾[1].

ومن كلام أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وهو المقدم في فنون البلاغة على بلغاء البدو والحضر، في ختام جواب كتاب كتب به إلى معاوية: ثم ذكرت أن ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار، وإني مرقل [2] إليك بجحفل من المهاجرين والأنصار، وقد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك، وما هي من الظالمين ببعيد.

وأجمعوا، بعد ذلك، على أن فواصل المقامات يقوم غالبها مقام المثل السائر، وحسن خواتمها تعقد عليه الخناصر. [وقد عنّ لي] أن أورد هنا مقامة كاملة، فإذا نظر المتأمل إلى براعة استهلالها، وفهم القصد الذي جنح إليه الحريري، عرّف مقدار حسن الختام الذي تمت به الفائدة؛ وحسن السكوت عليه. [وقد اخترت المقامة الثالثة عشرة]، وهي الزوارائية، لأنه ثبت عن القاضي الفاضل أنه شرع في معارضة المقامات، وعارض منها كل فصل بفصل أحسن منه، إلى أن وصل إلى فصل هذه المقامة الذي سيأتي وأنبه عليه في موضعه.

والمقامة الموعود بإيرادها هو قوله: [حكى الحرث بن همام] قال: ندوت[3] بضواحي الزوراء، مع مشيخة من الشعراء، لا يعلق لهم مبار بغبار، ولا يجري معهم ممار[4] في مضمار، فأفضنا في حديث يفضح الأزهار، إلى أن نصفنا النهار، فلما غاض در الأفكار، وصبت النفوس إلى الأوكار، لمحنا عجوزاً تقبل من البعد، وتحضر إحضار الجرد[5]، وقد استتلت صبية أنحف من المغازل، وأضعف من الجوازل، فما كذبت إذ رأتنا أن عرتنا، حتى إذا ما حضرتنا، قالت حيا الله المعارف. وإن لم يكن معارف. اعلموا يا مآل الآمل، وثمال الأرامل، أني من سروات القبائل، وسريات العقائل.

[والفصل الذي عجز الفاضل عنه، هو]: لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر، ويسيرون القلب ويمطون الظهر، ويولون اليد. فلما أردى الدهر الأعضاد، وفجع

---

(١) الزمر، ٣٩/٧٥.

(٢) أرقل: اسرع. والجحفل: الجيش الكثير العدد.

(٣) لم نشرح من هذه المقامة إلا الألفاظ التي لم يشرحها الكاتب إذ أنه يعود إلى شرح ما استعجم من مفرداتها بعد إتمامها.

(٤) المماري: المجادل المناقش.

(٥) الجرد: من الخيول: السريعة واحدها أجرد.

بالجوارح الأكباد، وانقلب ظهراً لبطن، نبا الناظر، وجفا الحاجب، وذهبت العين، ونفدت الراحة، وصلد الزند، ووهت اليمين، وبانت المرافق، ولم يبق لنا ثنية ولا ناب.

قلت: وهذا الفصل الذي أحجم القاضي عن معارضته، قلت في معناه، وكتبت إلى سيدنا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي نوّر الله ضريحه، رسالة مجسده، مشتملة على ذلك جيده، راعيت فيها النظير، لأجل الصدر من الرأس إلى القدم، ولم أخرج فيها عن حسن الختام الذي ما ختمت رسالة بنظيره، والتزمت فيها السجع الذي فر الحريري منه في فصله. [وقد عنّ لي] أن أثبت الرسالة هنا بكمالها، وأرجع إلى ما كنا فيه من حسن الختام في المقامة الحريرية. [والرسالة هي]:

يقبـل أرضاً بـالعلا قـد تجسدت	بأرواح أهل العلم روضة مشتهى
وهبت بـأنفـاس العلوم قبـولهـا	ولا زال صدر الدين منشرحاً بها

وينهى أن الصدر رأس العلوم، وكم له من فرق دق على الأفهام، وهو كالغرة في جباه الأيام، لا زال المجد له حاجياً(١) مقروناً بسعده الشامل، ولا برح بعلمه عيناً لوجوه المسائل. فللَّه أهداب معانيه التي هي أسحر من عيون الغزلان، وأمضى من السيوف إذا برزت من الأجفان، وأصداغ فضائله التي هي عاطفة على وجنات الوجود، لأنها كالعوارض الماطرة، وكم أنست عند ذكره من سالفة، وكم لها في قلوب الأعداء من خدود. وندى جوده الذي إذا جاءه الشارب وجد عنده شفاه، وحلاوة نظمه الذي أنسانا ذكر العذيب وثناياه، وعنق مكارمه التي ألفت من البديع الالتفات؛ وأوصافه التي غدت على خد الدهر شامات، حتى تبدلت سيئاته حسنات. كف عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد، من غير أن يقال له ساعد. وشهدنا بأن أياديه بحر يفيض بصنائعه. فأشار النيل إلى قبول هذه الشهادة بأصابعه. فللَّه ندى يمينه الذي لم يزل المملوك به في بلاد الشام مكفى، وكم فاض منه قلب النيل وجهد أن يوفيه بالباع والذراع فما وفى. جبلت على محبته القلوب فصار حبه ظاهراً في كل باطن، وحنت إليه الجوارح لما سارت مناقبه إلى كل جانب فحركت كل ساكن، ورفع المملوك أدعيته التي هي إن شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم، واعتدال اللطيف ذلك المزاج، وأثنيته التي هي كالمناطق على خصور الحسان وبها لكل قلب ابتهاج. لكن تثاقلت(٢) عليه أرداف النوى، وأسكنت في وسط لبه الجوى، وقده الانقطاع بسيفه الذي زاد في حده، ولكن جار في قده. ولو حصر المملوك

(١) حاجياً: ملازماً وسابقاً.

(٢) تثاقلت: أصبحت ثقيلة، وفي النسخة المطبوعة «تناقلت» بالنون وما أثبتناه هو الصحيح، كما هو ظاهر.

ما ساق إليه البعد من الاشتياق إلى تقبيل الأقدام لم تسعه قائمه، وهو يعد القلب بالصبر، ولكن كما ذكر كعب عن مواعيد عرقوب، فنسأل الله حسن الخاتمة.

[رجع] إلى ما كنا فيه من تكملة المقامة الحريرية، والتنبيه على حسن ختامها. قال بعد الفصل المجسد الذي آخره: ولم يبق لنا ثنية ولا ناب. فمذ اغبرّ العيش الأخضر وازور المحبوب الأصفر، اسود يومي الأبيض، وابيض فودي الأسود، حتى رثى لي العدو الأزرق، فحبذا الموت الأحمر. وتلوى من ترون عينه فراره، وترجمانه اصفراره، قصوى بغية أحدهم ثرده[1]، وقصارى أمنيته برده. وكنت آليت أن لا أبذل الحر إلا للحر، ولو أني مت من الضر، وقد ناجتني القرونه، بأن توجد عندكم المعونه، وآذنتني فراسة الحوباء، بأنكم ينابيع الحباء، فنضر الله امرأ أبر قسمي، وصدق توسمي ونظر إليّ بعين يقذيها الجمود، ويقذيها الجود. [قال الحرث بن همام]: فهمنا لبراعة عبارتها وملح استعارتها، وقلنا لها: قد فتن كلامك، فكيف إلحامك. فقالت: يفجر الصخر ولا فخر، فقلنا لها: إن جعلتنا من رواتك، لم نبخل بمواساتك. فقالت: لأرينكم أولاً شعاري، ثم لأروينّكم أشعاري. فأبرزت ردن درع دريس[2] وبرزت برزة عجوز دردبيس، وأنشأت تقول:

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ... جور الزمان المعتدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا ... دهراً وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع ... وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت ... في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم ... ويطعمون الضيف لحماً غريض
ما بات جار لهم ساغباً ... ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى ... بحار جود لم أخلها تغيض[3]
وأودعت منهم بطون الثرى ... أسد التحامي وأساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا ... وموطني بعد اليفاع الحضيض
وافرخي ما تأتلي تشتكي ... بؤساً له في كل يوم وميض[4]
إذا دعا القانت في ليله ... مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض

---

(١) الثردة: الخبز المثرود بمرق اللحم(الثريد) وقد كنى به عن تفاهة الغاية.

(٢) دريس: بالٍ.

(٣) غيض: الماء، غار في العمق ومنه قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء﴾. لم أَخَلْها: لم أظنها.

(٤) إئتلى: ملّ، ما تأتلي ما تنفك ـ الوميض: الإشارة الخفية أو اللمعان الخفيف.

أتـح لـنـا اللهـم من عـرضـه ... مـن دنس الـلؤم نـقـي رحـيض
يـطفىء نـار الجـوع عنا ولـو ... بمـذقـة من جـازر أو مخيض[1]
فهـل فتى يكشف مـا نـابهم ... ويغنم الشكـر الـطويـل العـريض
فـوالـذي تعنـو النـواصي لـه ... يوم وجوه الجمـع سود وبيض[2]
لـولاهم لم تـبـد لي صفحـة ... ولا تصـديت لـنـظم القـريض

[قال الراوي]: فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب، واستخرجت خبايا الجيوب، حتى ماحها من دينه الامتياح، وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح، فلما افعوعم جيبها تبرا، وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الأصاغر، وفوها بالشكر فاغر، فاشرأبت الجماعة بعد ممرها إلى سبرها، لتبلو مواقع برها، فكفلت لهم باستنباط السر المرموز، ونهضت أقفو أثر العجوز، حتى انتهت إلى سوق مغتصة بالأنام، مختصة بالزحام، فانغمست في الغمار، وأملست من الصبية الأغمار، ثم عاجت بخلو بال، إلى مسجد خال، فأماطت الجلباب، ونضت النقاب، وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما ستبدي من العجاب، فلما انسرت أهبة الخفر، رأيت محيا أبي زيد قد سفر، فهممت بأن أهجم عليه، لأعنفه على ما أجرى إليه، فاستلقى استلقاء المتمردين، ثم رفع عقيرة المغردين، واندفع ينشد:

يـا لـيـت شـعـري أدهـري ... أحـاط عـلـمـاً بـقـدري
وهـل درى كـنـه غـوري ... فـي الخـدع أم لـيس يـدري
كـم قـد قـمـرت بـنـيـه ... بـحـيـلـتـي ويـمـكـري
وكـم بـرزت بـعـرف ... عـلـيـهـم وبـنـكـر
أصـطاد قـومـاً بـوعظ ... وآخـريـن بـشـعـر
واسـتـفـز بـخـل ... عـقـلاً وعـقـلاً بـخـمـر
وتـارة أنـا صـخـر ... وتـارة أخـت صـخـر[3]
ولـو سـلكـت سـبـيـلاً ... مـألـوفـة طـول عـمـري
لـخـاب قـدحـي وقـدحـي ... ودام عـسـري وخـسـري
فـقـل لـمـن لام هـذا ... عـذري فـدونـك عـذري

[قال الحرث بن همام]: فلما ظهرت على جلية أمره، وبديعة أمره، وما زخرف في

(١) المذقة: الشربة ـ الجازر: اللبن ـ المخيض: اللبن الذي سُحب منه الدسم بواسطة المخض.
(٢) تعنوا: تخضع ـ النواصي: جمع مفرده ناصيه وهي مقدم الشعر من الرأس وكنى بها عن الرأس.
(٣) صخر: : هو ابن عمرو الشريد أخو الخنساء الشاعرة واسمها تماضر بنت عمرو الشريد.

شعره من عذره، علمت أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد[1]، ولا يفعل إلا ما يريد، فثنيت إلى أصحابي عناني، وأبثثتهم ما أثبته عياني، فوجموا لضيعة الجوائز، وتعاهدوا على محرمة العجائز.

[قلت]: قد علمت أيها المتأمل أن هذه المقامة البديعة بنيت على ترهات هذه العجوز، وما زخرفته من الباطل، في نظمها ونثرها، الذي خلب كل منهما القلوب وسلب عقول السامعين إلى أن بالغوا في إكرامها. فلما كشف لهم الغطاء عن جميع ما نمقته، وتحققوا أنه بني على الباطل، كانت الخاتمة. فوجموا لضيعة الجوائز، وتعاهدوا على محرمة العجائز.

والألفاظ المحتاجة إلى الحل، في هذه المقامة، هي قوله: ندوت أي حضرت النادي، والجوازل: فراخ الحمام، واحدها جوزل. وعرتنا قصدتنا: يقال عراه واعتراه. والمعارف: الوجوه. والمعارف الثانية: من المعرفة. وثمال القوم: من يقول بأمرهم. وسروات القبائل: السرو: وهو السخاء والمروأة. واحد السروات سراة، لا يجوز أن يكون سراة بالضم. وسريات: جمع سرية، وهي العقيلة السخية. والقلب: هنا قلب العسكر. ويمطون الظهر: أي يحملون المنقطع. ويولون اليد: أي النعمة، وأردى: أهلك. والأعضاد: جمع عضد، وهو ما يمسك الشيء ويقويه. والجوارح: هنا الأعضاء التي تجرح. وقوله: وانقلب ظهراً لبطن: المراد به عكس الحال. ونبا: ارتفع. والحاجب: صاحب الأمير. وصلد الزند: أي لم يور. ووهت: أي ضعفت. واليمين: القوة. والثنية: الناقة التي لها ستة أعوام. والناب: المسنة. واغبرّ العيش: أي تكدر. وازورّ: مال. والمحبوب الأصفر: هو الدينار. وفودي: مدغي. والموت الأحمر: كناية عن الفقر. والعدو الأزرق: الشديد العداوة، والأصل فيه: العطش، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾[2] أي عطاشاً. وتلوى تابعي وعينه فراره: أي عيانه يغنيك عن اختباره، وفي المثل: إن الجواد عينه فرارة. أي عيانه. وقصارى أمره: أي آخر أمره. وآليت: أي حلفت. وأبذل الحر: أي الوجه. والقرونة: النفس. والحوباء: النفس أيضاً. ونضر: بمعنى حسن. ويقذيها: يلقي فيها القذى. والجمود: الإمساك. ويقذيها الجود: يخرج عنها القذى. والحامك: بمعنى نظمك الشعر. والشعار: الثوب الذي يلي الجسد. والدثار: ما فوقه. والردن: الكم. ودردبيس: من أسماء الداهية. والسنة الشهباء:

---

(١) التفنيد: الاحتجاج والمناقشة.
(٢) طه، ١٠٢/٢٠.

المجدبة. وتشب: توقد، وغريض: طري. وساغب: جائع. والجريض: الغصص. والأساة: الأطباء. والمطايا: الإبل. والمطا: الظهر. واليفاع: التل المشرف. والحضيض: القرار من الأرض. تأتلي: تترك. والنعاب: فرخ الغراب. والمهيض: الذي كسر بعد جبر. وأتح: وفق. ورحيض: مغسول. وبمذقة: أي بجرعة. وأعشار القلوب: أي قطع القلوب. وحتى ماحها من دينه الامتياح: أي أعطاها من عادته يعطي. وافعوعم: امتلأ، وفاغر: مفتوح. فاشرأبت: تطلعت. وسبرها: اختبارها. واستنباط: استخراج. والمرموز: المبهم. والغمار: الزحام. والأغمار: البله. وعاجت: عطفت. وأماطت الجلباب: باعدته، وهو الرداء. ونضت: جردت. وخصاص: جمع خصاصة، وهو الثقب في الباب، وكذلك الصير. وفي الحديث: من نظر إلى قوم من صير باب فقئت عينه. وانسرت: انكشفت. والخفر: الحياء. وسفر: انكشف. وأسفر: أضاء. وأجرى: قصد. واستلقى: رقد على ظهره ورفع رجلاً على رجل. والمغردين: المطربين. والعقيرة: الصوت. وكنه غوري: حقيقة أمري. والخل والخمر: هنا كنايتان عن الخير والشر. وقدحي: سهمي. وقدحي: استخراجي أمره العجيب. والمريد: العاتي. والمرادة: العتو. وجموا: أي سكتوا. ا. هـ. تفسير الألفاظ المحتاجة إلى البيان من هذه المقامة.

[ومن صناعات القاضي الفاضل، في حسن الخواتم، قوله]: في حسن خاتمة رسالة كتب بها إلى الديوان العزيز الخليفي، وهو: لا برحت راياته السود سويدات[1] قلوب العساكر، وأجنحة الدعاء المحلق إلى السماء من أفق المنابر.

ومثله قوله: لا برحت الأقدار له جنوداً، والجديدان[2] يسوقان إليه في أيامهما ولياليهما إماء[3] وعبيدا.

ومثله قوله: والله تعالى يرده رد السحب الهاطلة إلى الأمكنة الجدوب[4]، والمغفرة الشاملة إلى مواقع الذنوب، والمسرة إلى مستقرها من مطالع القلوب.

[ومن ذلك] قوله، في ختام جواب كتاب ناصري: ولا زال كالئاً[5] للإسلام بسيفه الذي جفنه كجفنه ساهر، ولا أخلى الله منه الدين بقوة منه ولا ناصر.

---

(١) سويدات: جمع مفرده سويداء وهي مركز العواطف من القلب.

(٢) الجديدان: الليل والنهار سميا بذلك لتجددهما الدائم.

(٣) الإماء: الخدم من النساء، جمع أَمَة.

(٤) الجدوب: المقفرة.

(٥) كالىء: حافظ، حامي.

[ومنه قوله]: والله تعالى يغني عن المكاتبات بلقائه، كما أغنى عن بقية الخلق ببقائه.

[ومن ذلك قول العلامة الشهاب محمود في ختام رسالة]: والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل، ويجعله كهفاً للأولياء وقد جعل.

[وصرع] ابن الصاحب أمين الدين مرزماً، وهو من أصناف الطير الجليل، ومن طيور الواجب، وسأل الشيخ جمال الدين في إنشاء مطالعة إلى الحضرة الشريفة المقدسة الخليفية، يسأل فيها القبول فيما صرعه من الواجب، فأنشأ الشيخ جمال الدين ابن نباتة رسالة بديعة، في هذا المعنى، وحسن ختامها أبدع [وهو]: والله المسؤول سبحانه أن يمتع المملوك في ولاء المواقف المقدسة باتباع طرقه، وأن ينفعه بالانتماء إذا ألزمته الدنيا طائره في يديه، وألزمته الآخرة طائره في عنقه.

[ومن ذلك]، حسن ختام العهد الذي أنشأه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون، لولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل، [وهو]: والله تعالى يجعل استخلافه هذا للمتقين إماماً، وللمعتدين انفصاماً[1]، ويطفىء بماء سيوفه نار كل حطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميِّه برداً وسلاماً.

[ومن ذلك]، حسن ختام رسالتي، التي تقدم ذكرها في باب الاقتباس، المشتملة على الكائنة التي قدرها الله تعالى على دمشق المحروسة، من الحريق وغيره، [وهو]: فوصل المملوك إلى البلاد وقد ودّ يومه لو تبدل بالأمس، ولم يسلم له في وقعة الحرب غير الفرس والنفس،! فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة، وبدأه في الدنيا ببراعة الأمن وفي الآخرة بحسن الخاتمة.

[ومن أبدع الأمثلة، التي ليس لها مثال في حسن الختام، قولي في تقليد بالإشارة الشريفة]: والوصايا كثيرة ولكن لا يهدى تمر إلى هجر، فإننا إلى مشورته أحوج من المبتدا إلى الخبر. والله تعالى يديمه ركناً لهذا البيت الشريف، الذي تطوف الناس حوله ويُسعى إليه، ولا برح كلامه في المشورة، لفظاً ومعنى، تتم الفائدة به ويحسن السكوت عليه.

[وقلت في خاتمة تقليد بنظر الكسوة]: فليباشر ذلك علماؤنا أنه من تقرب إلى الله بخدمة بيوته فقد فاز، ولا بد أن يصير لديباجة هذا البيت بحسن توشيحه دار الطراز، فقد

---

(١) الانفصام: التفريق.

أسعده الله ،ظهر له في توشيح هذا البيت نظم مفيد، ولا ينكر حسن هذا التوشيح للقاضي السعيد، والله تعالى يكرم مثواه في الآخرة بتشييد هذا البيت وقيام شعاره، ولا زالت أنامل بره تتختم بخواتيم الخير وتنقل أحاديث المحاسن بفصها في أخباره.

[ومثله قولي]: في تقريظ كتبته لأقضى القضاة، ولي الدين القرشي، على كتابه المسمى «بعمدة المناسك» [وهو]: والله تعالى يزيد صناعة هذا النسك بهجة على كل ناظم، ويجعله لأعماله الصالحة المقبولة من أحسن الخواتم.

[وتقدم لي بالديار المصرية] بشارة بوضع المقر الأشرف، سيدي موسى ولد المقام الشريف المؤيدي، سقى الله من غيث الرحمة ثراه، من رأس القلم بالحضرة الشريفة جاءت نسيج وحدها، وواسطة عقدها. [منها]: حملت به أمه وأبرزته كشمس الحمل[1] بهجة ونوراً، وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ولكن ملأ الدنيا سروراً.

[وتوجهت]، بعد ذلك التاريخ، إلى ثغر الاسكندرية المحروسة في مهم شريف، فورد على نائب الثغر المحروس بشارة شريفة، بمولد سيدي المقر الأشرف الناصري، محمد ولد المقام الشريف المؤيدي، نوّر الله ضريحه، فركب نائب السلطنة الشريفة بالثغر المحروس إلى أن جاء عندي، وسألني الجواب، فكتبت تهنئة بديعة وحسن ختامها أبدع منها، [وهو]: أكرم بها صحيفة محمدية أمسى بها كل قلب مأنوساً، وتلت مسرتها من تقدم قبلها من الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى. فالحمد لله على تواتر هذه التهاني التي أتهم بها كل حادٍ وأنجد، وعمت بركتها بإبراهيم وموسى ومحمد، والله تعالى يوصل أحاديث التهاني المؤيدية ليتسلسل كل حديث بمسنده، ولا برحت الخواطر الشريفة مسرورة بمحمد وحديثه ومولده.

[ومن ذلك]، قولي في ختام تقليد قاضي القضاة ولي الدين العوافي بقضاء قضاة الشافعية، بالديار المصرية والممالك الإسلامية، [وهو]: والله تعالى يطلق له أعنة الاقبال، وينيله من نعمه ما لا يخطر قبل وقوعه ببال، ويحلي به جيد الدهر وقد تحلى بعدما ذهب رونقه وزال، وكما أحسن له في البداية، أن يحسن إليه في النهاية، حتى يقول الحمد لله على كل حال.

[ومثله] في الحسن، ختام تقليد قاضي القضاة أبي البقاء علم الدين صالح البلقيني، [وهو]: والله يرفع علم علمه على كل غاد ورائح، ويجعل كلا من عمله وحُكمه واسمه الكريم صالحاً في صالح في صالح.

---

(١) الحمل: منزلة من منازل الشمس أحسن ما تكون فيها نوراً.

[وقد عن لي] أن أختم ما تقدم لي من الأمثلة في حسن الخواتم، بختام كتاب المسك من أقل عبيده، ويود منثور الدر أن ينتظم في سلك عقوده، وذلك أني كتبت للمقر المرحومي الفتحي، فتح الله صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الاسلامية، كان على لسان قاضي القضاة شرف الدين مسعود الشافعي وأعيان طرابلس المحروسة، وقد وصلوا إلى الديار المصرية في البحر قسراً، مما عاينوه من أهوال تلك المحنة المشهورة، التي قدرها الله تعالى على طرابلس المحروسة. وحسن الختام في القصة المذكورة قولي: والقوم يا نظام الملك قد دهمهم من لم يفرق بين التحليل والتحريم، إلى أن صرحوا بالطلاق، ووقعوا في التغابن، وشمت المنافقون، ومنعوا في الجمعة الصف، ومست فرقتهم الممتحنة في الحشر، ولم يسمع لهم مجادلة، لما فزعوا بالحديد في هذه الواقعة، ولكن منّ الرحمن، وطلع قمر الأمن، ولاحظهم نجم السعد وصعدوا طور النجاة، وكفكفوا ذاريات الدموع، وطردت عنهم العداة إلى قاف، لما دخلوا حجرات مصر، وحظوا من مولانا السلطان بعد سد المذاهب بالفتح[1].

[قلت]: هذا الختام جعلته خاتمة للأمثلة المنثورة في هذا الباب. وأما الأمثلة الشعرية، فمن المجيدين فيها أبو نواس، حيث قال في خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب:

وإني جدير إذ بلغتك بالمنى ... وأنت بما أملت منك جدير
فإن تولني منك الجميل فأهله ... وإلا فإني عاذر وشكور

ومنه قول أبي تمام معتذراً في آخر قصيدة:

فإن يك ذنب عنَّ أو تكُ هفوة ... على خطإ مني فعذري على عمد[1]

ومنه قول أبي الطيب، في ختام قصيدة:

فلا حطت لك الهيجاء سَرْجاً ... ولا ذاقت لك الدنيا فراقا[2]

وقال أبو العلاء، من ختام قصيدة:

ولا تزال بك الدنيا ممتعة ... بالآل والحال والعلياء والعمر[3]

---

(١) عنَّ: ظهر وبان.
(٢) السرج: البردعة توضع على ظهر الحصان ليركب.
(٣) الآل: الأهل.

وقول [illegible]حاني في ختام قصيدة:

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحاً   فإنك في هذا الزمان فريد[1]
عُلاك سوار والممالك معصم   وجودك طوق والبرية جيد[2]

وقول ابن نبيه، في ختام قصيدة أشرفية:

دمتم بني أيوب في نعمة   تجوز في التخليد حد الزمان
والله لا زلتم ملوك الورى   شرقاً وغرباً وعلى الضمان

وقال شيخ شيوخ حماة، في ختام مديح مظفري:

فلا زلت ذا ملك جديد مؤيد   تدين لك الدنيا وتصفو لك الأخرى
ولا زال للأيام طول على الورى   وما الطول إلا أن يطيل لك العمرا

وقال ابن سنا الملك، في ختام مديح عادلي:

بقيت حتى يقول الناس قاطبة   هذا أبو إلياس أو هذا أبو الخضر[3]

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله، في ختام مديح مؤيدي:

فابق عالي المقام داني العطايا   قاهر الباس ظاهر الأنباء
يتمنى عدوّك العيش حتى   أتمنى له امتداد البقاء

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي، رحمه الله تعالى، في ختام مديح نبوي:

يا إمام الهدى عليك صلاة   وسلام في الصبح ثم العشاء
ما صبا في أصائل قلب صب   ذكر الملتقى على الصفراء

ومثله قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردي، في ختام قصيد نبوي:

صلى عليك الله يا خير الورى   ما نار نور من ضريحك في الدجى

ومثلهما قولي، في ختام مديح نبوي، ولكن مسك هذا الختام أضوع من ختامهما في المديح النبوي، وهو:

---

(١) الكاشح: المبغض.

(٢) السوار: ما تتحلى به المرأة في معصمها - والجود: الكرم - والطوق: القلادة تطوق العنق - والجيد: العنق وما يليه من النحر.

(٣) إلياس والخضر: من أنبياء الله سلامه عليهم.

عسى وقفة أو قعدة لابن حِجة ... على بابكم يسعى بها وهو مُحرِم
فقد جاء يشكو من ذنوب تعاظمت ... وقدرك في يوم الشفاعة أعظم
وقد ناله في عنفوان شبابه ... هموم وسيف الهم للظهر يقصم
وعارضه قد شاب في زمن الصبا ... عسى بك من ذا العارض الصعب يسلم
فيا وردنا الصافي طيور قلوبنا ... عليك إذا ما نابها الضيم حُوَّم

وقلت بعده في حسن الختام:

عليك سلام نشره كلما بدا ... به يتغالى الطيب والمسك يختم

وبيت الشيخ صفي الدين في حسن الختام [هو]:

فإن سعدت فمدحي فيك موجبه ... وإن شقيت فذنبي موجب النقم

وبيت العميان فيه [هو]:

لكن وإن طال مدحي لا أفي أبداً ... فاجعل العذر والإقرار مختتمي

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

فاجعل له مخلصاً من قبح زلته ... في حسن مفتتح منه ومختتم

وبيت العميان في حسن الختام أبدع من بيت الشيخ صفي الدين الحلي في حسن ختامه، وموجب ذلك التورية بتسمية النوع، وتمكين القافية في آخر البيت. وبيت الشيخ عز الدين أبدع من بيت العميان، إذ فيه الترشيح بذكر التخلص والافتتاح والمختتم، وللكن فاته الترتيب، فإنه قدم ذكر التخلص على الافتتاح.

وبيت بديعيتي:

حسن ابتدائي به أرجو التخلص من ... نار الجحيم وهذا حسن مختتمي

هذا البيت العامر بمدح النبي ﷺ ختامه مسك، لكونه جاء خاتمة لما وصلت إليه القدرة من الأوصاف النبوية، واجتمع فيه: حسن الابتداء مورى به، مع حسن التخلص، وحسن الختام على الترتيب. ولو قال الشيخ عز الدين في بيته: بحسن مبتدأ، ساعدته التورية بتسمية النوع الذي هو حسن الابتداء.

---

(١) العارض: الأولى: بمعنى الشعر الذي على قفى الرأس بين الأذنين. والثانية: بمعنى ما يعرض له من مرض وأحداث.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: هذا المصنف المبارك، أعني البديعية وشرحها، إذا ملكه متأدب شرفت نفسه عن النظر في غيره من تذاكر الآداب، فإني ما تركت نوعاً من أنواع البديع إلا أطلقت عنان القلم في ميادين الطروس، مستطرداً إلى استيعاب ما وقع من جيده ورديئه، ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين. بيد أني أقول وبالله المستعان: إن العميان اختصروا جانباً كبيراً من البديع، وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه. والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب، لخلاصه من التورية في تسمية النوع، ولكنه قصَّر في مواضع نبهت عليها في مظانها. والشيخ عز الدين رحمه الله قصر في غالب بديعيته، لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية. والبحث مقرر مع كل منهم في إجادته وتقصيره، عند إيراد بيته على ذلك النوع الوارد.

وقد تقدم الإطناب في تقرير حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، وفي الفرق بينهما، وأوردت في حسن التخلص ما وقع من غريبه وبديعه، وما تقرر من البحث مع المقصر في نظمه، وما يتفرق به شمل مجاميع الأدب وينسى تذاكره، وقد انتهت الغاية بحمد الله إلى حسن الختام. وأوردت فيه ما لا خفيت محاسنه على المتأمل، ولا ضمه صدر كتاب، وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة، ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. وقد فرغت من تأليف هذا الكتاب في شهر ذي الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.



فهرس الموضوعات